

الإهداء:

سيدي يا بقيّة الله ... يا صاحب الأمر ويا قيّم الزمان...

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

مولاي... ما كتبتُه دفاعاً عنكم ... ولا أزال وسأبقى إنْ شاء الله ... لم يكن من أجل إطراء ومديح، أو منافسة في سلطان والتماس شيء من فضول الحطام، بل كان وسيكون وصلةً لي إلى قربكم، ولأرد المعالم من دينكم، وأدفع بالحجّة والبرهان .كما أردتم . سهام الكيد المصوّبة إلى حياضكم، ولا أبالي بسخط أو نقمة البعض عليَّ، ما دمتَ راضياً بأنْ أكون الخادم المطيع، وما أتمناه يا سيدي هو أنْ أكون دائماً بقربكم فكراً وروحاً وشعوراً وجسماً، ألحس قصاعكم وآكل فتات موائدكم، فإن قبلتني فهو لي فوزٌ ونجاة وإلاّ أصبحتُ هائماً في صحارى البيد يتلظى عطشاً ويرجو حياةً...وهل ثمّة أولياء عظماء حلماء حكماء مثلكم حتى ألتجئ إل يهم وآوي إلى حصنهم سواكم؟! لا وربّك أيها الطاهر الملتحف بنور القدس..

سيدي يا فرج الله ...إنّ هذه بضاعتي مزجاة أرفعها إليك وإلى آبائك الميامين، ومعها الكثير من الألم والأذى من قومٍ ادّعوا محبتك والتشيع لك، وقد رموني بسهام الحقد والضغينة، وصوّبوا إليَّ رم اح الأذية، وسقوني كأساً مصبَّرة، لا لشيء سوى أنك بُغيتي وصبابتي، وإليك لا إلى غيرك أُنسي واشتياقي أيها الحبيب ...فأرجو القبول يا أملي وسلوتي ... فكن لي النصير والمعين والوليّ والحافظ، وحقق يا سيدي ملتمسي وما يختلج في سري متلهفاً

الإجابة يا سريع الرضا...فأسألك المدد فلا تقطعه عمّن لا يملك إلاّ رضاك، ولا يلتجئ إلاّ إلى حصنك مهما ادلهمّ الخطْبُ وتغطرس المتجبرون...

وإليك يا نور بصري أشكو ظلامتي...، وأنتَ الآخذ لي بحقي ممن ظلمني وتهكَّم علَيَّ...، فنِعْمَ الوكيل أنتَ يا عمري ويا وليي وأملي...

الحقير بفنائك يقرع باب إحسانك

عبدك محمّد



توطئة وتمهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ الخلائق أجمعين، أحمده حمداً دائماً لا انقطاع لأمَده ولا نهاية لعدده، والصّلاة والسَّلام على أشرف خلقه سادة الورى وأئمّة الهدى ومصابيح الدُّجى، رحمةً للعالمين، وضياء الله المبين محمّد المصطفى وآله الغرر الميامين، سُفُن النجاة، وعين الحياة، والصّراط المستقيم، وحبل الله المتين، واللعنة السّرمديّة الأبديّة على أعدائهم ومبغضيهم ومنكري فضائلهم وظلاماتهم إلى قيام يوم الدّين بحقّ الحقّ آل الله محمّد وعترته الأنوار المقدَّسين .

وبعد...

لقد طرأ جدال بين محقّقي الإماميّة حول الكمّ المعرفي لدى الأئمّة عليهم السَّلام، . وعلى رأسهم الرّسول الأعظم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم . وكانت جذوره الزمنيّة منذ منتصف القرن الثالث الهجري، وبالتحديد منذ أنْ بدأت الغيبة الكبرى لمولانا الإمام الحجّة المنتظر عليه السلام، لكنها لم تأخذ حيّزاً فلسفيّاً أو عقليّاً إلاّ في أوائل القرن الرابع للهجرة، وأوّل من طرقها بشكل إجمالي هو الشيخ محمّد بن النعمان العكبري الملقَّب بـ "المفيد" في كتابه أوائل

المقالات الفصل "أربعون"، وإنْ كان قد سبقه في ذلك . حسبما أشار إلى ذلك المفيد نفسه . بنو نوبخت فأوجبوا عقلاً معرفة الأئمّ ة عليهم السَّلام بجميع الصنايع وساير اللغات وعلمهم بالضمائر والكائنات، وقد خالفهم المفيد فأوجب على الأئمّة معرفة ذلك من الناحية السمعيّة فقط . ثمّ درج على خطاه . لكن بدرجة علميّة متدنيّة .؛ تلميذه الشيخ الطّوسي في كتابه : "الإقتصاد" فصل صفات الإمام، فكان م سلكه في علم الأئمّة متدنياً عن مسلك أستاذه الشيخ المفيد، فنسب إلى الأئمّة عليهم السَّلام عدم اشتراط العلم عند الإمام اللاحق بوجود السّابق " بل إنما يأخذ المؤهّل للإمامة العِلْمَ ممن قبله شيئاً بعد شيء ليتكامل عند آخِ ر نَفَسٍ منَ الإمام المتقدِّم عليه بما أُسنِدَ إليه".

ثمّ بعد تطوّر الحركة العلميّة عند محقّقي الإماميّة لا سيّما في بداية أو منتصف القرن السّادس للهجرة وبالتحديد في بداية نشوء المدرسة الطّوسيّة المتمثّلة بالأستاذ الأكبر الخواجه نصير الدّين الطوسي (قدّس سرّه) وتلميذه الفذّ النابغة جمال الدّ ين الحسن بن يوسف المعروف بالعلاّمة الحلّي (أعلى الله مقامه)؛ فهما وإنْ شكّلا عنصراً مهمّاً في بلورة الحركة الفلسفيّة والعقليّة عند الشيعة الإماميّة لكنّ مسألتنا هذه لم تبحَث بشكل تفصيلي دقيق يجلي الغوامض التي تكتنفها سوى شذرات متناثرة هنا وهناك، ولعلّ السّ رّ في ذلك هو حساسيّة الموضوع لدى فريق كبير من الأشاعرة بحسب أصولهم المعرفيّة والتي تعتمد على الظاهر دون الغوص في اللبّ والجوهر، لا سيّما وأنّ المسألة

تصبّ في خانة العقليّات التي ينكرها الأشاعرة من أساسها طبقاً لما أسّسوه من أنّ القبح والحُسن شرعيّان لا عقليّان، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى؛ لعلّ ثمّة ضعف في القابليّات لا تسع أنْ تتحمّل مَسْأَلَةً عَوِيصَةً وعَمِيقةً كهذه المسألة، فرُبّ جوهر عِلْمٍ إخفاؤه أوجب على حامليه من إظهاره، إذ في إظهاره مفسدة فكريّة على عامّة البسطاء وإنْ كانوا في ثوب علماء .

فلم تتبلور هذه المسألة بشكلٍ دقيق طوال العصور السابقة إلاّ ما بدا في حوزتَي قم والنجف الأشرف في بدايات القرن الثالث عشر الهجري، فانقسم فيها المحقّقون إلى فريقين متخاصمَيْن، ومع كلّ هذا، فإنّ مَن ذهب إلى نفي شموليّة علومهم عليهم السّلام للموضوعات الصَّرفة . إنْ سلّمنا أنّ ثمّة موضوعاتٌ صرفة لا يترتّب عليها حكم . إعتمد على ظواهر نصوص لا تنهض أنْ تكون مستنَداً فقهيّاً معتدّاً به لا سيّما وأنّ لها معارِضاً من أخبار أخرى؛ فبمقتضى الفقاهة ضمّ الأخبار إلى بعضها دون اللّجوء إلى عنصر الطّرح الّذي يُرجَع إليه بعد أنْ تُستنفَذ طاقة الفقيه في جمع الأخبار المتعارِضة أو تقديم طائفة على أخرى طبقاً لموازين الترجيح، ونحن لا نشكّ بإجتهاد تلك الثلّة المعروفة بالتحقيق الفقهي بمقدار ما نشكّ بسعة تلك الأفق الفقهيّة التي كانت ولا تزال تتّصف بها، حتى إذا ما جاء فقيه آخر ليشذّبها وينقّحها، أو يعمل على نقضها بالبرهان والدليل؛ قامت عليه قيامة صعاليك يتمظهرون بثوب الفقاهة والإجتهاد، وكأنّ الإجتهاد حكرٌ على السابقين ممّن عُرِفوا بالتحقيق العلمي، وَلَعَمْرُ الحقّ؛ إنّ باب الإجتهاد مفتوح ولم يوصده

أئمّة آل البيت في غيبة مولانا الإمام الحجّ ة ﷺ، فلم تعْقَم الأرحَامُ عن أنْ تلِدَ مجتهدِين آخرين يحرسون عقائد أئمتهم عليهم السَّلام إلى أنْ يخرج الإمام المهديّ الثاني عشر من أئمّة آل البيت عليهم السَّلام .

وصفوة القول:

إنّ الغاية من عرض المسألة هي أنْ نحلّ الغموض المرتسم حولها لا سيّما وأنّ مَن أنكر تلك الشموليّة إنما كان إنكاره على أساس عدم الجدوى في إدراكها، فأيّ فائدة . حسبما يزعم هؤلاء . لهذه المعلومة أنْ تمدّ يدها إلى واقعنا النفسيّ والإجتماعيّ، وهل ثمّة أثر لو قلنا بأنهم عليهم السَّلام لم يكونوا عالمين بمصيرهم، أم أنّ الموضوع لا يغدو إلاّ ترفاً فكريّاً يُبحَث فيه كما يُبحَث عن غيره في بطون الكتب؟

لا، ليس الأمر كذلك بل إنّ القيمة الحقيقيّة لموضوع كهذا تكمن في كاشفيتها لمقام من مقامات الأئمّة الأطهار عليهم السَّلام، حيث يترتّب على هذا الكشف العلميّ، إنبهار العقول والمشاعر لعظمة ذواته م المقدَّسة، وانجذاب القلوب إلى ساحة هدايتهم الاكيدة، فإنّ مزيداً من التعلُّق والإعتقاد والتمسُّك بهم صلوات الله عليهم هو المكسَب الّذي يمكن الفوز به عبر المسألة المطروحة على بساط البحث والتحقيق .

وممّا يؤكّد هذه الحقيقة ذاك الكمّ الهائل من الرّوايات الواردة في خصوصيّات مقاماتهم المقدَّسة السّامية، وصفات نفوسهم الطّاهرة، والتي منها شمول عِلْمهم صلوات الله عليهم وسعة إحاطة مدركاتهم لسائر الأشياء وهيمنتهم على الملك والملكوت بل الجبروت واللاهوت فإنْ لم يكن للتوغّل

في معرفتهم عليهم السَّلام وخصوصيّات ذوا تهم الشريفة بحسب الإستطاعة أيّ جدوى، لكانت حينئذٍ الأخبار هذه . على كثرتها . لا طائل من ورائها، الأمر الّذي يأباه لهم دورهم الموكَل إليهم، وهو هداية الناس إلى ما يضمن سعادتهم الأبديّة .

فغاية المطلب في المسألة، معرفة مقامهم السّامي، وهي الدّافع الحقي قي للغَوْر فيها .

والقول بالعلم الحضوري لا الإشائي الإرادي . كما سوف تعلَم في البحوث الآتية . يستلزم القول بعلمهم عليهم صلوت الله بمصائرهم، إذ لا معنى لأنْ يعلَموا كلّ شيء إلاّ عاقبة أمرهم، أو السّبب المؤدّي إلى استشهادهم، مضافاً إلى أنه لا يوجد دليل علمي قطعي يثبت هذه الإثنينيّة أو الإنفصاليّة بين البداية والنهاية في حركة وجودهم عليهم السَّلام، كما ليس من حقّنا أنْ نفصل بين مقدّمات حركتهم التبليغيّة وبين النتائج الخاصّة المترتِّبة على تلكم المقدِّمات، بعد العِلْم بأنّ الله جلّ وعزّ أرادها منهم، وليس هـ ذا سلباً لإرادتهم بل هو عين الإختيار في أفعالهم لتحقيق الهدف الّذي أراده المولى منهم عليهم السَّلام، كما أنّ تلك التضحيات التي قدّموها ليست تهلكة كما يُصوّرها البسطاء من بعض أهل العِلْم، إذ كيف تكون تهلكة وهي تضحية بسيطة . مهما كانت مريرةً وقاسيةً . في سبيل نتائج عظيمة ومقامات عُليا في الدّنيا والآخرة . بل يمكن القول أنّ تلك التضحية البسيطة في جنب الله تعالى بمنزلة التضحية بالمصلحة الخاصّة في سبيل المصلحة العامّة .**وعليه؛** فلا يحقّ لأحدٍ الإرجاف بالقول بأنّ إقدامهم على القتل كان تهلكةً .

كما لا يحقّ لأيٍّ كان أنْ يشكّك في عِلْم الأئمّة بإلصاق الجهل بعواقب أعمالهم بذريعة وجود بعض الأخبار على ذلك ما دام ثمّة أخبارٌ أُخَر تدلّ على عكس ذلك؛ لأنّ أيّ تشكيك من هذا النوع يستلزم. لا محالة . الطّعن في حكمة فاعله وصوابه، من هنا لا بدّ من إعمال القاعدة المشهورة وهي حمل الفاعل المؤمن على الصحّة والصّواب حال الشكّ في صحّة فعله، فكيف إذا كان هذا الفاعل معصوماً فإنه أَوْلى بالحَمْل على الصحّة من غيره من حيث كونه معصوماً ببرهان لا يقبل النّقض أبداً، فإنْ لم نكن نعرف وجه الحكمة الحقيقيّة من بعض أمورهم الثابتة لنا بقرائن ص حيحة، فلا أقل من حملها على الصحّة لإخراج عملهم عن السّطحيّة والعبثيّة، لا سيّما وأنّ كلّ فعلٍ أو قولٍ واردٍ عن المعصومين لا ينحصر بهدف واحد أو حكمة واحدة بل يمكن أنْ يكون له أهداف متعددة سواء ممّا نعلمه من الأهداف أو ممّا نحتمله.

لقد ثبت فلسفيّاً أنّ أيّ شيء في الوجود سواء أكان إنساناً أم ملاكاً أم حيواناً أم نباتاً أم جماداً فإنّ لوجوده نحواً من الهدف والحكمة أو ما يُعَبَّر عنه بالعلّة الغائيّة، وهي قاعدة مطّردة تشمل حتى الأفعال الإختياريّة للناس، حيث لأفعالنا نحوان من المقاصد: نحوٌ يعود إلى الله عزّ وجلّ، وآخر يعود إلى الفاعل نفسه، **وعليه**؛ فإنّ إقدام الأئمّة بأنفسهم على الشهادة، له هذان النَّحوان، نحوٌ لتحقيق الغرض الشخصي بينهم وبين أنفسهم، وذلك لأجل قيامهم بواجب من الواجبات الموكَلة إليهم والمكلَّفين بها، ونحوٌ لتحقيق الهدف والحكمة الإلهيّين، نظير ذلك، ذهاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى مسجد

الكوفة ليلة الإعتداء عليه، حيث ينطبق عليه النَّحْوان المتقدِّمان، وهما الغرض الشخصي وهو قيامه بأداء الواجب الموَكل إليه وهو الذّهاب للمسجد ليُقْتَل هناك، وهدف إلهيّ وهو فضح عدوّه، أو الوصول إلى مقامات عُلْيَا ادّخرها له الله سبحانه وتعالى .

ومرادنا من الغَرَض الشخصيّ هو ما أوجب رضوان الله وتحقيق أوامره، وليس شيئاً آخر غيره، ضرورة إنّ إرادته عليه السلام هي إرادة الله ظاهرة فيه دون قسرٍ أو إجبار .

فالتساؤل عن أفعال المعصومين نظير إقدامهم على الموت إنما هو من قبيل التساؤل عن الحكمة الإلهيّة، من هنا كان الإعتراض عليها والطّعن في أهدافها إنما هو طعن بالحكمة الإلهيّة مباشرةً وليس طعناً في أغراضهم الشخصيّة عليهم السَّلام، لأنّ أغراضهم الشخصيّة ليست سوى امتثال أوامر المولى والقرب منه .

ولا ينبغي أنْ نغفل ونحن ننظر إلى أفعال المعصومين عن أنهم قادة إلهيّون وليس كغيرهم كالقادة الدنيويّين الّذين قد يصيبون الحكمة في أفعالهم، وقد يُخطئون، إذ الإعتقاد بهم على النَّحْوِ الثاني . أي أنّ افعالهم قد تخطئ الحكمة . يطيح بالأدلّة القطعيّة التي دلّت على أنهم مسدَّدون ملهَمون يتصرَّفون طبقاً لموازين الحكمة الإلهيّة، والتسديد لا يُخرجهم من رجاحة العقل وقوّة الرّأي وسداد القول، ﴿**بل عبادٌ مكرَمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**﴾،﴿**إنْ هو إلاّ وحيٌ يُوحَى علّمه شديد القوى**﴾، بل نؤكّد أنّ قولهم عليهم السَّلام هو قول الله تعالى، وفعلهم هو فِعْلُ الله، وإرادتهم هي إرادة الله تعالى،

فما عندهم من فِكْرٍ ورَأيٍ وقَوْلٍ إنما هو من الله تعالى لكونهم الآيات الإلهيّة والأسماء الحسنى، ومظاهر صفات الجلال والجمال والكمال، والوسائط التكوينيّة لتكميل البشر، ومعنى ذلك أنهم بأرواحهم الشريفة يتصرَّفون في الأرواح، فالفيض منه تعالى يشمل الأرواح الضعيفة بواسطتهم، فلا بدّ من الإستمداد منهم في السير إلى المعارف بنحوِ ما دلّ عليه قول الإمام عليّ بن محمّد الهادي النقيّ عليه السلام في الزيارة الجامعة : " ومَن قصده توجّه بكم "؛ فالتوجّه بهم سبب لقصده تعالى، لكونهم وجه الله بل صفاته الج مالية والجلاليّة .

ومن المعلوم أنّ النظر إلى الموصوف إنما هو بالنظر عن طريق صفاته، بل هم الطريق الواسع إليه كما يشير إليه قوله عليه السلام: "وطريقاً إليكَ مهيعاً " أي اجعل الوليّ عليه السلام لي طريقاً مبسوطاً إليكَ، فالمنظور هو الله تعالى، وما به النظر هو أرواحهم الطاهر ة، فمَن كان بهذا المستوى والرُّقيّ كيف لا يَعْلَم مصيره المحتوم، أو لا يكون متّصفاً بعِلْمٍ فعليٍّ يرفعه على جميع عوالم الناسوت والملكوت والجبروت؟!

ومن المهمّ أنْ نلفت إلى أنّ عِلْمَهم بحرٌ زاخر لا يبلغ فِكْرُ المخلوقِ قَعْرَهُ، ولا يصل فَهْمُهُم إلى ش اطئه، ولو عرَفْنا قَدْر علمهم عليهم السَّلام، لَعَرَفْنا حقيقته ومبلغ صفاته، ولو اهتدينا إلى كنهه، لوصلنا إلى معرفة مَن جعل الإمامة بتلك الوسامة، ورفعها إلى سَمْكٍ لا نبصره .

كما لا يخفى إنّ الإحاطة بحقيقة الإمامة ليس أمراً يسيراً بل هو فوق العادة، وغير مُطَاقٍ لنا، ومَن يحيط خبراً بكمال الإمامة وعظيم صفاتها إلاّ مَن كان منه عزّ وجلّ كقاب قوسين أو أدنى؟!

إنّ شبهة إلقاء الأئمّة أنفسهم في التهلكة هي من متشابهات أفعالهم عليهم السَّلام، ولا يُعقل رفضها أو الحكم عليها سلباً، دون النظر إلى المحكمات من تلكم الأفعال والتصرفات والقرائن من الكتاب والسُّنّة المباركة، وإلاّ عُدَّ الحكم مُسْبَقاً دون الرّجوع إلى ما ذكرنا، تسرُّعاً وضعفاً في الفقاهة والإستنباط . مهما علا شأن مَن قال بالشبهة، إذ الحقّ يعلو ولا يُعلى عليه . بل إنّ الحكم على تلكم التصرّفات والأفعال بمثابة النظر بعينٍ دون أخرى لتقويم الصّورة على حقيقتها وواقعها .

لذا إنّ ما أثرته هنا كافٍ ولله الحمد لحلّ مشكلةٍ طالما شغلت بال العديد وأسقطت ثلّة من الفقهاء والمحقّقين، حيث لم تسعفهم تحقيقاتهم بما يتناسب وعلم الأئمّة الحضوري والفعلي، فنسبوا الجهل للأئمّة بمصايرهم، وفصلوا عن ذواتهم العلم الحضوريّ، بل الأئمّة بنظرهم : قادة دينيّون يعملون بالظواهر فقط، ولم يسبروا عمق أفكارهم وأرواحهم عليهم السَّلام، وثلّة من هؤلاء حاولوا حلّ الشبهة بتنزيه المعصوم عن الخطأ، لكنهم وقعوا في محذور سلب العلم الحضوريّ عن الأئمّة الأبرار الميامين الأطهار عليهم السَّلام .

والإنصاف إنّ كِلاَ الفريقين على شفا إفراط وتفريط، والنمرقة الوسطى هو ما ستراه في مطاوي هذا الكتاب، فإنه جَلَى ونقَّحَ ما علق في الأذهان من انطباعٍ مُشَوَّشٍ أو غيرِ صَحِيْحٍ عن علوم الأئمّة الأبرار عليهم السَّلام،

وأنّه ليس ثمّة فصل بين حركتهم الجهاديّة والعلميّة وبين حركتهم الفكريّة من حيث تعلّقها بالحاضر والمستقبل، كما لا إثنينيّة بين علمهم الحضوري بشيء دون آخر حسبما تصوّره أولئك الّذين استغرقوا في إنيّاتهم، فظنّوا أنّ علم المعصوم كعلمهم، فخبطوا يميناً وشمالاً، إذ ما ادّعوه لا دليل عليه .

إنّ المعمعة الحاصِلة بين ذينك الرّأييْن استدعتنا الخوض بالتفاصيل في دفع الشّبهة، مع التأكيد على أهميّة العِلْم الحضوريّ للأئمّة عليهم السَّلام، وأنه لا يمكن فصله عن مجرى حياتهم ولو في فترة زمنية قصيرة، إذ الفصل يعني انثلام تلك الوحدة العلميّة الحضوريّة طوال حياتهم المشرِقة، وقد أعطينا صورة جليّة عن حقيقة الأمر ورفع التصوّرات الخاطئة حول إقدامهم على الموت مع علمهم الحضوريّ المتعلِّق بكلّ أزمنتهم دون استثناء .

وأملي من القارئ الكريم أنْ يفتح مسامع قلبه وعقله لتقبُّل الحقيقة دون انحياز إلى زيد وعمرو مهما علا شأنهما وعظم كعبهما، إذ الحقّ ارفع من أنْ يقيّده اشخاص عُرِفوا بالعلم والفقاهة، "فالحقّ يعلو ولا يُعلى عليه"، "واعرف الحقّ تعرف أهله"؛ «فليس من طلب الحقّ فأخطأه»،ولا يستنكف المتعلِّم عن طلب الحقّ، لأنّ في الإشتغ ال عن طلبه تقوية للباطل حسبما قال أمير المؤمنين وسيّد الموحّدين وقائد الغرّ المحجّلين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: "ايها الناس، لو لم تتخاذلوا عن نصر الحقّ ولم تهنوا عن توهين الباطل، لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، ولم يقوَ مَن قوي عليكم، لكنّكم تهتم متاه بني إسرائيل، ولَعَمْرِي، ليُضعَفَنَّ لكم التَّيْه من بعدي اضعافاً بما خلَّفتم الحقّ وراء ظهوركم "[١] .

وقال روحي فِدَاه في موضعٍ آخر : "فلا تنفروا من الحقّ نفار الصحيح من الأجرب، والباري من ذي السَّقَمِ " [٢] .

وقال سيّدي أمير المؤمنين أيضاً: "إنّ أفضل الناس عند الله مَن كان العملُ بالحقّ أحبّ إليه من الباطل وإنْ جَرَّ إليه فائدة وزادَهُ"[٣].

"إنّ الحقّ لا يحمله إلاّ أهل البصر والصّبر والعلم بمواضع الحقّ، "فلا يؤنسَنَّك إلاّ الحقّ، ولا يوحشنَّكَ إلاّ الباطلُ ".

ووصيّتي لإخواني المؤمنين هي ما أوصى به أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه أفضل الصّلاة وأتم التسليم فلنحفظها بقلوبنا وأفكارنا، قال روحي له الفداء . في وصيّته لمالك أعلى الله مقامه:

"وإلزم الحقّ مَن لزمه من القريب والبعيد، وكُن في ذلك صابراً محتسباً، واقعاً ذلك من قرابتكَ وخاصّتكَ حيث وقع، وابتغِ عاقبته بما يثقلُ عليكَ منه، فإنّ مغبّة ذلك محمودة فإنّ المنَّ يُبطِلُ الإحسانَ، والتزيُّد يُذهِبُ بنور الحقّ "[٤] .

وفي الختام:

أوصي القَارِئَ الكريم أنْ يطالع الكتابَ فصلاً فصلاً، ليستفيد مما بُثَّ فيه من مطالب فقهيّة وكلاميّة جديرة با لإهتمام، وإلاّ فالطفرة في المطالعة بالإنتقال فجأة إلى الفصل الأخير دون التدبّر في الفصول السابقة عليه، لا تورّث عِلْمَاً، لا سيّما وأنّ الموضوع هامٌّ يستوجب التأني والتدبُّر في مطالعةِ

كلّ الفصول لترابطها كمجموعٍ، كلُّ جزءٍ فيه مرتبط بجزئه الآخر وملتصق به، وبذا يحصل على النتيجة المرجوّة لتحصيل العِلْم .

وأحبّ أنْ ألفت النّظر بأنّ هذا الكتاب ليس ترفاً فكريّاً أو جدلاً كلاميّاً، بمقدار ما هو نظرة اجتهاديّة جديدة لمعركة آراء بين فريقين من فقهاء الإماميّة اختلفوا حول موضوع التهلكة والعلم الحضوريّ لدى المعصوم عليه السلام، فموضوع البحث يغلب عليه الجنبة الفقهيّة التي تتطلّب جهداً استنباطيّاً في معالجة الأخبار المتعارضة، أو ترجيح بعضها على بعض، وكيفيّة الجمع بين الأخبار المتعارضة، كلّ ذلك أخذ مني جهداً للوصول إلى النتيجة الفقهيّة النهائيّة لموضوعٍ طالما حار وخَبَطَ فيه خَ بْط عشواء ثلّة من أهل التحقيق، وسقط بسببه كثيرٌ لا عن عمدٍ أو تقصيرٍ بل لقصورٍ في مقدّماتٍ استنباطيّة، أبعدنا الله عزّ شأنه عن الهفوة فيها وله المنّة .

وأتمنّى أخيراً الصّفح عمّا يوجب سخط القارئ، إنْ كان ثمة هفوة أو ما لا يبعث على الرِّضى، فإنّ العصمة لأهلها،والحقّ أجدر بالإتباع .

والحمد لله ربّ العالمين، وصلواته وتحياته على الصفوة من خلقه، وسادة رسله محمّد وآله الأنوار الميامين الأطهار الأخيار .

بيروت١٦/صفر/١٤٢٣هـ

محمّد جميل حمّود

الفَصْلُ الأَوَّلُ

تَقرِيرُ الشُّبهَة والردّ عَلَيهَا

تقرير الشبهة:

لم يرتضِ أصحاب الشبهة سماع ما جاء في الأخبار بأنّ أئمّة أهل البيت عليهم السّلام قد أقدموا على الموت عن سابق معرفة بالنتيجة النهائيّة لحياتهم الشريفة، لا سيّما ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه وعلى آله، من أنه كان عارِفاً بساعة مقتله، وأنّ قاتله هو ابن ملجم عليه لعنة الله، بل كان عليه السلام عارِفاً بالموضع الّذي سيُقتل فيه، كلّ هذا . بحسب دعوى أصحاب الشُّبْهَة . مما لم يحل تعرضه له، وعليه؛ كيف فعل ذلك والحال أن القاء النفس في التهلكة منهيٌ عنه عقلاً ونقلاً، آيةً وروايةً.

وهكذا سرت الشبهة كالنار في الهشيم على تصرُّفات الصدّيقة الطاهرة الزكيّة فاطمة الزهراء عليها السَّلام ع ندما لاذت وراء الباب وهجوم عمر على دارها، وكذا تصرُّفات بقيّة أولادها الميامين الأطهار عليهم السَّلام، بدءاً بأكل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام من الطعام المسموم، وذهاب الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء للشهادة هناك، وانتهاءاً بما جرى على البقيّة من آل الرّسول عليهم السّلام .

والجواب:

أولا: إن امير المؤمنين علياً عليه السلام خُيّر تلك الليلة او قبلها من الليالي بين البقاء في الدنيا وبين لقاء الله تعالى- بمعنى ان الله تعالى جعل اليه الامر والخيار في ان يختار لقاء الله او البقاء في الدنيا- فاختار عليه السلام لقاء الله تعالى، فسقط عنه وجوب حفظ النفس.

توضيح ذلك:

إن الأئمة عليهم السلام في جميع حالاتهم يجرون على ما اختار لهم القضاء الالهي، والتقديرات الربوبية، من باب التسليم والرضا بالقضاء، فما علموه انه مختار لله تعالى مرضيٌ لديه، اختاروه ورضوا به سوآء كان بقتلٍ أو هوانٍ من أعدائهم، وإن كانوا عالمين بذلك وقادرين على دفعه بالدعاء والتضرُّع، ولكنهم تركوا الدفع، واختاروا الوقوع، لعلمهم برضاه جلّ وعزّ واختياره ذلك لهم، والتحليل والتحريم أحكام توقيفية من الشارع المقَدَّس، فما وافق أمره ورضاه فهو حلال، وما خالف ذلك فهو حرام، قال تعالى : ﴿**ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومَن يعصِ الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً** ﴾ (الأحزاب/٣٦) ﴿**لا يُسْئَلُ عما يفعل وهم يُسْئَلُون**﴾(الأنبياء/ ٢٣).

هذا مضافاً إلى أن مطلق الإلقاء في التهلكة ليس محرَّماً، لأنّ جها د الأعداء والمشركين والدفاع عن الأهل والمال والاعطاء باليد إلى القصاص وإقامة الحدود وغير ذلك يعتبر هلاكاً للنفس لكنه محبوب ومرضيٌ عند الله تعالى، وعليه فإن الإطلاق المدّعى . أي أن مطلق الالقاء في التهلكة حرام . مخصَّصٌ بما ذكرنا من الأمثلة المتقدمة، وكذا يخ صص ذاك الإطلاق بالذهاب للمسجد للشهادة أو إلى كر بلاء،أو بالأكل من الطعام المسموم.

وبعبارة أخرى:

إنّ جهاد الأعداء ولو أدّى إلى القتل . وبقيّة الأمثلة المتقدِّمة . خارجة تخصيصاً عن حكم التهلكة، أي أنها تهلكة منصوص عليها من قِبَل الشارع الحنيف، ولا تشملها أحكام التهلكة المنهيّ عنها شرعاً وعقلاً .

ومما يؤيد ما قلنا :ما ورد في حسنة عبد الملك بن اعين عن مولانا أبي جعفر (عليه السلام) قال:أنزل الله تعالى النصر على الحسين (عليه السلام) حتى كان ما بين السماء والارض . (أي انزل الله ملائكته ينصرونه على الاعداء حتى اذا صاروا بين السماء والارض خُيِّر بين الامرين) ثمّ خيّر:النصر او لقاء الله،فاختار لقاء الله تعالى(٥).

وعندما يختار الإمام لقاء الله يعني أنّ مهمته في الدنيا قد انتهت وإلاّ لكان فضّل البقاء على الموت لكونه مقدَّماً على الموت لوجود مصلحة فيه.

وما ورد في صحيحة خريس الكناسي قال:

سمعت ابا جعفر (عليه السلام) يقول . وعنده أناس من اصحابه . عجبت من قوم يتولّونا ويجعلونا أئمة ويصفون أنّ طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم ثم يكسرون حجّتهم ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فينقصونا حقّنا ويعيبون ذلك على من اعطا ه الله برهانَ حقِ معرفتنا والتسليم لأمرنا، أترون أن الله تعالى افترض طاعة أوليائه على عباده، ثم يخفى عنهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم ممّا فيه قوام دينهم؟! فقال له حمران : جعلت فداك أرأيت ما كان من أمر قيام عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السَّلام وخروجهم وقيامهم بدين الله عزّ ذكره، وما أُصيبوا من قتل الطواغيت إياهم والظفر بهم حتى قتلوا

وغلبوا؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: يا حمران إنّ الله تبارك وتعالى قد كان قدّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الإختيار ثمّ أجراه، فبتقدُّم علم إليهم من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قام عليٌّ والحسن والحسين عليهم السّلام وبعلم صمت من صمت منا، ولو أنهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله عزّ وجلّ وإظهار الطواغيت عليهم سألوا الله عزّ وجلّ أنْ يدفع عنهم ذلك وألحّوا عليه في طلب إزالة ملك الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدّد، وما كان ذلك الّذي أصابهم يا حمران لذنب اقترفوه ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها ولكن لمنازل وكرامة من الله، أراد أن يبلغوها، فلا تذهبنّ بك المذاهب فيهم[٦].

إشارات هامّة:

يشير هذا الحديث الشريف إلى أسرار غامضة، وحِكَمٍ إلهيّة، شرّف الله تعالى بها أولياءه وخُزّان وحيه، وبها ميَّزَهم عن سائر الخلق وهي:

أ . عِلْمُهُم بكلّ شيء، وعدم انقطاع أخبار السّماء عنهم عليهم السَّلام، وعمومه شامل للموضوعات بأسرها .

ب . إنّ ما جرى عليهم من مصائب وأخطار وقهر أرباب الجَوْر والطّواغيت ناشيء عن مصالح لا يعلَمُها إلاّ الله المهيمن جلّ شأنه .

ج . إنّ ما صدر منهم من الحرب والجهاد والقتل في سبيل الله، وكذا سكوتهم عما يفعله أئمّة الضلال، ومشاهدتهم الأمّة تتمادى في غيّها، كلّ ذلك صدر طاعةً لأوامر المولى الخاصّة بهم، وانقياداً لتكليفه بلا إلجاءٍ من الله لهم في شيء من ذلك، وإنما هم مختارون كغيرهم في جميع التكاليف .

د . التسليم لقضاء الله المحتوم والأَجَل المبرم، وعدم التوسُّل إلى الله تعالى في إزاحة العلّة لينالوا بالشهادة رضاه والفوز برحمته، وهذا لا يحصل إلاّ بإزهاق نفوسهم الشريفة .

وجاء في خبر الحسن بن الجهم قال : قلت للإمام الرضا عليه السلام:إن امير المؤمنين قد عرف قاتله والليلة التي يُقتل فيها والموضع الذي يقتل فيه وقوله لما سمع صياح الأوزّ في الدّار : صوائح تتبعها نوائح، وقول أمّ كلثوم : لو صلَّيْتَ الليلة داخل الدّار وأمرتَ غيرك يصلّي بالناس، فأبى عليها وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح وقد عرف عليه السلام أنّ إبن ملجم لعنه الله قاتله بالسيف، كان هذا مما لم يجز تعرُّضه، فقال : ذلك كان ولكنّه خُيِّر في تلك الليلة، لتمضي مقادير الله عزّ وجلّ (٧).

فدلّنا هذا الحديث وأمثاله على أنّ إقدام أهل البيت عليهم السَّلام على ما فيه التهلكة إنما هو من باب الطاعة لله وامتثال التكليف الموجَّه إليهم خاصّةً، فلا يتطرَّق إلى ساحة عِلْمهم نقص، وليس إقدامهم على ما فيه الهَلَكَة ممّا يأباه العقل والدِّين .

وخلاصة الدليل الاول:

إن الائمة عليهم السلام كانوا عالمين بوقت شهادتهم غير فارين منه لكونه مرضياً له تعالى ليبلغوا بدرجات التسليم والتفويض درجة الشهادة ومحل الكرامة منه تعالى، والاخبار بهذا المضمون كثيرة فلاحظ وتأمل،لا سيما اصول الكافي الابواب التالية:

(**الباب الأوّل**): في أنّ الأئمّة عليهم السّلام لا يخفى عليهم شيء، وهي كالآتي:

(١) . أحمد بن محمّد ومحمّد بن يحيى عن محمّد بن الحسين عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر عن عبد اللّه بن حمّاد عن سيف التّمّار قال: كنّا مع أبي عبد اللّه عليه السلام جماعة من الشّيعة في الحجر فقال : علينا عين فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحدا فقلنا ليس علينا عين فقال: وربّ الكعبة وربّ البنيّة ثلاث مرّات لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنّي أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما لأنّ موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتّى تقوم السّاعة وقد ورثناه من رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وراثة(٨).

ملاحظة هامّة:

ما صدر في ذيل الحديث: "ورثناه من رسول الله وراثة" يُحمَل على أمرَين:

إمّا أنْ تكون العبارة زايدة أقحمها الأعداء في الحديث الشريف، إذ لا يُعقَل أنْ تكون الجزئيّات موروثة من رسول الله ما داموا عليهم السَّلام يملكون نفس المواصفات التي يمتلكها رسول الله، إذ القادر على إعطائها له صلّى الله عليه وآله وسلَّم لشدّة قابليّته، قادر أيضاً على إعطائها لمن كانوا نفسه بالفضائل والمكرمات ﴿**أنفسنا وأنفسكم**﴾ .

وإمّا أنْ نتصرّف بمضمونها . على فرض صحّة صدورها عنهم . بحملها إمّا على التقيّة ظاهِراً، وإمّا على أنهم ليسوا بمكلَّفين بالعمل بعِلْمِهم بما هو كائن إلى يوم القيامة، بمعنى أنهم لا يظهرونه إلاّ للخواصّ من مواليهم، وإمّا بحملها على الأحكام الكليّة والأوامر الشرعيّة، فهذه ورثوها من رسول الله تأكيداً لا تأسيساً، فتدبَّر .

(٢) . عن أحمد بن محمّد عن محمّد بن سنان عن يونس بن يعقوب عن الحارث بن المغيرة وعدّة من أصحابنا منهم عبد الأعلى وأبو عبيدة وعبد اللّه بن بشر الخثعميّ سمعوا أبا عبد اللّه عليه السلام يقول إنّي لأعلم ما في السّماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنّة وأعلم ما في النّار ، وأعلم ما كان وما يكون قال: ثمّ مكث هنيئة فرأى أنّ ذلك كبر على من سمعه منه فقال : علمت ذلك من كتاب اللّه عزّ وجلّ: إنّ اللّه عزّ وجلّ يقول: فيه تبيان كلّ شيء[٩] .

(٣) . عن عليّ بن محمّد عن سهل عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر عن عبد الكريم عن جماعة بن سعد الخثعميّ أنّه قال : كان المفضّل عند أبي عبد اللّه عليه السلام فقال: له المفضّل جعلت فداك يفرض اللّه طاعة عبد على العباد ويحجب عنه خبر السّماء ؟،قال: لا، اللّه أكرم وأرحم وأرأف بعباده من أن يفرض طاعة عبد على العباد ثمّ يحجب عنه خبر السّماء صباحا ومساء [١٠].

(٤) . عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن عليّ بن معبد عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السلام بمنى عن خمسمائة حرف من الكلام فأقبلت أقول: يقولون كذا وكذا قال : فيقول: قل كذا وكذا قلت : جعلت فداك هذا الحلال وهذا الحرام، أعلم أنّك صاحبه وأنّك أعلم النّاس به وهذا هو الكلام فقال : لي ويلك يا هشام لا يحتجّ اللّه تبارك وتعالى على خلقه بحجّة لا يكون عنده كلّ ما يحتاجون إليه[١١].

(٥) . محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن عمر بن عبد العزيز عن محمّد بن الفضيل عن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لا واللّه لا يكون عالم جاهٍ لاً أبداً، عالمَ بشيء جاهلاً بشيء ثمّ قال : اللّه أجلّ وأعزّ وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه ثمّ قال : لا يحجب ذلك عنه [١٢].

(**الباب الثاني**): إن الائمة لم يفعلوا شيئاً الا بعهد من الله؛ وهي كالآتي:

(١) . محمّد بن يحيى والحسين بن محمّدٍ عن جعفر بن محمّدٍ عن عليّ بن الحسين بن عليٍّ عن إسماعيل بن مهران عن أبي جميلة عن معاذ بن كثيرٍ عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إنّ الوصيّة نزلت من السّماء على محمّدٍ كتاباً، لم ينزل على محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم كتاب مختوم إلاّ الوصيّة فقال جبرائيل عليه السلام: يا محمّد هذه وصيّتك في أمّتك عند أهل بيتك فقال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: أيّ أهل بيتي يا جبرائيل قال: نجيب اللّه منهم وذرّيّته، ليرثك علم النّبوّة كما ورّثه إبراهيم عليه السلام وميراثه لعليٍّ عليه السلام وذرّيّتك من صلبه قال: وكان عليها خواتيم قال: ففتح عليّ عليه السلام الخاتم الأوّل ومضى لما فيها ثمّ فتح الحسن عليه السلام الخاتم الثّاني ومضى لما أُمِرَ به فيها فلمّا توفّي الحسن ومضى فتح الحسين عليه السلام الخاتم الثّالث فوجد فيها أن قاتل فاقتل وتُقتل واخرج بأقوامٍ للشّهادة لا شهادة لهم إلاّ معك قال: ففعل عليه السلام فلمّا مضى دفعها إلى عليّ بن الحسين عليه السلام قبل ذلك، ففتح الخاتم الرّابع فوجد فيها أن اصمت وأطرق لما حجب العلم، فلمّا توفّي ومضى دفعها إلى محمّد بن عليٍّ عليه السلام ففتح الخاتم الخامس فوجد فيها أن فسّر كتاب اللّه تعالى

وصدّق أباك وورّث ابنك واصطنع الأ مّة وقم بحقّ اللّه عزّ وجلّ وقل الحقّ في الخوف والأمن ولا تخش إلاّ اللّه، ففعل، ثمّ دفعها إلى الّذي يليه قال : قلت له: جعلت فداك فأنت هو؟ قال: فقال: ما بي إلاّ أن تذهب يا معاذ فتروي عليَّ قال: فقلت: أسأل اللّه الّذي رزقك من آبائك هذه المنزلة أن يرزقك من عقبك مثلها قبل الممات قال: قد فعل اللّه ذلك يا معاذ قال: فقلت: فمن هو جعلت فداك؟ قال: هذا الرّاقد . وأشار بيده إلى العبد الصّالح . وهو راقد[١٣].

(٢) . أحمد بن محمّدٍ ومحمّد بن يحيى عن محمّد بن الحسين عن أحمد بن محمّدٍ عن أبي الحسن الكنانيّ عن جعفر بن نجيحٍ الكنديّ عن محمّد بن أحمد بن عبيد اللّه العمريّ عن أبيه عن جدّه عن مولانا أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إنّ اللّه عزّ وجلّ أنزل على نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كتاباً قبل وفاته فقال: يا محمّد هذه وصيّتك إلى النّجبة من أهلك قال : وما النّجبة يا جبرائيل؟ فقال: عليّ بن أبي طالبٍ وولده عليهم السّلام وكان على الكتاب خواتيم من ذهبٍ فدفعه النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأمره أن يفكّ خاتماً منه ويعمل بما فيه ففكّ أمير المؤمنين عليه السلام خاتماً وعمل بما فيه ثمّ دفعه إلى ابنه الحسن عليه السلام ففكّ خاتماً وعمل بما فيه ثمّ دفعه إلى الحسين عليه السلام ففكّ خاتماً فوجد فيه أن اخرج بقومٍ إلى الشّهادة، فلا شهادة لهم إلاّ معك واشر نفسك للّه عزّ وجلّ ففعل ثمّ دفعه إلى عليّ بن الحسين عليه السلام ففكّ خاتماً فوجد فيه أن أطرق واصمت والزم منزلك واعبد ربّك حتّى يأتيك اليقين ففعل، ثمّ دفعه إلى ابنه محمّد بن عليٍّ عليه السلام ففكّ خاتماً فوجد فيه

حدّث النّاس وأفتهم ولا تخافنّ إلاّ اللّه عزّ وجلّ فإنّه لا سبيل لأحدٍ عليك ففعل ثمّ دفعه إلى ابنه جعفرٍ ففكّ خاتماً فوجد فيه حدّث النّاس وأفتهم وانشر علوم أهل بيتك وصدّق آباءك الصّالحين ولا تخافنّ إلاّ اللّه عزّ وجلّ وأنت في حرزٍ وأمانٍ ففعل ثمّ دفعه إلى ابنه موسى عليه السلام وكذلك يدفعه موسى إلى الّذي بعده ثمّ كذلك إلى قيام المهديّ صلّى اللّه عليه[١٤] .

(٣) . صحيحة محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّدٍ عن إبن محبوبٍ عن إبن رئابٍ عن ضريسٍ الكناسيّ عن مولانا أبي جعفرٍ عليه السلام قال: قال له حمران: جعلت فداك أرأيت ما كان من أمر عليٍّ والحسن والحسين عليهم السّلام وخروجهم وقيامهم بدين اللّه عزّ وجلّ وما أُصِيبُوا من قتل الطّواغيت إيّاهم والظّفر بهم حتّى قتلوا وغلبوا؟ فقال أبو جعفرٍ عليه السلام: يا حمران إنّ اللّه تبارك وتعالى قد كان قدّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه ثمّ أجراه فبتقدّم علم ذلك إليهم من رسول اللّه قام عليّ والحسن والحسين، وبعلمٍ صمت من صمت منّا[١٥].

(٤) . معتبرة الحسين بن محمّدٍ الأشعريّ عن معلّى بن محمّدٍ عن أحمد بن محمّدٍ عن الحارث بن جعفرٍ عن عليّ بن إسماعيل بن يقطين عن عيسى بن المستفاد أبي موسى الضّرير قال : حدّثني موسى بن جعفرٍ عليهما السّلام قال: قلت لأبي عبد اللّه: أليس كان أمير المؤمنين عليه السلام كاتب الوصيّة ورسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم المملي عليه وجبرئيل والملائكة المقرّبون عليهم السَّلام شهودٌ قال : فأطرق طويلاً ثمّ قال : يا أبا الحسن قد كان ما قلت ولكن حين نزل برسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم الأمر نزلت الوصيّة من

عند اللّه كتاباً مسجّلاً، نزل به جبرائيل مع أمناء اللّه تبارك وتعالى من الملائكة فقال جبرائيل: يا محمّد مُر بإخراج مَنْ عندك إلاّ وصيّك ليقبضها منّا وتشهدنا بدفعك إيّاها إليه ضامناً لها . يعني الإمام عليّاً عليه السلام . فأمر النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بإخراج من كان في البيت ما خلا عليّاً عليه السلام وفاطمة فيما بين السّتر والباب فقال جبرائيل : يا محمّد ربّك يقرئك السّلام ويقول: هذا كتاب ما كنت عهدت إليك وشرطت عليك وشهدت به عليك وأشهدت به عليك ملائكتي وكفى بي يا محمّد شهيداً قال: فارتعدت مفاصل النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا جبرائيل ربّي هو السّلام ومنه السّلام وإليه يعود السّلام صدق عزّ وجلّ وبرّ، هات الكتاب، فدفعه إليه وأمره بدفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: إقرأه، فقرأه حرفاً حرفاً، فقال: يا عليّ هذا عهد ربّي تبارك وتعالى إليّ وشرطه عليَّ وأمانته وقد بلّغت ونصحت وأدّيت فقال: عليّ عليه السلام وأنا أشهد لك بأبي وأمّي أنت بالبلاغ والنّصيحة والتّصديق على ما قلت ويشهد لك به سمعي وبصري ولحمي ودمي فقال جبرائيل عليه السلام: وأنا لكما على ذلك من الشّاهدين فقال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا عليّ أخذت وصيّتي وعرفتها وضمنتَ للّه ولي الوفاء بما فيها؟ فقال عليّ عليه السلام: نعم، بأبي أنت وأمّي عليّ ضمانها وعلى اللّه عوني وتوفيقي على أدائها فقال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم : يا عليّ إنّي أريد أن أُشهِدَ عليك بموافاتي بها يوم القيامة فقال عليّ عليه السلام: نعم، أشهد، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : إنّ جبرائيل وميكائيل فيما بيني وبينك الآن وهما حاضران، معهما الملائكة المقرّبون لأُشهِدَهُم عليك فقال : نعم

ليشهدوا وأنا . بأبي أنت وأمّي . أشهدهم، فأشهدهم رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وكان فيما اشترط عليه النّبيّ بأمر جبرائيل (عليه السلام) فيما أمر اللّه عزّ وجلّ أن قال له : يا عليّ تفي بما فيها من موالاة من والى اللّه ورسوله والبراءة والعداوة لمن عادى اللّه ورسوله والبراءة منهم على الصّبر منك وعلى كظم الغيظ وعلى ذهاب حقّي وغصب خمسك وانتهاك حرمتك؟ فقال : نعم، يا رسول اللّه فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): والّذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة لقد سمعت جبرائيل (عليه السلام) يقول للنّبيّ: يا محمّد عَرِّفْهُ أنّه يُنْتَهَك الحرمة وهي حرمة اللّه وحرمة رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وع لى أن تخضب لحيته من رأسه بدمٍ عبيطٍ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): فصعقت حين فهمت الكلمة من الأمين جبرائيل حتّى سقطت على وجهي وقلت : نعم، قبلت ورضيت وإن انتهكت الحرمة وعطّلت السّنن ومزّق الكتاب وهدّمت الكعبة وخضبت لحيتي من رأسي بدمٍ عبيطٍ صابراً محتسباً أبداً حتّى أق دم عليك ثمّ دعا رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم فاطمة والحسن والحسين وأعلمهم مثل ما أعلم أمير المؤمنين فقالوا: مثل قوله فختمت الوصيّة بخواتيم من ذهبٍ لم تمسّه النّار ودفعت إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقلت لأبي الحسن (عليه السلام): بأبي أنت وأمّي ألا تذكر ما كان في الوصيّ ة؟ فقال : سنن اللّه وسنن رسوله فقلت : أكان في الوصيّة توثبهم وخلافهم على أمير المؤمنين (عليه السلام)؟ فقال : نعم، واللّه شيئاً شيئاً، وحرفاً حرفاً، أما سمعت قول اللّه عزّ وجلّ : ﴿**إنّا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدّموا وآثارهم وكلّ شي ءٍ أحصيناه في إمامٍ مبينٍ**﴾ واللّه لقد قال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم لأمير المؤمنين وفاطمة عليهما

السّلام: أليس قد فهمتما ما تقدّمت به إليكما وقبلتماه؟، فقالا : بلى، وصبرنا على ما ساءنا وغاظنا(١٦).

(٥) . صحيحة عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن عبد اللّه بن عبد الرّحمن الأصمّ عن أبي عبد اللّ ه البزّاز عن حريز قال : قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: جعلت فداك ما أقلّ بقاءكم أهل البيت وأقرب آجالكم بعضها من بعضٍ مع حاجة النّاس إليكم؟! فقال: إنّ لكلّ واحدٍ منّا صحيفةً فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مدّته، فإذا انقضى ما فيها ممّا أُمِرَ به عرف أنّ أجله قد حض ر فأتاه النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ينعى إليه نفسه وأخبره بما له عند اللّه وإنّ الحسين عليه السلام قرأ صحيفته الّتي أُعْطِيْها وفسّر له ما يأتي بنعيٍ وبقي فيها أشياء لم تقض، فخرج للقتال وكانت تلك الأمور الّتي بقيت أنّ الملائكة سألت اللّه في نصرته فأذن لها ومكثت تستعدّ للقتال وتتأهّب لذلك حتّى قتل فنزلت وقد انقطعت مدّته وقُتِلَ عليه السلام فقالت الملائكة: يا ربّ أذنت لنا في الانحدار وأذنت لنا في نصرته فانحدرنا وقد قبضته فأوحى اللّه إليهم أن الزموا قبره حتّى تروه وقد خرج فانصروه، وابكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته فإنّكم قد خصّصتم بنصرته وبالبكاء عليه، فبكت الملائكة تعزّياً وحزناً على ما فاتهم من نصرته فإذا خرج يكونون أنصاره(١٧).

إشكال وحلّ:

أفاد الخبر المتقدِّم بأنّ الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام أذن للملائكة في نصرته، فلمّا نزلت، وجدته مقتولاً، وعليه؛ لا بدّ من أنْ نؤوّ ل الخبر بما يتناسب وقوله تعالى: ﴿**لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**﴾ فإذنه عليه السلام

لهم بنصرته يجب أنْ يكون مقروناً بقدرتهم على الإمتثال، وهم يمتلكون القدرة على ذلك، فتأخّرهم يستلزم عكس المطلوب .

والجواب:

إنّ إِذْنَ الإمام الحسين عليه السلام لهم بنصرته ملازم لإذن الله تعالى لهم ذلك، وتأخّرهم لا يستلزم عدم قدرتهم على الوصول في الوقت المحَدَّد وقبل شهادته، بل إنّ إِذْن الإمام عليه السلام الكاشف عن إذن الله تعالى إنما هو نصرته في الرَّجعة لا قبل شهادته، من هنا قال عليه السلام لهم: " إلزموا قبره حتى ترَوْه وقد خرج فانصروه"، ولو سَلَّمْنا صدور أمْرٍ ما بنصرته قبل شهادته لكنه أمْرٌ إنشائيّ إمتحانيّ، وليس أمراً فعليّاً، وهذا نظير أمْر الله لإبراهيم خليل الرّحمان بذبح إبنه إسماعيل عليهما السَّلام.

(الباب الثالث):باب في أنّ الأئمّة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلاّ باختيارٍ منهم:

(١) . مُحمّدُ بنُ يحيى عن سلمة بن الخطّاب عن سُليمان بن سماعة و عبد اللّه بن مُحمّد عن عبد اللّه بن القاسم البطل عن أبي بصير قال : قال أبُو عبد اللّه عليه السلام: أيُّ إمام لا يعلمُ ما يُصيبُهُ و إلى ما يصيرُ فليس ذلك بحُجّة للّه على خلقه[١٨] .

(٢) . عليُّ بنُ إبراهيم عن مُحمّد بن عيسى عن الحسن بن مُحمّد بن بشّار قال: حدّثني شيخ من أهل قطيعة الرّبيع من العامّة ببغداد ممّن كان يُنقلُ عنهُ قال: قال لي : قد رأيتُ بعض مَ نْ يقُولُون بفضله من أهل هذا البيت فما رأيتُ مثلهُ قطُّ في فضله و نُسُكه فقُلتُ لهُ : مَنْ وكيف رأيتهُ؟ قال: جُمعنا أيّام

السّنديّ بن شاهك ثمانين رجُلا [ثمانون] من الوُجُوه المنسُوبين إلى الخير فأُدخلنا على مُوسى بن جعفر عليه السلام فقال لنا السّنديُّ: يا هؤُلاء انظُرُوا إلى هذا الرّجُل هل حدث به حدث ؟ فإنّ النّاس يزعُمُون أنّهُ قد فُعل به و يُكثرُون في ذلك و هذا منزلُهُ و فراشُهُ مُوسّع عليه غيرُ مُضيّق و لم يُرد به أميرُ المؤمنين سُوءاً و إنّما ينتظرُ به أن يقدم فيناظِر أمير المؤمنين و هذا هُو صحيح مُوسّع عليه في جميع أُمُوره فسلُوهُ قال: ونحنُ ليس لنا همّ إلاّ النّظر إلى الرّجُل و إلى فضله و سمته فقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أمّا ما ذكر من التّوسعة و ما أشبهها فهُو على ما ذكر غير أنّي أُخبرُكُم أيُّها النّفرُ أنّي قد سُقيتُ السّمّ في سبع تمرات وأنا غدا أخضرُّ وبعد غد أمُوتُ قال: فنظرتُ إلى السّنديّ بن شاهك يضطربُ و يرتعدُ مثل السّعفة[١٩] .

(٣) . مُحمّدُ بنُ يحيى عن أحمد بن مُحمّد عن إبن فضّال عن أبي جميلة عن عبد اللّه بن أبي جعفر قال: حدّثني أخي عن جعفر عن أبيه أنّهُ أتى عليّ بن الحُسين عليه السلام ليلة قُبض فيها بشراب فقال: يا أبت اشرب هذا فقال: يا بُنيّ إنّ هذه اللّيلةُ الّتي أُقبضُ فيها و هي اللّيلةُ الّتي قُبض فيها رسُولُ اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم[٢٠].

(٤) . عليُّ بنُ مُحمّد عن سهل بن زياد عن مُحمّد بن عبد الحميد عن الحسن بن الجهم قال: قلت للرّضا عليه السلام: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتلهُ و اللّيلة الّتي يُقتلُ فيها و الموضع الّذي يُقتلُ فيه و قولُهُ لما سمع صياح الإوزّ في الدّار صوائحُ تتبعُها نوائحُ وقولُ أُمّ كُلثُوم لو صلّيت اللّيلة داخل الدّار وأمرت غيرك يُصلّي بالنّاس فأبى عليها وكثُر دُخُولُهُ وخُرُوجُهُ تلك اللّيلة

بلا سلاح وقد عرف عليه السلام أنّ ابن مُلجم لعنهُ اللّهُ قاتلُهُ بالسّيف كان هذا ممّا لم يجُز تعرُّضُهُ فقال: ذلك كان و لكنّهُ خُيّر في تلك اللّيلة لتمضي مقاديرُ اللّه عزّ و جلّ [٢١].

(٥) . حسنة عليّ بن إبراهيم عن مُحمّد بن عيسى عن بعض أصحابنا عن أبي الحسن مُوسى عليه السلام قال: إنّ اللّه عزّ و جلّ غضب على الشّيعة فخيّرني نفسي أو هُم فوقيتُهُم واللّه بنفسي[٢٢].

(٦) . مُحمّد بن يحيى عن أحمد بن مُحمّد عن الوشّاء عن مُسافر أنّ أبا الحسن الرّضا عليه السلام قال له: يا مُسافر هذا القناة فيها حيتان ؟ قال: نعم، جُعلتُ فداك فقال: إنّي رأيتُ رسُول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم البارحة و هُو يقُولُ يا عليُّ ما عندنا خير لك [٢٣].

(٧) . حسنة مُحمّد بن يحيى عن أحمد بن مُحمّد عن الوشّاء عن أحمد بن عائذ عن أبي خديجة عن مولانا أبي عبد اللّه عليه السلام قال: كُنتُ عند أبي في اليوم الّذي قُبض فيه فأوصاني بأشياء في غُسله و في كفنه و في دُخُوله قبره فقُلتُ: يا أبتِ و اللّه ما رأيتك منذ اشتكيت أحسن منك اليوم ما رأيتُ عليك أثر الموت فقال: يا بُنيّ أما سمعت عليّ بن الحُسين عليه السلام يُنادي من وراء الجدار يا مُحمّدُ تعال عجّل[٢٤].

(٨) . حسنة أحمد بن مُحمّد عن عليّ بن الحكم عن سيف بن عميرة عن عبد الملك بن أعين عن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال: أنزل اللّه تعالى النّصر على الحسين عليه السلام حتّى كان ما بين السّماء و الأرض ثُمّ خُيّر النّصر أو لقاء اللّه فاختار لقاء اللّه تعالى[٢٥].

وصفوة القول:

إنّ هذه الأخبار دلَّت على أنّ الأئمّة عليهم السَّلام كانوا على علم بما سيجري عليهم، وهو شاملٌ لكلّ الأزمنة والأحوال، فإخراج قسمٍ منه في زمن خاصّ وهو مصيرهم المحتوم يُعتبَرُ تخصيصاً بلا مخصِّص شرعيّ أو عقليّ؛ بل هو تخرّصٌ على الغيب وظنّ، وإنّ الظّنّ لا يُغني من الحقّ شيئاً . فالأئمّة عليهم صلوات الله صبروا على ما أصابهم من الأذى والفتك بهم من قِبَل أعدائهم لعنهم الله، مع كونهم عليهم السَّلام عالِمِين بما سيصيبهم من أولئك الطُّغاة اللِّئام، كلّ ذلك تسليماً لأمر الله تعالى ورضىً بقضائه، فالمصلحة الإلهيّة تقتضي أنْ يُقدِموا على التهلكة المرغوب فيها، لحِكَمٍ وأسرار، منها كشف الأعداء اللِّئام والكفّار الطُّغام، وتعريتهم عن القناع المزيَّف الّذي كانوا يتسترون به كيداً للإسلام والمسلمين .

وبعبارة أخرى: إن المحافظة والابقاء على النفس، والحذر عن إيرادها مورد التهلكة انما يجب اذا كان مقدوراً لصاحبها او لم يقابل بمصلحة اهم من حفظها،وأما اذا وجدت هنالك مصلحة تكافىء تعريض النفس للهلاك كما في الجهاد والدفاع عن النفس مع العلم بتسرب القتل الى بعض المجاهدين فلا يعد الاقدام تهلكةً حينئذٍ،وقد امر الله الانبياء والمرسلين والمؤمنين فمشوا اليه قدماً موطّنين انفسهم على القتل،وقد تعبّد الله طائفة من بني اسرائيل بقتل انفسهم فقال جلّ شأنه : ﴿**إذ قا ل موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم**﴾ (البقرة/٥٤).

وقد ذكر المفسرون . طبقاً لِمَا جاء في الأخبار . أن عبدة العجل من بني إسرائيل لما ندموا على ما فرَّطُوا في جنب الله تعالى أعلمهم النبي موسى من توقف قبول توبتهم على الاغتسال ولبس الاكفان والقيام صفين ثم يهجم عليهم هارون ومعه من لم يعبد العجل ويضعون السيوف فيهم، ولما نظر الرجل الى ولده واخيه وابيه وحميمه لم تطعه نفسه على القتل وكلمهم موسى في ذلك وناجى ربّه في ذلك فعرّفه المولى بأنه سيرسل ظُلْمَة لا يبصر الرج ل جليسه وأمر عبدة العجل بالجلوس في فناء بيوتهم محتبين لا يتقون بيد ولا رجل ولا يعرفون طرفاً ولا يحلون حبوة، وعلامة الرضا عنهم كشف الظلمة وسقوط السيوف، فعندها يغفر الله لمن قُتِل ويقبل توبة من بقى، ففعل هارون عليه السلام بهم حتى قُتل سبعون ألفاً.

فإذا حصل هذا ا لتوطين على قتل النفس ابتغاء مرضاة الله من عبدة العجل الذين تابوا فبطريق أولى يحصل لمن خُلق له الكون وسجدت لهم الملائكة واقرت بفضلهم؟

وإذا كان الأمر الإلهي لبني إسرائيل أن يقتلوا انفسهم موطِّنين أنفسهم على ذلك، وهو علامة قبول توبتهم، فليكن هذا حاصلاً لمَن وصل الى أعلى درجات التسليم والرضا بالقضاء الربوبي.

صحيح أن الآية الكريمة ﴿**ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسِنوا إنّ الله يحبّ المحسنين**﴾ (البقرة/١٩٥)؛ مطلقة بالنهي عن إلقاء النفس في التهلكة، لكنّ هذا النهي مُقيّد بما إذا لم يترتب على إهلاك النفس أيُّ مصلحة أهمّ من الإهلاك، أما إذا ترتب على هذا الإهلاك مصلحة أهم منه

فيترجح إهلاك النفس حينئذٍ، لذا فإن سياق الآية يُخرجها عمّا نحن فيه من ورودها للتحذير حيث دل هذا السياق على أنّ المسلمين يوقعون أنفسهم في التهلكة اذا اعتدى عليهم المشركون، ولم يبادرهم المسلمون بالدفع بقوله تعالى:﴿**الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**﴾. فالنهي عن الإلقاء في التهلكة خاص بما إذا اعتدى المشركون على المسلمين في الأشهر الحرم ولم تكن للمسلمين قوة على مقاتلتهم .فالإلتزام بعموم النهي لكل ما فيه هلكة لا يجعل حرمة إيراد النفس مورد الهلكة من المستقلات العقلية التي لا تقبل التخصيص بل هي من الأحكام المختصة بما إذا لم توجد مصلحة أقوى من مفسدة الإقدام على التلف، ومع وجود المصلحة اللازمة لا يتأتى الحكم بالحرمة أصلاً كما في الدفاع عن بيضة الإسلام.

وقد أثنى الله سبحانه على المؤمنين في إقدامهم على القتل والمجاهدة في سبيل تأييد الدعوة الإلهية فقال تعالى : ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أ نفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون** ﴾ (التوبة/١١١)، وقال تعالى :﴿**ولا تحسبن الّذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون** ﴾ (آل عمران /١٦٩)، وقال تعالى : ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوفٌ بالعباد** ﴾ (البقرة/٢٠٧).

فإقدام المجاهد في سبيل الله على الألف من الأعداء مما يرهب العدو ويُقلق جُنده؛ لأن الإقدام أفضل من النجاة لأن فيه . أي الإقدام . منفعة ومصلحة للمسلمين حيث يتأكَّد عزمهم حين يرَوْنَ واحداً منهم مقابل العدد الوفير.

فالدليل العقلي المتقدم . أعني وجود مصلحة أهمّ من تعريض أنفسهم للقتل . وكذا الادلة النقلية التي عرضنا قسماً منها، مع وجود نصوص وأخبار، منها حسنة عبد الملك بن أعين وصحيحة ضُريس الكناسي، دلنا كلُّ هذا وأمثاله على أن إقدام أهل البيت على ما فيه التهلكة إنما هو من باب الطّاعة وامتثال التكليف الموجَّه إليهم خاصَّةً، فلا يتطرَّق إلى ساحة عِلْمهم أيّ نقص، وليس إقدامهم على ما فيه الهلكة تأباه العقول السليمة، وإلى ما أشرنا هو الحقّ الصريح الّذي لا عدول عنه، وهو ما وافق عليه ثلّة من محقّقي الإماميّة .

فها هو الشيخ المفيد في جواب المسائل العكبرية يقول : "لسنا نمنع أن يعلم الإمام أعيان ما يحدث على التفصيل والتمييز ويكون بإعلام الله تعالى، كما لا نمنع أن يَتعَبَّدَ اللهُ أميرَ المؤمنيَن عليه السلام بالصبر على الشهادة والاستسلام للقتل فيبلغه بذلك علوّ الدرجة ما لا يبلغه إلا به فيطيعه في ذلك طاعة لو كلّ فها سواه لم يؤدّها، ويكون في المعلوم من اللطف بهذا التكليف لخلق من الناس ما لا يقوم مقامه غيره، فلا يكون بذلك أمير المؤمنين عليه السلام ملقياً بيده إلى التهلكة، ولا معيناً على معونةٍ مستقبحة في العقول، ولا يلزم فيه ما يظنه المعترضون، كما لا نمنع أن يكون الحسين عليه السلام

عالماً بموضع الماء وأنه قريب منه بقدر ذراع، فلو حفر لنبع له الماء، فإمتناعه من الحفر لا يكون فيه إعانة على نفسه بعد أن يكون متعبداً بترك السَّعِي في طلب الماء حيث يكون ممنوعاً عنه، ولا يستبعد العقل ذلك ولا يقبحه،
وكذلك في علم الحسن عليه السلام بعاقبة موادعة معاوية، فقد جاء الخبر بعلمه به، وكان شاهد الحال يقضي به غير أنه دفع به عن تعجيل قتله وتسليم أصحابه إلى معاوية، وكان في ذلك لطفاً في بقائه إلى حال مضيه ولطفاً لبقاء كثير من شيعته وأهله وولده، ودَفْع فساد في الدين أعظم من الفساد الّذي حصل عند هدنته وكان عليه السلام عالماً بما صنع ولكن الله تعالى تعبده بذلك "[٢٦].

وقال العلاّمة الحلّي في جواب من سأله عن تعريض أمير المؤمنين نفسه للقتل: « بأنه يحتمل أن يكون قد أُخبر بوقوع القتل في تلك اللّيلة، ولم يَعْلَم أنه في أيّ وقت من تلك الليلة، أو أنه لم يَعْلَم في أيّ مكان يُقتل، أو أنّ تكليفه مغاير لتكليفنا فجاز أن يُكَلَّف ببذل مهجته الشريفة في ذات الله واجباً كما يجب الثبات على المجاهد وإنْ كان ثباته يفضي إلى القتل» [٢٧].

وقال الشيخ العلاّمة يوسف البحراني : إن رضاهم بما ينزل بهم من القتل بالسيف أو السّم وكذا ما يقع بهم من الهو ان على أيدي أعدائهم الظالمين مع كونهم عالمين قادرين على دفعه إنما هو لما علموه من كونه مرضياً له سبحانه وتعالى ومختاراً إليهم، وموجبَاً للقرب من حضرة قدسه فلا يكون من قبيل الإلقاء باليد إلى التهلكة الّذي حرَّمَته الآية إذ هو ما إقترن بالنهي من الشارع المقدَّس نهي تحريم وهذا مما علم رضاه به وإختياره له فهو على النقيض من ذلك إلا أنه ربما ينزل بهم شيء من تلك المحذورات قبل الوقت المعدود

والأجل المحدود فلا يصل إليهم منه شيء من الضرر ولا يتعقبه المحذور والخطر فربما امتنعوا منه ظاهراً وربما احتجبوا منه باطناً، وربما دعوا الله في رفعه عنهم حيث علموا انه غير مراد لله سبحانه في حقهم ولا مقدّر عليهم حتماً، **وبالجملة**:أنهم عليهم السلام يدورون مدار ما علموه من الأقضية والأقدار وما اختاره لهم القادر المختار [٢٨].

وخلاصة القول:

إنه في حال تعارض تلف النفس مع إحي اء الشريعة وبقائها يقدّم الثاني ويُضحّى بالأول لأجل ذلك.

الدليل الثاني: جواباً عن شبهة الإقدام على التهلكة.

إن الأئمة عليهم السلام لما رأوا بنظرهم المقدّس أنّ أمرهم دائرٌ بين القتل وبين التبعية لشرار الناس وسلاطين الجور، هذه التبعية الموجبة لزوال الدين،فاختاروا القتل حفظاً لإنهيار الدين وسقوط أسس التوحيد، وحفظ التوحيد إنما هو من شؤونهم ووظائفهم، من هنا عقد الإمام الحسن عليه السلام الصلح مع معاوية وإلاّ لقتل الإمام شرّ قتلة، ولأدّى عدم الصلح . لو لم يعقده الإمام . إلى محق الشيعة عن بكرة أبيها لذا أجاب بعض أص حابه الناقمين عليه من أجل الصلح :((**ما أردت بمصالحتي معاوية إلاّ أن أدفع عنكم القتل**)).

والفرق بين هذا الدليل وبين الدليل الأول، أن الأول كان التعارض فيه بين البقاء في الدنيا مع إنتصاره على الأعداء وبين الموت للقاء الله تعالى

فاختاروا لقاء الله على البق اء والنصر، أما الدليل الثاني فالتعارض كان بين القتل في سبيله وبين البقاء الموجب لاتباع سلاطين الجور المستلزم. هذا الإتباع . لزوال الدين.

من هنا قال الإمام الحسين (عليه السلام): «لقد رَكَزَ يزيد لعنه الله بين إثنتين: بين السّلّة والذّلّة، وهيهات منّا الذّلّة يأبى الله لنا ورسوله وحجور طابت وطَهُرَت، وأنوفٌ حميّة ونفوسٌ أبيّة من أنّ تؤثر طاعة اللّئام على مصارع الكِرام، ألا إني زاحف بهذه الأُسْرَة على قلّة العدد وخذلان الناصر»، وقال (عليه السلام) أيضاً: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ إقرار العبيد»، «لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ بَرَمَاً» وكقول أمير المؤمنين (عليه السلام) قبل موته بأيام عندما صعد المنبر وقال: «لقد سئمتكم وسئمتموني». كما أنّه (عليه السلام) كان يدعو الله لينقله إليه قائلاً: «لقد سئمت الحياة بين أظهركم أما والله لوددت أنّ الله يقبضني إلى رحمته من بينكم...» وكقول الإمام الحسن (عليه السلام): «هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة، إبتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي وأخذوا مالي، و الله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وآمن به أهلي وشيعتي خيرٌ لي من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي، لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتّى يدفعوني إليه سلماً، والله لئن أسالمه وأنا عزيز أحبّ إليّ من أن يقتلني وأنا أسير، أو يمنّ عليَّ فتكون سبةً على بني هاشم إلى آخر الدهر».

إشكال:

قلتم إن هذا الوجه يدور مدار قتلهم عليهم السلام،وبين التبعية لشرار الناس وسلاطين الجور الموجبة لزوال الدين،فاختاروا القتل حفظاً من انهيار

الدين، ألا يمكن أن يدفع عنهم الله عزّ وجل هذا القتل ليحفظ الدين ببقائهم ووجودهم عليهم السَّلام.

والحل: ما ذكره الإشكال صحيحٌ، لكنّ الله تعالى أراد حفظ دينه بالأسباب العادية لا بالمعجزات والكرامات، نعم، قد يتوصل في بعض الأحيان إلى الكرامة والمعجزة إذا انحصر حفظ الدين بهما.

إشكال آخر:

ورد عن أئمتنا عليهم السلام أنهم كانوا يدعون عندما يتعرضون للخطر فها هو الإمام الباقر عليه السلام يقول: نحن أهل بيتٍ إذا أكربنا أَمْرٌ وتخوفنا من شرّ السلطان قلنا: "يا كائناً قبل كلّ شيء ويا ملكوت كل شيء صلّ على محمّد وأهل بيته وافعل بي كذا وكذا"[٢٩].

وهكذا لما أراد المنصور عليه اللعنة القضاء على الإمام الصادق عليه السلام دعا الإمام ربّه تعالى أن يفرّج عنه ففعل، لذا لما دخل الإمام الصادق عليه السلام على المنصور قام له الثاني اليه فرحاً مستبشراً وعانقه، وكان الإمام عليه السلام يحدّث بعد ذلك عن سبب نقض عزم المنصور، بأنّ رسول الله تمثّل له باسطاً كفيه حاسراً عن ذراعيه وقد عبس وقطب حتّى حال بينه وبين الإمام عليه السلام مشيراً إليه أن لو أساء إلى أبي عبد الله عليه السلام أهلكه النبي، فلم يرَ المنصور بداً من العفو والإكبار لجلال الإمامة وسيره إلى مدينة جدّه مبجّلاً[٣٠]،وهكذا الإمام الكاظم عليه السلام حينما ضاق صدره عليه السلام مما كان يلاقيه في السجن، توسّل عليه السلام إلى الله تعالى في الخلاص منه،ففعل الله تعالى وخلّصه من ظلمات السجون وألم القيود.

وعليه؛ فلِمَ لم يدعوا الله تعالى أن ينجيهم في اليوم الذي يعرفون أنهم سيقتلون فيه؟

والجواب:

(١) . لو تضرَّعُوا إلى الله جلّ وعزّ لينجيهم في وقت الشهادة، إذاً دلّ على أنهم لا يرجون لقاء الله تعالى، وهذا خلاف مشربهم وسيرتهم حيث لم يفعلوا شيئاً يخالف مشيئته وإرادته، بل نحن نعتقد أنهم أوعية مشيئة الله وخزان علمه، فلا يشاءون إلا ما يشاء الله تعالى، من هنا نحن نعتقد أنهم يدورون مع الحق والحق يدور معهم، وأن الله يسخط لسخطهم ويرضا لرضاهم، بمعنى أن الأئمة يعكسون عن ذات الله تعالى، فلا نصيب لإبليس في نفوسهم الطاهرة، فهي خالصةٌ لله تعالى لا تريد إلاّ ما يريد، ولا تحبّ إلاّ ما يحب، فهم عليهم السلام أشعة فيض الله تعالى، فإذا كانوا بهذه المنزلة والدرجة كيف لا يرجون لقاء الله تعالى، وقد نذروا أنفسهم إليه عزّ وجل وعادوا الناس من أجله؟!

(٢) . إن ابتهال الأئمة عليهم السَّلام إلى الله تعالى في رفع العذاب عنهم في بعض الأحيان إنّما كان لأجل أنهم قدوة حسنة يقتدي بهم الناس، فكان غرضهم عليهم السّلام من الدعاء لرفع العذاب إنّما هو التعريف بأنّ الواجب في شريعة التكوين هو جري الأمور على مجاريها العادية وأسبابها الطبيعية أو أنهم أرادوا التنبيه على فوائد الإبتهال إلى الله تعالى حينما تتوارد الكوارث على العبد وتحيط به المحن، من هذا القبيل كان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يستشفي بتربة جدّه تارةً، ويعمل بالتجربة تارةً أخرى، مع علمه بأن ذلك

المرض لا يقضي عليه، وللأجل حَدٌّ معلوم، ولكنه أراد إرشاد الناس إلى أن مكافحة العلل تكون بالأسباب العادية في بعض الأحيان فـلا غنى عنها لذا كان يساير هذه الأسباب العادية، لكنّه لما حان الأجل المحتوم، لم يعمل بأي شيء من الدعاء تسليماً للقضاء، وذلك عندما قدّمت إليه جعدة بنت الأشعث "عليها اللّعنة " اللّبَنَ المِسْمُوم وكان الوقت حارّاً، والإمام الحسن عليه السلام صائماً فرفع رأسه إلى السماء قائلاً: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله على لقاء محمّد سيّد المرسلين وأبي سيّد الوصيين وأمي سيّدة نساء العالمين وعمّي جعفر الطيّار في الجنّة وحمزة سيّد الشهداء، ثمّ شرب اللّبن، وقال لها : يا عدوّة الله قتلتيني، قتلكِ الله، والله لا تصيبين مني خلفاً ، لقد غرّك وسخر منك فالله يخزيك ويخزيه[٣١]؛وهي تضطرب كالسعفة .

وفي خبرٍ آخر؛ أخبر الإمام الحسن عليه السلام أهله قبل أنْ تسمّه جعدة عليها اللعنة، حيث قال لهم ذات مرّة: إني أموت بالسّمّ كما مات رسول الله .

قالوا: ومَن يفعل ذلك؟.

قال عليه السلام: إمرأتي جعدة بنت الأشعث بن قيس، فإنّ معاوية يدسُّ إليها ويأمرها بذلك .

قالوا: أخرجها من منزلك، وباعِدْها من نفسك .

قال عليه السلام: كيف أُخرِجُها ولم تفعل بَعْدُ شيئاً؟، ولو أخرجتها ما قتلني غيرها، وكان لها عذرٌ عند النّاس [٣٢].

مضافاً إلى أنّ الإمام عليه السلام قد سُقِيَ السُّمّ مراراً، وفي إحدى المرّات أرسل معاوية سُمّاً مع جارية تُسَمّى أنيس، ففي خبر داود الرّقّي عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السَّلام قال : إنّ الحسن بن عليّ عليه السلام قال لولده عبد الله : يا بنيّ إذا كان في عامنا هذا يدفع إليّ هذا الطّاغي جارية تسَمَّى أنيس فتسمُّني بسُمٍّ قد جعله الطاغي تحت فصّ خاتمها .

قال له عبد الله: فلِمَ لا تقتلها قبل ذلك؟

قال عليه السلام: يا بنيّ جفّ القلم وأُبرِمَ الأمر بعقدٍ ولا حلَّ لعقد الله المبرَم .

فلمّا كان في العام القابل، أهدى إليه جارية اسمها أنيس، فلمّا دخلت عليه، ضرب بيده على منكبها ثمّ قال عليه السلام: يا أنيس دخلتِ النار بما تحت فصّ خاتمك[٣٣]؛ فالإمام . روحي فداه . لم يمت من هذا السُّمّ لأنّ المشيئة الإلهيّة لم ترد له أنْ يموت به، وإنما في السُّمّ الأخير وعلى يد زوجته جعدة بنت الأشعث .

وهكذا أخبر الإمام الرضا عليه السلام أصحابه بأن منيته تكون على يد المأمون العباسي وأنّ هذا أوان رجوعه إلى الله عزّ وجلّ ولحوقه بجدّه وآبائه، وقد بلغ الكتابُ أجله [٣٤]، وكذا أبوه الإمام الكاظم عليه السلام فإنه لما قدّم إليه الرشيد عليه اللّعنة الرطب المسموم فأكل منها بعد أنْ ألحّ عليه الرّشيد ثمّ رمى ببعضها إلى كلبة الرشيد فماتت [٣٥]، ولم يقصد بقتلها إلاّ إعلام هارون الطاغية بأن ما يدور في خلده من إغتياله والفتك به في هذا الحين لم يقرب وقته، وفي خبرٍ آخر جاء فيه أنه عليه السلام: لما دنا أجله عليه السلام ودعاه الله تعالى إليه أكل عليه السلام الرطب المسموم الّذي قدّمه إليه الرشيد مع العِلْم به ورفع يديه

بالدعاء قائلاً: يارب إنّك تعلم أني لو أكلتُ قبل اليوم لكنتُ قد أعنت على نفسي فأكل منه وجرى القضاء(٣٦).

وكذا الإمام أبو جعفر الجواد عليه السلام قد أخبر إسماعيل بن مهران لما رآه قلقاً من إشخاص المأمون له: أنه لم يكن صاحبي وسأعود من هذه السفرة، ولما أشخصه المرة الثانية قال عليه السلام لإسماعيل إبن مهران: في هذه الدفعة يجري القضاء المحتوم وأمره بالرجوع الى ابنه الإمام الهادي عليه السلام فإنه إمام الأمة بعده. ولما دفعت إليه عليه السلام أمّ الفضل العنب المسموم لم يمتنع عليه السلام من استعماله تسليماً للقضاء وطاعة لأمر المولى سبحانه، نعم قال عليه السلام لها: والله ليضربنكِ الله بعقر لا ينجبر وبيلاء لا ينستر، فوقعت الآكلة في فرجها، وكانت تنتصب للطبيب فينظرون اليها ويصفون لها الأدوية فلا تنفع حتّى ماتت من علّتها(٣٧).

وفي رواية أخرى: إن المعتصم أنفذ إلى الإمام الجواد عليه السلام شراباً من حمّاض الأترج مع خادمه أشناس وقال للإمام الجواد عليه السلام: إن أمير المؤمنين ـ أي المعتصم ـ يأمرك بأن تشرب منه بماء الثلج، وصنع في الحال، فقال عليه السلام: أشربه بالليل، قال: إنه ينفع بارداً، وقد ذاب الثلج، وأصرّ على ذلك، بعد أن إمتنع الإمام عليه السلام من شربه في بداية الأمر فشربه عليه السلام عالماً بفعلهم(٣٨)، والرواية الأولى أشهر من الثانية.

ومن هذا القبيل ما فعله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما صرّح أمام أصحابه بأنّ إبن ملجم قاتله، حيث ورد أن إبن ملجم جاء يبايع أمير المؤمنين عليه السلام في أول خلافته فقال عليه السلام:

من أراد أن ينظر إلى قاتلي فلينظر إلى هذا، فقيل له ألا تقتله؟ قال :
واعجباً تريدون أن أقتل قاتلي[٣٩]، وفي نص آخر لما سُئل لِمَ لا تقتله؟ أجاب عليه السلام: إنّه لا يجوز القصاص إلا بعد الجناية، والجناية لم تحصل منه[٤٠].

فهو يشير بذلك إلى أن قتله لما كان أمراً مبرماً وقضاءاً محتوماً، وأن قاتله ابن ملجم قضاءاً لا خلف فيه،فكيف يقدر أن ينقض الإرادة الإ لهيّة ويحل ما أُبرم من التقدير، وإلى هذا أشار الإمام الصادق في صحيحة ضُرَيس المتقدمة من أن الأئمة عليهم السَّلام لو ألحوا على الله في هلاك الطواغيت لأجابهم ودفع ذلك عنهم، وكان عليه أهون من سلك فيه خرز إنقطع فذهب، ولكنهم أرادوا ما أراد المولى عزّ وجل.

الدليل الثالث: جواباً عن شبهة الإقدام على التهلكة .

أنهم عليهم السَّلام وإنْ كانوا عالمين بالقتل وقاطعين بالضرر والهلاك ولا يجوز للقاطع أنْ يعمل على خلاف قطعه، لكنّهم عليهم السّلام فعلوا ذلك لدفع الافسد بالفاسد، ولإرتكاب اقل الضررين والمحظورين لعلمهم عليهم السّلام بأنهم لو لم يشربوا السموم أو لم يُقتلوا بنحوِ ما قُتلوا لقُتِلُوا بأعظم قتلٍ وأفجع وجه، فذلك جائز بحكمة العقل والنقل بل واجب عند التخيير والدوران، ألا ترى انه لو خُيِّر العاقل بين القتل بالسيف صبراً وزجراً وبين قتله بوجه أيسر وأسهل كالفصد وشرب الأفيون إختار الأيسر والأسهل قطعاً وكان عند العقل مقهوراً ومأجوراً ومعذوراً لا ملوماً ولا محسوراً.

الدليل الرابع: جواباً عن شبهة الإقدام على التهلكة .

إن تعريض أنفسهم الشريفة الى الشهادة في هذه الموارد كان لأجل التكاليف الخاصة بهم لأنهم عليهم الس   لام كانوا مكلَّفين بنوعين من التكاليف:

(**أحدهما**): التكليف العمومي.

(**وثانيهما**): التكليف الخصوصي.

أما التكليف العمومي: فهو عبارة عن التكاليف المعيَّنة لعموم المكلفين من وجوب الصَّلاة والصَّوم والحج وحفظ النفس وغيرها من التكاليف العامة المشتركة بين جميع المكلَّفين.

وأما التكليف الخصوصي : فهو عبارة عن التكاليف الخاصة المعيَّنة لكل واحد منهم عليهم السلام، وقد يشترك معهم المكلَّفون بالتكليف العمومي ببعض التكاليف الخاصة كوجوب جهاد الأعداء فإنه واجب بالوجوب الكفائي، وقد يتعين على الجميع في حال دهم العدو بلاد المؤمنين، وهكذا بقيّة التكاليف الكفائية.

ومن المعلوم أنّ الخاص عند التعارض مقدّم على العام، وهذا التكليف الخاص عبارة عمّا كتب في الصحيفة السماوية وكانوا مأمورين بالعمل بها كما يظهر ذلك من الاخبار الواردة في أن أفعالهم معهودة [٤١] من الله تعالى وأن لكل واحد منهم صحيفة سماوية يعملون بما فيها، وهذا تماماً كما يفعل المجاهد الّذي يضحي بنفسه في سوح القتال إمتثالاً لأمره سبحانه وتعالى.

من هذه الأخبار ما ورد في موثقة حريز بن عبد الله قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك ما اقلّ بقاءكم أهل البيت وأقر ب آجالكم بعضها من بعض،مع حاجة هذا الخلق إليكم؟

فقال عليه السلام: إنّ لكلّ واحد منّا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مدّته فإذا انقضى ما فيها ممّا أمر به، عرف أنّه أجله قد حضر،وأتاه النبي ينعي إليه نفسه،وأخبره بما له عند الله.

وإنّ الحسين صلوات الله عليه قر أ صحيفته التي أعطيها وفسّر له ما يأتي وما يبقى وبقي منها أشياء لم تنفض،فخرج الى القتال وكانت تلك الأمور التي بقيت أنّ الملائكة سألت الله في نصرته فأذن لهم فمكثت تستعدُّ للقتال وتتأهب لذلك حتّى قتل، فنزلت وقد انقطعت مدّته،وقتل صلوات الله عليه.

فقالت الملائكة: يا ربّ أذنت لنا في الإنحدار، وأذنت لنا في نصرته، فانحدرنا وقد قبضته؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم أن الزموا قبّته حتّى ترونه قد خرج فانصروه، وابكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته، وإنكم خصصتم بنصرته والبكاء عليه، فبكت الملائكة تقرّباً وجزعاً على ما فاتهم من نصرته، فإذا خرج صلوات الله عليه يكونون أنصاره(٤٢).

وورد في معتبرة أبي موسى الضرير قال : حدّثني الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أليس كان أمير المؤمنين عليه السلام كاتب الوصية ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المملي عليه وجبرائيل عليه السلام والملائكة المقرّبون عليهم السّلام شهود؟ قال : فأطرق طويلاً، ثم قال : يا أبا الحسن قد كان ما قلت ولكن حين نزل برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

الأمر نزلت الوصية من عند الله كتاباً مسجّلاً، نزل به جبرائيل مع أمناء الله تبارك وتعالى من الملائكة، فقال جبرائيل: يا محمّد مُرْ بإخراج من عندك إلا وصيّك، ليقبضها منّا وتشهدنا بدفعك إياها ضامناً لها . يعني الإمام عليّاً عليه السلام . فأمر النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم بإخراج مَن كان في البيت ما خلا عليّاً عليه السلام وفاطمة عليها السَّلام فيما بين الستار والباب، فقال جبرائيل عليه السلام: يا محمّد ربّك يقرئك السلام ويقول :هذا كتاب ما كنت عهدتُ اليك وشرطتُ عليك وشهدتُ به عليك ملائكتي وكفى بي يا محمّد شهيداً، قال : إرتعدت مفاصل النبيّ فقال : يا جبرائيل ربّي هو السَّلام ومنه السَّلام وإليه يعود السَّلام، صدق عزّ وجل وبرّ، هات الكتاب .فدفعه اليه وأمره بدفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: اقرأه، فقرأه عليه السلام حرفاً حرفاً، فقال صلّى الله عليه وآله وسلَّم: يا عليّ، هذا عهد ربّي تبارك وتعالى إليّ وشرطه عليَّ وأمانته وقد بلغت ونصحت وأدّيت، فقال عليّ عليه السلام: وأنا أشهد لك (بأبي أنت وأمي) بالبلاغ والنصيحة والتصديق على ما قلت ويشهد لك به سمعي وبصري ولحمي ودمي، فقال جبرائيل عليه السلام:وأنا لكما على ذلك من الشاهدين، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: يا علي أخذت وصيّتي وعرفتها وضمنت الله ولي الوفاء بما فيها؟ فقال علي عليه السلام: نعم، بأبي أنت وأمي عليّ ضمانها وعلى الله عوني وتوفيقي على أدائها، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم :يا علي اني اريد أن أشهد عليك بموافاتي بها يوم القيامة، فقال علي عليه السلام: نعم، أشهد. فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم: إنّ جبرائيل وميكائيل فيما بيني وبينك الآن وهما حاضران، معهم الملائكة

المقرّبون لأشهدهم عليك، فقال ؑ: نعم ليشهدوا وأنا . بأبي أنت وأمّي . أُشهِدهم، فأشهدَهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم وكان فيما اشترط عليه النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم بأمر جبرائيل ؑ فيما أمر الله عزّ وجل ان قال له : يا عليّ تفي بما فيها من موالاة من والى الله ورسول ه والبراءة والعداوة لمن عادى الله ورسوله والبراءة منهم على الصبر منك وعلى كظم الغيظ وعلى ذهاب حقّي وغصب خمسك وانتهاك حرمتك؟، فقال : نعم يا رسول الله، فقال أمير المؤمنتين ؑ: والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لقد سمعت جبرائيل يقول للنبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم : يا محمّد عرّفه أنّه يُنْتَهَكُ الحرمة وهي حرمة الله وحرمة رسوله وعلى أن تُخضب لحيته من رأسه بدم عبيط، قال أمير المؤمنين ؑ: فصعقت حين فهمت الكلمة من الأمين جبرائيل حتى سقطت على وجهي وقلت : نعم قبلت ورضيت وإنْ انتهكت الحرمة وعطِّلَت السّنن ومُزِّقَ الكتاب و هُدِمَت الكعبة وخُضِبَت لحيتي من رأسي بدمٍ عبيطٍ، صابراً محتسباً أبداً حتى أقدم عليك، ثمّ دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم فاطمة والحسن والحسين عليهم السَّلام وأعلمهم مثل ما أعلم أمير المؤمنين ؑ فقالوا مثل قوله فختمت الوصيّة بخواتيم من ذهب ولم تمسه النار ودُفعت إلى أمير المؤمنين ؑ.

[قال الراوي]: فقلت لأبي الحسن ؑ: بأبي أنت وأمي ألا تذكر ما كان في الوصية؟

فقال ؑ: سنن الله وسنن رسوله، فقلت: أكان في الوصية توثبهم وخلافهم على أمير المؤمنين ؑ فقال ؑ: نعم، والله شيئاً شيئاً وحرفاً حرفاً، أما

سمعت قول الله عزّ وجلّ : ﴿**إنّا نحن نحي الموتى ونكتب ما قَدَّمُوا وآثارهم وكلّ شيءٍ أحصيناه في إمامٍ مبين** ﴾(يس/١٢)، واللهِ، لقد قال رسول الله لأمير المؤمنين وفاطمة : أليس قد فهمتما ما تقدمت به اليكما وقبلتماه؟ فقالا: بلى وصبرنا على ما ساءنا وغاظنا[٤٣].

ونظير ذلك ما أوردناه فيما سبق من أخبارٍ تدلُّ على أنهم لم يفعلوا شيئاً إلاّ بعهدٍ من الله عزّ وجلّ .

ولا يخفى أن فعلهم هذا لما كان بأمر خاص من الله تعالى فلا يلزم الإشكال المزبور أصلاً، كما أن أحداً من المكلفين إذا أمره الامام عليه السلام بالجهاد لا ينسحب عليه الإشكال ولو كان قاطعاً بكونه مقتولاً، وعلى هذا يترتب حينئذٍ على أفعالهم عليهم السلام مصالح كثيرة من وجوه المحافظة على دين الله وحفظ بيضة الإسلام، فهي من أعظم قربات الله وفرائضه وعزائمه والجهاد الأكبر في سبيله، فإن تعريض نفوسهم القدسية للفناء في الله وإعزاز دين الله وتفضيح أعداء الله من جملة شؤونهم ووظائفهم الخاصة، وهي من جملة ما ورد عنهم عليهم السلام بالمستفيض «أمرنا صعبٌ مستصعب لا يحتمله إلا نبيٌ مرسل أو ملك مقرب أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان».

الدليل الخامس: جواباً عن شبهة الإلقاء:

إنّ الأئمّة عليهم السَّلام كانوا يعلمون آجالهم المحتومة التي لا يمكن الفرار منها، لكنهم ليسوا مكلَّفين بالعمل بهذا العِلْم في أكثر التكاليف، ومَن كان يعلَم المقدَّرات كلّها لا يُكَلَّف بالفرار منها، وإلاّ يلزم منه عدم وقوع شيء من التقديرات، لذا فإنّ مَن لا يعلمُ أسبابَ التقديراتِ الواقعيّةِ يمكنه الفرار من

المحذورات ويكلَّف به، لعدم إطلاعه على الواقع، بخلاف العالِم بها فلا يكلَّف بالفرار منها حسبما أشرنا، لذا فإنّ النبيّ والعترة عليهم السَّلام كانوا يعرفون المنافقين ويعلمون سوء عقائدهم، ومع هذا لم يكونوا مكلَّفين بالإجتناب عنهم وترك معاشرتهم، أو على الأقلّ لم يكونوا مكلَّفين بطردهم أو قتلهم ما لم يظهر منهم شيء يوجب ذلك، من هنا فإنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام قد علم بعدم الظّفر بمعاوية وبقاء ملكه بعده، لكنه لم يَصِرْ سبباً لترك قتاله، بل كان يبذل في ذلك غاية جهده إلى أنْ استشهد عليه السلام، مع أنه كان يخبر بشهادته واستيلاء معاوية بعده على شيعته، وكذا مولانا الإمام الحسين عليه السلام كان عالِماً بغدر أهل العراق وأنه سيستشهد هناك مع أولاده وأخوته وأصحابه، وقد أخبرهم بذلك مراراً، ولم يكن عليه السلام مكلَّفاً بالعمل بهذا العِلْم، بل كان مكلَّفاً بالعمل الظاهر .

إشكال وحلّ:

دلّت الأخبار التي أشرتم إليها أنّ الأئمّة عليهم السَّلام يعلمون مصايرهم، لكنْ ثمة أخباراً تدلّ على أنهم يعلمون إجمالاً، وأما التفاصيل فإنّ الله ينسيهم إياها حتى ينفذ فيه الحكم، نظير ما أورده الصفّار [٤٤]؛ عن مولانا الإمام عليّ بن موسى الرّ ضا عليه السلام قال له السّائل : عَلِمَ أبو الحسن عليه السلام بالرّطب والرَّيحان المسمومين اللذَيْن بعث إليه يحيى بن خالد؟

قال عليه السلام: نعم .

قلتُ: فأكله وهو يَعْلَم؟

قال عليه السلام: أنساه لينفذ فيه الحكم .

والجواب:

إنّ خبر البصائر كغيره من الأخبار الشاذة، التي تنافي ظواهر أكثر الأخبار الدالّة على اطّلاعهم التفصيلي إلى آخر لحظة من حياتهم الشريفة، ويمكن حمل الخبر المذكور على التقيّة . لو قلنا بصحّة صدوره عن المعصوم عليه السلام . لضعف عقول السائلين عن فهم الجواب .

والحاصل: إن إقدامهم عليهم السلام هذا؛ ليس من باب الإلقاء في التهلكة؛ بل إنه م ن باب التجارة وجلب المنفعة والحياة الباقية، فهذه بعض الفوائد المترتبة على اختيارهم اللقاء.

تلخص مما تقدم ما يلي:

(**١**) . إن العقل والشرع يحبذان الإقدام على الهلكة إذا تحققت هناك مصلحة تقاوم مفسدة الهلكة من إبقاء دين وشريعة إو إبراز حقيقة لا تظهر إلا بإتلاف النفس والنفيس.

(**٢**) . النهي الوارد في آية التهلكة : ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ ليس نهياً مطلقاً غير قابل للتخصيص .

وبعبارة أخرى:

النهي فيها ليس من المستقلات العقلية التي لا تقبل التخصيص؛ بل إن النهي أو حرمة إيراد النفس مورد الهلكة م ن الأحكام المختصة بما إذا لم توجد مصلحة أقوى من مفسدة الإقدام على التلف، ومع وجود المصلحة اللازمة لا يتأتى الحكم بالحرمة أصلاً كما في الدفاع عن بيضة الإسلام.

(٣) . إنّ ما فعله الأئمة عليهم السلام من الإقدام على التضحية بتلف أجسامهم إنما كان بتكليفٍ من الله تعالى علاّم الغيوب.

ونحن هنا نعرض للقارئ الكريم بعض النصوص التي دلّت على أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان عالِماً بمصيره:

(١) . روى المؤرِّخ الشهير إبن سعد[٤٥] قال: أخبرنا الفضل بن دكين أبو نعيم، أخبرنا فطر بن خليفة قال : حدّثني أبو الطّفيل قال: دعا عليّ النّاس إلى البيعة، فجاء عبد الرّحمان بن ملجم المرادي فردّه مرّتين، ثمّ أتاه فقال : ما يحبس أشقاها، لَتخْضَبَنَّ أو لتصْبَغَنَّ هذه من هذا، يعني لحيته من رأسه، ثم تمثّل بهذين البيتين:

أشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت آتيك

ولا تجزع من القتل إذا حلّ بواديك

وروى أيضاً عن يزيد بن هارون قال : أخبرنا هشام بن حسّان عن محمّد عن عبيدة قال : قال عليٌّ : ما يحبس أشقاكم أنْ يجيء فيقتلني؟ اللهمّ قد سئمتهم وسئموني، فأرِحْهُم منّي، وأرِحني منهم[٤٦].

وقال: أخبرنا وكيع بن الجرّاح، أخبرنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن عبد الله بن سبع قال: سمعتُ عليّاً يقول: لتخْضَبَنَّ هذه من هذه، فما يُنتظَر بالأشقى، قالوا: يا أمير المؤمنين فأخبرْنا به نبير عِترته، فقال : إذاً واللهِ تقتلوا بي غير قاتلي [٤٧].

(٢) . ما رواه أبو الفرج الأصبهاني[٤٨] قال:

حدّثني محمّد بن الحسين الأشناني، قال : حدّثنا عليّ بن المنذر الطريقي قال: حدّثنا محمّد بن الفضيل، قال : حدّثنا فطر، عن أبي الطّفيل عامر بن واثلة، والأصبغ بن نباتة قال: قال عليّ: ما يحبس أشقاها، والّذي نفسي بيده ليخضبنّ هذه من هذا[٤٩].

(٣) . ما رواه القندوزي[٥٠] في حديث طويل عن أبي الطفيل وفيه : قال اليهوديّ: إخبرني كم تعيش بعد نبيّك وهل تموت أو تقتل؟ قال عليه السلام: أعيش بعده ثلاثين سنة وتخضب هذه (أشار إلى لحيته) من هذا (أشار برأسه الشريف) [٥١].

(٤) . ما رواه الطبري[٥٢] عن فضالة بن أبي فضالة، قال: خرجتُ مع أبي إلى يُنبع عائداً لعليّ وكان مريضاً، فقال لي أبي : ما يمسك بمثل هذا المنزل لو هلكت لم يملك إلاّ الأعراب أعراب جهينة إحتمل إلى المدينة، فإنْ أصابك بها قدر وليك أصحابك وصلّوا عليك، وكان أبو فضالة من أهل بدر، فقال له عليّ عليه السلام: إني لست بميّت من وجعي هذا، إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم عهد إليّ أنْ لا أموت حتّى أُضرَب، ثمّ تخضب هذه . يعني لحيته . من هذه . يعني هامته .، فقتل أبو فضالة معه بصفّين، خرّجه إبن الضحّاك[٥٣].

(٥) . عن وكيع بن الجراح، قال: أخبرنا الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن عبد الله بن سبع، قال: سمعت عليّاً يقول: لتخضبنّ هذه من هذه

فما ينتظر بالأشقى، قالوا: يا أمير المؤمنين فأخبرنا به نبير عترته، فقال عليه السلام: إذاً والله تقتلون بي غير قاتلي[٥٤].

(٦) . ما رواه إبن سعد [٥٥] بإسناده إلى أمّ جعفر سريّة عليّ قالت : إني لأصبّ على يديه الماء إذ رفع رأسه فأخذ بلحيته، فرفعها إلى أنفه، فقال : واهاً لكِ لتخضبنّ بدم، قالت: فأُصيب يوم الجمعة[٥٦].

(٧) . ما رواه الحافظ الطيالسي [٥٧] بإسناده إلى زيد بن وهب قال : جاء رأس الخوارج إلى عليّ، فقال له : إتّقِ الله فإنك ميّت، فقال : لا والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، ولكني مقتولٌ من ضربة من هذه تخضب هذه، وأشار بيده إلى لحيته، عهدٌ معهودٌ وقضاءٌ مقضيّ وقد خاب مَن افترى[٥٨].

(٨) . ما رواه إبن كثير الدمشقي [٥٩] بإسناده إلى ثعلبة بن يزيد قال: قال الإمام عليّ: والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لتخضبنّ هذه من هذه، للحيته من رأسه فما يحبس أشقاها، فقال عبد الله بن سبيع : والله يا أمير المؤمنين لو أنّ رجلاً فعل ذلك لأبرنا عشيرته، فقال : أنشدك بالله أنْ لا تقتل بي غير قاتلي[٦٠].

(٩) . ما رواه إبن سعد[٦١] بإسناده إلى عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا إسرائيل، عن سنان بن حبيب، عن نُبل بنت درعن عن زوجها قال : سمعتُ عليّاً يقول: لتخضبنّ هذه من هذا يعني لحيته من رأسه[٦٢].

(١٠) . ما رواه الحافظ الدّولابي [٦٣] بإسناده إلى أبي حبرة قال : خطبنا عليّ عليه السلام على منبر الكوفة فقال: ألا أخبركم لتخضبنّ هذه من هذه، وأومأ إلى لحيته ورأسه خضاب دم لا عطر ولا عبير[٦٤].

(**١١**) . ما رواه أبو العبّاس محمّد بن يزيد المعروف بالمبرد[٦٥] قال:

رُوي عن عليّ (عليه السلام) أنه خرج في غداة يوقظ الناس للصَّلاة في المسجد، فمرّ بجماعة تتحدّث فسلَّم وسلَّموا عليه فقال : وقبض على لحيته: ظننت أنّ فيكم أشقاها الّذي يخضب هذه من هذه، وأومأ بيده إلى هامته ولحيته[٦٦].

(**١٢**) . ما رواه إبن حسنويه الحنفي الموصلي[٦٧] قال:

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه لما بايعه الملعون إبن ملجم عبد الرّحمان لعنه الله قال له: تالله إنك غير وفيّ ببيعتي، ولتخضبنّ من هذه وأشار بيده إلى كريمته[٦٨].

(**١٣**) . ما رواه الآمر تسرى[٦٩] قال:

قال الشيخ أبو عبد الله الخطيب الخوارزمي : حكى أنّ معاوية قال لجلسائه: إني أُرِيكم عِلْمَ عليّ فإنه لا يقول الباطل، فدعا ثلاثة رجال من ثقاته، وقال لهم: أمضوا حتى تصيروا جميعاً من الكوفة على مرحلة، ثمّ تواطوا أن تنعوني بالكوفة، وليكن حديثكم واحداً في ذكر العلّة واليوم والوقت وموضع القبر، ومن تولّى الصّلاة عليه وغير ذلك، حتى لا تختلفوا في شيء ثمّ ليدخل الثاني فليخبر بمثله، ثم ليدخل الثالث فليخبر بمثل خبر صاحبه، وانظروا ما يقول عليّ، فخرجوا كما أمرهم معاوية ثمّ دخل أحدهم وهو راكب، فقال له الناس بالكوفة: من أين جئت؟ قال: من الشام، قالوا له: ما الخبر؟ قال: مات معاوية، فأتوا عليّاً فقالوا: رجل راكب من الشام يخبر بموت معاوية فلم يحفل عليّ (عليه السلام) بذلك، ثمّ دخل آخر من الغد، فقال له الناس: ما الخبر؟ فقال : مات معاوية وأخبر بمثل خبر صاحبه، فأتوا عليّاً، فقالوا :

رجل راكب آخر يخبر عن موت معاوية بمثل ما أخبر صاحبه ولم يختلف كلامهما، فأمسك عليّ (عليه السلام)، ثمّ دخل الآخر في اليوم الثالث، فقال الناس: ما الخبر؟ قال: مات معاوية فسألوه عمّا شاهد فلم يخالف قول صاحبيه، فأتوا عليّاً فقالوا: يا أمير المؤمنين قد صحّ الخبر هذا راكبٌ ثالث قد أخبر بمثل خبر صاحبيه، فلمّا كثروا، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): كلاّ أو تخضب هذه من هذه (يعني لحيته من هامته) ويتلاعب بها إبن آكلة الأكباد (أو لائكة الأكباد)، فرجع الخبر بذلك إلى معاوية[70].

(١٤) . ما رواه إبن حجر الهيثمي[71] قال:

سئل عليّ وهو على منبر في الكوفة عن قوله تعالى: ﴿**من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً**﴾ فقال: اللهمّ اغفر؛ أهل هذه الآية نزلت فيَّ و في عمّي حمزة وفي ابن عمّي عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب، أما عبيدة بن الحارث فإنه قضى نحبه شهيداً يوم بدر، وأما عمّي حمزة فإنه قضى نحبه يوم أُحُد، وأما أنا فأنتظر أشقاها، يخضب هذه من هذه، وأشار بيده إلى لحيته ورأسه، عهدٌ عهده إليّ حبيبي أبو القاسم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم[72].

(١٥) . ما رواه صاحب الإحقاق[73] عن أبي جعفر محمّد بن حبيب البغدادي قال[74]: وكانّ أي عليّ (عليه السلام) يقول: ما يحبس أشقاها، أما والله لعهد إليَّ النبيّ الأمّيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم أنّ هذه تخضب من هذه . يحني لحيته من هامته . وكان يقول:

أشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت آتيكا

(**١٦**) . ما رواه صاحب الإحقاق [٧٥] عن أخطب خوارزم [٧٦] بإسناده إلى حفص بن خالد، عن أبيه، عن جدّه جابر قال : إني لشاهد لعليّ عليه السلام وأتاه المرادي يستحمله، ثمّ قال:

أريد حياته ويريد قتلي غديرك [عذيرك] من خليلك من مراد

قال: هذا والله قاتلي، قالوا : يا أمير المؤمنين أفلا تقتله؟ قال : لا فمن يقتلني إذاً؟ ثمّ قال:

أشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت آتيك

ولا تجزع من القتل إذا حلّ بواديك

(**١٧**) . ما رواه أبو الفَرَج الأصبهاني [٧٧] بإسناده إلى عبيدة السلماني قال: كان عليّ بن أبي طالب إذا أعطى الناس فرأى ابن ملجم قال:

أريد حياته ويريد قتلي غديرك من خليلك من مراد

(**١٨**) . ما رواه المتقي الهندي[٧٨] قال:

عن الأصبغ الحنظلي قال: لما كانت الليلة التي أُصيب فيها عليّ عليه السلام أتاه إبن النبّاح حين طلع الفجر يؤذنه بالصّلاة وهو مضطجع فتثاقل فعاد إليه الثانية وهو كذلك ثمّ عاد الثالثة فقام عليّ يمشي وهو يقول:

أشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت آتيك

ولا تجـزع من القتـــل إذا حلّ بواديك

فلمّا بلغ الباب الصغير شدّ عليه إبن ملجم فضربه .

ملاحظة: دعوى هذا الخبر . أنّ إبن ملجم ضرب الإمام عليّ ؑ لما بلغ الباب الصغير، . تخالف الأخبار المتواترة الدّالّة على أنه ؑ ضُرِبَ غدراً وهو ساجدٌ لله تعالى .

(١٩) . ما رواه أبو الفرج الأصبهاني [٧٩] بإسناده إلى حمزة الزبّان قال : كان عليّ ؑ إذا نظر إلى إبن ملجم قال:

أريد حياته [حبائه] ويريد قتلي غديرك من خليلك من مراد

(٢٠) . ما رواه مطهَّر بن طاهر المقدسي[٨٠] قال:

وروي عن الحسن بن عليّ عليهما السَّلام أنه قال : لما أصبح اليوم الّذي ضربه الرّجل فيه فقال: لقد سنح لي الليلة النبيّ : فقلت: يا رسول الله ماذا لقيتُ من أمّتك؟ قال : ادعُ الله أنْ يريحك منهم .قالوا: ودخل عليّ المسجد ونبّه النيام، فركل إبن ملجم برجله وهو ملتف بعبائه وقال له : قم، فما أراك إلاّ الّذي أظنه وافتتح ركعتي الفجر، فأتاه إبن ملجم عليه ل عائن الله فضربه على صلعته حيث وضع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم يده وقال : أشقى الناس أحيمر ثمود الّذي يخضب هذه من هذه[٨١].

(٢١) . ما رواه إبن سعد [٨٢] بإسناده إلى محمّد بن سيرين، قال : قال عليّ بن أبي طالب ؑ للمراديّ:

أريد حياته [حبائه] ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

(٢٢) . ما رواه مطهر بن طاهر المقدسي[٨٣] قال:

وأمّا إبن ملجم عليه لعنة الله، فإنه أتى الكوفة وجعل يختلف إلى عليّ عليه السلام وعليّ يلاطفه ويواصله ويتوسّم فيه الشرّ وفيه يقول:[وافر]:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

والخلاصة:

دلّت هذه الأخبار المتواترة على معرفة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بقاتله، بل وفي بعضها . حسب رواية أبي الطُّفَيْل وغيرها . عِلْمُه عليه السلام بالعام الّذي سيُقتل فيه، وبالتحديد بعد موت النبيّ بثلاثين عاماً، مضافاً إلى ما ورد في رواية أبي عبد الله الخطيب الخوارزمي أنّ الإمام عليّ عليه السلام لم تنطلِ عليه حيلة معاوية لما دَسَّ له جماعة يبثون في الكوفة موت معاوية، ليُظهِر لهم عِلْمَ الإمام عليّ عليه السلام، كلّ هذا يشكِّل قرينة واضحة على عِلْمِهِ بساعة استشهاده، مضافاً لِمَا سيأتي البرهنة عليه، والله الّذي أخبره وأنبأه بسنةِ شهادته، يخبره عن اليوم والسّاعة، لوحدة المِلاَك أو المناط، إذ ما دام المقتضي موجوداً، والمانع مفقوداً، فما الضَّيْر في إخباره وإطْلاعِهِ على اليوم والسّاعة؟!!، وإلاّ كان الفدائيّون والإنتحاريّون أرقى درجةً من مولى الثقلين، لعِلْمِهِم بالساعة التي سيقتلون أنفسهم خلالها، وهو ما لا يعتقده مؤمنٌ فضلاً عن فقيه!! .

وعليه؛ فما تصوّره أولئك المشكِّكون في عِلْم الأئمّة الأطهار بما سيجري عليهم حتى آخر عمرهم الشريف، أمْراً عجيباً لا يعدو كونه ناتجاً عن إحاطة ومعرفة تامّة بالأحاديث وكيفيّة معالجتها وضمّ القرائن إليها، بل والأعجب

من ذلك؛ أنّ أكثر أولئك موسومون بالبحث والتحقيق، وهم ضمناً معترفون بتلكم الأحاديث الدّالّة على أنّ الأئمّة عليهم السَّلام يعلمون ما كان ويكون، وعندهم عِلْم المنايا والبلايا، وفي الوقت نفسه، خفيت على أولئك الأحاديث الأخرى المصرّحة بأنّ ما صدر منهم عليهم السَّلام من كلام أو سكوت، وقيام أو قعود إنما هو أمر موجّه إليهم خاصّة من الله تعالى على لسان رسوله الأمين، ولم يعزب عنهم صغير ولا كبير ولم يجهلوا شيئاً من ذلك حتى ساعة الموت، وصدق ما روي في صحيحة ضريس الكناسي عن مولانا الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام حيث يتعجّب . بأبي وأمّي ونفسي . من أُناسٍ يتولّون الأئمّة عليهم السَّلام، ويجعلون طاعتهم مفترضة، ثمّ يكسرون حجّتهم فينقصونهم حقّهم بالتلفيق على الله بأنه يخفي عنهم عليهم السَّلام أخبار السَّمَاوات والأرض، وقد أوردناها سابقاً؛ فراجع .

فقد ارتفع من خلال ما قدَّمْنا السّتر المرخى على الحقيقة، فظهرت بأجلى مظاهرها بأنّ أئمّة الهدى كانوا على عِلْمٍ بمجاري القَدَر النازل، والقضاء الّذي لا يُرَدّ بما انتابهم من الكوارث لأنهم قيد إشارة المولى بكلّ ما يستقبلهم من سرّاءٍ وضرّاء، كلّ ذلك بإخبارٍ من علاّم الغيوب، وإعلام النبيّ، ووقوفهم على الصحائف النازلة على جدّهم، حيث إنّ الله أعدّ لهم منازل، وكرامات وشرفاً خالداً من خلال الشهادة وإزهاق تلك النفوس القدسيّة، لذا ضحّوا بحياتهم الشريفة بخوعاً لأمر الله وجرياً مع المصالح الواقعيّة التي لا تدركها أحلام البشر .

ونحن هنا سنثير بعضَ الظُّنون والشبهات التي ألقوها، تدعيماً منهم للدليل الّذي أثاروه وقد تقدمت الإجابة عنه بشكلٍ إجماليٍّ، وسنردّ عليها على قَدَرٍ وافٍ من التفصيل بنحوٍ مقتضَب دفعاً لطروء مِلال على القارئ الكريم .

الشبهة الأولى:

متعلقة بإقدام أمير المؤمنين عليه السلام على الذهاب إلى المسجد، **ومفادها:** كيف ذهب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى المسجد، وهو يعلم قاتله، ألا يجدر به أنْ يذهب إلى المسجد حرصاً منه على عدم التعرّض للتهلكة فيوكل غيره بالصلاة فييأس عبد الرحمان بن ملجم عليه اللّعنة من التعرُّض لقتل الإمام عليه السلام؟ولِمَ لم يطرده أمير المؤمنين عليه السلام من الكوفة؟[٨٤] حينما قال ابن ملجم: والله يا أمير المؤمنين إنّك أحبّ إليَّ من كل ما طلعت عليه الشمس، لكن إذا عرفت ذلك منّي فسيرني إلى مكان تكون ديارك من دياري بعيدة، فأمر الإمام عليّ أن يكون ابن ملجم مع أصحابه ليسفرهم إلى بلاد اليمن، فلما عزموا على الرجوع إلى بلادهم مرض ابن ملجم فتركوه في الكوفة.

يورد عليه:

(١) . لو فعل الإمام عليّ عليه السلام ما ذكرته الشبهة من إيكال أمر الصلاة لغيره، لترتب عليه مفسدة أعظم من مفسدة الذهاب للمسجد لإستقبال الموت لو قلنا بأنّ في الذهاب مفسدة، وتلك المفسدة نعت المسلمين لأمير المؤمنين بالجبن، لعلمنا قطعاً أنهم سيسألونه عمّا جرى ولِمَ فوّضتَ أحدنا بالصلاة مكانك، فماذا عساه عليه السلام يقول لهم؟: إني خفت الموت من إبن ملجم!!، والخوف من الموت ليس من شيم الصالحين الأتقياء، فكيف بمن هو

سيد الصلحاء والمتقين علي بن أبي طالب روحي فدَاه. أو أنّه الﷺ يقول لمن سأله: أحبسوه أو اقتلوه لأنّه أراد قتلي، فماذا يقولون له حينئذٍ؟ ألا يقولون له: كيف تحبس رجلاً أو تقتله وهو بعدُ لم يتلبس بالجرم؟ وهل يمدحونه لو أنه الﷺ قتله . أي قتل ابن ملجم . على التهمة مع أنهم جروا على قاعدة عقلائيّة وهي: المتّهَم بريء حتى تثبت إدانته، وهل تراه . روحي فداه . يخالف ما جرت عليه طريقة العقلاء في معالجاتهم للقضايا الجنائيّة، أو أنه يحبس على الظنّ والتهمة كعادة طواغيت الزمان، والجبابرة من الأمراء والحكّام؟!

من هنا لمّ خاطب أمير المؤمنين إبن ملجم بأنه قاتله، وثب مالك الأشتر والحارث بن الأعور وغيرهما من الشيعة مجردين سيوفهم قائلين له : يا أمير المؤمنين من هذا الكلب الّذي تخاطبه بمثل هذا الخطاب مراراً؟ ، وأنت إمامنا وولينا وابن عم نبينا، فمرنا بقتله، فقال لهم الﷺ: اغمدوا سيوفكم، بارك الله فيكم ولا تشقوا عصا هذه الأمة . أي لو قتلوه على الظن والتهمة قبل أن يتلبس بالجرم لأدى ذلك إلى فتنة . أترون أني أقتل رجلاً لم يصنع بي شيئاً؟[٨٥].

وكذا ما قاله الﷺ لميثم التمار حينما قال له : إذا لم تقتله . لأنه لا قصاص قبل الفعل . فاطرده.

فقال الﷺ: يا ميثم إنه بعدُ ما جنى جناية فيؤخذ بها، ولا يجوز أن يعاقب قبل الفعل[٨٦].

(٢) . إن الهروب من الذهاب إلى المسجد حرصاً على البقاء خلاف التسليم والرضا بالقضاء اللّذين كان يتحلى بهما أمير المؤمنين الﷺ، فلما أراد

المولى لقاءه أحبّ ما ارتضاه له المولى عزّ وجل ، فها هو الإمام أبو جعفر عليه السلام يقصّ علينا أمرهم فيقول لأحد أصحابه : نحن قوم إذا لم يرضَ الله لأحدنا الدنيا نقلنا إليه (٨٧).

(٣) . إنّ الإمام علياً عليه السلام، والرّسول الأعظم؛ مأموران بإتباع الأسباب العادية، وغير مأمورين بالع م ل بعلمهم الواقعي، من هنا قال النبيّ : جئتكم بالظاهر والله يتولى السرائر، وقصة رسول الله مع الإعرابي (٨٨) شاهد صدق على ما نقول حيث إن النبيّ لم يعمل بعلمه الواقعي؛ بل جرى على الأسباب والبيّنات الظاهرية، وهكذا في قصة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حيث لم يعم ل بعلمه الواقعي أيضاً بل جرى على الأسباب العادية والمقتضيات الظاهرية من باب التشريع والتقنين ولكونه م قدوة حسنة للناس في جريهم على الأسباب الظاهرية، فعملهم ح ينئذٍ بعلمهم الواقعي يوقعهم في الحرج المنفي عقلاً وشرعاً.

الشبهة الثانية:

كيف لم يرَ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام سيف ابن ملجم يهوي على رأسه الشريف وهو عليه السلام في الصلاة، في حين شعر بالفقير عندما طلب المعونة في المسجد، فتصدّق عليه أمير المؤمنين عليه السلام بخاتمه؟

يرد على هذا:

(١) . إن الإمام علياً عليه السلام لم يرَ سيف ابن ملجم لأن سيفه عليه اللّعنة كان للشيطان، وكل ما كان للشيطان لا يراه أمير المؤمنين عندما يتوجه إ لى الله تعالى بالصلاة، بخلاف الفقير في المسجد حيث كان لله تعالى ، في حين أنه لا بد من توجُّه الإمام عليه السلام إليه، لأنّ الّذي نذر نفسه لله تعالى لا بدّ من أنْ يشعرُ بمن استغاث بالله عز وجل ؛ لذلك فإنّ ما فعله الإمام عليّ عليه السلام مع الفقير تعود نهايته إلى الحق، قال الشاعر:

يعطي ويمنع لا تلهيه سكرتهُ	عند النديم ولا يلهو عن الكأس
أطاعه سكره حتّى تمكّن من	فعل الصحاة وهو أفضل الناس

فكانت إغاثته عليه السلام للفقير في الصَّلاة كالشارب الّذي فعل حال سكرته فعلاً موافقاً لفعل الصُّحَاة، ولم يلهه عن النديم ولا عن كأسه، ولا خرج بذلك عن سكرته[٨٩].

ولو أن الإمام عليه السلام قطع صلاته حال نزول السيف على رأسه ، لكان اتهمه النّاس بأنه لم يكن متوجّهَاً إلى الله في الصّلاة، وهو خلاف المعهود منه في حياته، ولإتهموه أيضاً بأنّه كان خائفاً من إبن ملجم لذا كان يراقبه ح ذراً من الموت.

(٢) . الحذر من الموت في الصَّ لاة كما في غيرها دليل على نقصان الإيمان، وقد ذمّ الله الكارهين له بقوله تعالى : ﴿**فتمنوا الموت إن كنتم صادقين**﴾ (البقرة/٩٤)، وإلا لو لم يتمنَّ الإمام عليّ عليه السلام تلك اللّيلة الموت لدلّ على أنّه يحبّ الدّنيا، عدا عن أ ن حبّ البقاء من صفات المذنبين لقوله

تعالى:﴿**ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليمٌ بالظالمين**﴾ (البقرة/٩٥)، ولأن تمني الموت لا يهتدي اليه الظالمون لقوله تعالى :﴿**والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ (الجمعة/٥).

(٣) . إن الإمام (عليه السلام) خيّر بين البقاء ولقاء الله ، فاختار لقاء الله تعالى، وما الغضاضة في أن يختار المؤمن لقاءَ الله ويترك الأسباب الظاهرية للمحافظة على البقاء؟!

الشبهة الثالثة:

كيف أكل الإمام الحسن (عليه السلام) من الطعام المسموم بواسطة زوجته جعدة بنت الأشعث عليها اللّعنة في حين إنه قادر على التفصي من ذلك، وما هي المصلحة بذلك ؟.

والجواب:

(١) . صحيح أن الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) كان قادراً على الإمتناع من الأكل؛ لكنّه لم يفعل إمتثالاً لأمر المولى عزّ وجل لما في قتله من إستقامة لدين الله تعالى الّذي تلاعبت به بنو أميّة، وشهادته (عليه السلام) من أجل ما ذكرنا تماماً كشهادة أخيه الإمام الحسين (عليه السلام) حيث ينسب إليه بقوله (عليه السلام):

إنْ لم يستقم دين محمّدٍ إلاّ بقتلي فيا سيوف خذيني

فكانت شهادتهما لإحياء دين الله تعالى وإعزازه، من هنا قيل : إن الإسلام محمّديّ الوجود، حسيني البقاء.

(٢) . لو لم يستشهد مولى الأحرار الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بهذه الكيفية لكان أُخذ أسيراً ذليلاً إلى معاوية، والآخذ له سيكون بعض شيعته الّذين خذلوه وطعنوه في فخذه ، وأخذوا مصلاّه من تحته، بل إن بعضهم كتب لمعاوية سرّاً يستحثونه على المسير نحوهم ، وضمنوا له تسليم الإمام الحسن عليه السلام إليه عند دنوهم من عسكره أو الفتك به [٩٠].

الشبهة الرابعة:

وهي متعلقة بنهضة الإمام الحسين عليه السلام حيث أثار المشككون على نهضته سيلاً من الشكوك بصرف وجهتها عن الجادة الوسطى، تثبيطاً منهم لتلك النهضة المباركة التي حذا شطرها الثائرون، ونسفاً للعلم والإلهام الربوبيين اللّذين كان يتحلّى بهما الإمام الحسين عليه السلام، هذا مضافاً إلى طَمْس النصوص والأخبار التي تحدثت عن قداسة الإمام الحسين عليه السلام وعظمة أهدافه، وأن السماء والأرض والأنبياء والمرسلين بَكُوا عليه . فحاول هؤلاء المشككون أن يصبغوا الإمام الحسين عليه السلام برجلٍ فقيهٍ كباقي الفقهاء، لكنّه يتميّز عنهم بشدة الورع، فلم يكُن يعي من خروجه سوى أنه يريد العراق ليشكّل فيها حكومة إسلامية، وهم من خلال هذا التشكيك يريدون نسف كلّ حركةٍ غيبيةٍ كانت تواكب ذات الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المقدّسة، لذا تجد من شَكَّكَ في تحرك الإمام عليه السلام الغيبي في كلّ ما يمت إلى الغيب بصلة، يرفض بكاء الأنبياء والأولياء عليه قبل ولادته، وينفي حديث القارورة وحديث رؤية الإمام عليه السلام للنبيّ في المنام وقوله له : شاء الله أن يراك قتيلاً ، وأحاديث أخرى تشير إلى الغيب من قريب أو بعيد . كل هذا لكونهم لا

يؤمنون بقدسيّة الإمامة وارتباطها بالفيض الإلهي، فالإمامة . بنظر هذا الفريق . رياسةٌ دنيوية ودينية تحمل شيئاً من الفقه الموروث عن رسول الله دون أن يكون لها أي صفة تميّزُها عن أيّ حاكمٍ أو زعيمٍ أو فقيهٍ. فالقائدُ الإمام عليه السلام بنظر هؤلاء كالإمام القائد عند الأشاعرة يكفي أن يعتلي منصب الإمامة وهو عارف ببعض الإ حكام الشرعية، أمّا الفراسة وقوة الحدس والتسديد الربوبي وما شابه ذلك، فليس من مختصات الإمام القائد عليه السلام، ولا من صلاحياته ووظائفه. هكذا نظر هؤلاء المشككون من الشيعة إلى الإمام الحسين عليه السلام فلم يرتقوا الى اليقين بقدسية الإمام عليه السلام وفعله وتقريره، بل جمدوا على القشور ، التي طالما نهى عن الأخذ بها ، العاملون العارفون والمتبصرّون بالحقائق، والمسدَّدون بالأنوار، المبتهِجُون بالأسرار.

وهؤلاء المشككون ينقسمون إلى فرقتين:

الفرقة الأولى:

تنفي العلم التفصيلي عن الإمام الحسين عليه السلام وتنسب إليه العلم الإجمالي بما سيحدث عليه، بمعنى أن الإمام الحسين عليه السلام (وهكذا غيره من الأئمة عليهم السلام) لا يعرفون تفصيلاً بما سيجري عليهم، نعم ، هم عارِفون إجمالاً بأنهم سوف يستشهدون، لكن أين ومتى وكيف؟، هذا غير مقدور لهم بنظر أصحاب هذا الطرح، بحجة أن العلم بالشهادة يستلزم إلقاء النفس في التهلكة، والأنكى من ذلك ما شاع على ألسنةِ بعض المشايخ والسَّادة الّذين ينعقون مع كلّ قويٍّ أو ذي سلطة من أن الإمام الحسين عليه السلام تماماً كأبيه أمير المؤمنين عليه السلام حينما بات على الفراش لم يكن يعلم أنه سيبقى حياً،

فلما وطّن نفسه على القتل نجاه الله تعالى، وكذا الإمام الحسين عليه السلام لم يكن يعلم أنه سيُقتل في كربلاء لكنّه لمّ وصل إليها حصل له البداء فتيقن بالموت.

يردُ على ذلك:

أوّلاً: إن هذه الدعوى ليس عليها شاهد من آية أو رواية، فمن أين حصل لأتباع هذا الطرح أن الإمام الحسين عليه السلام كان يعلم بما سيحصل عليه بشكلٍ مجمَل .

ثانياً: إن هذه الدعوى مناهضة للآيات والأخبار، فمن الآيات الدّ الة على علمه التفصيلي قوله تعالى : ﴿**ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كل أمر سلام هي حتّى مطلع الفجر**﴾ سورة القدر.

حيث أفادت السورة المباركة أن الملائكة تنزل في لي لة القدر على إمام الزمان عليه السلام تخبره بالوقائع التفصيلية التي ستحصل في سنة الن .زول من التقديرات الحتمية، فنزولها على الإمام عليه السلام من كل أمر، دليلٌ على ما قلنا، لأن أداة "كل" تفيد المجموع التفصيلي بكل حادثٍ مقدّرة على سبيل الحتم.

فالأخبار المفسِّرة لسورة القدر [٩١]؛ فيها دلالة قطعية على أن الإمام الحسين وهكذا بقية الأئمة عليهم السلام كانوا عارفين بكلّ المقدَّرات المقضيّة على عوالم التكوين بأسرها، وذلك قبل هبوط الملائكة على الإمام عليه السلام في ليلة القدر، وأنّ نزولهم فيها ليس لإعطاء الأوامر للإمام عليه السلام . كما سوف يأتيك . بل لأجل إمضاء الإمام عليه السلام لأحكام الله الحتميّة حيث يوزّعها

عليه السلام بأمْرٍ منه عزّ وجلّ على الملائكة الموكّلين بجزئيّات التكوين وتفاصيل التشريع، وقد دلَّت الأخبار الشريفة . لا سيّما في بصائر الدّرجات والكافي . على هذا المعنى الدقيق الّذي مَنَّ الله تعالى علينا به ، بل صحيحة داود بن فرقد صريحة بأنّ الملائكة تطوف بهم فيها، ومعلومٌ بالضّرورة أنّ الطّوفان حولهم يدلّ على علوّ مقامهم، وشرافة منازلهم، وجلالة قدرهم عليهم السَّلام . وإنْ أبيتَ عدم العِلْم المسْبَق لهم قبل ليلة القدر، فالقول بحصول العِلْم لهم فيها لا يقبل التخصّص والتقييد بزمنٍ دون آخر، وبشيءٍ دون شيء، بل إنّ التخصّص المزبور دعوى على مدَّعيها، خالية من البرهان والبيّنة، فيبقى الإطلاق والشمول منعقِداً بظهوره غير قابل للتقييد، هذا مضافاً إلى أنّه ما الدّاعي لأن يحجب عنهم المولى علماً متعلِّقاً بما يجري على ذواتهم المقدّسة، هل لعدم لياقتهم لتحمل هذا العلم؟ حاشا المولى عز وجل أن يحجب خ بر سمائه وأرضه عنهم، وقد دلت صحيحة ضريس وأمثالها على عدم ذلك، كما أن المولى لا يبخل على نفوس طاهرة رضت بقضائه ، وسلمّت لأمره كم ا دلّت عليه حسنة عبد الملك بن أعين، إذ لا بخل في ساحته لمن ألقى السمع وهو شهيد .

ثالثاً: دعوى حصول البداء لعلم الإمام عليه السلام [بمعنى أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن يعلم بوقت شهادته ثم أبدى له الله ذلك في كربلاء]، مردودة أيضاً لما تقدم آنفاً، مضافاً إلى جهل الإمام عليه السلام بموضوع يترتب عليه حكم شرعي يُفرض بحكمة الله ولطفه أنْ يعلمه الإمام عليه السلام، لئلا يؤدي الجهل به إلى السخرية منه، عدا ان الجهل به خلاف كونه حجةً لله على عباده في

أرضه وسمائه، مع التأكيد على أن جهل الإمام بمصيره في كربلاء يَنفي عنه علمه الموروث من جده وأبيه وأمه وأخيه، وما علمه الأنبياء والمرسلون بمصيره، فجهله بمصيره م ع علم غيره به ترجيحاً بلا مرجِّ ح بل تفضيلاً للمفضول على الفاضل وهو قبيح عقلاً وشرعاً.

الفرقة الثانية:

تنفي العلم التفصيلي والإجمالي معاً بما سيحصل على الإمام الحسين عليه السلام، وعميد هذه الفرقة هو صالح خرّم آبادي صاحب كتاب (شهيد جاويد) أي الشهيد الخالد، وهذا الكتاب في الواقع ليس له ، وإنما لمؤسس حزب الإخوان المسلمين في مصر، ثم نسبه اليه بعد ترجمته الى الفارسية، وتبعه على ذلك السيد محمد حسين فضل الله والسيد علي الأمين، فقد ادّعى هؤلاء؛ تبعاً لما قاله صالح خرم آبادي ؛ بأنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يقصد بذهابه الى العراق الشهادة، وإنما قصد الكوفة ليؤسس فيها دولة إسلامية، فالأول منهم لم يأتِ بدليل سوى مدّعاه على شبهة الإلقاء في التهلكة ، ودعوى الثاني بأنّ الإمام عليه السلام أحقُّ من غَيِّ وبِّل.

يرد عليهما:

ما أوردناه سابقاً، هذا مضافاً إلى أنّ التغيير والتبديل لا يكون بإقامة حكومة إسلامية في الكوفة ، لا سيما وأن أهل الكوفة غدروا بسفيره مسلم بن عقيل، واجتثوا كلّ ما يمتّ إلى الإمام الحسين عليه السلام بصلة، ولو نفينا عن الإمام الحسين عليه السلام العِلْم الحضوريّ أو الموروث عن جدّه . على أقلّ تقدير . لكننا لا يمكن أنْ ننفي عِلمه بما جرى على سفيره مسلم في اليوم الثامن من

ذي الحجة وبكى عليه، فكيف يقدم حينئذٍ على قومٍ عُهد منهم الخيانة والغدر، وعدم الوفاء بالعهود والمواثيق؟ ! بل كيف يقدم على أناس كان من شيمهم ما ذكرنا معروفة عند القا صري والداني آنذاك ، وقد دلّت الأخبار التاريخيّة أنّ جماعة أفضوا بن صيحتهم للإمام الحسين عليه السلام بعدم الذهاب للكوفة؛ أمثال: عبد الله بن عباس ، ومحمد بن الحنفية أخيه من أبيه وأم سلمى، والفرزدق وغيرهم؟!

وأما الثالث، فقد إدعى بأن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن بصدد مشروع شهادة، فلم يكن إستشهاده عليه السلام هدفاً وإنما حصل بالصدفة، لأنه لو كان هدفاً، لكان إلقاءاً للنفس في التهلكة، وقد أنكر صاحب هذه الدعوى عِلْم الإمام الحسين عليه السلام بمصيره المسبق، كما أنكر وُجُودَ رواياتٍ تثبت إستشهاده في كربلاء، مدَّعِيًا بأنها لو كانت صادرة لَعَلِمَها أصحاب رسول الله: "إذ من البعيد جداً أن تكون قد خفيت عليهم أخبار استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء لو كانت صادرة ، وفيهم نخبة من أصحاب رسول الله ومن أصحاب الإمام عليّ عليه السلام، والإستقبال الحاشد الذي أقاموه . أي أهل الكوفة . لسفير الإمام الحسين عليه السلام، مسلم بن عقيل، شاهدٌ آخر على عدم وجود هذه الأحاديث في أذهانهم"(٩٢).

وخلاصة دليله:إن الدلائل والوقائع تشير إلى أن قضية إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء لم تكن هي الهدف ، ولم تكن قضيةً حتميةً ثابتةً في أذهان المسلمين، ثم ساق ثلاثة أدلة على مدّعاه:

الدليل الأول: [خلوّ الذهنية العامة لدى الأمة عن حتمية الإستشهاد في كربلاء، ويدل على ذلك الألوف المؤلَّفة من الكتب التي وصلت إلى الإمام الحسين (عليه السلام)، وفيها دعوته للقدوم إليها إماماً ومخلّصاً لهم من الظلم، وليس فيها شيء يدعو لإقامة مشروع شهادة][٩٣].

يرد عليه:

(**أوّلاً**): إن خلوّ الذهنية العامّة من حتمية استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) لا يعتبر دليلاً على نفي علم الإمام (عليه السلام) بالإستشهاد، إذ قد يكون خلوّ ذهنيتهم ناتجاً عن تجاهل النصوص أو ابتعادهم عن الدين، أو عن عدم إعتقادهم بمضامينها، أو أنهم نسوها، أو أن أكثرهم لم يبق إلى زمن تطبيقها على مواردها. ويشهد لما قلنا ما ورد عن إبن عباس قال: خرج النبيّ قبل موته بأيام يسيرة إلى سفر له ثمّ رجع وهو متغيّر اللون، محمر الوجه، فخطب خطبة بليغة موجزة وعيناه تهملان دموعاً؛ قال فيها:

أيها الناس إني خلّفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي؛ وأرومتي؛ ومزاج مائي وثمرتي؛ ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ألا وإني أنتظرهما، ألا وإني لا أسألكم في ذلك إلاّ ما أمرني به ربّي أنْ أسألكم به المودّة في القربى، فانظروا لا تلقوني على الحوض وقد أبغضتم عترتي وظلمتموهم، ألا وإنه سترد عليَّ يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأمّة راية، سوداء مظلمة فتقف عليّ فأقول: مَن أنتم فينسون ذكري، ويقولون أهل التوحيد من العرب، فأقول: أنا أحمد نبيّ العرب والعجم فيقولون: نحن من أمّتك يا أحمد؛ فأقول لهم: كيف

خلفتموني من بعدي في أهلي وعترتي وكتاب ربّي؟؛ فيقولون : أما الكتاب فضيعناه ومزّقناه؛ وأمّا عترتك فحرصنا على أنْ ننبذهم عن جديد الأرض؛ فأولّي وجهي عنهم فيصدرون ظِمَاءً عطاشا مسودّة وجوههم؛ ثمّ ترد عليَّ راية أخرى أشدّ سواداً من الأولى؛ فأقول : مَن أنتم؟؛ فيقولون كالقول الأوّل بأنهم أهل التوحيد، فإذا ذكرتُ لهم اسمي عرفوني، وقالوا : نحن أمّتك، فأقول لهم : كيف خلفتموني في الثقلين الأكبر والأصغر؟، فيقولون : أمّا الأكبر فخالفناه، وأمّا الأصغر فخذلناه [خ ل : خذلناهم] ومزقناهم كلّ ممزق، فأقول لهم : إليكم عني، فيصدرون ظِمَاءً عطاشا مسودّة وجوههم، ثمّ ترد عليَّ راية أخرى تلمع نوراً، فأقول لهم : مَن أنتم؟، فيقولون : نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى، نحن أمّة محمّد، ونحن بقيّة أهل الحقّ الّذين حملنا كتاب ربّنا فحلّلنا حلاله، وحرَّمْنا حرامه، وأحببنا ذريّة محمّد فنصرناهم بما نصَرْنا به أنفسنا، وقاتلنا معهم، وقاتلنا مَن ناواهم، فأقول لهم : أبشِروا فأنا نبيّكم محمّد، ولقد كنتم في دار الدّنيا كما وَصَفتم، ثمّ أسقيهم من حوضي، فيصدرون روا ءاً، ألا وإن جبرائيل قد أخبرني بأنّ أمتي تقتل ولدي الحسين بأرض كرب وبلاء ألا فلعنة الله على قاتله وخاذله آخر الدَّهر، قال : ثمّ نزل عن المنبر ولم يبقَ أحد من المهاجرين والأنصار **إلاّ وتيقّن بأنّ الحسين مقتول**، حتى إذا كان في أيام عمر إبن الخطاب وأسلم كعب الأح بار، وقدم المدينة جعل أهل المدينة يسألونه عن الملاحم التي تكون في آخر الزمان وكعب يحدّثهم بأنواع الملاحم والفتن؛ فقال كعب لهم : وأعظمها ملحمة هي الملحمة التي لا تُنسى أبداً وهو الفساد الّذي ذكره الله تعالى في الكتب وقد ذكره في كتابكم في قوله :

﴿**ظهر الفساد في البرّ والبحر** ﴾ وإنما فتح بقتل هابيل ويُختم بقتل الإمام الحسين بن عليّ ﷺ [٩٤] .

وفي هذا النص دلالة واضحة على أن المسلمين سمعوا ووعوا ما قاله النبيّ لهم، وما حثهم على نصرة الإمام الحسين ﷺ، ولكنّهم تخلّفوا جميعاً عن ذلك، لذا لما بكوا ؛ إستنكر عليهم الرسول (أتبكون ولا تنصرونه) مما يدل على أنهم سوف يدركون زمانه، ولكنهم لن ينصروه، لذا دعا له النبيّ بقوله:(اللهمّ فكن له أنتَ ولياً وناصراً).

وكذا ما أورده الحافظ الخوارزمي في المقتل ص ١٦٠ بإسناد معنعن عن أبي الضحى عن إبن عباس قال : ما كنا نشكّ أهل البيت ، وهم متوافرون أن الحسين بن علي يقتل بالطف.

وروى أيضاً عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال:

إستأذن ملك القطر والمطر رَبَّه أنْ يزور النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم فأذن له تعالى، وكان في يوم أمّ سلمة فقال النبيّ : يا أمّ سلمة إحفظي علينا الباب، لا يدخل علينا أحد، فبينما هي على الباب إذ جاء الحسين بن عليّ فاقتحم الباب، فدخل، فجعل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم يلتزمه ويقبّله، فقال المِلَك : أتحبّه؟، قال : نعم، قال : إنّ أمّتك ستقتله إنْ شئت أريتك المكان الّذي يُقتل فيه؟، قال : نعم، فقبض قبضة من المكان الّذي يُقتل فيه فأراه، فجاء بسهلة أو تراب أحمر، فأخذَتْه أمّ سلمة فجعلته في ثوبها؛ قال ثابت: فكنّا نقول: **إنّ الحسين يُقتل، فقُتِلَ في كربلاء**[٩٥].

فهذه النصوص تثبت عدم خلوّ ذهنية المسلمين يومذاك بقضية حتمية استشهاده عليه السلام، ولكنّ حبَّ الدّنيا والإخلاد إلى الأرض، أنساهم ما قاله النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم، بل اقتضى هذا الإخلاد خيانتهم لأشرفِ قضيةٍ مع أشرفِ إنسان، ويشهد لما قلنا ما رواه العلاّمة المجلسي . أعلى الله مقامه الشريف. في كتابه بحار الأنوار بإسناده إلى:

(١) . ما، [الأمالي للشيخ الطوسي] بإسناد أخي دعبل عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السَّلام عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام قال: حدثتني أسماء بنت عميس الخثعمية قالت : قبلت [القابلة هي المرأة التي تأخذ المولود عند ولادته] جدتك فاطمة بنت رسول الله بالحسن والحسين، قالت : فلما ولدت الحسن جاء النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم فقال : يا أسماء هاتي ابني قالت: فدفعته إليه في خرقة صفراء، فرمى بها، وقال: ألم أعهد إليكم أن لا تلفّوا المولود في خرقة صفراء، ودعا بخرقة بيضاء فلفه بها، ثم أذن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، وقال لعلي عليه السلام بما سميت إبني هذا قال: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله قال : وأنا ما كنت لأسبق ربي عز وجل قال: فهبط جبرائيل قال: إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: يا محمد علي منك بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدك فسَمِّ إبنك باسم ابن هارون قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم : وما اسم ابن هارون؟ قال جبرائيل: شبر قال: وما شبر؟، قال : الحسن، قالت أسماء : فسماه الحسن، قالت : أسماء فلما ولدت الصدّيقة الطاهر فاطمة عليها السَّلام الإمام الحسين عليه السلام نفستها به فجاءني النبي فقال : هلم إبني يا أسماء، فدفعته إليه في خرقة

بيضاء، ففعل به كما فعل بالحسن، قالت : وبكى رسول الله ثم قال : إنه سيكون لك حديث! اللهم العن قاتله لا تعلمي فاطمة بذلك .

قالت أسماء: فلما كان في يوم سابعه جاءني النبي فقال: هلمي إبني فأتيته به ففعل به كما فعل بالإمام الحسن عليه السلام وعقّ عنه كما عقّ عن الإمام الحسن عليه السلام كبشا أملح وأعطى القابلة الورك ورجلا وحلق رأسه، وتصدق بوزن الشعر ورقا، وخلق رأسه بالخلوق وقال : إن الدم من فعل الجاهلية قالت : ثم وضعه في حجره ثم قال: يا أبا عبد الله عزيز عليَّ ثم بكى .

فقلت: بأبي أنت وأمي فعلت في هذا اليوم وفي اليوم الأول فما هو؟

قال: أبكي على إبني هذا تقتله فئة باغية كافرة من بني أمية لعنهم الله لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة يقتله رجل يثلم الدين ويكفر بالله العظيم .

ثم قال: اللهم إني أسألك فيهما ما سألك إبراهيم في ذريته اللهم أحبهما وأحب من يحبهما، والعن من يبغضهما ملء السماء والأرض(٩٦).

(٢) . لي، [الأمالي للصدوق] السناني عن إبن زكريا عن إبن حبيب عن إبن بهلول عن علي بن عاصم عن الحصين بن عبد الرحمن عن مجاهد عن إبن عباس قال : كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خرجته إلى صفين فلما نزل بنينوى وهو بشط الفرات قال عليه السلام: بأعلى صوته يا ابن عباس أتعرف هذا الموضع قلت :له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي .

قال: فبكى طويلا حتى أخضلت لحيته، وسالت الدموع على صدره، وبكينا معا وهو يقول : أوه أوه ما لي ولآل أبي سفيان؟ ما لي ولآل حرب حزب

الشيطان؟ وأولياء الكفر؟ صبراً يا أبا عبد الله فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم .

ثم دعا بماء فتوضأ وضوء الصلاة فصلّى ما شاء الله أن يصلي ثم ذكر نحو كلامه الأول إلا أنه نعس عند انقضاء صلاته وكلامه ساعة ثم انتبه فقال عليه السلام: يا ابن عباس فقلت : ها أنا ذا فقال ألا أحدثك بما رأيت في منامي آنفا عند رقدتي؟ فقلت: نامت عيناك ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين.

قال: رأيت كأني برجال قد نزلوا من السماء معهم أعلام بيض قد تقلدوا سيوفهم وهي بيض تلمع، وقد خطوا حول هذه الأرض خطة ثم رأيت كأن هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض تضطرب بدم عبيط وكأني بالإمام الحسين عليه السلام سخلي وفرخي ومضغتي ومخي قد غرق فيه يستغيث فيه فلا يغاث وكأن الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون : صبرا آل الرسول فإنكم تُقتلون على أيدي شرار الناس وهذه الجنة يا أبا عبد الله إليك مشتاقة ثم يعزونني ويقولون : يا أبا الحسن أبشر فقد أقر الله به عينك ﴿**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ**﴾ ثم انتبهت هكذا والذي نفس عليّ بيده لقد حدثني الصادق المصدق أبو القاسم صلّى الله عليه وآله وسلَّم أني سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا وهذه أرض كرب وبلاء، يدفن فيها الحسين عليه السلام وسبعة عشر رجلا من ولدي وولد فاطمة عليها السَّلام، وإنها لفي السماوات معروفة، تذكر أرض كرب وبلاء، كما تذكر بقعة الحرمين، وبقعة بيت المقدس .

ثم قال لي : يا ابن عباس أطلب في حولها بعر الظباء فو الله ما كذبت ولا كذبت وهي مصفرة لونها لون الزعفران، قال ابن عباس : فطلبتها فوجدتها مجتمعة فناديته يا أمير المؤمنين قد أصبتها على الصفة التي وصفتها لي : فقال علي عليه السلام صدق الله ورسوله .

ثم قام عليه السلام يهرول إليها فحملها وشمها، وقال: هي هي بعينها، أتعلم يا ابن عباس ما هذه الأبعار هذه قد شمها عيسى ابن مريم وذلك أنه مر بها ومعه الحواريون فرأى هاهنا الظباء مجتمعة وهي تبكي فجلس عيسى، وجلس الحواريون معه، فبكى وبكى الحواريون، وهم لا يدرون لم جلس ولم بكى .

فقالوا: يا روح الله وكلمته ما يبكيك؟، قال: أتعلمون أي أرض هذه؟، قالوا: لا، قال: هذه أرض يقتل فيها فرخ الرسول أحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وفرخ الحرة الطاهرة البتول شبيهة أمي ويلحد فيها طينة أطيب من المسك لأنها طينة الفرخ المستشهد وهكذا يكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء فهذه الظباء تكلمني وتقول أنها ترعى في هذه الأرض شوقا إلى تربة الفرخ المبارك وزعمت أنها آمنة في هذه الأرض .

ثم ضرب بيده إلى هذه الصيران فشمها وقال : هذه بعر الظباء على هذه الطيب لمكان حشيشها اللهم فأبقها أبدا حتى يشمها أبوه فيكون له عزاء وسلوة، قال: فبقيت إلى يوم الناس هذا وقد اصفرت لطول زمنها وهذه أرض كرب وبلاء . ثم قال: بأعلى صوته يا رب عيسى ابن مريم! لا تبارك في قتلته والمعين عليه والخاذل له .

ثم بكى بكاء طويلا و بكينا معه حتى سقط لوجهه وغشي عليه طويلا ثم أفاق فأخذ البعر فصره في ردائه وأمرني أن أصرها كذلك ثم قال: يا ابن عباس إذا رأيتها تنفجر دما عبيطا، ويسيل منها دم عبيط، فاعلم أن أبا عبد الله قد قتل بها، ودفن .

قال ابن عباس: فو الله لقد كنت أحفظها أشد من حفظي لبعض ما افترض الله عز وجل عليَّ وأنا لا أحلها من طرف كمي، فبينما أنا نائم في البيت إذا انتبهت فإذا هي تسيل دما عبيطاً، وكان كمي قد امتلأ دما عبيطاً، فجلست وأنا باك وقلت : قد قتل والله الحسين والله ما كذبني عليّ قط في حديث حدثني ولا أخبرني بشي ء قط أنه يكون إلا كان كذلك لأن رسول الله كان يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره . ففزعت وخرجت وذلك عند الفجر رأيت والله المدينة كأنها ضباب لا يستبين منها أثر عين ثم طلعت الشمس ورأيت كأنها منكسفة، ورأيت كأن حيطان المدينة عليها دم عبيط، فجلست وأنا باك فقلت: قد قتل والله الحسين وسمعت صوتا من ناحية البيت وهو يقول:

إصبروا آل الرسول	قتل الفرخ النحول
نزل الروح الأمــين	ببكـاء وعويـــل

ثم بكى بأعلى صوته وبكيت فأثبت عندي تلك الساعة وكان شهر المحرم يوم عاشوراء لعشر مضين منه، فوجدته قتل يوم ورد علينا خبره وتاريخه كذلك فحدثت هذا الحديث أولئك الذين كانوا معه، فقالوا : والله لقد سمعنا ما سمعت ونحن في المعركة ولا ندري ما هو فكنا نرى أنه الخضر عليه السلام[٩٧].

(**٣**) . ك، [إكمال الدين] أحمد بن محمد بن الحسن القطان وكان شيخا لأصحاب الحديث ببلد الري يعرف بأبي ع‌لي بن عبد ربه عن أحمد بن يحيى بن زكريا بالإسناد المتقدم مثله سواء(٩٨).

(**٤**) . لي، [الأمالي للصدوق] القطان عن السكري عن الجوهري عن قيس بن حفص الدارمي عن حسين الأشقر عن منصور بن الأسود عن أبي حسان التيمي عن نشيط بن عبيد عن رجل منهم عن جرداء بنت سمين عن زوجها هرثمة بن أبي مسلم قال : غزونا مع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام صفين فلما انصرفنا نزل بكربلاء فصلى بها الغداة ثم رفع إليه من تربتها فشمها ثم قال : واهاً لكِ أيتها التربة ليحشرن منك أقوام يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ... بِغَيْرِ حِسابٍ فرجع هرثمة إلى زوجته وكانت ش يعة لعلي عليه السلام فقال ألا أحدثك عن وليك أبي الحسن نزل بكربلاء فصلى ثم رفع إليه من تربتها فقال: واهاً لك أيتها التربة ليحشرن منك أقوام يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ... بِغَيْرِ حِسابٍ قالت: أيها الرجل فإن أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل إلا حقا .

فلما قدم الحسين عليه السلام قال: هرثمة كرت في البعث الذين بعثهم عبيد الله بن زياد لعنهم الله، فلما رأيت المنزل والشجر ذكرت الحديث فجلست على بعيري ثم صرت إلى الحسين عليه السلام فسلمت عليه وأخبرته بما سمعت من أبيه في ذلك المنزل الذي نزل به الإمام الحسين عليه السلام فقال: معنا أنت أم علينا فقلت: لا معك ولا عليك، خلفت ص بية أخاف عليهم عبيد الله بن زياد، قال: فامض حيث لا ترى لنا مقتلا ولا تسمع لنا صوتا فوالذي نفس حسين

بيده لا يسمع اليوم واعيتنا أحد فلا يعيننا إلا كبه الله لوجهه في نار جهنم[٩٩].

(٥) . لي، [الأمالي للصدوق] أبي عن الكميداني عن ابن عيسى عن ابن أبي نجران عن جعفر بن محمد الكوفي عن عبيد السمين عن ابن طريف عن أصبغ بن نباتة قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب الناس وهو يقول: سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن شي ء مضى ولا عن شي ء يكون إلاّ نبأتكم به، فقام إليه سعد بن أبي وقاص فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة فقال له عليه السلام: أما والله لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنك ستسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس وإن في بيتك لسخلا يقتل الحسين ابني وعمر بن سعد يومئذ يدرج بين يديه[١٠٠].

(٦) . لي، [الأمالي للصدوق] ابن مسرور عن إبن عامر عن عمه عن الأزدي عن أبان بن عثمان عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن إبن عباس قال: قال: رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : من سَرَّه أن يحيا حياتي ويموت ميتتي، ويدخل جنة عدن منزلي، ويمسك قضيبا غرسه ربي عز وجل ثم قال: له كن فكان فليتول علي بن أبي طالب وليأتم بالأوصياء من ولده فإنهم عترتي خلقوا من طينتي إلى الله أشكو أعداءهم من أمتي المنكرين لفضلهم القاطعين فيهم صلتي، وأيم الله ليقتلن ابني بعدي الحسين لا أنالهم الله شفاعتي[١٠١].

(٧) . شا، [الإرشاد] ج، [الإحتجاج] جاء في الآثار أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يخطب فقال في خطبته: سلوني قبل أن تفقدوني فو الله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة إلا أنبأتكم بناعقها وسائقها إلى يوم القيامة .
فقام إليه رجل فقال : أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر فقال أمير المؤمنين: والله لقد حدثني خليلي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم بما سألت عنه وإن على كل طاقة شعر في رأسك ملك يلعنك، وعلى كل طاقة شعر في لحيتك شيطان يستفزك وإن في بيتك لسخلا يقتل ابن بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم وآية ذلك مصداق ما خبرتك به ولو لا أن الذي سألت عنه يعسر برهانه لأخبرتك به ولكن آية ذلك ما أنبأتك به من لعنتك وسخلك الملعون وكان ابنه في ذلك الوقت صبيا صغيرا يحبو. فلما كان من أمر الحسين ما كان تولى قتله كما قال أمير المؤمنين عليه السلام(١٠٢).

(٨) . ب، [قرب الإسناد] محمد بن عيسى عن القداح عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: مرّ عليّ بكربلاء في اثنين من أصحابه قال : فلما مرّ بها ترقرقت عيناه للبكاء ثم قال : هذا مناخ ركابهم وهذا ملقى رحالهم وهاهنا تهراق دماؤهم، طوبى لك من تربة عليك تهراق دماء الأحبة(١٠٣).

(٩) . ير، [بصائر الدرجات] محمد بن الحسين عن يزيد شعر عن هارون بن حمزة عن أبي عبد الرحمن عن سعد الإسكاف عن محمد بن علي بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله : من سرَّه أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنة ربي التي وعدني جنة عدن منزلي قضيب من قضبانه غرسه ربي تبارك وتعالى بيده فقال له : كن! فكان . فليتول علي بن أبي

طالب والأوصياء من ذريته أنهم الأئمة من بعدي هم عترتي من لحمي ودمي رزقهم الله فضلي وعلمي وويل للمنكرين فضلهم من أمتي القاطعين صلتي والله ليقتلن ابني لا أنالهم الله شفاعتي(١٠٤).

(١٠) . ير، [بصائر الدرجات] سلام بن أبي عمرة الخراساني عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عن أبيه عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: مَن أراد أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنة ربي جنة عدن غرسه ربي فليتول عليا وليعاد عدوه وليأتم بالأوصياء من بعده، فإنهم أئمة الهدى من بعدي أعطاهم الله فهمي وعلمي، وهم عترتي من لحمي ودمي، إلى الله أشكو من أمتي المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتي، وأيم الله ليقتلن ابني . يعني الحسين . لا أنالهم الله شفاعتي(١٠٥).

(١١) . ير، [بصائر الدرجات] عبد الله بن محمد عن إبن محبوب عن أبي حمزة عن سويد بن غفلة قال: أنا عند أمير المؤمنين عليه السلام إذ أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين جئتك من وادي القرى وقد مات خالد بن عرفطة فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنه لم يمت فأعادها عليه فقال له عليّ عليه السلام: لم يمت والذي نفسي بيده لا يموت فأعادها عليه الثالثة فقال: سبحان الله أخبرك أنه مات، وتقول: لم يمت فقال له الإمام علي عليه السلام: لم يمت والذي نفسي بيده لا يموت حتى يقود جيش ضلالة يحمل رايته حبيب بن جماز . قال: فسمع بذلك حبيب فأتى أمير المؤمنين فقال له : أناشدك في وإني لك شيعة وقد ذكرتني بأمر لا والله ما أعرفه من نفسي فقال له عليّ عليه السلام: إن كنت حبيب

بن جماز فتحملنها فولى حبيب بن جماز وقال : "إن كنت حبيب ابن جماز لتحملنها" .

قال أبو حمزة: فو الله ما مات حتى بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن علي عليه السلام وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته وحبيب صاحب رايته(١٠٦).

(١٢) . شا، [الإرشاد] الحسن بن محبوب عن ثابت الثمالي عن أبي إسحاق السبيعي عن سويد بن غفلة عنه عليه السلام مثله وزاد في آخره: وسار بها حتى دخل المسجد من باب الفيل(١٠٧).

(١٣) . مل، [كامل الزيارات] أبي وابن الوليد معا عن سعد عن اليقطيني عن صفوان وجعفر بن عيسى عن الحسين بن أبي غندر عمّن حدثه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان الحسين بن عليّ عليه السلام ذات يوم في حجر النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم يلاعبه ويضاحكه فقالت عائشة : يا رسول الله ما أشد إعجابك بهذا الصبي فقال لها : ويلك وكيف لا أحبه ولا أعجب به وهو ثمرة فؤادي وقرة عيني؟، أما إن أمتي ستقتله فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجة من حججي قالت : يا رسول الله حج ة من حججك قال : نعم وحجتين من حججي قالت : يا رسول الله حجتين من حججك قال : نعم، وأربعة قال: فلم تزل تزاده ويزيد ويضعف حتى بلغ تسعين حجة من حجج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم بأعمارها(١٠٨).

(١٤) . مل، [كامل الزيارات] محمد الحميري عن أبيه عن ابن أبي الخطاب عن محمد بن حماد الكوفي عن إبراهيم بن موسى الأنصاري عن مصعب عن جابر عن محمد بن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله

عليه وآله وسلَّم: مَن سرَّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويدخل جنتي جنة عدن غرسها ربي بيده فليتول علياً ويعرف فضله والأوصياء من بعده ويتبرأ من عدوي أعطاهم الله فهمي وعلمي هم عترتي من لحم ودمي أشكو إليك ربي عدوهم من أمتي المنكرين لفضلهم القاطعين فيهم صلتي والله ليقتلن ابني ثم لا تنالهم شفاعتي(١٠٩).

(١٥) . مل، [كامل الزيارات] الحسن بن عبد الله بن محمد عن أبيه عن ابن محبوب عن علي ابن شجرة ع ن عبد الله بن محمد الصنعاني عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم إذا دخل الحسين عليه السلام اجتذبه إليه ثم يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: امسكه ثم يقع عليه فيقبله ويبكي فيقول: يا أبة لم تبكي فيقول: يا بني أقبل موضع السيوف منك وأبكي قال: يا أبة وأقتل؟ قال: إي والله وأبوك وأخوك وأنت قال: يا أبة فمصارعنا شتى؟ قال: نعم يا بني قال: فمن يزورنا من أمتك قال: لا يزورني ويزور أباك وأخاك وأنت إلا الصدّيقون من أمتي(١١٠).

(١٦) . مل، [كامل الزيارات] محمد بن جعفر الرزاز عن خاله ابن أبي الخطاب عن علي بن النعمان عن عبد الرحمن بن سيابة عن أبي داود البصري عن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام والحسين إلى جنبه فضرب بيده على كتف الحسين ثم قال: إن هذا يقتل ولا ينصره أحد قال: قلت: يا أمير المؤمنين والله إن تلك لحياة سوء قال: إن ذلك لكائن(١١١).

(**١٧**) . مل، [كامل الزيارات] محمد بن جعفر عن خاله ابن أبي الخطاب عن نصر بن مزاحم عن عمرو بن سعيد عن يزيد بن إسحاق عن هانئ بن هانئ عن عليّ عليه السلام قال: ليقتل الحسين قتلا وإني لأعرف تربة الأرض التي يقتل عليها قريبا من النهرين(١١٢).

(**١٨**) . مل، [كامل الزيارات] محمد بن جعفر عن خاله ابن أبي الخطاب وحدثني أبي وجماعة عن سعد ومحمد العطار معا عن ابن أبي الخطاب عن نصر بن مزاحم عن عمرو بن سعيد عن علي بن حماد عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال عليّ عليه السلام للحسين عليه السلام يا أبا عبد الله أسوة أنت قدما فقال : جعلت فداك ما حالي قال : علمت ما جهلوا وسينتفع عالم بما علم يا بني اسمع وأبصر من قبل يأتيك فوالذي نفسي بيده ليسفكن بنو أمية دمك ثم لا يريدونك عن دينك ولا ينسونك ذكر ربك فقال الحسين عليه السلام: والذي نفسي بيده حسبي، وأقررت بما أنزل الله وأصدق نبي الله ولا أكذب قول أبي(١١٣).

(**١٩**) . شا، [الإرشاد] روى إسماعيل بن صبيح عن يحيى بن المسافر العابدي عن إسماعيل بن زياد قال : إن عليا عليه السلام قال للبراء بن عازب ذات يوم: يا براء يقتل ابني الحسين وأنت حي لا تنصره فلما قتل الحسين عليه السلام كان البراء بن عازب يقول : صدق والله علي بن أبي طالب قتل الحسين ولم أنصره ثم يظهر على ذلك الحسرة والندم(١١٤).

(٢٠) . كشف، [كشف الغمة] شا، [الإرشاد] روى عبد الله بن شريك العامري قال: كنت أسمع أصحاب عليّ إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا قاتل الحسين وذلك قبل أن يقتل بزمان طويل[١١٥].

(٢١) . كشف، [كشف الغمة] شا، [الإرشاد] روى سالم بن أبي حفصة قال: قال عمر بن سعد للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله إن قبلنا ناسا سفهاء يزعمون أني أقتلك فقال له الحسين عليه السلام: أنهم ليسوا سفهاء ولكنهم حلماء أما إنه يقر عيني أن لا تأكل بر العراق بعدي إلا قليلاً[١١٦].

(٢٢) . قب، [المناقب لابن شهرآشوب] ابن عباس سألت هند عائشة أن تسأل النبي تعبير رؤيا فقال: قولي لها فلتقصص رؤياها فقالت: رأيت كأن الشمس قد طلعت من فوقي والقمر قد خرج من مخرجي وكان كوكبا خرج من القمر أسود فشد على شمس خرجت من الشمس أصغر من الشمس فابتلعها فاسود الأفق لابتلاعها ثم رأيت كواكب بدت من السماء وكواكب مسودة في الأرض إلا إن المسودة أحاطت بأفق الأرض من كل مكان .

فاكتحلت عين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بدموعه ثم قال : هي هند اخرجي يا عدوة الله . مرتين . فقد جددت عليَّ أحزاني ونعيت إليّ أحبابي فلما خرجت قال: اللهم العنها والعن نسلها فسئل عن تفسيرها فقال عليه السلام: أما الشمس التي طلعت عليها فعلي بن أبي طالب عليه السلام والكوكب الذي خرج كالقمر أسود فهو معاوية مفتون فاسق جاحد لله وتلك الظلمة التي زعمت ورأت كوكبا يخرج من القمر أسود فشد على شمس خرجت من الشمس أصغر من الشمس فابتلعها فاسودت فذلك ابني الحسين عليه السلام يقتله

ابن معاوية فتسود الشمس ويظلم الأفق وأما الكواكب السود في الأرض أحاطت بالأرض من كل مكان فتلك بنو أمية(١١٧).

(**٢٣**) . فر، [تفسير فرات بن إبراهيم] جعفر بن محمد الفزاري معنعنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان الحسين مع أمه تحمله فأخذه النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم وقال : لعن الله قاتلك ولعن الله سالبك وأهلك الله المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك قالت فاطمة الزهراء عليها السَّلام: يا أبت أي شيءتقول؟ قال: يا بنتاه ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عصبة كأنهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل وكأني أنظر إلى معسكرهم، وإلى موضع رحالهم وتربتهم . قالت: يا أبه وأين هذا الموضع الذي تصف؟، قال : موضع يقال له كربلاء وهي دار كرب وبلاء علينا وعلى الأمة يخرج عليهم شرار أمتي، لو أن أحدهم شفع له من في السماوات والأرضين ما شفعوا فيه وهم المخلدون في النار . قالت: يا أبة فيقتل قال : نعم يا بنتاه وما قتل قتلته أحد كان قبله ويبكيه السماوات والأرضون والملائكة والوحش والنباتات والبحار والجبال ولو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفس ويأتيه قوم من محبينا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا منهم وليس على ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم أولئك مصابيح في ظلمات الجور وهم الشفعاء وهم واردون حوضي غداً أعرفهم إذا وردوا عليَّ بسيماهم، وكل أهل دين يطلبون أئمتهم وهم يطلبوننا، لا يطلبون غيرنا، وهم قوام الأرض وبهم ينزل الغيث فقالت فاطمة الزهراء عليها السَّلام: يا أبة إنا لله وبكت فقال لها : يا بنتاه إن أفضل أهل الجنان

هم الشهداء في الدنيا بذلوا ﴿**أَنْفُسَهُمْ وأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا**﴾ فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قتلة أهون من ميتة ومن كتب عليه القتل خرج إلى مضجعه ومن لم يقتل فسوف يموت .

يا فاطمة بنت محمد أما تحبين أن تأمري غدا بأمر فتطاعين في هذا الخلق عند الحساب؟ أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش؟ أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة؟ أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش عن الحوض فيسقي منه أولياءه ويذود عنه أعداءه؟ أما ترضين أن يكون بعلك قسيم النار يأمر النار فتطيعه، يخرج منها من يشاء ويترك من يشاء .

أما ترضين أن تنظري إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليك وإلى ما تأمرين به، وينظرون إلى بعلك قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله فما ترين الله صانع بقاتل ولدك وقاتليك وقاتل بعلك إذا أفلجت حجته على الخلائق وأمرت النار أن تطيعه؟ أما ترضين أن يكون الملائكة تبكي لابنك وتأسف عليه كل شي ء؟، أما ترضين أن يكون من أتاه زائرا في ضمان الله ويكون من أتاه بمنزلة من حج إلى بيت الله واعتمر ولم يخل من الرحمة طرفة عين، وإذا مات مات شهيدا وإن بقي لم تزل الحفظة تدعو له ما بقي، ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتى يفارق الدنيا . قالت: يا أبة سلمت ورضيت وتوكلت على الله فمسح على قلبها ومسح عينيها، وقال إني و بعلك وأنتِ وابنيك في مكان تقر عيناك ويفرح قلبك[١١٨].

(٢٤) . وروي في بعض الكتب المعتبرة عن لوط بن يحيى عن عبد الله بن قيس قال: كنت مع من غزا مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفين وقد أخذ أبو أيوب الأعور السلمي الماء وحرزه عن الناس فشكا المسلمون العطش فأرسل فوارس على كشفه فانحرفوا خائبين فضاق صدره، فقال له ولده الحسين عليه السلام: أمضي إليه يا أبتاه فقال : امضِ يا ولدي فمضى مع فوارس فهزم أبا أيوب عن الماء وبنى خيمته وحط فوارسه، وأتى إلى أبيه وأخبره .

فبكى عليّ عليه السلام فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين وهذا أول فتح ببركة الحسين عليه السلام فقال: ذكرت أنه سيقتل عطشانا بطف كربلاء حتى ينفر فرسه ويحمحم ويقول الظليمة الظليمة لأمة قتلت ابن بنت نبيها.

(٢٥) . وروى ابن نماره في مثير الأحزان عن ابن عباس قال : لما اشتد برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مرضه الذي مات فيه ضم الحسين عليه السلام إلى صدره يسيل من عرقه عليه وهو يجود بنفسه، ويقول ما لي وليزيد لا بارك الله فيه اللهم العن يزيد ثم غشي عليه طويلا وأفاق وجعل يقبل الحسين عليه السلام وعيناه تذرفان ويقول أما إن لي ولقاتلك مقاما بين يدي الله عز وجل[١١٩] .

(**ثانياً**): إن خلوّ الذهنية عن حتمية الإستشهاد . لو سلّمنا معه بفرضيتها . ليس من اللوازم العقلية التي لا تنفك عن الملزوم حتى تكون حجة ويستشهد بها صاحب الدعوى العلاّمة الأمين.

(**ثالثاً**): إذا ما كان خلوّ الذهنية العامة دليلاً على عدم حتمية الإستشهاد، فلِمَ تخلت هذه الألوف . التي زحفت مع الإمام الحسين إلى العراق . عن مشروع إقامة حكومة إسلامية لمّ ا علمت بأنّ الإمام الحسين

عليه السلام لن يسعه إقامة تلك الحكومة التي سينالون من خلالها الح ظوة والكرامة منه؟!

وبعبارة أخرى :

إذا ماكان هناك ملازمة . بنظر العلاّمة الأمين . بين خلوّ الذهنية العامة وبين عدم علمه بحتمية الإستشه اد فلماذا تخلت تلك الألوف التي زحفت مع الإمام الحسين عن مشروعها في إقامة حكومة إسلامية لمّ ا تيقنت الموت من خلال تصريحات الإمام الحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى العراق؟

إن انسحاب تلك الجموع من ساحة القتال قبل نشوبه دلالة واضحة على أنها خرجت معه طمعاً بالح ظوة منه عليه السلام والكرامة لديه، فلما يئست من ذلك، تراجعت عن نصرته، وارتدت عن موالاته.

فسواء قلنا بخلو الذهنية العامة عن الإستشهاد أ و لم نقل، فلا علاقة له البتة بنفي حتمية الإستشهاد والتي ادّعى لزوميتها السيّد المذكور، وما إرسال الكتب التي عُدّت آنذاك بالألوف إلاّ مُلطَاَةً وتسويفاً من أكثر أصحابها، بل وعدم اعتقادهم بمضامينها ، ويشهد لما قلنا خطبة الإمام الحسين عليه السلام أمام معسكر ابن سعد يعظهم ويذكّرهم بمواعيدهم وكتبهم وأنهم شرار الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرفي الكَ لِمْ، وعصبة الآثام، وإليكَ . أخي القارئ . ما قاله الإمام الحسين عليه السلام:

" تبّاً لكم أيّتها الجماعة وترحاً حين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها

على عدوّنا وعدوّكم، فأصبحتم أولياء لأعدائكم على أوليائكم بغير عدلٍ أفشوه فيكم ولا أملٍ لكم فيهم .

فهلاّ . لكم الويلات . تركتمونا والسّيف مِشيمٌ والجأش ضامرٌ والرّأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطير الدِبا، وتداعيتم إليها كتهافت الفراش .

فسحقاً لكم يا عبيد الأمّة، وشرار الأحزاب، ونبَذة الكتاب، ومحرِّفي الكلم، وعصبة الآثام، ونفثة الشيطان، ومطفئ السّنن .

أهؤلاءِ تعضدون، وعنّا تتخاذلون؟!

أجل، والله غدرٌ فيكم قديم وشحّت [خ ل : وشجت إليه] عليه أصولكم، وتأزّرت عليه فروعكم، فكنتم أخبث شجاً للناظر وأكلةً للغاضب .

ألا وإنّ الدّعيّ ابن الدّعيّ قد رَكَزَ بين اثنتين: بين السِّلّة، والذِّلَّة، وهيهات منا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وحجورٌ طَهُرَت وأنوفٌ حميّة ونفوسٌ أبيّة: من أنْ تؤثر طاعة اللّئام على مصارع الكرام .

ألا وإني زاحفٌ بهذه الأُسرة مع قلّة العدد وخذلان النّاصر .

ثمّ أوصل كلامه عليه السلام بأبيات فروة بن مسيك المرادي:

فإنْ نُهزَم فهزّامـون قـدمـاً	وإن نغلـب فغير مغلبينا
ومـا أن طبّنا جـبن ولكـن	منايانا ودولـة آخريـنا
إذا ما الموت رفّـع عن أناسٌ	كلاكله أناخ بآخرينـــا

فأفنى ذلكم سروات قومي كما أفنى القرون الأوّلينا

فلو خلد الملوك إذاً خلدنا ولو بقي الكرام إذاً بقينا

فقل للشامتين بنا: أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

ثمّ قال: "أما والله لا تلبثون بعدها إلاّ كريث ما يركب الفرس حتى يدور بكم الرّحى ويقلق بكم قلق المحور، عهدٌ عهده إليّ أبي عن جدّي، فأجمِعوا أمركم وشركاءكم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثمّ اقضوا إليّ ولا تنظرون .

إني توكّلت على الله ربّي وربّكم، ما من دابّة إ لاّ وهو آخذٌ بناصيتها، إنّ ربّي على صراط مستقيم .

اللهمّ احبس عنهم قطر السّماء، وابعث عليهم سنين كسنين يوسف، وسلِّط عليهم غلام ثقيف يسومهم كأساً مصبرة، فإنهم كذّبونا وخذلونا، وأنت ربّنا عليكَ توكّلنا وإليكَ أنبنا وإليكَ المصير"(١٢٠).

وقوله عليه السلام للحرّ عندما جعجع به: " فإذا كنتم خلاف ما أتتني به كتبكم وقدمت به عليّ رسلكم، فإني ارجع إلى الموضع الّذي أتيتُ منه"(١٢١).

هذا مضافاً إلى ما جرى بين الإمام الحسين ورسول عمر بن سعد، وهو كالآتي:

بعد أنْ نزل الكوفيّون قريباً من عسكر الإمام الحسين عليه السلام وكان عددهم آنذاك ثمانون ألف فارس دعى ابن سعد بكثير بن شهاب وقال له:

إنطلق إلى الإمام الحسين عليه السلام وقل له ما الّذي جاء بك إلينا وأقدمكَ علينا؟.

فأقبل حتى وقف بإزاء الإمام الحسين عليه السلام ونادى يا حسين ما الّذي جاء بك إلينا وأقدمكَ علينا؟.

فقال الإمام الحسين عليه السلام: أتعرفون هذا الرّجل؟.

فقال أبو ثمامة الأسدي رحمه الله: هذا من أشرّ اهل الأرض .

فقال الإمام الحسين عليه السلام: سلوه ما يريد؟.

فقال: أريد الدّخول على الحسين عليه السلام .

فقال له زهير بن القين رحمه الله: ألقِ سلاحك وادخل .

فقال: لستُ أفعل .

فقال له زهير: إنصرف من حيث أتيت .

فانصرف إلى ابن سعد وأخبره فأنفذ برجل آخر من خزيمة وقال له: إمضِ إلى الحسين عليه السلام وقل له: ما الّذي جاء بك إلينا وأقدمك علينا؟

فأقبل حتى وقف بأزاء الإمام الحسين عليه السلام فنادى.

فقال الإمام الحسين عليه السلام: أتعرفون هذا الرّجل؟

فقالوا: هذا رجل فيه الخير إلاّ أنه شهد هذا الموضع .

فقال عليه السلام: سلوه ما يريد؟

فقال: أريد الدخول على الإمام الحسين عليه السلام .

فقال له زهير رحمه الله: ألقِ سلاحك وادخل .

فقال: حبّاً وكرامة ثمّ ألقى سلاحه ودخل عليه فقبّل يديه ورجليه وقال : يا مولاي ما الّذي جاء بك وأقدمك علينا ؟.

قال عليه السلام: كتبكم.

قال رسول ابن سعد؟ الّذين كاتبوك هم اليوم من خواص ابن زياد.
فقال له: ارجع إلى صاحبك وأخبره بذلك .
فقال: يا مولاي من الّذي يختار النار على الجنّة فوالله ما أفارقك حتى ألقى حمامي بين يديك .
فقال له الإمام الحسين عليه السلام: واصلكَ الله كما واصلتنا بنفسك، ثمّ اقام رضوان الله تعالى عليه عند الإمام الحسين عليه السلام حتى قُتِل رحمه الله(١٢٢) .

ولم يكتفوا بالخيانة بل أنهم أنكروا تلك الرسائل التي أرسلوها للإمام حينما نادى الإمام الحسين: ويلك يا شبث بن ربعي ويا كثير بن شهاب ويا فلان ويا فلان ألم تكتبوا إليّ أن أقدم علينا لك ما لنا وعليك ما علينا؟
فقالوا: لم نفعل شيئاً من ذلك.
فقال الإمام الحسين عليه السلام: إذا كرهتموني دعوني أنصرف إلى ما شئت من الأرض.
فقال قيس بن الأشعث : إنزل على حكم الأمير ابن زياد فما ترى إلاّ ما تحبّ .
فقال الإمام الحسين عليه السلام: والله لا أعطي بيدي إعطاء الذليل ولا أفرّ فرار العبيد ثمّ تلا :﴿**إني عذت بربّي و ربّكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب**﴾(غافر/٢٧) ثمّ أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان أنْ يعقلها بفاضل زمامها وجلس(١٢٣).

وفي رواية أخرى: "...قال لهم الإمام الحسين عليه السلام: فإنْ كنتم في شكٍّ من هذا أفتشكّون أني ابن بنت نبيّكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت

نبيّ غيري فيكم، ولا في غيركم، ويحكم أتطلبوني بقتيل لكم قتلته؟ أو مال لكم استهلكته؟ أو بقصاص من جراحة؟ فأخذوا لا يكلّمونه فنادى عليه السلام: يا شبث بن ربعي يا حجار بن أبجر يا قيس بن الأشعث يا يزيد بن الحارث ألم تكتبوا إلي أنْ قد أينعت الثمار، واخضرّ الجناب، وإنم ا تقدم على جندٍ لكَ مجنّد؟ فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما تقول ولكن أنزل علىحكم بني عمك. فقال لهم الإمام: لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ إقرار العبيد .

ثمّ نادى عليه السلام: يا عباد الله إني عذت بربّي وربّكم أنْ ترجمون، وأعوذ بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب .

ثمّ إنه أناخ راحلته وأمر عُقبة بن سمعان بعقلها، وأقبلوا يزحفون نحوه " (١٢٤).

فكيف يُستدل حينئذٍ على عدم حتمية الإستشهاد بخلو الذهنية العامة منها وقد أنكروها من أجلها؟ !! فمن لا يؤمن بما في النصوص من حتميّة الإستشهاد كيف يدعو الإمام الحسين لإقامة مشروع شهادة، وهو أمر يتطلب روحية عالية من التقى ورفض الزخارف، وشيء من هذا لم يكن حاصلاً لدى المجتمع الكوفي.

الدليل الثاني: إدّعى العلاّمة السّيّد الأمين عدم وجود روايات تثبت علم الإمام بإستشهاده، ولو كانت موجودة لما خفيت عل ى أصحاب رسول الله وأصحاب أمير المؤمنين، ثم إن إستقبال أهل الكوفة لمسلم بن عقيل

شاهد آخر على عدم وجود هذه الأحاديث في أذهانهم، وإلا لو كانت موجودة لما استقبلوه هذا الإستقبال[١٢٥].

يرد عليه:

(أوّلاً): دعوى عدم وجود نصوص تثبت علم الإمام عليه السلام بشهادته مصادرة على المطلوب، إذ إن النصوص الدالّة على علمه بمصيره وافرة جدّاً بلغت حدّ التواتر حيث يلوح منها أنه مسبوق العلم بأنباءٍ من جده وأبيه وأمه وأخيه وحاشيته وذويه، عدا من علمه الخاص عبر الإلهام الإلهي له أو العِلْم الحضوريّ بأنه مقتول بسيف البغي لا محالة أو ي رضخ إلى حكم يزيد الطاغية، والرضوخ ليس من شيمه وسجيته، فإذا كان الأ مر كذلك، فهلاّ يرسم العقل الناضج لمثل هذا الفتى العظيم المستميت خطة غير الخطة التي مشى عليها حسين الفضيلة ، قوامها الشرع وزمامها النبل، ولسان حاله يقول:

مشيناها خطىً كتبت علينا ومن كتبت عليه خطىً مشاها

(ثانياً): إنّ نبذ السيد المذكور للنصوص المتواترة، مقدّماً إستحسانه العقلي عليها محرَّ مٌ قطعاً، ويخلّ بالموازين الإعتقاديّة، إلاّ إذا كان عن شبهة راسخة نتيجة إعوجاج في فهم الأخبار، لكنْ ثمة قرائن كثيرة منفصلة تدلّ على عدم إراد ة الإمام عليه السلام للذهاب إلى الكوفة لإقامة الحكومة الإسلاميّة المنشودة بمعونة أهل الغدر وهم كُثر يومذاك .

هذا وقد دلّت الأخبار المتواترة معنىً . حسبما أشرنا . على أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان عالِماً بزمن شهادته، ومكان وقوعها وهي كربلاء، لذا كان قاصِداً تلك البقعة التي سيسفك دمه الطّاهر عليها إحياءً للتوحيد الأفعاليّ لله تعالى؛ فنبذ السيّد المذكور لهذه الأخبار، وتقديمه الظنون الشخصيّة على تلكم الأخبار المعتبَرة، هي سابقة خطيرة في أوساطنا الشيعيّة، قد سبقه إليها فخر المشكّكين السّيّد محمّد حسين فضل الله، ﴿**وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون، والعاقبة للمتقين**﴾ (الشعراء/٢٢٧).

فيظهر أن صاحب الدّعوى لا يعتبر الخبر المتواتر حجة وإلاّ لَمَا قدَّم ظنونه الشخصية واستحساناته العقلية على الأخبار المستفيضة والمتواترة، فالأ قيسه هي مصدره الأوّلي في استنباط الحكم الشّرعي، وقد لحظنا ذلك في كتابه عن الثورة الحسينيّة وخلال محاورة معه منذ سنين ، ومَن كان بهذه الصفة يُعَدُّ رادّاً على عترة نبيه الأكرم محمّد ص لى الله عليه وآله وسلَّم حسبما جاء في الأخبار المتضافرة عنهم، منها: ما ورد في موثقة أبي عبيدة الحذاء قال:

سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: والله ان أحبّ أصحابي إليّ أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا، وإن أسوأهم عندي حالاً وأمقتهم للّذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنّا فلم يقبله إشمأز منه وجحده وكفّر من دان به وهو لا يدري لعلّ الحديث من عندنا خرج وإلينا أُسند، فيكون بذلك خارجاً عن ولايتنا "[١٢٦].

وأورد الكليني في أصول الكافي العديد من هذه الأحاديث باب البدع والمقاييس ونحن نورده هنا ليكون القارئ على بيّنة من هذا الموضوع:

(١) . الحسين بن محمّد الأشعريّ عن معلّى بن محمّد عن الحسن بن عليّ الوشّاء وعدّة من أصحابنا عن أحمد بن مح مّد عن ابن فضّال جميعاً عن عاصم بن حميد عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام النّاس فقال : أيّها النّاس إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع ، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب اللّه يتولّى فيها رجال رجالا فلو أنّ الباطل خلص لم يخف على ذي حجى، ولو أنّ الحقّ خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ الشّيطان على أوليائه ونجا الّذين سبقت لهم من اللّه الحسنى .

(٢) . الحسين بن محمّد عن معلّى بن محمّد عن محمّد بن جمهور العمّيّ يرفعه قال: قال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم : إذا ظهرت البدع في أمّتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة اللّه .

(٣) . وبهذا الإسناد عن محمّد بن جمهور رفعه قال : من أتى ذا بدعة فعظّمه فإنّما يسعى في هدم الإسلام .

(٤) . وبهذا الإسناد عن محمّد بن جمهور رفعه قال: قال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم : أبى اللّه لصاحب البدعة بالتّوبة ، قيل: يا رسول اللّه وكيف ذلك؟ قال: إنّه قد أشرب قلبه حبّها.

(٥) . محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن معاوية بن وهب قال : سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: قال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم : إنّ عند كلّ بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإيمان وليّا من أهل بيتي موكّلا به يذبّ عنه، ينطق بإلهام من اللّه ويعلن الحقّ

وينوّره ويردّ كيد الكائدين، يعبّر عن الضّعفاء فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكّلوا على اللّه .

(٦) . محمّد بن يحيى عن بعض أصحابه وعليّ بن إبراهيم عن أبيه عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد اللّه عليه السلام وعليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب رفعه، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: إنّ من أبغض الخلق إلى اللّه عزّ وجلّ لرجلين : رجل وكله اللّه إلى نفسه فهو جائر عن قصد السّبيل مشغوف بكلام بدعة قد لهج بالصّوم والصّلاة فهو فتنة لمن افتتن به، ضالّ عن هدي من كان قبله ، مضلّ لمن اقتدى به في حياته وبعد موته، حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئته . ورجل قمش جهلا في جهّال النّاس، عان بأغباش الفتنة قد سمّاه أشباه النّاس عالما ولم يغن فيه يوما سالما بكّر فاستكثر ما قلّ منه خير ممّا كثر حتّى إذا ارتوى من آجن أو اكتنز من غير طائل، جلس بين النّاس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره ، وإن خالف قاضيا سبقه، لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتي بعده، كفعله بمن كان قبله، وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هيّأ لها حشواً من رأيه ثمّ قطع به فهو من لبس الشّبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ ، لا يحسب العلم في شيء ممّا أنكر ولا يرى أنّ وراء ما بلغ فيه مذهبا إن قاس شيئا بشيء لم يكذّب نظره وإن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه، لكيلا يقال له: لا يعلم، ثمّ جسر فقضى فهو مفتاح عشوات ، ركّاب شبهات، خبّاط جهالات، لا يعتذر ممّا لا يعلم فيسلم ولا يعضّ في العلم بضرس قاطع فيغنم **يذري الرّوايات ذرو الرّيح الهشيم** تبكي منه

المواريث وتصرخ منه الدّماء يستحلّ بقضائه الفرج الحرام ، ويحرّم بقضائه الفرج الحلال، لا مليء بإصدار ما عليه ورد ، ولا هو أهل لما منه فرط ، من ادّعائه علم الحقّ[١٢٧].

(٧) . الحسين بن محمّد عن معلّى بن محمّد عن الحسن بن عليّ الوشّاء عن أبان بن عثمان عن أبي شيبة الخراسانيّ قال : سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: إنّ أصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس فلم تزدهم المقاييس من الحقّ إلاّ بعداً وإنّ دين اللّه لا يصاب بالمقاييس[١٢٨].

(٨) . عليّ بن إبراهيم عن أبيه ومحمّد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان رفعه عن مولانا أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد اللّه عليه السلام قالا: كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة سبيلها إلى النّار[١٢٩].

(٩) . عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن محمّد بن حكيم قال: قلت لمولانا أبي الحسن موسى عليه السلام: جعلت فداك فـُقّهنا في الدّين وأغنانا اللّه بكم عن النّاس حتّى إنّ الجماعة منّا لتكون في المجلس ما يسأل رجل صاحبه تحضره المسألة ويحضره جوابها فيما منّ اللّه علينا بكم، فربّما ورد علينا الشّيء لم يأتنا فيه عنك ولا عن آبائك شيء، فنظرنا إلى أحسن ما يحضرنا وأوفق الأشياء لما جاءنا عنكم فنأخذ به ؟ فقال: هيهات هيهات في ذلك واللّه هلك من هلك يا ابن حكيم قال: ثمّ قال: لعن اللّه أبا حنيفة كان يقول: قال عليّ ، وقلت: قال: محمّد بن حكيم لهشام بن الحكم واللّه ما أردت إلاّ أن يرخّص لي في القياس .

(**١٠**) . محمّد بن أبي عبد اللّه رفعه عن يونس بن عبد الرّحمن قال: قلت: لأبي الحسن الأوّل عليه السلام بما أوحّد اللّه فقال يا يونس لا تكوننّ مبتدعا من نظر برأيه هلك ، ومن ترك أهل بي ت نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم ضلّ ، ومن ترك كتاب اللّه وقول نبيّه كفر[١٣٠].

(**١١**) . محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن الوشّاء عن مثنّى الحنّاط عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب اللّه ولا سنّة فننظر فيها ؟ فقال: لا أما إنّك إن أصبت لم تؤجر وإن أخطأت كذبت على اللّه عزّ وجلّ [١٣١].

(**١٢**) . عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن عليّ بن الحكم عن عمر بن أبان الكلبيّ عن عبد الرّحيم القصير عن مولانا أبي عبد اللّه عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّ م كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النّار[١٣٢] .

(**١٣**) . عليّ بن إبراهيم عن محمّد بن عيسى بن عبيد عن يونس بن عبد الرّحمن عن سماعة بن مهران عن مولانا أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قلت: أصلحك اللّه إنّا نجتمع فنتذاكر ما عندنا فلا يرد علينا شي ء إلاّ وعندنا فيه شيء مسطّر وذلك ممّا أنعم اللّه به علينا بكم ثمّ يرد علينا الشّي ء الصّغير ليس عندنا فيه شي ء فينظر بعضنا إلى بعض وعندنا ما يشبهه فنقيس على أحسنه فقال: وما لكم وللقياس إنّما هلك من هلك من قبلكم بالقياس ثمّ قال: إذا جاءكم ما تعلمون فقولوا به وإن جاءكم ما لا تعل‌مون فها . وأهوى بيده إلى فيه . ثمّ قال: لعن اللّه أبا حنيفة كان يقول قال عليّ ، وقلت أنا

وقالت الصّحابة وقلت : ثمّ قال : أكنت تجلس إليه فقلت : لا ولكن هذا كلامه فقلت: أصلحك اللّه أتى رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم النّاس بما يكتفون به في عهده؟ قال: نعم، وما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة فقلت : فضاع من ذلك شيء فقال: لا هو عند أهله [١٣٣].

(١٤) . عنه عن محمّد عن يونس عن أبان عن أبي شيبة قال : سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: ضلّ علم ابن شبرمة عند الجامعة إملاء رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم وخطّ عليّ عليه السلام بيده إنّ الجامعة لم تدع لأحد كلاما فيها علم الحلال والحرام إنّ أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحقّ إلاّ بعداً إنّ دين اللّه لا يصاب بالقياس[١٣٤] .

(١٥) . محمّد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان عن صفوان بن يحيى عن عبد الرّحمن بن الحجّاج عن أبان بن تغلب عن مولانا أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إنّ السّنّة لا تقاس ألا ترى أنّ امرأة تقضي صومها ولا تقضي صلاتها يا أبان! إنّ السّنّة إذا قيست محق الدّين[١٣٥].

ومَن أراد المزيد فليراجع : أصول الكافي :٥٤/١ . ٥٨ باب البدع والرّأي والمقاييس .

فترجيح أخي الع لاّمة السّيّد ظنونه الشّخصيّة على تلك النّصوص الصّحيحة والموثقة خلاف قواعد الترجيح المعتبرة شرعاً لتواترها، فبأي حقّ طرح السّيّد المذكور وأمثاله تلك النصوص مقدمين ظنونهم الشّخصيّة عليها؟!

إشكالٌ ودفع:

إنْ قيل: إنّ هذه النصوص ضعيفة بنظر المستشكِل صا حب الدَّعوى، لذا لم يعوِّل عليها لعدم صحّة الإستدلال فقهيّاً بالضعيف، فيثبت المطلوب.

قلنا: إنّ تلك النصوص لو سلَّمنا بضعف أسانيدها . ولكنها غير ضعيفة لتواترها حسبما أشرنا سابقاً . لا يجوز طرحها، وتقديم الظّنّ الشخصيّ عليها، لعدم اشتراط الوثاقة في الأخبار التاريخيّة ما دامت لا تخالف الكتاب الكريم وأحكام العقل السَّلِيم، فكيف إذا ما كشفت عن طهارة المعصوم وكونه منزَّهاً عن الجهل بالموضوعات التي يترتّب عليها حُكم شرعيّ عدا عن غيرها أيضاً.

ثالثاً: لا ملازمة بين استقبال أهل الكوفة لمسلم وبين عدم وجود أحاديث تثبت علم الإمام باستشهاده . كما ادّعى السيّد المذكور . إذ قد يكون استقبالهم لمسلم تجاهلاً منهم للنصوص، أو غَدْراً له لعدم إيمانهم بتلك النصوص، أو أنهم لم يبالوا بها، أو أن أكثرهم لم يبقَ إلى زمن تطبيقها على مواردها كما أشرنا سابقاً في الردّ على الدليل الأول .

الدليل الثالث : نعي الثورة قبل ولادتها، إذ لو كانت الأخبار التي تتحدث عن إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء منتشرة ومعروفة لكانت من أهم الأمور التي يسعى النظام للإستفادة منها عبر المساهمة بنشرها بشكل واسع لأنها تساهم في القضاء على حركة الإمام الحسين عليه السلام[١٣٦].

يرد عليه:

(**أولاً**) . متى آمن النظام الأموي أو اعتقد بالأخبار النبوية حتى يساهم في نشرها، ويزيد القائل:

ومسألة تحريف الأحاديث عند الأمويين يومذاك ، لا يختلف عليه ا إثنان، لقد ركّب بنو أميّة الأسانيد على الم بغضاً بآل محمّد عليهم السَّلام، من هنا جاءت الأخبار الم تواترة معنىً عن عترة رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين تأمر بعرض أخبارهم المنسوبة إليهم على كتاب الله منها ما ورد:

(١) . موثقة السكوني عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله: أن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه(١٣٧).

(٢) . موثقة عبد الله بن أبي يعفور قال:حدثني الحسين بن أبي العلا أنه حضر إبن أبي يعفور في هذا المجلس قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به،ومنهم من لا نثق به، قال :إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله وإلاّ فالّذي جاءكم به أولى به(١٣٨).

(٣) . وفي خبر عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف(١٣٩).

(٤) . مقبولة عمر بن حنظلة قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «...فإن كان الخبران عنكم مشهورين قد رواهما الثقات عنكم ؟ قال عليه السلام: ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنّة وخالف العامة فيؤخذ به، ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنّة ووافق العامّة، قال:قلت: جعلت فداك إن رأيت

إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسُنّة، ووجدنا أحد الخبرين موافقاً للعامة والآخر مخالفاً له م بأي الخبرين يؤخذ؟ قال عليه السلام: ما خالف العامة ففيه الرشاد، فقلت: جعلت فداك فإن وافقه م ا الخبران جميعاً ؟، قال عليه السلام: ينظر إلى ما هم إليه حكّامهم أميل وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر، فقلت: فإنْ وافق حكّامهم الخبرين جميعاً؟، قال عليه السلام: إذا كان كذلك فارجه حتّى تلقى إمامك، فإن الوقوف عند الشبهات خير من الإقتحام في الهلكات(١٤٠).

والحكمة من عدم جواز الأخذ بأخبارهم المنسوبة إليهم والموافقة لأخبار العامة؛ هي أمران:

الأمر الأوّل: إنّ قضاة العامّة وحكّامهم لا يأخذون بأخبار الأئمّة عليهم السَّلام، فلعلّ هذه الأخبار المنسوبة، تكون صادرة من هؤلاء الحكّام، ومَن لم يأخذ بأخبار الأئمّة يكون مشرِّعاً في مقابل تشريع الله المتمثل بهم عليهم السَّلام .

الأمر الثاني: إنّ قضاتهم وحكّامهم، أخذوا بأخبار أعداء الأئمّة عليهم السَّلام من الرّواة الّذي لا يُؤمَن عليهم من الكذب، إبطالاً منهم لأمْرِ أئمّتنا عليهم السَّلام .

هذا مضافاً إلى أن هؤلاء يستقون م عارفهم من حكّام الجور الّذين قبلوا كل فضيلة لا تُنسب إلى عترة رسول الله، وإلى هذه النكتة أشارت الأخبار الكثيرة؛ منها ما ورد في مرفوعة أبي إسحاق الأرجانيّ عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: أتدري لِمَ أُمرتم بالأخذ بخلاف ما تقوله العامة؟ فقلت : لا أدري،

فقال عليه السلام: إن علياً عليه السلام لم يكن يدين الله بدين إلاّ خالف عليه الأمة إلى غيره، إرادة لإبطال أمره، وكانوا يسألون أمير المؤمنين عليه السلام عن الشيء الّذي لا يعلمونه فإذا أفتاهم جعلوا له ضداً من عندهم ليلبسوا على الناس(١٤١).

(ثانياً) . إنه ليس من مصلحة يزيد أن يساهم في نشر أحاديث عن رسول الله محمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم تثبت كونه مجرماً سفّاكاً ظالماً، من هنا سكت عنها كما سكت أبوه عن كثير من الأحاديث الذامّة ببني أميّة، ولم يكتفِ بذلك حتّى حرّف كثيراً من مضامنيها وأثبت الفضائل لبني أمية عبر تركيب الأسانيد الرجالية على المتون.

من هنا تتضح صورة الواقع من أن يزيد بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام حاول أن يتملّص من قتله عليه السلام مدّعياً بأنّ إبن زياد قتله، فليس من مصلحة يزيد حينئذٍ أن يساهم بترويج أخبار عن النبيّ، تثبت أنّه ظالم وسفّاك.

فعدم نشر يزيد للأحاديث الدّالّة على الإستشهاد ليس دليلاً على نفي الشهادة أو دليلاً على نعي الثورة قبل ولادتها، بل العكس هو الصحيح وذلك لأن الإمام عليه السلام لو أراد الحكم، لكان يزيد تمسك بتلك الأخبار، ليثبت مدّعاه على الإمام عليه السلام بأنه أراد الإنقلاب على النظام، فاستحق القتل، فحيث لم ينشر يزيد تلك الأخبار، دلّ هذا على أن الإمام لم يرد الحكم أو السلطة، نعم العرف العام يفهم من إرسال الكتب الكثيرة من الكوفة إلى الإمام عليه السلام أنهم أرادوا من الإمام عليه السلام أن يكون حاكماً عليهم، لكنّ الإمام عليه السلام لم يرد ذلك لعلمه بخذلان أهل الكوفة لأبيه وأخيه، ولما سيفعلونه بسفيره مسلم، ولا مانع من إرسال سفيره مع تيقنه بأنهم

سيخذلونه، لما في ذلك من مصلحة أهم من المحافظة على حياة سفيره، وتلك المصلحة الأهمّ هي فضح المجتمع الكوفي الّذي تربّى على الخيانة وعدم الوفاء بالوعود. فلا مُلازَمَة حينئذٍ بين إرسال الكتب لإقامة حكومة بقيادة الإمام وبين عدم قصده عليه السلام لإنشاء حكومة كما يريدون، فما أرادوه ظاهراً لم يكن مقصوداً واقعاً عند الإمام عليه السلام لعدم وجود المبررات الموضوعية لإقامة حكومة إسلامية آنذاك.



هوامش الفصل الأوّل:

(١) . الموضوعات على نهج البلاغة: ٦٨٠ .

(٢) . الموضوعات على نهج البلاغة: ٦٨٠ .

(٣) . الموضوعات على نهج البلاغة: ٦٧٩ .

(٤) . الموضوعات على نهج البلاغة: ٦٨٦ .

(٥) . أصول الكافي: ١/٢٦٠ ح٨ .

(٦) . أصول الكافي: ١/٢٦٢ ح٤ .

(٧) . أصول الكافي: ١/٢٥٩ ح٤ .

(٨) . أصول الكافي: ١/٢٦٠ ح١ .

(٩) . أصول الكافي: ١/٢٦١ ح٢ .

(١٠). أصول الكافي: ١/٢٦١ ح٣ .

(١١). أصول الكافي: ١/٢٦٢ح٥ .

(١٢). أصول الكافي: ١/٢٦٢ح٦ .

(١٣). أصول الكافي: ١/٢٧٩ح١ .

(١٤). أصول الكافي: ١/٢٨٠ح٢ .

(١٥). أصول الكافي: ١/٢٨١ح٣ .

(١٦). أصول الكافي: ١/٢٨١ح٣ .

(١٧). أصول الكافي: ١/٢٨٣ح٥ .

(١٨). أصول الكافي: ١/٢٥٨ح١ .

(١٩). أصول الكافي: ١/٢٥٨ح٢ .

(٢٠). أصول الكافي: ١/٢٥٩ح٣ .

(٢١). أصول الكافي: ١/٢٥٩ح٤ .

(٢٢). أصول الكافي: ١/٢٦٠ح٥ .

(٢٣). أصول الكافي: ١/٢٦٠ح٦ .

(٢٤). أصول الكافي: ١/٢٦٠ح٧ .

(٢٥). أصول الكافي: ١/٢٥٨ح٨ .

(٢٦). المسائل العكبريّة، طبعة المفيد: ٧١ .

(٢٧). المقرّم/مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ٥١، وأجوبة المسائل المهنائيّة: ١٤٨ .

(٢٨). الدُّرة النجفيّة: ٥٨ .

(٢٩). مهج الدّعوات: ٢٦٥، ط. بومبي .

(٣٠). مهج الدّعوات: ٢٩٩ .

(٣١). مدينة المعاجز: ٣/٣٧٢ح٩٤، والخرايج: ١/٢٤٢ح٧ .

(٣٢). الخرايج والجرايح: ١/٢٤١ح٧، وبحار الأنوار: ٤٤/١٥٣ح٢٣ .

(٣٣). مدينة المعاجز: ٣/٢٦٩ح٥١ .

(٣٤). إعلام الورى: ٣٢٨ .

(٣٥). عيون أخبار الإمام الرّضا عليه السلام: ١/٩٤ح٦ .

(٣٦). منتهى الآمال: ٢/٣٤١، ومرآة العقول: ٣/١٢١ .

(٣٧). بحار الأنوار: ٥٠/١٧ح٢٦ نقلاً عن عيون المعجزات والمناقب: ٤/٣٩١ .

(٣٨). المناقب: ٤/٣٨٤، والبحار: ٥٠/ص٨، ومنتهى الآمال: ٢/ص٥٦٥ .

(٣٩). بصائر الدرجات: ٣٤ .

(٤٠). بحار الأنوار: ٤٢/ص٢٧٩ باب كيفيّة شهادته عليه السلام .

(٤١). لاحظ الكافي:٢٧٩/١ باب أنّ الأئمّة عليهم السَّلام لك يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلاّ بعهدٍ من الله وأمره .

(٤٢). بحار الأنوار:١٠٦/٥٣ نقلاً عن كامل الزيارات لإبن قولويه القمي، وأصول الكافي:٢٨٣/١ .

(٤٣). أصول الكافي:٢٨٢/١ ح٤ .

(٤٤). بصائر الدرجات:٥٠١ ح٣ باب أنهم يعرفون متى يموتون .

(٤٥). الطبقات الكبرى:٣٤/٣، ط. دار الصّادي بمصر، وصفحة:٢٤، ط. دار الكتب العلميّة .

(٤٦). الطبقات الكبرى:٢٤/٣ .

(٤٧). الطبقات الكبرى:٢٤/٣ .

(٤٨). الأغاني للأصفهاني:٦٩/١٤ .

(٤٩). إحقاق الحقّ:١١٠/٨ .

(٥٠). ينابيع المودّة:٤٤٣، ط. دار إسلامبول .

(٥١). إحقاق الحقّ:١١٢/٨ ـ ١١٣ .

(٥٢). ذخائر العقبى:٩١٨، ط، دار مكتبة القدس بمصر .

(٥٣). إحقاق الحقّ:١١٤/٨ .

(٥٤). إحقاق الحقّ:١١٥/٨ .

(٥٥). الطبقات الكبرى: ٣٥/٣، ط. دار الصادي بمصر، وصفحة:٢٥ ط. دار الكتب العلميّة .

(٥٦). إحقاق الحقّ:١١٦/٨ .

(٥٧). مسند الطيالسي:٢٣ .

(٥٨). إحقاق الحقّ:١١٧/٨ .

(٥٩). البداية والنهاية:٢١٨/٦، ط. دار السعادة بمصر .

(٦٠). إحقاق الحقّ:١١٩/٨ .

(٦١). الطبقات الكبرى:٣٤/٣، ط. دار الصدي بمصر .

(٦٢). إحقاق الحق:١١٩/٨ ـ ١٢٠ .

(٦٣). الكنى والأسماء للدولابي:١٤٣/١، ط. دار حيدر آباد الدكن .

(٦٤). إحقاق الحقّ:١٢٠/٨ .

(٦٥). الكامل في التاريخ:١٢١/٢ .

(٦٦). إحقاق الحقّ:١٢٠/٨.١٢١ .

(٦٧). الحنفي الموصلي/بحر المناقب:١٨ .

(٦٨). إحقاق الحقّ:١٢١/٨ .

(٦٩). الآمر تسري/أرجح المطالب:٦٧٨، ط. دار لاهور .

(٧٠). إحقاق الحقّ:١٢٢/٨ .

(٧١). الصواعق المحرقة: ٨٠، ط. دار الميمنة بمصر .

(٧٢). إحقاق الحقّ:١٢٣/٨ .

(٧٣). إحقاق الحقّ:١٢٤/٨ .

(٧٤). البغدادي:أسماء المغتالين: ١٦١، ط. القاهرة .

(٧٥). إحقاق الحقّ:١٢٦/٨ .

(٧٦). أخطب خوارزم/المناقب: ٢٧٣ .

(٧٧). إحقاق الحقّ:١٢٧/٨ نقلاً عن الأغاني: ٦٩/١٤ .

(٧٨). إحقاق الحقّ:١٢٨/٨ نقلاً عن منتخب كنز العمّال .

(٧٩). إحقاق الحقّ:١٢٩/٨ نقلاً عن الأغاني: ٦٩/١٤ .

(٨٠). مطهر بن طاهر المقدسي/البدء والتاريخ:٢٣٢/٥، ط. الخانجي بمصر .

(٨١). إحقاق الحق:١٢٩/٨.١٣٠ .

(٨٢). الطبقات الكبرى:٣٤/٣، ط. دار الصادي بمصر .

(٨٣). البدء والتاريخ:٢٣١/٥ .

(٨٤). بحار الأنوار:٢٧٥/٤٢و٢٦٢ .

(٨٥). بحار الأنوار:٢٦٢/٤٢ .

(٨٦). بحار الأنوار:٢٧٥/٤٢ .

(٨٧). بصائر الدرجات:٥٠١ح٤ .

(٨٨). مَن لا يحضره الفقيه: ٦١.٦٠/٣ح٢١٠و٢١١و٢١٢ .

(٨٩). محمّد جميل حمود/الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإماميّة:٢١٠/٢، ط. ثانية .

(٩٠). بحار الأنوار:٤٧/٤٤ .

(٩١). نور الثقلين:٦٤٢.٦٣٣/٥ .

(٩٢). علي الأمين/كيف نفهم الثورة الحسينية:٣٠ .

(٩٣). كيف نفهم الثورة الحسينية:٣٠ .

(٩٤). الخوارزمي/مقتل الإمام الحسين عليه السلام:١٦٥.١٦٤ .

(٩٥). مقتل الخوارزمي"١٦٠ .

(٩٦). بحار الأنوار:٢٥٠/٤٤ح١ .

(٩٧). بحار الأنوار:٢٥٠/٤٤ح٢ .

(٩٨). بحار الأنوار:٢٥٥/٤٤ح٣ .

(٩٩). بحار الأنوار:٢٥٥/٤٤ح٤ .

(١٠٠) بحار الأنوار:٤٤/٢٥٦ح٥ .

(١٠١) بحار الأنوار٤٤/٢٥٧ح٦ .

(١٠٢) بحار الأنوار:٤٤/٢٥٨ح٧ .

(١٠٣) بحار الأنوار:٤٤/٢٥٨ح٨ .

(١٠٤) بحار الأنوار:٤٤/٢٥٨ح٩ .

(١٠٥) بحار الأنوار:٤٤/٢٥٩ح١٠ .

(١٠٦) بحار الأنوار:٤٤/٢٥٩ح١١ .

(١٠٧) بحار الأنوار:٤٤/٢٦٠ح١٢ .

(١٠٨) بحار الأنوار:٤٤/٢٦٠ح١٢ .

(١٠٩) بحار الأنوار:٤٤/٢٦٠ح١٣ .

(١١٠) بحار الأنوار:٤٤/٢٦١ح١٤ .

(١١١) بحار الأنوار:٤٤/٢٦٠ح١٥ .

(١١٢) بحار الأنوار:٤٤/٢٦٢ح١٦).

(١١٣) بحار الأنوار:٤٤/٢٦٢ح١٧ .

(١١٤) بحار الأنوار:٤٤/٢٦٢ح١٨ .

(١١٥) بحار الأنوار:٤٤/٢٦٣ح١٩ .

(١١٦) بحار الأنوار:٤٤/٢٦٣ح٢٠ .

(١١٧) بحار الأنوار:٤٤/٢٦٣ح٢١ .

(١١٨) بحار الأنوار:٤٤/٢٦٤ح٢٢ .

(١١٩) بحار الأنوار:٤٤/٢٥٠.٢٦٦ح١.٢٤ باب ما أخبر به الرسول وأمير المؤمنين عليهما السلام بشهادته صلوات الله عليه .

(١٢٠) إبن طاووس/اللهوف:١٥٥.١٥٧ .

(١٢١) اللهوف:١٣٧ .

(١٢٢) مقتل مقتل أبي مخنف:٨٣.٨٠ .

(١٢٣) مقتل أبي مخنف:٨٦ .

(١٢٤) بحار الأنوار:٤٥/٧ح١ نقلاً عن الإرشاد للمفيد .

(١٢٥) كيف نفهم الثورة الحسينيّة:٣٠ بتصرّف ببعض الألفاظ .

(١٢٦) أصول الكافي:٢/٢٢٣ .

(١٢٧) أصول الكافي:١/٥٤ح٦ .

(١٢٨) أصول الكافي:١/٥٦ح٧ .

(١٢٩) أصول الكافي:١/٥٦ح٨ .

(١٣٠) أصول الكافي:١/٥٦ح١٠ .

(١٣١) أصول الكافي:١/٥٦ح١١ .

(١٣٢) أصول الكافي:١/٥٧ح١٢ .

(١٣٣) أصول الكافي:١/٥٧ح١٣ .

(١٣٤) أصول الكافي:١/٥٧ح١٤ .

(١٣٥) أصول الكافي:١/٥٧ح١٥ .

(١٣٦) كيف نفهم الثورة الحسينيّة:٢٩ .

(١٣٧) وسائل الشيعة وسائل الشيعة:١٨/٧٨ح١٠ باب٩ في وجوه الجمع بين الأحاديث .

(١٣٨) وسائل الشيعة:١٨/٧٨ح١١ .

(١٣٩) وسائل الشيعة:١٨/٧٨ح١٢ .

(١٤٠) وسائل الشيعة:١٨/٧٥ح١ .

(١٤١) وسائل الشيعة:١٨/٨٣ح٢٤، وعلل الشرائع:٢/٢٤٩ باب ٣١٥ح١ .



الفَصْلُ الثَّانِي

عرض الأخبار الدالّة على علم الإمام بشهادته في كربلاء

في هذا الفصل سنذكر الأخبار الكثيرة الدالّة على عل م الإمام بشهادته، ولن نسهب في عرض جميع النّصوص . لكونه عسراً . دفعاً لمحذور الضجر والمِلَل اللَذَين قد يصيبا القارئ ، ولكنّنا نقدّم ل‍ه بعض النصوص ونحيله في البقية إلى المصادر التاريخيّة الموثوقة، وسنقسّم النصوص إلى ثلاث طوائف:

الأولى: الأخبار الدّالّة على أنّ الأنبياء والمرسلين زاروا كربلاء وبكوا على الإمام الحسين الَّتِيلاً.

الثانية: الأخبار الدّالّة على أنّ الرسول الأكرم وأهل بيته بكوا عليه ، وأخبروا عن شهادته الَّتِيلاً.

الثالثة: الأخبار الدّالّة على علم الإمام الحسين الَّتِيلاً بمصيره.

فمن أخبار الطائفة الأولى: ما رواه ثلة من المحدّثين.

(١) . ما روي من أن آدم لما هبط إلى الأرض لم يرَ حوّا، فصار يطوف الأرض في طلبها، فمرّ بكربلاء فاغتمّ وضاق صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الّذي قتل فيه الإمام الحسين الَّتِيلاً، حتى سال الدّم من رجله، فرفع رأسه إلى السَّماء وقال : إلهي هل حدث مني ذنب آخر فعاقبتني به؟ فإني طفت جميع الأرض، وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض.

فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم ما حدث منك ذنب، ولكن يُقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً فسال دمك موافقةً لدمه، فقال آدم الَّتِيلاً: يا ربّ أيكون الإمام الحسين الَّتِيلاً نبيّاً، قال: لا، ولكنّه سبط النبيّ محمّد، فقال الَّتِيلاً: ومَن القاتل له؟، قال: قاتله يزيد لعين أهل السّماوات والأرض، فقال آدم الَّتِيلاً: فأيّ شيء أصنع يا جبرائيل؟ فقال: إلعنه يا آدم فلعنه أربع مرّات ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حوّا هناك[1].

إشارات هامّة:

الإشارة الأولى:

أشار الحديث إلى أنّ الله تعالى أسال دم آدم عليه السلام. حيث جعله يعثر في الموضع الّذي سيستشهد فيه الإمام الحسين عليه السلام. موافقةً لسيلان دم الإمام الحسين عليه السلام، ومعنى هذا أنّ الله يحبّ أنْ تُسال الدّماء من بني آدم موافقةً لدم الإمام المظلوم الشهيد، ممّا يعني جواز التطبير على السّبط الشهيد المظلوم، فإذا جاز أنْ يُسيل اللهُ دم آدم لما ذكرنا. ولِما سترى في الخبر الآتي كيف أنّ الله أسال دماء بعض المرسَلين موافقةً لسيلان دم الإمام المظلوم. جاز للمؤمن أنْ يجعل إرادته في إخراج الدّم من رأسه أو ظهره موافِقةً لإرادة الله تعالى بإخراج الدّم من رأس آدم عليه السلام.

الإشارة الثانية:

المراد من النبوّة المنفيّة في الحديث هي النبوّة الإصطلاحيّة بالأخصّ، لا العامّة، ففرقٌ بين النبوّة التشريعيّة وبين النبوّة التسديديّة، فالثانية كانت ثابتة بلا جدال للإمام الحسين عليه السلام ولبقيّة الأئمّة عليهم السَّلام مع الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السَّلام، دون الأولى.

الإشارة الثالثة:

إنّ لعن قاتله يوجب تيسير الأمور، وقضاء الحوائج، ولا يخفى ما في العدد أربعة من معنىً عميق، يفهمه المتبصِّرون بحقائق التشريع، وأسرار التكوين؛ والحمد لله.

(**٢**) . وروى صاحب الدّر الثمين في تفسير قوله تعالى: ﴿**فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه**﴾ (البقرة/٣٧) أنّه رأى ساق العرش وأسماء النبي والأئمة عليهم السَّلام فلقّنه جبرائيل قل: يا حميد بحق محمّد، يا عالي بحقّ عليّ، يا فاطر بحق فاطمة، يا محسنِ بحق الحسن والحسين ومنك الإحسان. فلمّا ذكر الإمام الحسين عليه السلام سالت دموعه وخشع قلبه، وقال: يا أخي جبرائيل في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عَبرتي؟ قال جبرائيل عليه السلام: ولدك هذا يصاب بمصيبةٍ تصغر عندها المصائب، فقال: يا أخي وما هي؟ قال: يُقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً ليس له ناصر و لا معين، ولو تراه يا آدم و هو يقول: وا عطشاه وا قلّة ناصراه، حتّى يحول العطش بينه و بين السّماءكالدّخان، فلم يجبه أحد إلاّ بالسّيوف، وشرب الحتوف فيُذبح ذبح الشّاة من قفاه، وينهب رحله أعداؤه، وتُشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان، ومعهم النّسوان، كذلك سبق في علم الواحد المنّان، فبكى آدم و جبرائيل بكاء الثّكلى(٢).

(**٣**) . ما رُوي من أنّ نوحاً عليه السلام لما ركب في السفينة طافت به جميع الدنيا فلمّا مرّت بكربلاء أخذته الأرض، وخاف نوح الغرق فدعا ربّه وقال: إلهي طفت جميع الدّنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض فنزل جبرائيل وقال: يا نوح في هذا الموضع يُقتل الحسين عليه السلام سبط محمّد خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء فقال: ومَن القاتل له يا جبرائيل؟ قال: قاتله لعين أهل سبع سماوات وسبع أرضين، فلعنه نوح أربع مرّات فسارت السفينة حتى بلغت الجوديّ واستقرّت عليه(٣).

(٤) . ما رُوي من أنّ النّبي إبراهيم ﷺ مرّ في أرض كربلاء وهو راكب فرساً فعثرت به وسقط إبراهيم وشجّ رأسه و سال دمه، فأخذ في الإستغفار وقال: إلهي أيّ شيء حدث منّي؟ فنزل إليه جبرائيل و قال : يا ابراهيم ما حدث منك ذنب، ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء و ابن خاتم الأوصياء، فسال دمك موافقة لدمه . قال يا جبرائيل ومن يكون قاتله؟ قال لعين أهل السّماوات و الأرضين و القلم جرى على اللّوح بلعنه بغير إذن ربّه، فأوحى الله تعالى إلى القلم إنّك استحققت الثناء بهذا اللّعن .

فرفع إبراهيم ﷺ يديه و لعن يزيد لعناً كثيراً و أمّن فرسه بلسان فصيح فقال إبراهيم لفرسه : أيّ شيء عرفت حتى تومّن على دعائي؟ فقال: يا إبراهيم أنا أفتخر بركوبك عليَّ فلمّا عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي و كان سبب ذلك من يزيد لعنه الله تعالى[٤] .

(٥) . وروي أيضاً أن النبي إبراهيم ﷺ حين فدا ولده بالكبش قال الإمام الرضا ﷺ لما أمر الله عزّ وجل إبراهيم ﷺ أن يذبح مكان إبنه إسماعيل ﷺ الكبش الّذي نزل عليه، تمنى إبراهيم ﷺ أن يكون قد ذبح إبنه إسماعيل بيده وأنه لم يؤمَ ر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعز ولده عليه بيده فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب فأوحى الله عزّ وجل إليه يا إبراهيم من أحبّ خلقي إليك، فقال ﷺ: يا رب ما خلقت خلقاً هو أحب إلي من حبيبك محمّد ﷺ فأوحى الله إليه: أفهو أحب إليك أم نفسك؟ قال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي، قال: فولده أحب إليك أم ولدك ؟ قال: بل ولده قال: فذبح

ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي ؟ قال: يا رب ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي، قال : يا إبراهيم فإن طائفةً تزعم أنها من أمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم ستقتل الإمام الحسين عليه السلام إبنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش ويستوجبون بذلك سخطي فجزع إبراهيم عليه السلام بذلك وتوجّع قلبه وأقبل يبكي فأوحى الله عزّ وجل يا إبراهيم قد فديت جزعك على إبنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين عليه السلام وقتله وأوجبت لك درجات أهل الثواب على المصائب ، وذلك قول الله عزّ وجل:﴿**وفديناه بذبحٍ عظيم**﴾[٥].

(**٦**) . وروي أيضاً أن النبي إسماعيل عليه السلام كانت أغنامه ترعى بشطّ الفرات، فأخبره الراعي أنها لا تشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوماً فسأل ربّه عن سبب ذلك فنزل جبرائيل وقال : يا إسماعيل سل غنمك فإنّها تجيبك عن سبب ذلك؟ فقال لها : لم لا تشربين من هذا الماء؟ فقالت بلسان فصيح: قد بلغنا أنّ ولدك الحسين عليه السلام سبط محمّد يقتل هنا عطشاناً فنحن لا نشرب من هذه المشرعة حزناً عليه، فسألها عن قاتله فقالت : يقتله لعين السماوات والأرضين والخلائق أجمعين، فقال إسماعيل : اللّهمّ العن قاتل الحسين عليه السلام[٦].

(**٧**) . وروي أيضاً عن النبي إبراهيم خليل الرحمان أنّه لما وصل إلى كربلاء عثرت به فرسه وسقط عن الفرس وشجّ رأسه فقال : إلهي ما حدث منّي فأخذ فرسه يقول: عظمت خجلتي منك والسبب في ذلك أنه هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء **فقد سال دمك موافقةً لدمه**[٧].

(٨) . وروي أنّ النبي موسى عليه السلام كان ذات يوم سائراً وم عه يوشع بن نون، فلمّا جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله، وانقطع شراكه، و دخل الخسك في رجليه، وسال دمه، فقال: إلهي أيّ شيء حدث منّي؟ فأوحى إليه أن هنا يقتل الحسين عليه السلام وه نا يسفك دمه، **فسال دمك موافقة لدمه** فقال: رب ومن يكون الحسين، فقيل له: هو سبط المصطفى محمّد ، وابن عليٍّ المرتضى، فقال: ومن يكون قاتله؟، فقيل: هو لعين السّمك في البحار، والوحوش في القفار، والطير في الهواء، فرفع النبي موسى عليه السلام يديه ولعن يزيد ودعا عليه وأمّن يوشع بن نون على دعائه ومضى لشأنه(٨).

(٩) . وروي أيضاً أنّ النبي موسى عليه السلام رآه إسرائيلي مستعجلاً وقد كسته الصُّفرة ترجف فرائصه ، وجسمه مقشعر ، وعينه غائرة ، فعَلِم أنّه قد دعي للمناجاة فقال : يا نبيّ الله قد أذنبت ذنباً عظيماً فسأل ربّك أن يعفو عنّي فلما وصل إلى مقامه وناجى قال : ربّي أنت العالم قبل نطقي فإنّ فلاناً عبدك أذنب ذنباً ويسألك العفو قال : يا موسى أغفر لمن استغفرني إلاّ قاتل الحسين عليه السلام قال: يا رب ومن الحسين؟ قال : الّذي مرّ ذكره عليك بجانب الطّور قال: ومن يقتله؟ قال: يقتله أمّة جدّه الباغية الطاغية في أرض كربلاء وتنفر فرسه وتصهل وتقول في صهيله : الظليمة الظليمة من أمّةٍ قتلت ابن بنت نبيّها، فيبقى ملقى على الرمال بغير غسلٍ ولا كفن وينهب رحله وتسبى نسائه في البلدان ويقتل ناصروه وتشهر رؤوسهم مع رأسه على أطراف الرماح، يا موسى صغيرهم يميته العطش وكبيرهم جلده منكمش يستغيثون فلا

ناصر ويستجيرون فلا خافر ، فبكى موسى عليه السلام فقال سبحانه: يا موسى إعلم أنّه من بكى عليه أو أبكى أو تباكى حرّمت جسده عن النّار[٩].

(١٠) . وروي بأسانيد ثلاثة عن الإمام الرّضا عليه السلام عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم : إنّ موسى بن عمران سأل ربّه عزّ وجلّ فقال : يا ربّ إن أخي هارون مات فاغفر له، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى لو سألتني في الأوّلين و الآخرين لأجبتك ما خلا قاتل الحسين بن علي عليهما السّلام فإنّي أنتقم له من قاتله[١٠].

(١١) . وعن سعد بن عبد الله القمّي في حديثٍ له مع الإمام أبي محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام قال: ما جاء بك يا سعد فقلت : شوّقني أحمد بن إسحاق إلى لقاء مولانا، قال : والمسائل التي أردت أن تسأل عنها؟ قلتُ:على حالها يا مولاي، قال: فَسَلْ قرّة عيني عمّا بدا لك وأومأ بيده إلى الغلام عليه السلام، وذكر المسائل إلى أن قال : قلت: فأخبرني يابن رسول الله عن تأويل كهيعص؟ قال : هذه الحروف من أنباء الغيب أطل ع الله عبده زكريّا عليها ثمّ قصّها على محمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم وذلك : إن زكريا سأل ربّه أن يعلّمه أسماء الخمسة ، فأهبط عليه جبرائيل عليه السلام فعلّمه إيّاها، وكان زكريا إذا ذكر محمّداً وعليّاً وفا طمة والحسن عليهم السَّ لام سرى عنه همّه وانجلى كربه وإذا ذُكر الحسين عليه السلام خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة ، فقال عليه السلام ذات يوم: إلهي ما لي إذا ذكرت أربع منهم تسلّيت بأسمائهم من همومي وإذا ذكرت الحسين عليه السلام تدمع عيني وتثور زفرتي فأنبأه الله تعالى عن قصّته فقال كهيعص: فالكاف إسم كربلاء والهاء هلاك العترة الطاهرة، والياء يزيد

لعنه الله وهو ظالم الإمام الحسين عليه السلام والعين عطشه، والصاد صبره فلما سمع بذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام ومنع فيه ا النّاس من الدّخول عليه، وأقبل عليه البكاء والنحيب ، وكانت ندبته : إلهي أتفجع خير خلقك بولده ، أتنزل بلوى هذه الرزية بفرائه إلهي أتلبس عليّاً وفاطمة ثياب هذه المصيبة إلهي أتحلّ كربة هذه الفجيعة بساحتهما، ثمّ كان يقول : إلهي ارزقني ولداً تقرّ به عيني على الكبر ، واجعله وارثاً ووصيّاً، واجعل محلّه مني محلّ الحسين عليه السلام فإذا رزقتنيه فأفتنّي بحبّه، ثمّ افجعني به كما تفجع محمّداً حبيبك صلّى الله عليه وآله وسلّم بولده فرزقه الله يحيى عليه السلام وفجعه به وكان حمل يحيى ستّة أشهر وحمل الحسين عليه السلام كذلك[11].

(١٢) . ما جرى على نبيّ الله إسماعيل، ففي صحيحة سماعة بن مهران عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: أنه كان لله رسولاً نبيّاً تسلط عليه قومه فقشروا جلدة وجهه وفروة رأسه، فأتاه رسول من رب العالمين فقال له : ربك يقرؤك السلام ويقول : قد رأيت ما صنع بك وقد أمرني بطاعتك فمرني بما شئت، فقال عليه السلام: يكون لي بالحسين أُسوة[12].

(١٣) . وفي صحيحة بريد العجلي قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا بن رسول الله أخبرني عن إسماعيل الّذي ذكره الله في كتابه حيث يقول:

﴿**واذكر في الكتاب إسماعيل إنّه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيّاً** ﴾، أكان إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام؟، فإنّ النّاس يزعمون أنّه إسماعيل بن إبراهيم، فقال عليه السلام:

إنّ إسماعيل مات قبل إبراهيم، وإنّ إبراهيم كان حجّة لله كلّها قائماً صاحب شريعة ، فإلى مَن أُرسِلَ إسماعيل إذاً؟، فقلت: جعلت فداك فمن كان.
قال عليه السلام: ذاك إسماعيل بن حزقيل النبي عليه السلام، بعثه الله إلى قومه فكذّبوه فقتلوه وسلخوا وجهه، فغضب الله له عليهم فوجّه إليه إسطاطائيل ملك العذاب، فقال له : يا إسماعيل أنا إسطاطائيل ملك العذاب وجّهني إليك ربّ العزّة لأعذّب قومك بأنواع العذاب إن شئت، فقال له إسماعيل عليه السلام: لا حاجة لي في ذلك . فأوحى الله إليه فما حاجتك يا إسماعيل، فقال : يا رب إنّك أخذت الميثاق لنفسك بالرّبوبيّة ولمحمّد بالنّبوّة ولأوصيائه بالولاية ، وأخبرت خير خلقك بما تفعل أمّته بالحسين بن علي عليهما السلام من بعد نبيّها، وأنّك وعدت الحسين عليه السلام أن تكرّ [لعلّه: يكرّ] إلى الدّنيا حتى ينتقم بنفسه ممّن فعل ذلك به، فحاجتي إليك يا رب أن تكرّني إلى الدّنيا حتّى أنتقم ممّن فعل ذلك بي كما تكرّ الحسين عليه السلام، فوعد الله إسماعيل بن حزقيل ذلك، فهو يكرّ مع الحسين عليه السلام (١٣) .

(١٤) . وروي مثله عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إسماعيل الّذي قال الله تعالى في كتابه : ﴿**واذكر في الكتاب إسماعيل إنّه كان صادق الوعد** ﴾، أخذ فسلخت فروة وجهه ورأسه فآتاه ملك فقال :إنّ الله بعثني إليك فمرني بما شئت، فقال:لي أسوة بالحسين إبن علي عليهما السلام(١٤).

(١٥) . وروي أن النبي سليمان عليه السلام كان يجلس على بساطه ويسير في الهواء، فمرّ ذات يوم وهو سائر في أرض كربلاء فأدارت الريح بساطه ثلاث دورات حتّى خاف السّقوط فسكنت الرّيح، ونزل البساط في أرض كربلاء.

فقال سليمان للرّيح : لم سكنتي؟ فقالت : إنّ هنا يقتل الإمام الحسين عليه السلام فقال: ومن يكون الحسين؟ فقالت:هو سبط محمّد المختار، وابن عليّ الكرّار، فقال: ومن قاتله؟ قالت : لعين أهل السماوات والأرض يزيد، فرفع سليمان يديه ولعنه ودعا عليه وأمّن على دعائه الإ نس والجن، فهبّت الرّيح وسار البساط[١٥].

دفعُ وَهْمٍ: أشار الحديث إلى أنّ النبي سليمان عليه السلام تساءل عن شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام، في حين إنّ الكتاب العزيز أشار في آية أخْذ الميثاق على النبيين بالنبوّة لمحمّد والولاية لعليّ أمير المؤمنين عليه السلام وأبنائه المعصومين عليهم السَّلام وزوجه الصدّيقة الزكيّة فاطمة عليها السَّلام، وكذا الأخبار المتواترة دلّت على أنهم ما صاروا أنبياء إلاّ بالولاية لآل محمّد عليهم السَّلام، **وعليه**؛ يقع التعارض بين هذا الخبر وأمثاله . وهي أخبار آحاد . وبين تلكم الأخبار المتواترة،وفي حال التعارض، لا يمكن تقديم الخبر الواحد على المتواتر، فلا بدّ حينئذٍ من تقديم الثاني على الأوّل في ح ال عدم القدرة على تأويل الخبر الواحد، وفي هذا المقام يمكننا تأويل هذا الخبر وأمثاله بحمله على التجاهل لا الجهل، لتأكيد المظلوميّة لآل البيت عليهم السَّلام وتجديد الحزن عليهم كما سوف يأتي البحث في حضوريّة عِلْم النبيّ والعترة صلوات الله عليهم .

(١٦) . وروي أن النبي عيسى عليه السلام كان سائحاً في البراري، و معه الحواريّون، فمرّوا بكربلاء فرأوا أسداً كاسِراً قد أخذ الطّريق فتقدّم عيسى عليه السلام إلى الأسد، فقال له : لم جلست في هذا الطّريق؟ ولا تدعنا نمرّ فيه؟ فقال

الأسد بلسان فصيح : إني لم أدع لكم الطّريق حتّى تلعنوا يزيد قاتل الحسين ﷺ فقال عيسى ﷺ: ومن يكون الحسين ﷺ؟ قال: هو سبط محمّد النّبي الأمي و ابن عليّ الوليّ قال : ومن قاتله؟ قال : قاتله لعين الوحوش والذّباب والسّباع أجمع خصوصاً أيّام عاشورا فرفع عيسى ﷺ يديه ولعن يزيد ودعا عليه و أمّن الحواريّون على دعائه فتنحّى الأسد عن طريقهم ومضوا لشأنهم[١٦].

(١٧) . وقال أبو القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي : حدّثني أبو الحسين محمّد بن عبد الله بن علي النّاقد، قال : حدّثني أبو هارون العبثي، عن أبي الأشهب جعفر بن حنان، عن خالد الرّبعي، قال :

حدّثني من سمع كعباً يقول : أوّل من لعن قاتل الحسين بن علي عليهما السّلام إبراهيم خليل الرّحمان، لعنه وأمر ولده بذلك وأخذ عليهم العهد والميثاق، ثمّ لعنه موسى بن عمران و أمر أمّته بذلك، ثمّ لعنه داود و أمر بني إسرائيل بذلك، ثمّ لعنه عيسى و أكثر أن قال :

يا بني إسرائيل العنوا قاتله وإن أدركتم أيّامه فلا تجلسوا عنه، فإنّ الشّهيد معه كالشّهيد مع الأنبياء مُقبل غير مدبر، وكأنّي أنظر إلى بقعته، وما من نبيّ إلا وقد زار كربلاء ووقف عليها، و قال : إنك لبقعة كثيرة الخير فيك يُدفن القمر الأزهر[١٧].

ومن أخبار الطائفة الثانية:

(١) . روى الأوزاعي عن عبد الله بن شداد عن أمّ الفضل بنت الحارث أنها دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقالت: يا رسول الله

رأيت اللّيلة حلماً منكراً قال : وما هو؟ قالت : إنّه شديد قال : وما هو؟ قالت: رأيت كأنّ قطعة من جسدك قد قطعت ووضعت في حجري، فقال رسول الله: خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً فيكون في حجرك.

فولدت فاطمة عليها السلام الحسين عليه السلام قالت: وكان في حجري كما قال رسول الله، فدخلت يوماً على النبي فوضعته في حجر رسول الله ثمّ حانت منّي إلتفاتة، فإذا عينا رسول الله تهرقان بالدّموع، فقلت : بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ما لك؟ قال : أتاني جبرائيل فأخبرني أنّ أمّتي تقتل ابني هذا وأتاني بتربة حمراء من تربته[١٨].

(٢) . وروى المفيد عن السّمّاك عن ابن المخارق، عن أمّ سلمة قالت : بينا رسول الله ذات يوم جالساً والحسين جالس في حجره إذ هملت عيناه بالدّموع، فقلت [له]: يا رسول الله ما لي أراك تبكي جعلت فداك؟ قال : جاءني جبرائيل فعزّاني بابني الحسين وأخبرني أن طائفة من أمّتي تقتله، لا أنالها الله شفاعتي[١٩].

(٣) . وروي بإسناد آخر عن أمّ سلمة رضي الله عنها أنها قالت : خرج رسول الله من عندنا ذات ليلة فغاب عنّا طويلاً، ثمّ جاءنا وهو أشعث أغبر، ويده مضمومة فقلت له: يا رسول الله مالي أراك شعثاً مغبرّاً؟ فقال: أسري بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له كربلا فرأيت فيه مصرع الحسين إبني عليه السلام وجماعة من ولدي وأهل بيتي فلم أزل ألقط [لعلّه: ألتقط] دماءهم فها هو في يدي وبسطها إليّ فقال : خذيها فاحفظي [لعلّها: فاحتفظي بها]

بها فأخذتها فإذا هي شبه تراب أحمر، فوضعته في قارورة وشددت رأسها واحتفظت بها.

فلمّا خرج الحسين عليه السلام من مكّة متوجّهاً نحو العراق كنت أخرج تلك القارورة في كلّ يوم وليلة وأشمّها وأنظر إليها ثمّ أبكي لمصابه، فلمّا كان [في] اليوم العاشر من المحرّم وهو اليوم الذي قُتل فيه عليه السلام أخرجتها في أوّل النهار وهي بحالها ثمّ عدت إليها آخر النهار فإذا هي دم عبيط فصحت في بيتي وبكيت وكظمت غيظي مخافة أن يسمع أعداؤهم بالمدينة فيتسرّعوا بالشماتة فلم أزل حافظة للوقت واليوم حتى جاء الناعي ينعاه فحقّق ما رأيت[٢٠].

(٤) . روى إبن قولويه القمّي عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن سعد بن عبد الله،عن محمّد بن عيسى بن عبيد، عن صفوان بن يحيى وجعفر بن عيسى بن عبيد الله، قالا : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن أبي غندر،عمن حدثه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

كان الحسين بن علي عليه السلام ذات يوم في حجر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يلاعبه ويضاحكه، فقالت عائشة: يا رسول الله ما أشدّ إعجابك بهذا الصبي، فقال لها: ويلك وكيف لا أحبه ولا أعجب به، وهو ثمرة فؤادي وقرة عيني، أما ان أمتي ستقتله، فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجة من حججي، قالت: يا رسول الله حجة من حججك، قال : نعم حجتين من حججي، قالت: يا رسول الله حجتين من حججك، قال : نعم وأربعة قال: فلم تزل تزاده ويزيد ويضعف حتّى بلغ تسعين حجة من حجج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأعمارها[٢١] .

(٥) . بسند آخر عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن عليّ بن محمد بن سا لم، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن حمّاد البصري، عن عبد الله بن عبد الرحمان الاصم، عن مسمع بن عبد الملك، عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام، قال:

كان الإمام الحسين عليه السلام مع أمّه تحمله، فأخذه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: لعن الله قاتليك، ولعن الله سالبيك، وأهلك الله المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك، فقالت مولاتنا فاطمة عليها السَّلام: يا أبه أي شيء تقول، قال: يا بنتاه ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذٍ في ع صبة كأنهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل، وكأني أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم.

فقالت: يا أبه وأين هذا الموضع الّذي تصف، قال : موضع يقال له كربلاء، وهي ذات كرب وبلاء علينا وعلى الأمة، يخرج عليهم شرار أمتي، ولو أن أحدهم شفع له من في السماوات وا لأرضين ما شفعوا فيهم وهم المخلدون في النار.

قالت: يا أبه فيقتل؟، قال: نعم، يا بنتاه، وما قتل قتلته أحد كان قبله، وتبكيه السماوات والأرضون والملائكة والوحوش والحيتان في البحار والجبال، لو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفس، و يأتيه قوم من محبينا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقّنا منهم، وليس على ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم، أولئك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء، وهم واردون حوضي غداً، أعرفهم إذا وردوا عليَّ بسيماهم، وأهل كل دين يطلبون أئمتهم

وهم يطلبوننا ولا يطلبون غيرنا، وهم قوام الأرض، بهم ينزل الغيث . وذكر الحديث بطوله.[٢٢].

(٦) . وفي تفسير فرات بن إبراهيم بإسناده عن حذيفة، عن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم قال: لما أُسري بي أخذ جبرائيل بيدي فأدخلني الجنّة، وأنا مسرور فإذا أنا بشجرة من نور مكلّلة بالنّور، في أصلها ملكان يطويان الحليّ والحلل إلى يوم القيامة، ثمّ تقدّمت أمامي فإذا أنا بتفّاح لم أر تفاحاً هو أعظم منه، فأخذت واحدة ففلقتها فخرجت عليّ منها حوراء كأنّ أجفانها مقاديم أجنحة النّسور، فقلت : لمن أنت؟ فبكت وقالت : لإبنك المقتول ظلماً الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ثمّ تقدمت أمامي فإذا أنا برطب ألين من الزّبد، وأحلى من العسل، فأخذت رطبة فأكلتها وأنا أشتهيها فتحوّلت الرّطبة نطفة في صلبي، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة ، فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسيّة فإذا اشتقت إلى رائحة الجنّة شممت رائحة إبنتي فاطمة[٢٣].

(٧) . وروى الحسن بن أحمد الهمداني عن أبي عليّ الحدّاد، عن محمّد بن أحمد الكاتب، عن عبد اللّه بن محمّد، عن أحمد بن عمرو، عن إبراهيم بن سعيد، عن محمّد بن جعفر بن محمّد، عن عبد الرّحمان بن محمّد ابن عمرو بن أبي سلمة، عن أبيه، عن جدّه، عن أمّ سلمة قالت :جاء جبرائيل إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال: إنّ أمّتك تقتله . يعني الحسين عليه السلام . بعدك ثمّ قال: ألا أريك من تربته؟ قالت : فجاء بحصيات فجعلهنّ رسول الله في

قارورة، فلمّا كان ليلة قتل الإمام الحسين عليه السلام قالت أمّ سلمة: سمعت قائلاً يقول:

أيّها القاتلون جهلاً حسيناً	أبشروا بالعذاب والتنكيل
قد لُعنتم على لسان داود	وموسى وصاحب الإنجيل

قالت: فبكيت ففتحت القارورة فإذا قد حدث فيها دم(٢٤).

(٨) . روى الشيخ جعفر بن نما بإسناده عن عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش، عن شيخه أبي الفرج عبد الرّحمان بن الجوزي، عن رجاله، عن عائشة قالت: دخل الحسين على النبيّ وهو غلام يدرج فقال : أي عائشة ألا أعجبك لقد دخل عليَّ آنفاً ملك ما دخل عليَّ قطُّ فقال: إنّ إبنك هذا مقتول، وإن شئت أريتك من تربته الّتي يقتل بها فتناول تراباً أحمر فأخذته أمّ سلمة فخزنته في قارورة فأخرجته يوم قتل وهو دم(٢٥).

(٩) . وعن عبد الله بن يحيى قال: دخلنا مع عليّ عليه السلام إلى صفّين فلمّا حاذى نينوى نادى صبراً يا أبا عبد الله، فقال عليه السلام: دخلت على رسول الله وعيناه تفيضان فقلت: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ما لعينيك تفيضان؟ أغضبك أحد؟ قال: لا، بل كان عندي جبرائيل فأخبرني أن الحسين عليه السلام يقتل بشاطئ الفرات، وقال: هل لك أن أشمّك من تربته؟ قلت: نعم، فمدّ يده فأخذ قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عينيَّ أن فاضتا، واسم الأرض كربلاء.

فلمّا أتت عليه سنتان خرج النبيّ إلى سفر فوق ف في بعض الطريق واسترجع ودمعت عيناه فسئل عن ذلك فقال صلّى الله عليه وآله وسلَّم: هذا جبرائيل يخبرني عن أرض بشطّ الفرات يقال لها كربلاء يقتل فيها ولدي الحسين عليه السلام وكأنّي أنظر إليه وإلى مصرعه ومدفنه بها، وكأنّي أنظر على [لعلّه: إلى] السّبايا على أقتاب المطايا وقد أهدي رأس و لدي الحسين عليه السلام إلى يزيد لعنه الله، فوالله ما ينظر أحد إلى رأس الإمام الحسين عليه السلام ويفرح إلاّ خالف الله بين قلبه ولسانه، وعذّبه الله عذاباً أليماً.

ثمّ رجع النبيّ من سفره مغموماً مهموماً كئيباً حزيناً فصعد المنبر وأصعد معه الإمامَيْن الحسن والحسين وخطب ووعظ ا لناس فلمّا فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الإمام الحسن عليه السلام ويده اليسرى على رأس الإمام الحسين عليه السلام: وقال: اللّهم إنّ محمداً عبدك ورسولك وهذان أطائب عترتي، وخيار رومتي، وأفضل ذريّتي ومن أخلّفهما في أمّتي وقد أخبرني جبرائيل عليه السلام أنّ ولدي هذا عليه السلام مقتول بالسمّ والآخ ر عليه السلام شهيد مضرّج بالدّم اللّهم فبارك له في قتله، واجعله من سادات الشّهداء اللّهم ولا تبارك في قاتله وخاذله وأصله حرّ نارك، واحشره في أسفل درك الجحيم.

قال: فضجّ النّاس بالبكاء والعويل، فقال لهم النبيّ: أيّها الناس أتبكونه ولا تنصرونه، اللّهم فكن أنت له ول يّاً وناصراً، ثمّ قال : يا قوم إنّي مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي وأرومتي ومزاج مائي، وثمرة فؤادي، ومهجتي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ألا وأني لا أسألكم في ذلك إلاّ ما أمرني ربّي أن

أسألكم عنه، أسألكم عن المودّة في القربى، واحذروا أن تلقوني غداً عل ى الحوض وقد آذيتم عترتي، وقتلتم أهل بيتي وظلمتموهم.

ألا إنه سيرد عليّ يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأمّة : **الأولى** راية سوداء مظلمة قد فزعت منها الملائكة فتقف عليّ فأقول لهم : من أنتم؟ فينسون ذكري، ويقولون : نحن أهل التوحيد من العرب، فأقول لهم : أنا أحمد نبيّ العرب والعجم، فيقولون : نحن من أمّتك، فأقول : كيف خلفتموني من بعدي في أهل بيتي وعترتي وكتاب ربّي، فيقولون : أمّا الكتاب فضيّعناه، وأمّا العترة فحرصنا أن نبيدهم عن جديد الأرض فلمّا أسمع ذلك منهم أعرض عنهم وجهي، فيصدرون عطاشاً مسوّدة وجوههم.

ثمّ ترد عل يّ **راية أخرى** أشدّ سواداً من الأولى، فأقول لهم : كيف خلفتموني من بعدي في الثقلين كتاب الله وعترتي؟ فيقولون : أمّا الأكبر فخالفناه، وأمّا الأصغر فمزّقناهم كلّ ممزّق، فأقول : إليكم عنّي فيصدرون عطاشاً مسوّدة وجوههم.

ثمّ تردّ عليَّ **راية** تلمع وجوههم نوراً فأقو ل لهم، من أنتم؟ فيقولون : نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى من أمّة محمّد المصطفى، ونحن بقيّة أهل الحقّ، حملنا كتاب ربّنا وحلّلنا حلاله وحرّمنا حرامه وأحببنا ذريّة نبينا محمّد، ونصرناهم من كلّ ما نصرنا به أنفسنا، وقاتلنا معهم من ناواهم، فأقول لهم : أبشروا فأنا نبـيّكم محمّد ولقد كنتم في الدّنيا كما قلتم، ثمّ أس قيهم من حوضي فيصدرون مرويّين مستبشرين ثمّ يدخلون الجنّة خالدين فيها أبد الآبدين(٢٦).

(١٠) . وروى الصدوق في آماليه عن السناني، عن إبن زكريا، عن إبن حبيب عن إبن بهلول عن عليّ بن عاصم، عن الحصين بن عبد الرّحمان، عن مجاهد، عن إبن عباس قال:

كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خرجته إلى صفّين فلمّا نزل بنينوى وهو بشطّ الفرات قال بأعلى صوته : يا ابن عباس أتعرف هذا الموضع؟ قلت له : ما أعرفه يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتّى تبكي كبكائي، قال: فبكى طويلاً حتى اخضلّت لحيته، وسالت الدّموع على صدره، وبكينا معاً وهو يقول : أوّه أوّه ما لي ولآل أبي سفيان؟ مالي ولآل حرب حزب الشيطان؟ وأولياء الكفر؟ صبراً يا أبا عبد الله فقد لقي أبوك مثل الّذي تلقى منهم.

ثمّ دعا بماء فتوضأ وضوء الصلاة فصلّى ما شاء الله أن يصلّي ثمّ ذكر نحو كلامه الأول إلاّ أنّه نعس عند انقضاء صلاته وكلامه ساعة ثم انتبه فقال عليه السلام: يا ابن عباس فقلت : ها أناذا، فقال عليه السلام: ألا أحدثك بما رأيت في منامي آنفاً عند رقدتي؟ فقلت: نامت عيناك ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين.

قال عليه السلام: رأيت كأنّي برجال قد نزلوا من السماء معهم أعلام بيض قد تقلّدوا سيوفهم وهي بيض تلمع، وقد خطّوا حول هذه الأرض خطّة ثمّ رأيت كأنّ هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض تضطرب بدم عبيط وكأنّي بالحسين عليه السلام سخلي وفرخي ومضغتي ومخّي قد غرق فيه يستغيث فيه فلا يغاث، وكأنّ الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون : صبراً آل الرسول، فانّكم تقتلون على أيدي شرار الناس، وهذه الجنّة يا أبا عبد الله

إليك مشتاقة، ثمّ يعزّونني ويقولون: يا أبا الحسن أبشر، فقد أقرّ الله به عينك يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

ثمّ انتبهت هكذا، والّذي نفس عليّ بيده، لقد حدّ ثني الصادق المصدّق أبو القاسم صلّى الله عليه وآله أنيّ سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء، يدفن فيها الحسين عليه السلام وسبعة عشر رجلاً من ولدي وولد فاطمة، وإنّها لفي السماوات معروفة، تذكر أرض كرب وبلاء كما تذكر بقعة الحرمين، وبقعة بيت المقدس.

ثمّ قال لي: يا ابن عبّاس أطلب في حولها بعر الظباء فوالله ما كذبت ولا كذبت وهي مصفّرة لونها لون الزعفران، قال إبن عباس: فطلبتها فوجدتها مجتمعة فناديته يا أمير المؤمنين قد أصبتها على الصفة الّتي وصفتها لي، فقال عليّ عليه السلام: صدق الله ورسوله.

ثمّ قام عليه السلام يهرول إليها فحملها وشمّها، وقال: هي هي بعينها، أتعلم يا ابن عباس ما هذه الأبعار؟ هذه قد شمّها عيسى بن مريم، وذلك أنّه مرّ بها ومعه الحواريّون فرأى ههنا الظّباء مجتمعة وهي تبكي فجلس عيسى، وجلس الحواريّون معه. فبكى وبكى الحواريّون، وهم لا يدرون لم جلس ولم بكى.

فقالوا: يا روح الله وكلمته ما يبكيك؟ قال: أتعلمون أيّ أرض هذه؟ قالوا: لا، قال: هذه أرض يقتل فيها فرخ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وفرخ الحرّة الطاهرة البتول، شبيهة أمي، ويلحد فيها طينة أطيب من المسك لأنّها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا يكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء، فهذه

الظباء تكلّمني وتقول: أنها ترعى في هذه الأرض شوقاً إلى تربة الفرخ المبارك وزعمت أنها آمنة في هذه الأرض.

ثمّ ضرب بيده إلى هذه الصيران فشمّها وقال : هذه بعر الظباء على هذه الطيب لمكان حشيشها اللّهمّ فأبقها أبداً حتّى يشمّها أبو هـ فيكون له عزاء وسلوة قال: فبقيت إلى يوم الناس هذا وقد اصفرّت لطول زمنها وهذه أرض كرب وبلاء ثمّ قال بأعلى صوته : يا ربّ عيسى بن مريم ! لا تبارك في قَتَلَتِهِ [أي في قاتليه]، والمعين عليه والخاذل له.

ثمّ بكى بكاء طويلاً وبكينا معه حتى سقط لوجهه وغُشي عليه طويلاً ثمّ أفاق فأخذ البعر فصرّه في ردائه وأمرني أن أصرّها كذلك ثمّ قال: يا ابن عبّاس إذا رأيتها تنفجر دماً عبيطاً، ويسيل منها دم عبيط، فاعلم أن أبا عبد الله قد قتل بها، ودفن.

قال إبن عبّاس : فوالله لقد كنت أحفظها أشدّ من حفظي لبعض ما افترض الله عزّ وج ل عليّ وأنا لا أحلّها من طرف كمّي فبينما أنا نائم في البيت إذا انتبهت فإذا هي تسيل دماً عبيطاً. وكان كمّي قد امتلأ دماً عبيطاً، فجلسرت وأنا باك وقلت قد قُتِلَ والله الحسين، والله ما كذّبني عليّ قط في حديث حدّثني ولا أخبرني بشيء قط أنه يكون إلا كان كذلك ، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يخبره بأشياء لا يخبرها غيره.

ففزعت وخرجت وذلك عند الفجر فرأيت والله المدينة كأنّها ضباب لا يستبين منها أثر عين ثمّ طلعت الشّمس ورأيت كأنّها منكسفة، ورأيت كأنّ

حيطان المدينة عليها دم عبيط، فجلست وأنا باك فقلت : قد قتل والله، الحسين عليه السلام، وسمعت صوتاً من ناحية البيت وهو يقول:

إصبروا آل الرسول قتل الفرخ النحول

نزل الرُّوح الأمــين ببكاء و عويـل

ثمّ بكى بأعلى صوته وبكيت فأثبتُ عندي تلك الساعة وك ان شهر محرّم يوم عاشورا لعشر مضين منه، فوجدته قتل يوم ورد علينا خبره وتاريخه كذلك فحدّثت هذا الحديث أولئك الّذين كانوا معه، فقالوا : والله لقد سمعنا ما سمعت ونحن في المعركة ولا ندري ما هو، فكنّا نرى أنّه الخضر عليه السلام [٢٧].

(١١) . وعن ابن قولويه القمّي رضي الله عنه قال : حدّثني الحسن بن عبد الله بن محّد بن عيسى، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن شجرة، عن سلام الجعفي، عن عبد الله بن محمّد الصنعاني، عن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال:

كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم إذا دخل الإمام الحسين عليه السلام جذبه إليه ثمّ يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: امسكه، لم يقع عليه فيقبّله ويبكي، فيقول: يا أبه لِمَ تبكي؟، فيقول: يا بني إنّي أقبّل موضع السيوف منك وأبكي.

قال عليه السلام: يا أبه واقتل، قال: أي والله وأبوك وأخوك وأنت، قال عليه السلام: يا أبه فمصارعنا شتى؟، قال: نعم يا بني، قال عليه السلام: فمن يزورنا من أم تك؟، قال: لا يزورني ويزور أباك وأخاك وأنت إلا الصديقون من أمّتي [٢٨].

(١٢) . وبسند آخر حدّثني محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبي سعيد الحسن بن علي بن زكريا العدوي البصري، قال : حدثنا عمرو بن المختار، قال: حدثنا إسحاق بن بشر، عن العوام مولى قريش، قال: سمعت مولاي عمر بن هبيرة، قال : رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم و الإمامَيْن الحسن والحسين عليهما السَّلام في حجره، يقبّل هذا مرة وهذا مرة، ويقول للحسين: إن الويل لمن يقتلك[٢٩].

(١٣) . وعن ابن قولويه أيضاَ قال حدّثني أبي رحمه الله عن سعد بن عبد الله عن محمّد بن عيسى، عم محمّد بن سنان،عن أبي سعيد القماط، عن إبن أبي يعفور، عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال:

بينما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم في منزل مولاتنا فاطمة عليها السَّلام و الإمام الحسين عليه السلام في حجره، إذ بكى وخرّ ساجداً، ثمّ قال: يا فاطمة يا بنت محمّد إن العليّ الأعلى تراءى لي في بيتك هذا في ساعتي هذه في أحسن صورة وأهيأ هيئة، فقال لي : يا محمّد أتحب الحسين عليه السلام؟، قلت: نعم يا رب قرة عيني وريحانتي وثمرة فؤادي وجلدة ما بين عيني.

فقال لي: يا محمّد . ووضع يده على رأس الإمام الحسين عليه السلام . بورك من مولود عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني، ونقمتي ولعنتي وسخطي وعذابي وخزيي ونكالي على مَن قتله وناصبه وناواه ونازعه، أمَا أنّه سيّد الشهداء من الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة، وسيّد شباب أهل الجنّة من الخلق أجمعين، وأبوه أفضل منه وخير، فاقرأه السلا م وبشّره بأنه راية الهدى ومنار

أوليائي،وحفيظي وشهيدي على خلقي،وخازن علمي،وحجتي على أهل السماوات وأهل الأرضين والثقلين الجن والإنس[٣٠].

ملاحظة:

ما جاء في الخبر المتقدِّم من أنّ النبيّ تراءى له ربّه في أحسن صورة، لا يُراد منه المعاينة البصريّة بل التجلّي الرّبوبيّ والرّؤية الشهوديّة القلبيّة، لاستلزام الرؤية البصريّة التجسيم، وهو باطلٌ بالضرورة العقليّة، والأدلّة النقليّة المحكمة .

كما وأنّ المراد من وضع الله يده على رأس الإمام الحسين عليه السلام هو يد القدرة والعِلْم والحِلْم، والفهم، وكلّ الصفات الجماليّة والكماليّة لله تعالى .

(١٤) . وعن محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن أبيه، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن محمّد بن حماد الكوفي، عن إبراهيم بن موسى الأنصاري، قال: حدثني مصعب، عن جابر، عن محمّد إبن علي عليهما السَّلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: من سره أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل جنتي، جنة عدن غرسها ربي بيده [أي بقدرته]، فليتول عليّاً ويعرف فضله والأوصياء من بعده، ويتبرأ من عدوي، أعطاهم الله فهمي وعلمي، هم عترتي من لحمي ودمي، أشكو إلى ربّي عدوهم من أمّتي، المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتي، والله ليقتلن إبني ثمّ لا تنالهم شفاعتي[٣١].

(١٥) . وروى الخوارزمي فصلاً خاصّاً بأخبار رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم عن شهادة الإمام الحسين عليه السلام بأسانيد متعددة، منها :

ما رواه عن موسى الجهني بن أربد النخعي قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم لأم سلمة رضي الله عنها : إجلسي على الباب فلا يلجن عليَّ أحد. فجاء الحسين عليه السلام وهو وحف [الوحف هو المسرع] قال فذهبت أم سلمة تناوله فسبقها قالت : أم سلمة فلمّا طال عليَّ خفت أن يكون قد وجد عليَّ فتطلعت من الباب فوجدته يقلب بكفيه شيئاً والصبي نائم على بطنه ودموعه تسيل . فلما أمرني أن أدخل قلت يا نبي الله إن إبنك جاء فذهبت أتناوله فسبقني فلما طال عليَّ خفت أن تكون قد وجدت عليَّ ، فتطلعت من الباب فوجدتك تقلب بكفيك [تعني شيئاً] ودموعك تسيل والصبي نائم على بطنك فقال :إنّ جبرائيل أتاني با لتربة التي يقتل عليها، وأخبرني أن أمتي تقتله[٣٢].

(**١٦**) . وروى بسندٍ آخر عن شدّاد بن عبد الله عن أمّ الفضل بنت الحرث أنها دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم فقالت: يا رسول الله إنّي رأيت حلماً منكراً اللّيلة، قال: وما هو قالت: أنه شديد قال: وما هو قالت : رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم : رأيت خيراً. تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فيكون في حجرك . فولدت فاطمة الحسين عليه السلام فكان في حجري كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم فدخلت يوماً على رسول الله فوضعته في حجره ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله تهريقان الدموع فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي ما لك ؟، فقال: أتاني جبرائيل فأخبرني أن

أمتي ستقتل إبني هذا، فقلت : هذا؟ فقال: نعم، وأتاني بتربة من تربته حمراء(٣٣).

(١٧) . وبنفس الإسناد عن محمّد بن إبراهيم التيمي عن أبي سلمة عن عائشة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم أجلس حسيناً على فخذه فجاء جبرائيل إليه فقال : هذا ابنك؟ قال: نعم، قال: أما إن أمتك ستقتله بعدك، فدمعت عينا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم فقال جبرائيل ان شئت أريتك الأرض التي يقتل فيها، قال : نعم، فأراه جبرائيل تراباً من تراب الطف(٣٤).

(١٨) . وبهذا الإسناد عن أبي عبد الله الحافظ أخبرني خلف بن محمد البخاري حدثني صالح بن محمّد الحافظ حدثني محمد بن يحيى الذهلي حدثني سعيد بن عبد الملك حدثني عطاء بن مسلم عن أشعث يعني ابن سحيم ع ن ابيه عن أنس، يعني ابن الحرث، قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: إن إبني هذا . يعني الحسين عليه السلام ،. يقتل في أرض العراق فمن أدركه منكم فلينصره، قال: مقتل أنس بن الحرث مع الحسين بن علي عليه السلام، وبهذا الإسناد عن أبي عبد الله الحافظ حدثني أبو بكر محمد بن أحمد حدثني إبراهيم بن عبد الله بن الحجاج حدثني حجاج بن نصير حدثني قرة بن خالد حدثني عامر بن عبد الواحد عن أبي الضحى عن ابن عباس قال :ما كنا نشك أهل البيت وهم متوافرون أن الحسين بن عليّ عليه السلام يقتل بالطف(٣٥).

ملاحظة هامّة:

تشير هذه النصوص بوضوح أنّ رسول الله محمد اً صلّى الله عليه وآله وسلَّم كان يعرف الأرض التي سيستشهد عليها حفيده الإمام الحسين (عليه السلام)، بل هناك نصوص دلّت على أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم كان يعلم السنة التي سيستشهد فيها الإمام الحسين (عليه السلام) منها:

(١٩) . ما ورد عن سليمان بن أحمد بسند معنعن عن سعد بن طريف عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه عليهم السلام عن أمّ سلمة قالت : قال رسول الله: يقتل الحسين على رأس ستين من مهاجري[٣٦].

بل نزيد القارئ بأنّ الناس يومذاك كانوا يعلمون أن الإمام الحسين (عليه السلام) سوف يستشهد في كربلاء، ويشهد له ما رواه الخوارزمي وأمثاله، منها:

(٢٠) . ما ورد عن أحمد بن علي بن المثنى قال حدثني شيبان عن عمارة بن زاذان عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال : إستأذن ملك القطر والمطر به أن يزور النبي فأذن تعالى له وكان في يوم أم سلمة فقال النبيّ : يا أم سلمة احفظي علينا الباب لا يدخل علينا أحد قال: فبينما هي على الباب إذ جاء الحسين بن علي فاقتحم الباب فدخل فجعل النبي يلتزمه ويقبله،فقال الملك اتحبه، قال: نعم، إن أمتك ستقتله إن شئت أريتك المكان الّذي يقتل فيه قال نعم فقبض قبضة من المكان الذي يقتل فيه فأراه فجاء بسهلة أو تراب أحمر فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها قال ثابت فكنا نقول : أن الحسين يقتل فقتل في كربلاء[٣٧].

بل توجد نصوص تدل على أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم يعرف يزيد بن معاوية قاتل الإمام الحسين (عليه السلام)، منها:

(٢١) . عن أبي العلاء عن محمّد بن إسماعيل الصيرفي أخبرنا أحمد بن محمّد ابن الحسين عن سليمان بن أحمد اللخمي عن الحسن بن عبّاس الرازي عن أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان الرقي حدّثني عمرو بن بكير القعيني حدّثني مجاشع بن عمرو قالا : حدّثنا عبد الله بن لهيعة عن أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّ معاذ بن جبلة أخبره، قا ل: خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم مصفرّ اللون فقال : أنا محمّد أوتيت جوامع الحكم فواتحها وخواتمها فأطيعوني ما دمتُ بين أظهركم فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله عزّ وجلّ، أحِلُّوا حلاله، وحرِّمُوا حرامه، أتتكم الموتة، أتتكم بالرّوح والراحة، كتاب من الله سبق أتتكم فتن كقطع الليل المظلم، كلما ذهب رسل جاء رسل، تناسخت النبوّة؛ فصارت مُلكاً، رحم الله مَن أخذها بحقّها؛ وخرج منها كما دخلها؛ أمسك يا معاذ واحصِ، قال : فلمّا بلغت خمسة بالإحصاء، قال يزيد : لا بارك الله في يزيد ثمّ ذرفت عيناه بالدّموع؛ ثمّ قال : نُعي إليَّ الحسين؛ ثمّ أُتيت بتربته، وأُخبرت بقتله؛ وقاتله أو قتلته؛ والّذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قومٍ لا يمنعونه إلاّ خالف الله بين صدورهم وقلوبهم، وسلّط عليهم شرارهم وألبسهم شيعاً؛ ثمّ قال : آهٍ لفرخ آل محمّد من خليفة مستخلف مترف؛ يقتل خَلَفي وخَ لَف الخَلَف؛ أمسك يا معاذ فلمّا بلغتُ عشرة قال الوليد اسم فرعون هادم شرائع يبوء بدمه رجل من أهل بيته يسلّ الله سيفه فلا غماد له سريع ويختلف الناس فكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه؛ ثمّ قال وبعد العشرين والمائة موت سريع؛ وقتل ذريع؛ فيه هلاكهم ويلي عليهم رجل من ولد العبّاس[٣٨] .

(**٢٢**) . ذكر أحمد بن أعثم الكوفي في تاريخه بأسانيد له كثيرة عن رسول الله منها ما ذكر من حديث ابن عباس،ومنها ما ذكر من حديث أم الفضل بنت الحرث حين أدخلت حسيناً على رسول الله فأخذه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم وبكى وأخبرها بقتله إ لى ان قال : ثمّ هبط جبرائيل في قبيل من الملائكة قد نشروا أجنحتهم يبكون حزناً على الحسين، وجبرائيل معه قبضة من **تربة الحسين تفوح مسكاً أذفر**، فدفعها إلى النبي وقال : يا حبيب الله هذه تربة ولدك الحسين بن فاطمة **وسيقتله اللّعناء بأرض كربلاء** فقال النبيّ: حبيبي جبرائيل ، وهل تفلح أمة تقتل فرخي وفرخ إبنتي فقال جبرائيل: لا، بل يضربهم الله بالإختلاف فتختلف قلوبهم وألسنتهم آخر الدهر. "وقال" شرحبيل بن أبي عون أن الملك الّذي جاء إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم إنما كان ملك البحار وذلك أن ملكا من ملائكة الفراديس نزل إلى البحر ثمّ نشر أجنحته عليه وصاح صيحة قال فيها : يا أهل البحار ألبسوا ثياب الحزن فإن فرخ محمّد مقتول مذبوح، ثم جاء إلى النبي فقال : يا حبيب الله تقتتل على هذه الأرض فرقتان من أمتك إحداهما ظالمة متعدية فاسقة تقتل فرخك الحسين إبن إبنتك بأرض كرب وبلاء، وهذه التربة عندك وناوله قبضة من أرض كربلاء وقال له : تكون هذه التربة عندك حتى ترى علامة ذلك، ثم حمل ذلك الملك من تربة الحسين في بعض أجنحته فلم يبق ملك في سماء الدنيا الا شم تلك التربة وصار لها عنده أثر وخبر، قال: ثم أخذ النبيّ تلك القبضة التي أتاه بها الملك فجعل ي شمها ويبكي ويقول في

بكائه اللهم لا تبارك في قاتل ولدي، وأصله نار جهنم، ثم دفع تلك القبضة إلى أم سلمة وأخبرها بقتل الحسين بشاطئ الفرات وقال : يا أم سلمة خذي هذه التربة إليك فانها إذا تغيرت وتحولت دماً عبيطاً فعند ذلك يقتل ولدي الحسين فلما أتى على الحسين من ولادته سنة كاملة هبط على رسول الله اثنا عشر ملكا أحدهم على صورة الأسد والثاني على صورة الثور والثالث على صورة التنين والرابع على صورة ولد آدم والثمانية الباقون على صور شتى محمرة وجوههم قد نشروا أجنحتهم وهم يقولون : يا محّمد سينزل بولدك الحسين ما نزل بهابيل من قابيل وسيعطى مثل أجر هابيل، ويحمل على قاتله مثل وزر قابيل، قال: ولم يبق في السماء ملك إلا ونزل على النبي يعزيه بالحسين ويخبره بثواب ما يعطي ويعرض عليه تربته والنبي يقول : اللّهم أخذل من خذله، واقتل من قتله ولا تمتعه بما طلبه . وقال المسورين مخرمة ولقد أتى النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم ملك من ملائكة الصفيح الأعلى لم ينزل إلى الأرض منذ خلق الله الدنيا وإنما استأذن ذلك الملك ربه ونزل شوقاً منه إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم فلما نزل إلى الأرض أوحى الله عز وجل إليه : أيها الملك أخبر محمدأ بأن رجلاً من أمته يقال له يزيد يقتل فر خك الطاهر وابن الطاهرة نظيرة البتول مريم إبنة عمران فقال الملك: إلهي وسيدي لقد نزلت وأنا مسرور بنزولي إلى نبيك فكيف أخبره بهذا الخبر ليتني لم أنزل عليه فنودي الملك من فوق رأسه ان امض لما أمرت، فجاء وقد نشر أجنحته حتى وقف بين يديه، فقال : السلام عليك يا حبيب الله إني استأذنت ربي في النزول إليك فليت ربي دق جناحي ولم آتك بهذا الخبر ولكني مأمور يا نبي الله،

إعلم أن رجلاً من أمتك يقال له يزيد يقتل فرخك الطاهر إبن فرختك الطاهرة نظيرة البتول مريم إبنة عمران ولم يمتع من بعد ولدك وسيأخذ ه الله معافصة على أسو ء عمله، فيكون من أصحاب النار، قال ولما أتت على الحسين من مولده سنتان كاملتان خرج النبي في سفر فلما كان في بعض الطريق وقف فاسترجع ودمعت عيناه فسئل عن ذلك فقال : هذا جبرائيل يخبرني عن أرض بشاطئ الفرات يقال لها كربلاء يقتل فيها ولدي الحسين ابن فاطمة فقيل: من يقتله يا رسول الله؟ فقال: رجل يقال له يزيد لا بارك الله في نفسه وكأني أنظر إلى منصرفه ومدفنه بها وقد أهدي رأسه، والله ما ينظر أحد إلى رأس ولدي الحسين فيفرح الا خالف الله بين قلبه ولسانه، يعني ليس في قلبه ما يكون بلسانه من الشهادة، قال ثم رجع النبي من سفره ذلك مغموماً فصعد المنبر فخطب ووعظ والحسين بين يديه مع الحسن فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسين ورفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إني محمد عبدك ونبيك وهذان أطائب عترتي وخيار ذريتي و أرومتي ومن أخلفهما في أمتي، اللهم وقد أخبر ني جبرائيل بأن ولدي هذا مقتول مخذول، اللهم فبارك لي في قتله واجعله من سادات الشهداء انك على كل شيء قدير، اللهم ولا تبارك في قاتله وخاذله، قال فضجّ الناس في المسجد بالبكاء، فقال النبيّ: أتبكون ولا تنصرونه اللهم فكن له أنت ولياً وناصراً (٣٩).

(٢٣) . وعن أبي عبد الله الحافظ حدثنا محمد بن يعقوب حدثنا الحسن بن علي بن عفان حدثنا أبو أسامة عن سفيان بن ع يينة عن عبد الله ابن عبد الله الأصم عن عمه يزيد بن الأصم قال : خرجت مع الحسن بن علي

من الحمام فبينما هو جالس يحك ظفره من الحناء إذ أتت اضبارة من الكتب فما نظر في شيء منها حتى دعا الخادم بالمخضب والماء فألقاها فيه ثم دلكها فقلت: يا أبا محمد ومن أين هذه الكتب ؟ قال: من العراق، من عند قوم لا يقصرون عن باطل ولا يرجعون إلى حق .(قال) سفيان فزادني غير عبد الله في هذا الحديث أنه قال : أما أني لست أخشاهم على نفسي ولكني أخشاه م على ذاك، وأشار إلى الحسين[٤٠].

(**٢٤**) . روى إبن قولويه القمّي قال: حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبي سعيد الحسن بن علي بن زكريا العدوي البصري، قال: حدثنا عمرو المختار، قال : حدثنا إسحاق بن بشر، عن العوّ ام مولى قريش قال:سمعت مولاي عمر بن هبيرة، قال: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم والحسن والحسين في حجره، يقبّل هذا مرة وهذا مرة، ويقول للحسين : إن الويل لمن يقتلك[٤١].

(**٢٥**) . وقال أيضاً حدثني أبي رحمه الله عن سعد بن عبد الله ع ن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان، عن أبي سعيد القماط، عن إبن أبي يعفور، عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام، قال:

بينما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم في منزل فاطمة والحسين في حجره، إذ بكى وخر ساجداً، ثم قال: يا فاطمة يا بنت محمد إن العليّ الأعلى تراءى لي في بيتك هذا في ساعتي هذه في أحسن صورة وأهيأ هيئة، فقال لي : يا محمد أتحب الحسين عليه السلام؟ قلت: نعم، يا رب قرة عيني وريحانتي وثمرة فؤادي وجلدة ما بين عيني، فقال لي: يا محمد . ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام .

بورك من مولود عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني، ونقمتي ولعنتي وسخطي وعذابي وخزيي ونكالي على مَن قتله وناصبه وناواه ونازعه، أما إنه سيد الشهداء من الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة، وسيد شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين، وأبوه أفضل منه وخير، فاقرأه السّلام وبشّره بأنه راية الهدى ومنار أوليائي، وحفيظي وشهيدي على خلقي، وخازن علمي، وحجتي على أهل السماوات وأهل الأرضين والثقلين والإنس والجن[٤٢].

(٢٦) . وقال حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن أبيه عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن حماد الكوفي، عن إبراهيم بن موسى الأنصاري، قال : حدثني مصعب، عن جابر، عن محمد ابن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: مَن سرَّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل جنتي ، جنة عدن غرسها ربي بيده، فليتول علياً ويعرف فضله والأوصياء من بعده، ويتبرأ من عدوي، أعطاهم الله فهمي وعلمي، هم عترتي من لحمي ودمي، أشكو إلى ربّي عدوهم من أمتي، المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتي، والله ليقتلن إبني ثم لا تنالهم شفاعتي[٤٣].

(٢٧) . روى إبن طاووس قال: قالت أمّ الفضل، زوجة العباس: رأيت في منامي قبل مولده كأن قطعة من لحم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم قطعت فوُضعت في حجري، فعبّرتُ ذلك على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم فقال:" خيراً رأيتِ، إنْ صدقت رؤياك فإن فاطمة ستلد غلاماً فأدفعه إليك لترضعيه".

قالت فجرى الأمر على ذلك.

فجئت به يوماً، فوضعته في حجره، فبال ، فقطرت من بوله قطرة على ثوب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم ، فقرصته، فبكى، فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم:" مهلاً يا أمّ الفضل، فهذا ثوبي يُغسل، وقد أوجعت إبني".

قالت: فتركته في حجره، وقمت لآتيه بماء، فجئت، فوجدته صلوات الله عليه وآله يبكي.

فقلتُ: ممّا بكاؤك يا رسول الله؟

فقال:" إن جبرائيل عليه السلام أتاني، فأخبرني أن أمتي تقتل ولدي هذا، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة.

قال رواة الحديث: فلمّا أتت على الحسين عليه السلام من مولده سنة كاملة، هبط على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم إثنا عشر ملكاً: أحدهم على صورة الأسد،والثاني على صورة الثّور، والثالث على صورة التنين، والرابع على صورة ولد آدم، والثمانية الباقون على صورة شتى، محمّرة وجوه هم باكية عيونهم، قد نشروا أجنحتهم، وهم يقولون: يا محمّد سينزل بولدك الحسين بن فاطمة ما نزل بهابيل من قابيل، وسيُعطى مثل أجر هابيل، ويحمل على قاتله مثل وزر قابيل.

ولم يبق في السماوات ملك إلاّ ونزل إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم، كلّ يقرؤه السلام، ويعزّيه في الحسين عليه السلام، ويخبره بثواب ما يُعطى ويعرض عليه تربته، والنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم يقول:" اللّهمّ اخذل من خذله، واقتل من قتله، ولا تمتّعه بما طلبه".

قال: فلمّا أتى على الحسين عليه السلام سنتان من مولده خرج النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم من سفرٍ لهـ، فوقف في بعض الطريق، فاسترجع ودمعت عيناه".

فسُئل عن ذلك، فقال:" هذا جبرائيل يخبرني عن أرضٍ بشطّ الفرات يقال لها كربلاء يقتل بها الحسين بن فاطمة".

فقيل له:مَن يقتله يا رسول الله؟

فقال:" رجلٌ اسمه يزيد، وكأنّي أنظر إلى مصرعه ومدفنه".

ثمّ رجع من سفره ذلك مغموماً، فصعد المنبر فخطب ووعظ، والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه.

فلمّا فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن واليسرى على رأس الحسين، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال :" اللّهم انّ محمّداً عبدك ورسولك، وهذان أطائب عترتي وخيار ذرّيتي وأرومتي ومن أخلفهما في أمّتي، وقد أخبرني جبرائيل عليه السلام أن ولدي هذا مقتول مخذول، اللّهم فبارك له في قتله واجعله من سادات الشهداء، اللهم ولا تبارك في قاتله وخاذله".

قال: فضجّ الناس في المسجد بالبكاء والنحيب.

فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم: "أتبكون ولا تنصرونه".

ثمّ رجع صلوات الله عليه وهو متغيّر اللّون محمرّ الوجه، فخطب خطبةً أخرى موجزة وعيناه تهملان دموعاً، قال:

" أيّها الناس إنّي قد خلفت فيكم الثقلين : كتاب الله، وعترتي أهل بيتي وأرومتي ومزاج مائي وثمرتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، ألا وأني

أنتظرهما، وأني لا أسألكم في ذلك إلاّ ما أمرني ربّي أن أسألكم المودّة في القربى، فانظروا ألاّ تلقوني غداً على الحوض وقد أبغضتم عترتي وظلمتموهم وقتلتموهم .

ألا وإنه سترد عليَّ يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأمّة:

راية سوداء مظلمة قد فزعت لها الملائكة، فتقف عليَّ ، فأقول: مَن أنتم؟ فينسون ذكري، ويقولون: نحن أهل التوحيد من العرب .

فأقول لهم: أنا أحمد نبيّ العرب والعجم .

فيقولون: نحن من أمّتك يا أحمد .

فأقول لهم: كيف خلّفتموني من بعدي في أهلي وعترتي وكتاب ربّي؟

فيقولون: أما الكتاب فضيّعناه، وأما عترتك فحرصنا على أنْ نبيدهم عن جديد الأرض .

فأُولّي وجهي عنهم، فيصدرون عطاشا مسودّة وجوههم .

ثمّ ترد عليَّ راية أخرى أشدّ سواداً من الأولى، فأقول لهم : كيف خلّفتموني في الثقلين الأكبر والأصغر: كتاب ربّي، وعترتي؟

فيقولون: أما الأكبر فخالفناه، وأمّا الأصغر فخذلناهم ومزّقناهم كلّ مُمَزَّق.

فأقول: إليكم عنّي، فيصدرون ظماءً عطاشا مسودّة وجوههم .

ثمّ ترد عليَّ راية أخرى تلمع نوراً، فأقول لهم : مَن أنتم؟ فيقولون : نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى، نحن أمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، ونحن بقيّة أهل الحقّ، حملنا كتاب الله فأحللنا ح لاله وحرّمنا حرامه، وأحببنا ذريّة نبيّنا

محمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم، فنصرناهم في كلّ ما نصرنا منه أنفسنا، وقاتلنا معهم مَن ناواهم .

فأقول لهم: أبشروا فأنا نبيّكم محمّد، ولقد كنتم في دار الدنيا كما وَصَفتم، ثمّ أسقيهم من حوضي، فيصدرون مرويّين مستبشرين، ثمّ يدخلون الجنّة خالدين فيها أبداً ".

قال: وكان الناس يتعاودون ذكر قتل الإمام الحسين عليه السلام، ويستعظمونه ويرتقبون قدومه [٤٤].

(٢٨) . عن إبن قولويه القمّى، عن أبيه رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد ابن عبد الجبار، عن عبد الرّحمان بن أبي نجران، عن جعفر بن محمّد بن حكيم، عن عبد السمين، يرفعه إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال:

كان أمير المؤمنين عليه السلام يخطب الناس وهو يقول: سلوني قبل أنْ تفقدوني فوالله ما تسألوني عن شيء مضى ولا شيء يكون إلاّ أنبأتكم به، قال : فقام إليه سعد بن أبي وقّاص، وقال : يا أمير المؤمنين: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة، فقال له:

والله لقد سألتني عن مسألة حدّثني خليلي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم أنك ستسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلاّ وفي أصلها شيطان جالس، وإنّ في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني، وعمر يومئذٍ بين يدي أبيه[٤٥] .

باب في أخبار أمير المؤمنين بقتل الحسين عليه السلام:

روى ابن قولويه القمّي أخباراً متضافرة بذلك ، منها:

(١) . حدثني محمد بن جعفر الرزاز القريشي، قال:حدثني خالي محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن علي بن النعمان، عن عبد الرحمان بن سيابة، عن أبي داوود السبيعي، عن ابن عبد الله الجدلي، قال: دخلت على أمير المؤمنين والحسين عليه السلام إلى جنبه، فضرب بيده على كتف الحسين عليه السلام ثم قال: ان هذ يقتل ولا ينصره أحد، قال: قلت: يا أمير المؤمنين والله ان تلك لحياة سوء،قال: ان ذلك لكائن[٤٦] .

(٢) . حدثني أبي رحمه الله وجماعة، ع ن سعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر الحميري ومحمد بن يحيى العطّار، عن محمد بن الحسين بإسناده مثله[٤٧].

(٣) . حدثني محمد بن جعفر الرزاز، عن خاله محمد بن الحسين، عن نصر بن مزاحم، عن عمرو بن سعيد، عن يزيد بن إسحاق، عن هاني بن هاني، عن مولانا علي عليه السلام، قال: ليقتل الحسين قتلاً، وإني لأعرف تربة الأرض التي يقتل عليها قريباً من النهرين[٤٨].

(٤) . حدثني أبي عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين بإسناده مثله[٤٩].

(٥) . روى الصدوق عن أبيه عن الكميداني، عن إبن عيسى، عن إبن أبي نجران، عن جعفر بن محمّد الكوفي، عن عبيد السمين، عن إبن ظريف، عن أصبغ بن نباته قال:

بينا كان أمير المؤمنين عليه السلام يخطب الناس وهو يقول: سلوني قبل أن تفقدوني فوالله ما تسألوني عن شيء مضى ولا شيء يكون إلاّ نبّأتكم به، قال: فقام

إليه سعد بن أبي وقّاص وقال: يا أمير المؤمنين أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة؟، فقال له عليه السلام:

أمَا والله لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم أنك ستسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرة الا وفي أصلها شيطان جالس، وان في بيتك لسخلاً يقتل الحسين إبني، وعمر يومئذٍ يدرج بين يدي أبيه[٥٠].

(٦) . عن سعد عن محمّد بن عبد الجبار ، عن إبن أبي نجران، عن جعفر ابن محمّد بن حكيم، عن عبيد السمين يرفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يخطب الناس وذكر مثله[٥١].

(٧) . عن إبن مسرور عن إبن عامر، عن عمّه ، عن الأزدي، عن أبان بن عثمان عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن إبن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: مَن سرَّه أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل جنّة عدن منزلي، ويمسك قضيباً غرسه ربّي عزّ وجل ثمّ قال له : كن فكان، فليتولّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وليأتم بالأوصياء من ولده، فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتي، إلى الله أشكو أعداءهم من أمّتي المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتي، وأيم الله ليقتلنّ إبني بعدي الحسين عليه السلام لا أنالهم الله شفاعتي[٥٢].

(٨) . وروى المفيد والطبرسي أن أمير المؤمنين كان يخطب فقال في خطبته "سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألو ني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة إلاّ أنبأكم بناعقها وسائقها إلى يوم القيامة".

فقام إليه رجل فقال: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر؟ فقال أمير المؤمنين: والله لقد حدّثني خليلي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم بما سألت عنه وإنّ علىكل طاقة شعر في رأسك ملك يلعنك،وعلى كلّ طاقة شعر في لحيتك شيطان يستفزّك وإنّ في بيتك لسخلاً يقتل إبن بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم وآية ذلك مصداق ما خبّرتك به ولولا أنّ الّذي سألت عنه يعسر برهانه لأخبرتك به ولكن آية ذلك ما أنب أتكم به من لعنتك وسخلك الملعون، وكان إبنه في ذلك الوقت صبياً صغيراً يحبو . فلمّا كان من أمر الإمام الحسين عليه السلام ما كان تولّى قتله كما قال أمير المؤمنين عليه السلام [٥٣] .

(٩) . وفي قرب الإسناد عن محمد بن عيسى عن القدّاح، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام قال: مرّ عليّ بكربلاء في إثنين من أصحابه قال: فلمّا مرّ بها ترقرقت عيناه بالبكاء ثمّ قال : هذا مناخ ركابهم، وهذا ملقى رحالهم، وههنا تهرق دماؤهم، طوبى لك من تربة عليك تهراق دماء الأحبّة[٥٤] .

(١٠) . عن بصائر الدرجات عن محمد بن الحسين، عن يزيد شعر، عن هارون بن حمزة، عن أبي عبد الرحمان، عن سعد الأسك اف، عن محمّد بن عليّ بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم : من سرّه أن يحيى حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل جنة ربّي التي وعدني : جنّة عدن منزلي : قضيب من قضبانه غرسه ربّي تبارك وتعالى بيده فقال له : كن! فكان. فليتولّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأوصياء من ذريته. أنهم الأئمة من بعدي، هم عترتي من لحمي ودمي، رزقهم الله فضلي

وعلمي وويل للمنكرين فضلهم من أمتي، القاطعين صلتي، والله ليقتلنّ إبني لا أنالهم الله شفاعتي(٥٥).

(١١) . عن كامل الزيارات، عن الصفار، عن اليقطيني، عن زكريا المؤمن، عن أيّوب بن عبد الرحمان وزيد أبي الحسن وعبّ اد جميعاً، عن سعد الأسكاف، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله(٥٦).

(١٢) . عن بصائر الدرجات، عن عبد الله بن محمد،عن إبن محبوب، عن أبي حمزة، عن سويد بن غفلة، قال : بينما أنا عند أمير المؤمنين عليه السلام إذ أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين جئتك من وادي القرى، وقد مات خالد بن عرفطة فقال له أمير المؤمنين : إنّه لم يمت فأعادها عليه ، فقال له عليّ عليه السلام: لم يمت والّذي نفسي بيده لا يموت، فأعادها عليه الثالثة فقال : سبحان الله أخبرك أنّه مات، وتقول لم يمت ! فقال له عليّ عليه السلام: لم يمت والّذي نفسي بيده،لا يموت حتّى يقود جيش ضلالة يحمل رايته حبيب بن جمّاز [في نسخة أخرة حبيب بن حمار].

قال: فسمع بذلك حبيب فأتى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : أناشدك فيَ وإنّي لك شيعة، وقد ذكرتني بأمر، لا والله ما أعرفه من نفسي، فقال له عليّ عليه السلام: إن كنت حبيب بن جمّاز فتحملنّها [فولّى حبيب بن جمّاز وقال: إن كنت حبيب إبن جمّاز لتحملنها].

قال أبو حمزة : فوالله ما مات حتّى بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن علي عليه السلام وجعل خالد بن عرفطة، وحبيب صاحب رايته(٥٧).

(١٣) . عن الحسن بن محبوب، عن ثابت الثمالي، عن أبي إسحاق السبيعي، عن سويد بن غفلة عنه عليه السلام مثله وزاده في آخره: وسار بها حتّى دخل المسجد من باب الفيل[٥٨].

ملاحظة:

باب الفيل : مصطلح أطلقه بنو أميّة على باب الثعبان في مسجد الكوفة، وقد سُمِّي بباب الثعبان كرامةً ومعجزةً لأمير المؤمنين عليه السلام لما دخل عليه ثعبان في مسجد الكوفة وهو على المنبر، فخاف الناس منه وهربوا، حتى قدم إلى أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر، وهمس في أذنه، فأجابه الأمير عليه السلام عن مسائل أشكلت عليه، حيث إنّ هذا الثعبان عظيم من عظماء الجن، فسُمِّي الباب الّذي دخل منه هذا الثعبان بإسمه، فجاء بنو أميّة ليهدموا هذه الفضيلة فأدخلوا فيلاً من نفس الباب ليصرفوا تلك الكرامة عن وجهها .

(١٤) . وفي كامل الزيارات عن كامل عن محمد بن الرّزاز، عن خاله ابن أبي الخطاب، عن عليّ إبن النعمان، عن عبد الرحمان بن سيابه، عن أبي داوود البصري، عن أبي عبد الله الجدلي قال : دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام والحسين عليه السلام إلى جنبه فضرب بيده إلى كتف الحسين عليه السلام ثم قال: إنّ هذا يقتل ولا ينصره أحد، قال : قلت يا أمير المؤمنين ! والله إن تلك لحياة سوء : إنّ ذلك لكائن[٥٩].

(١٥) . عن إبن قولويه قال: عن أبي، عن سعد والحميري ومحمد العطار جميعاً، عن إبن أبي الخطّاب مثله[٦٠].

(١٦) . عن محمد بن جعفر، عن خاله إبن أبي الخطّاب، عن نصر بن مزاحم عن عمرو بن سعيد، عن يزيد بن إسحاق، عن هانئ بن هانئ، عن مولانا علي عليه السلام قال:

ليقتل الحسين قتلاً وإني لأعرف تربة الأرض التي يقتل عليها قريباً من النهرين(٦١).

(١٧) . عن محمد بن جعفر، عن خاله إبن أبي الخطاب، وحدّثني أبي وجماعة عن سعد ومحمّد العطاّر معاً عن إبن أبي الخطاب، عن نصر بن مزاحم، عن عمرو بن سعيد، عن عليّ بن حمّاد، عن عمرو بن شمر،عن جابر، عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: قال عليّ للحسين: يا أبا عبد الله أسوة أنت قدماً؟ فقال : جعلت فداك ما حالي؟ قال : علمت ما جهلوا وسينتفع عالم بما علم، يا بنيّ إسمع وأبصر من قبل أن يأتيك ، فوالّذي نفسي بيده ليسفكنّ بنو أميّة دمك لا يزيلونك [لا يردّونك] عن دينك، ولا ينسونك ذكر ربّك، فقال الحسين عليه السلام: والّذي نفسي بيده حسبي، وأقررت بما أنزل الله وأصدق نبيّ الله ولا أكذّب قول أبي(٦٢).

(١٨) . روى إسماعيل بن صبيح، عن يحيى بن المسافر العابدي، عن إسماعيل بن زياد قال إنّ عليّاً قال للبراء بن عازب ذات يوم: يا براء يقتل إبني الحسين وأنت حيّ لا تنصره، فلمّا قتل الحسين عليه السلام كان البراء بن عازب يقول: صدق والله عليّ بن أبي طالب قُتِل الحسين ولم أنصره، ثمّ يظهر على ذلك الحسرة والندم(٦٣).

(١٩) . عن لوط بن يحيى عن عبد الله بن قيس قال : كنت مع من غزا مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفّين وقد أخذ أبو أيّوب الأعور السّلمي الماء وحرزه عن الناس فشكى المسلمون العطش فأرسل فوارس على كشفه فانحرفوا خائبين، فضاق صدره، فقال له ولده الحسين عليه السلام أمضي إليه يا أبتاه؟ فقال: إمض يا ولدي، فمضى مع فوارس فهزم أبا أيّوب عن الماء، وبنى خيمته وحط فوارسه، وأتى إلى أبيه وأخبره.

فبكى عليّ عليه السلام فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ وهذا أوّل فتح ببركة الحسين عليه السلام فقال: ذكرت أنّه سيقتل عطشاناً بطفّ كربلا، حتى ينفر فرسه ويحمحم ويقول:"الظليمة الظليمة لأمّة قتلت ابن بنت نبيّها[٦٤]".

(٢٠) . عن ابن قولويه قال : حدثني أبي رحمه الله وعليّ بن الحسين عن سعد إبن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أحمد بن أبي داود، عن سعد بن عمر الجلاّب، عن الحارث الأعور قال: قال عليّ عليه السلام: بأبي وأمي الحسين المقتول بظهر الكوفة، والله كأني أنظر إلى الوحوش مادّةً أعناقها على قبره من أنواع الوحش، يبكونه ويرثونه ليلاً حتى الصّباح، فإذا كان ذلك فإيّاكم والجفاء[٦٥].

(٢١) . وعنه أيضاً قال: حدثني أبي رحمه الله وجماعة مشايخنا علي بن الحسين ومحمّد بن الحسن، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن أحمد إبن الحسين الميثمي، عن علي الأزرق، عن الحسن بن الحكم النخعي، عن رجل قال:

سمعت أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول في الرحبة، وهو يتلو هذه الآية : ﴿**فَما بَكَتْ علَيْهِمْ السّمَاْءُ والأرْضُ ومَ اْ كَاْنُوْاْ مُنْظَرِيْنْ**﴾ (الدخان/٢٩)، وخرج عليه الحسين عليه السلام من بعض أبواب المسجد، فقال: أما ان هذا سيقتل وتبكي عليه السماء والأرض(٦٦).

(**٢٢**) . عن ابن قولويه قال: حدثني محمد بن جعفر الرّزّاز، عن محمّد بن الحسين، عن الحكم بن مسكين، عن داود بن عيسى الأنصا ري، عن محمد بن عبد الرحمان بن أبي ليلى، عن إبراهيم النخعي، قال:

خرج أمير المؤمنين عليه السلام فجلس في المسجد واجتمع أصحابه حوله، وجاء الحسين عليه السلام حتّى قام بين يديه، فوضع يده على رأسه فقال: يا بني ان الله عبر أقواماً بالقرآن، فقال : ﴿**فَما بَكَتْ علَيْهِمْ السّمَاْءُ والأرْضُ ومَاْ كَاْنُوْاْ مُنْظَرِيْنْ**﴾ وأيم الله ليقتلنك بعدي ثم تبكيك السماء والأرض(٦٧).

(**٢٣**) . وحدثني أبي، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن الحسين إبن أبي الخطاب بإسناده مثله(٦٨).

(**٢٤**) . وعن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمّد، عن البرقي محمد بن خالد، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن الحسن إبن الحكم النخعي، عن كثير بن شهاب الحارثي، قال:

بينما نحن جلوس عند أمير المؤمنين عليه السلام في الرحبة إذ طلع الحسين عليه السلام عليه، فضحك عليّ عليه السلام ضحكاً حتّى بدت نواجذه، ثم قال: إن الله ذكر قوماً وقال:﴿**فما بكت عليهم السما ء والأرض وما كانوا منظرين**﴾ والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليقتلنّ هذا ولتبكينّ عليه السماء والأرض(٦٩).

باب الأخبار الدّالّة على علم الإمام الحسين (عليه السلام) بمصيره:

(١) . روى إبن قولويه فقال:حدّثني محمد بن جعفر الرّزّاز، عن خاله محمد بن الحسين ابن أبي الخطاب، عن نصر بن مزاحم، عن عمرو بن سعيد، وعن علي بن حماد، عن عمرو بن شمر،عن جابر، عن مولانا أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

قال علي (عليه السلام) للحسين (عليه السلام): يا أبا عبد الله أسوة أنت قدماً، فقال : جعلت فداك ما حالي ؟، قال: علمت ما جهلوا وسينتفع عالم بما علم، يا بني إسمع وابصر من قبل أن يأتيك، فوالذي نفسي بيده ليسفكنّ بنو أميّة دمك ثم لا يزيلونك عن دينك، ولا ينسونك ذكر ربك، فقال الحسين : والذي نفسي بيده حسبي أقررت بما أنزل الله واصدّق قول نبي الله ولا أكذب قول أبي[٧٠].

إشارة هامّة:

قوله (عليه السلام): أسوة أنتَ قدماً؛ يُراد به أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) قدوة لكلّ حزين، أي ثبُت قديماً أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) أسوة الخلق يقتدون به، ويتأسّون بذكر مصيبته عند كلّ حزن يطرأ عليهم .

(٢) . عن إبن قولويه قال حدّثني أبي رحمه الله و عليّ بن الحسين جميعاً، عن سعد إبن عبد الله، عن محمّد بن أبي الصّهبان، عن عبد الرّحما ن بن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن فضيل الرسان، عن أبي سعيد عقيصا، قال: سمعت الحسين بن علي عليهما السّلام وخلا به عبد الله بن الزبير وناجاه طويلاً، قال: ثمّ أقبل الحسين (عليه السلام) بوجهه اليهم وقال: إنّ هذا يقول لي: كن

حماماً من حمام الحرم، ولأ ن أُقتل وبيني وبين ا لحرم باع أحبّ إليّ من أن أُقتل وبيني وبينه شبر، **ولأنْ أُقتل بالطّفّ أحبّ إليّ من أن أُقتل بالحرم**(٧١).

(٣) . و عنهما، عن سعد، عن محمّد بن الحسين، عن صفوان بن يحيى، عن داود بن فرقد، عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام، قال : قال عبد الله بن الزّبير للحسين عليه السلام: و لو ج ئت إلى مكّة فكنت بالحرم، فقال الحسين عليه السلام:لا نستحلّها ولا تستحلّ بنا، **ولأنْ أُقتل على تلّ أعفر أحبّ إليّ من أن أُقتل بها** (٧٢).

(٤) . حدّثني أبي رحمه الله ومحمّد بن الحسن، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن أبيه، عن أبي الجّارود، عن مولانا أبي جعفر عليه السلام، قال : إنّ الحسين عليه السلام خرج من مكّة قبل التروية بيوم، فشيّعه عبد الله بن الزّبير فقال : يا أبا عبد الله لقد حضر الحجّ وتدعه وتأتي العراق، فقال: **يابن الزّبير لان أُدفن بشاطئ الفرات أحبُّ إليَّ من أن أُدفن بفناء الكعبة**(٧٣).

(٥) . حدّثني محمّد بن جعفر الرّزاز، عن محمّد بن الحسين إبن أبي الخطّاب، عن محمّد بن يحيى الخثعمي، عن طلحة بن زيد، عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه، عن الحسين بن علي عليهما السّلام، قال:

و الّذي نفس حسين بيده **لا ينتهي بني أميّة ملكهم حتى يقتلوني وهم قاتلي**، فلو قد قتلوني لم يصلّوا جميعاً أبداً، ولم يأخذوا عطاءً في سبيل

الله جميعاً أبداً، **إنّ أوّل قتيل هذه الأمّة أنا وأهل بيتي،** والّذي نفس حسين بيده لا تقوم السّاعة وعلى الأرض هاشمي يطرف(٧٤).

(٦) . حدّثني أبي رحمه الله، عن سعد، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن يحيى الخزّاز، عن طلحة، عن مولانا جعفرالعَلَيْهِ السَّلَام مثله(٧٥).

(٧) . حدّثني جماعة مشايخي، منهم عليّ بن الحسين و محمّد بن الحسن، عن سعد، عن أحمد بن محمّد و محمّد بن الحسين و إبراهيم بن هاشم جميعاً، عن الحسن بن علي بن فضال، عن أبي جميلة المفضل بن صالح، ع ن شهاب بن عبد ربّه، عن مولانا أبي عبد الله العَلَيْهِ السَّلَام أنّه قال :

لما صعد الحسين بن علي عليهما السّلام عقبة البطن قال لأصحابه : **ما أراني إلاّ مقتولاً**، قالوا: وما ذاك يا أبا عبد الله؟، قال: رؤيا رأيتها في المنام، قالوا: وما هي، قال : **رأيت كلاباً تنهشني، أشدّها عليّ كلب أبقع** (٧٦).

(٨) . وحدّثني أبي رحمه الله و جماعة من مشايخي، عن سعد بن عبد الله، عن عليّ بن إسماعيل بن عيسى و محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن محمّد بن عمرو بن سعيد الزّيّات، عن عبد الله بن بكير، عن زرارة، عن مولانا أبي جعفر العَلَيْهِ السَّلَام قال : كتب الحسين بن عليّ العَلَيْهِ السَّلَام من مكّة إلى محمّد بن علي:

بسم الله الرّحمن الرّحيم من الحسين بن علي إلى محمّد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أمّا بعد **فإنّ من لحق بي استشهد** ومَن لم يلحق بي لم يُدرك الفتح، والسّلام(٧٧) .

(٩) . قال محمّد بن عمرو ، حدّثني كرام عبد الكريم بن عمرو ، عن ميسر عن عبد العزيز ، عن مولانا أبي جعفر عليه السلام، قال : كتب الحسين بن علي عليهما السّلام إلى محمّد بن علي عليه السلام من كربلاء :

بسم الله الرّحمن الرّحيم من الحسين بن عليّ إلى محمّد بن عليّ ومَن قبله من بني هاشم، أمّا بعد **فكأنّ الدّنيا لم تكن و كأنّ الآخرة لم تزل** ،و السّلام(٧٨).

(١٠) . عن كشف الغمّة و الإرشاد رويا : عن سالم بن أبي حفصة قال : قال عمر بن سعد للحسين عليه السلام : يا أبا عبد الله إن قبلنا ناساً سفهاء **يزعمون أنّي أقتلك** ؟ فقال له الإمام الحسين عليه السلام: أنهم ليسوا سفهاء ولكنّهم حلماء **أما إنه يقرّ عيني أن لا تأكل برّ العراق بعدي إلاّ قليلا** (٧٩).

إشارة مهمّة:

هذا الخبر وأمثاله حجّة على مَن أنكر عِلْم الإمام بمصيره، مدّعياً بـ : "إنّ هذه الأخبار لو كانت منتشرة ومعروفة لكانت من أهمّ الأمور التي يسعى النظام الأموي للإستفادة منها ..." ما كنت أظن أنّ أخي العلاّمة يصل به الحال إلى هذا الحد من إنكار الواضحات في أخبار عترة الرّسول!!

أسأل الله عزّ وجلّ أن يهديه إلى الصّواب ،إنّه خير مسؤولٍ ومجيب.

(**١١**) . قال ابن طاووس : أخبرني جماعة . وقد ذكرت أسماءهم في كتاب غياث سلطان الورى لسكّان الثّرى . بإسنادهم إلى أبي جعفر محمّد بن بابويه القمّي فيما ذكر في أماليه، بإسناده إلى المفضل بن عمر، عن مولانا الصّادق عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام :

إنّ الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل يوماً على الحسن عليه السلام، فلمّا نظر إليه بكى، فقال : ما يبكيك؟ قال : أبكي لما يُصنع بك، فقال الحسن عليه السلام: إنّ الّذي يُؤتى إليَّ سُمّ يُدسُّ إليّ فأُقتل به، و لكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدّعون أنهم أمّة جدّنا محمّد صلّى الله عليه و آله، و ينتحلون الإسلام، فيجتمعون على قتلك و سفك دمك و انتهاك حُرمتك و سبي ذراريك و نسائك و انتهاك ثقلك، فعندها يُحلّ الله ببني أميّة اللّعنة و تمطر السّماء دماً ورماداً، و يبكي عليك كلّ شيء حتّى الوحوش والحيتان في البحار[٨٠].

(**١٢**) . وعنه أيضاً قال : حدّثني جماعة منهم من أشرت إليه، بإسنادهم إلى عمر النسّابة رضوان الله عليه فيما ذكره في آخر كتاب الشّافي في النّسب، بإسناده إلى جدّه محمّد إبن عمر قال : سمعت أبي عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام يحدّث أخوالي آل عقيل قال :

لما امتنع أخي الحسين عليه السلام عن البيعة ليزيد بالمدينة، دخلت عليه فوجدته خالياً، فقلت له : جُعلت فداك يا أبا عبد الله حدّثني أخوك أبو محمّد الحسن، عن أبيه عليهم السّلام، ثمّ سبقتني الدّمعة وعلا شهيقي، فضمّني إليه

وقال : حدّثك أبيّ مقتول؟ فقلت : حوشيت يابن رسول الله، فقال: سألتك بحقّ أبيك بقتلي خبّرك ؟ فقلت: نعم، فلولا ناولت وبايعت .

فقال: حدّثني أبي: أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله أخبره بقتله و قتلي، و أنّ تُربتي تكون بقرب تربته، **فتظنّ أنّك علمت ما لم أعلمه** ، وإنّه لا أُعطي الدنيّة من نفسي أبداً، ولتلقينّ فاطمة أباها شاكية ما لقيت ذرّيّتها من أُمّته، ولا يدخل الجنّة أحد آذاها في ذرّيتها (٨١).

(١٣) . روى إبن طاووس فقال : ثم إن الحسين عليه السلام قام وركب، وصار كلّما يمنعونه تارةً ويسايرونه أخرى، حتّى بلغ كربلاء، وكان ذلك في اليوم الثاني من المحرّم.

فلمّا وصلها قال:" ما إسم هذه الأرض؟"

فقيل: كربلا.

فقال:" **إنزلوا، هاهنا والله محطّ ركابنا وسفك دمائنا، هاهنا والله محط قبورنا وهاهنا والله سبي حريمنا، بهذا حدثني جدي**".

فنزلوا جميعاً، ونزل الحرّ وأصحابه ناحية، وجلس الحسين عليه السلام يصلح سيفه ويقول:

يا دهر أفٍّ لك من خليلِ	كم لك بالإشراق والأصيل
من طالب وصاحبٍ قتيلِ	والدهـ ـر لا يقنع بالبديـل

وإنّما الأمر إلى الجليل وكلّ حيّ فإلى سبيل

ما أقرب الوعد إلى الرحيل إلى جنان وإلى مقيل

قال الراوي: فسمعت زينب إبنة فاطمة عليهما السَّلام ذلك، فقالت: يا أخي هذا كلام من قد أيقن بالقتل.

فقال:" نعم يا أختاه".

فقالت زينب: واثكلاه، ينعى إليّ الحسين نفسه.

قال: وبكى النسوة ولطمن الخدود وشققن الجيوب.

وجعلت أم كلثوم تنادي: وامحمّداه واعليّاه واأماه وافاطمتاه واحسناه واحسيناه واضيعتاه بعدك يا أبا عبد الله.

قال: فعزّاها الحسين عليه السلام وقال لها: " يا أختاه تعزّي بعزاء الله، فإنّ سكان السماوات يموتون، وأهل الأرض لا يبقون، وجميع البريّة يهلكون".

ثم قال عليه السلام:" يا أختاه يا أمّ كلثوم، وأنت يا زينب، وأنت يا رقية، وأنت يا فاطمة وأنت يا رباب، أنظرن إذا أنا قُتلت فلا تشققن عليَّ جيباً ولا تخمشن عليَّ وجهاً ولا تقلن عليّ هجراً"[82].

(١٤) . روى الخوارزمي بإسناده عن شيخ الإسلام الحاكم الجشمي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام **لما صار إلى صفين نزل بكربلاء** وقال لإبن عباس: أتدري ما هذه البقعة؟ قال لا قال: لو عرفتها لبكيت بكائي، ثم بكى بكاءً

شديداً ثم قال: مالي ولآل سفيان **ثمّ التفت إلى الحسين وقال صبراً يا بني** فقد لقي أبوك منهم مثل الّذي تلقى بعده[٨٣] .

إشارة هامّة:

هذا الحديث وأمثاله يشير إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام سمع من أبيه أنه سيُقتل في كربلاء، فعلام ينكر إذاً السيد الأمين وأمثاله هذه الأحاديث الصحيحة الدالّة على عِلْمه الموروث من آبائه على أقلّ تقدير، عدا عن أنه يعلم من خلال العِلْم اللدني الموهوب له من علاّم الغيوب ؟!.

(١٥) . قال إبن قولويه قال : حدّثني أبو الحسين بن عبد الله بن علي الناقد، قال: حدثني عبد الرحمان الأسلمي، عن عبد الله بن الحسن،عن عروة بن الزبير، قال: سمعت أبا ذر، وهو يومئذ قد أخرجه عثمان إلى الربذة، فقال له النّاس: يا أبا ذر فهذا قليل في الله تعالى، فقال:

ما أيسر هذا، ولكن كيف أنتم إذا قتل الحسين بن علي عليه السلام قتلاً . أو قال: ذبحاً . والله لا يكون في الإسلام بعد قتل الخليفة [يعني أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام] أعظم قتيلاً منه، وان الله سيسلّ سيفه على هذه ا لأمة لا يغمده أبداً، ويبعث قائماً من ذريته فينتقم من الناس، وأنكم لو تعلمون ما يدخل على أهل البحار وسكان الجبال في الغياض والآكام وأهل السماء من قتله لبكيتم والله حتّى تزهق أنفسكم.

وما من سماء يمرّ به روح الحسين عليه السلام إلا فزع له سبعون ألف ملك، يقومون قياماً ترعد مفاصلهم إلى يوم القيامة، وما من سحابة تمرّ وترعد وتبرق

إلا لعنت قاتله، وما من يوم وتعرض روحه على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم فيلتقيان(٨٤).

(١٦) . أنّه عليه السلام لما أراد العراق قالت له أم سلمة : لا تخرج إلى العراق فقد سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم يقول:

يقتل ابني الحسين بأرض العراق وعندي تربة دفعها إليّ في قارورة.

فقال: **والله إني مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلونني أيضاً، وإن أحببت أن أريك مضجعي ومصرع أصحابي** . ثمّ مسح بيده على وجهها، ففسح الله في بصرها حتّى أراها ذلك كلّه، وأخذ تربة فأعطاها من تلك التربة أيضاً في قارورة أخرى، وقال عليه السلام: **فإذا فاضتا دماً، فاعلمي أنّي قتلت.**

فقالت أم سلمة : فلمّا كان يوم عاشوراء نظرت **إلى القارورتين** بعد الظهر **فإذا هما قد فاضتا دماً**،فصاحت.

ولم يقلب في ذلك اليوم حجر ولا مدر إلاّ وجِدَ تحته دم عبيط(٨٥).

(١٧) . وروى القطب الراوندي أيضاً في كتابه " الخرايج والجرائح" عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال : لما كانت اللّيلة الّتي قتل فيها الحسين عليه السلام في صبيحتها قام في أصحابه فقال عليه السلام:

إنّ هؤلاء يريدونني دونكم، ولو قتلوني لم يقبلوا إليكم [خ ل: لم يلتفتوا وفي نسخة أخرى : لم يصلوا]، فالنجاة النجاة، وأنتم في حلّ ف إنكم إن أصبحتم معي قتلتم كلّكم.

فقالوا: لا نخذلك، ولا نحلو العيش بعدك.

فقال عليه السلام: إنّكم تقتلون كلّكم حتّى لا يفلت منكم واحد. فكان كما قال عليه السلام[86].

وصفوة القول:

بعد الإسهاب الرّوائيّ . الدّال على علم الإمام الحسين عليه السلام بمصيره المحتوم وهو الشهادة، وليس الذهاب إلى العراق لإقامة حكومة إسلاميّة كما يدّعي هؤلاء المشكّكون ،، يعلم الباحث والمتطلّع إلى الحقيقة، أنّ الذهاب إلى كربلاء كان هدفاً وليس نتيجةً . حسبما يدّعي السيد الأمين . وذلك لأمرين:

الأول: هذا الكمّ الهائل من النصوص الدالّة على علمه المسبق بكلّ خطوات تحركه، مذ أنْ خرج من مدينة جدّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم، فهو روحي فداه كان يسعى للوصول إلى كربلاء التي هي المقصد الأسنى لعمليّة الإعتراض الفكري والعسكري . [وإنْ كانت العدّة غير متكافئة نتيجة تقلّص العدد خلال مسيره إلى العراق] ولكنّ قلّته لا تمنع من المواجهة والصّدام العسكري ليكون البلاغ أقوى والحجّة أعظم، وأصاب . بأبي هو وأمي ونفسي . باختياره كربلاء تلك الصحراء القاحلة وعلى مفترق طرق إلى إيران واليمن والكوفة، لتكون الشهادة درب خلاص الأمّة من يزيد الطاغية والّذي ستكشف عن خفاياه المأساة التي تعرّض لها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الميامين، وما فعله ذاك الطاغية بأهل بيته وعياله من قتلٍ وسبيٍ وتوهين، فلو لم تكن الشهادة في كربلاء كيف يمكن أنْ تتمّ عملية التعرية لنظام القمع

والإستبداد؟! هل كان بإمكان العيال أنْ يسيرهُنّ العدوّ سبايا من المدينة إلى مكّة؟

لا أعتقد أنّ النتيجة ستكون بالمستوى المطلوب الّذي أراده الإمام الحسين عليه السلام من خلال شهادته في العراق . وبالأخص . كربلاء، والإعتراض السائد بأنه كيف يمكن الإعتقاد بسبي مولاتنا زينب وبقيّة النسوة، ولا يم كن أنْ يرضى الله بسبيهنّ، دونه خرط القتاد، إذ عندما تكون الغاية شريفة ونبيلة وأهمّ من المقدّمات، يرضى الله تعالى بمقدّماتها، وهنا هكذا،حيث إنّ الهدف والغاية هو رفعة التوحيد وإعزاز دين الله، فلا شكّ أنّ المقدّمات سترخص أمام عظمة ونبل الهدف الّذي هو أهمّ من السّبي والقتل اللذان هما في الواقع من مقدّمات ذاك الهدف السامي والنبيل.

الثاني: لو كان القتل في العراق نتيجة . كما يصوّره هؤلاء . [وليس غاية كما نقول بها طبقاً للمجمع عليه بين محققي الإماميّة ولفهمنا للأخبار الدالة على ذلك] لاستلزم ذلك الجهل في النتائج المترشّحة من مقدّمات فعل المعصوم عليه السلام،وهو . أي الجهل . خلاف المطلقات الدالّة على عصمته في المقدّمات والنتيجة، وإلاّ كان الفصل بينهما، خرقاً للإطلاق المدَّعى، وفصلاً من دون بيّنة وبرهان .

مضافاً إلى أنّ الخرق المذكور يقتضي القول بعبثيّة الهدف الإلهي ا لّذي لم يكن على بالِ الإمام الحسين عليه السلام بحسب الفرض، إذ لو قلنا بأنّ الهدف الربّاني هو إقامة الحكومة الإسلاميّة في الكوفة، فشهادة الإمام عليه السلام في كربلاء قبل تحقق الهدف . وهو الحكومة في الكوفة . يستلزم نسبة الجهل

والنقص في أفعال المولى عزّ وجلّ، والقائل بذلك خارج م ن ربقة الإسلام، عدا عن الإيمان .

مضافاً إلى أنّ تخصيص علمه (عليه السلام) بالمقدّمات في وقت دون آخر، وعلى وجه دون آخر مع تساوي الأوقات، والأحوال بالنسبة إلى الفاعل والقابل لا بدّ له من مخصّص وهو مفقود في البين .

وبالجملة؛ إنّ المعتقد بجهل الإمام الحسين (عليه السلام) بموضوع الحكم الشرعي سواء أكان الموضوع من المقدّمات أم من النتائج، لا يخلو من محذورين : إما جاهل بهذه الأخبار المتواترة، وإمّا منكر لها، وكلاهما . أي الجهل والإنكار . سببان للتوبيخ والعقاب عند الله عزّ وجلّ .

أمّا الأوّل فواضح، من حيث إنّ الجهل بهذه الأخبار على كثرتها، يعتبر تقصيراً في الفتوى قبل الفحص في الأخبار، بل يمكنني القول بأنها فتوى بلا حجّة وبرهان، وهي محرَّمة بإجماع الأمّة وإطباق الأخبار والنصوص، لا سيّما وأنّ القول بالبراءة الشّرعيّة قبل الفحص عن القرائن المتصلة والمنفصلة، ينمّ عن ضعف في الفقاهة، مضافاً لاستلزامه الإفتراء على الله عزّ وجلّ والأئمّة عليهم السَّلام .

وأمّا الثاني : فالضرورة قاضية بخروج صاحبه عن الإسلام، فلا مبرِّر له حينئذٍ سوى الإستحسان أو الميل إلى قضاة وحكّام العامّة . وشيء آخر غير متصوَّر في حقّ هؤلاء سوى حمل بعضهم على الصحّة على أقل تقدير، من حيث أنهم اطّلعوا على هذه الأخبار ولكنهم فهموا منها ما أشاروا إليه، ولكنه حملٌ يقتضي القول بعدم فقاهتهم أصلاً، لا سيّما وأنهم ينكرون

أحاديث واضحة الدّلالة على المطلوب، أمثال : حديث القارورة، وحديث : شاء الله أنْ يراني قتيلاً، وحديث : إنّ الإمام محدَّث من قِبَل الله ورسول الله، وحديث الرّزم أو الصحائف، إلخ...

دعوى واهية:

مفاد الدّعوى: "إنّ مشروع الإمام الحسين عليه السلام إنما هو لمصلحة الأمّة، وهذه المصلحة لا تتحقق إلاّ بواسطة حركة هادفة إلى تحقيق أهدافها في الحياة الدنيا وليس في الآخرة ولا في صحراء كربلاء، إذ كيف يكون الإستشهاد هدفاً للإمام الحسين عليه السلام، ويكون هدفه في نفس الوقت التغيير والإصلاح وإقامة حكم الله في الأرض ..." مضيفاً إلى سجلّ أدلّته: "إنّ مشروع الإمام عليه السلام وهو الشهادة يخالف مشروع مصلحة الأمّة، وعليه؛ فكيف يصادر حريتها، ويلغي إرادتها، ويفرض عليها مشروعه بالقوّة، والله تعالى يقول : ﴿**أنلزمكموها وأنتم لها كارِهون**﴾ (هود/٢٨)[٨٧].

يرد عليه:

(**١**) . إنّ الملازمة بين إصلاح الأمّة وإقامة حكومة في الكوفة، أمرٌ لم أكن أعهدُ صدوره من أخي العلاّمة السيّد، إذ لا يخفى عليه عدم وجود ملازمة عقليّة في البين، وما دام الأمر لم يصل إلى حدّ الملازمة العقليّة، فما الضير في أنْ يكون الإصلاح في الشهادة، وفي كربلاء بالخصوص، ما دامت الغاية هي المراد وهو الإصلاح، فالخلاف على الوسائل حينئذٍ يكون صوريّاً وشكليّاً .

واستغرابه من كون الإستشهاد هدفاً، وفي نفس الوقت هدفه التغيير وإقامة حكم الله في الأرض، غير ضائرٍ بالنتيجة إذ الهدف عند الإمام عليه السلام واحد

وليس اثنين حتى يستلزم الإستغراب، لأنّ الإستشهاد المؤدّي إلى كشف زيف المنافقين والكافرين هو في واقعه تغييرٌ وإصلاحٌ وتثبيتٌ لحكم الله في الأرض .

فالخلط بين الإستشهاد وبين ا لتغيير بإقامة حكم الله، يعتبر تمييعاً لهدف الإمام الحسين عليه السلام في إصلاح أمّة جدّه من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكَر، وقد أدّاه الإمام عليه السلام . فديته بنفسي . على أحسن وجه، وبأفضل كيفيّة لم يسبقه إليها سابق، ولن يلحقه لاحق .

(٢) . دعواه بأنّ الإمام الحسين عليه السلام . فديته بنفسي . يصادر إرادة الأمّة لو كان هدفه الإستشهاد، غريبة عجيبة، إذ كيف يصادر حريتها . روحي فداه . وقد خيَّر اصحابه ليلة العاشر من محرَّم؟ بل لِمَ خرج من مكّة ومعه الآلآف من الناس، حتى إذا وصل كربلاء لم يتجاوز عددهم الخمسمائة إلى أنْ وصل إلى اثنين أو ثلاث وسبعين رجلاً. وأظنّ أنّ السيّد نسي تلك الخطبة التي هي أشهر من النار على عَلَم، والتي أجاز الإمام عليه السلام لأصحابه في ليلة العاشر بالإنصراف، حيث يقول :[أمّا بعد، فإني لا أعلم أصحاباً خيراً منكم، ولا أهل بيت أفضل وأبرّ من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خير اً، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرّقوا في سواد الليل وذروني وهؤلاء القوم، فإنهم لا يريدون غيري" .

فقال له إخوته وأبناؤه وأبناء عبد الله بن جعفر، ولِمَ نفعل ذلك، لنبقى بعدك! لا أرانا الله ذلك أبداً، وبد أهم بهذا القول العبّاس بن عليّ عليه السلام، ثمّ تابعوه .

قال الرّاوي : ثمّ نظر إلى بني عقيل وقال عليه السلام: " حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم، إذهبوا فقد أذنت لكم" .

وروي من طريق آخر قال : فعندها تكلّم إخوته وجميع أهل بيته وقالوا : يا بن رسول الله، فماذا يقول الناس لنا، وما ذا نقول لهم، إذ تركنا شيخنا وكبيرنا وسيّدنا وإمامنا وابن بنت نبيّنا، ولم نرمِ معه بسهمٍ ولم نطعن معه برمحٍ ولم نضرب معه بسيفٍ، لا والله يابن رسول الله لا نفارقك أبداً، ولكنا نقيك بأنفسنا حتى نقتل بين يديك ونرِد موردك، فقبّح الله العيش بعدك.

ثمّ قام مسلم بن عوسجة وقال : نحن نخليك هكذا وننصرف عنك وقد أحاط بك هذا العدوّ، لا والله لا يراني الله وأنا أفعل ذلك حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي قائمه بيدي، ولو لم يكن لي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، ولم أفارقك أو أموت دونك.

قال: وقام سعيد بن عبد الله الحنفي فقال : لا والله يابن رسول الله لا نخلّيك أبداً حتى يعلم الله أنا قد حفظنا فيك وصيّة رسول الله محمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم، ولو علمت أني أُقتل فيك ثمّ أُحيى ثم أُحرق حيّاً ثم أُذرى . يُفعل بي ذلك سبعين مرّة . ما فارقتك حتى ألقى حمامي من دونك، فكيف وإنما هي قتلة واحدة ثمّ أنال الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً؟!

ثمّ قام زهير بن القين وقال : والله يابن رسول الله لوددتُ أني قتلت ثمّ نشرت ألف مرّة وأن الله يدفع بذلك القتل عنك وعن هؤلاء الفتية من إخوتك وولدك وأهل بيتك .

قال: وتكلّم جماعة من أصحابه بمثل ذلك وقالوا:أنفسنا لك الفداء نقيك بأيدينا ووجوهنا، فإذا نحن قتلنا بين يديك نكون قد وفينا لربّنا وقضينا ما علينا] (٨٨).

وهكذا لما أتمّ خطبته عليه السلام قام الأصحاب يعبّرون عمّا يختلج في نفوسهم من الحبّ والعشق للتضحيّة في سبيل سيّد الأحرار المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام المظلوم، أليس هذا دليلاً كافياً ووافياً على عدم وجود فرض لإقامة مشروع الشهادة؟ وهل فرض الإمام عليه السلام إرادته على زهير إبن القين لما جاءه ملبّياً تاركاً عياله وأولاده؟ وهل فرض الإمام عليه السلام مشروعه حينما زحف الحرّ حافياً طالباً منه التوبة؟ ! وهل ضغظ على عبد الله بن عمر لما تخاذل عنه؟ وهل أوقع الفرزدق بحياء لما طلب منه التحلّل من ذلك؟ ! وأمثال ذلك كثير يجدها أخي العلاّمة وأمثاله إذا ما أصاخوا للحقّ، ونبذوا الأهواء المستعرة في الأفئدة والعقول .

لم يفرض الإمام الحسين عليه السلام على أحد ليحقق مشروعه بالقوّة، بل الأخبار واضحة المغزى من أنّ أكثر أصحابه التحقوا به وهو في طريقه إلى العراق، فلم يبعث برسائل لهم لينصروه، ولم تكن لديه روحي فداه وسيلة قويّة تخوّله أنْ يفرض مشروعه، وإلاّ لو كان يملك تلك الوسيلة لما احتاج للذهاب إلى العراق، بل استعملها في المدينة، والسيّد نفسه يقرّ بأنّ الإمام عليه السلام إنما ذهب إلى العراق تلبيةً لرسائل أهل الكوفة، حيث فيها العدّة والعدد، ففَرْضُ وسيلة لبسط مشروعه بالقوّة خلاف ما يعتقده المستشكل المذكور من خروج الإمام عليه السلام من المدينة لقلّة الناصر والمعين، ومَن كان بهذه الصّفة كيف يمكن

الإعتقاد بأنه يصادر حريتها ويلغي إرادتها ويفرض عليها مشروعه بالقوّة وهو يستغيث فلا يُغاث، ويقول فلا يُسمع، ويأمر فلا يُطاع؟!!.

وبما أفدنا سار الإمام الحسين عليه السلام منفّذاً لإرادة الله، ومطبّقاً للقانون الإلهيّ الدّال على أنه لا يستطيع أنْ يلزم أحداً لقبول دعوته ومكرِهاً عليها، إذ كيف يكرههم على ذلك، مع أنّه لا إكراه أو إجبار في دين الله سبحانه لقوله تعالى: ﴿**لا إكراه في الدّين قد تبيّن الرّشد من الغيّ** ﴾ (آية الكرسي في سورة البقرة) ﴿**أنلزمكموها وأنتم لها كارهون** ﴾ (هود/٢٨)، لأنّ نصرة الدّين، تتطلّب قابليّة واستعداداً، فما دام الناس يومذاك غير مستعدّين لنصرته؛ لا يمكن حينئذٍ للإمام عليه السلام أنْ يجبرهم على ذلك، مع أنّ النصرة تابعة للإستعداد والإختيار، مع عدم توفرهما إلاّ في القليل من الناس في زمانه عليه السلام .

ودعواه في صفحة: ١٤ من كتابه؛ "بأنّ مشروع الأنبياء هو قضيّة الأمّة في الوحدة والعدالة، لا بدّ من أنْ يكون منبثقاً عن إرادة الأمّة واختيارها "، مغالطة ومصادرة على المطلوب، إذ إلقاء نظرة على تاريخ الأنبياء العِظام لا سيّما رسول الله محمّد وأمير المؤمنين عليّ عليهما السَّلام، يوضّح لنا كيف أنّ الرسول دعا أهل مكّة إلى نبذ الشّرك وعبادة الأصنام فلم يستجب له سوى عصابة قليلة، وهكذا عندما هاجر إلى المدينة وشهر سيفه بوجه أولئك الكفار والمنافقين يدعوهم إلى التوحيد وهم كارهون له ولدعوته أيضاً، ومع هذا فقد علت دعوته عليهم، وكانت إرادته صلّى الله عليه وآله وسلَّم فوق إرادتهم واختيارهم للشرك والوثنيّة .

فمشروع العدالة عند الأنبياء لا يدور وراء إرادة الأمّة واختيارها للعدل، بل إنّ إقامة الحدود والتعزيرات في أيّ حكومة إسلاميّة تريد بسط نفوذ أحكامها، وانبثاق العدل من أفرادها، غير متوقف على اختيارهم وإرادتهم، بل السيف هو الفيصل في انبثاق العدل بينهم، لك ن ليس معناه أنّ الإمام الحسين عليه السلام فرض إرادته لبسط مشروعه .

وعليه؛ فما أفاده المستشكِل في دعواه، يفتقر إلى دليل نقليّ واضحٍ لم نلحظه في استدلاله.

عودٌ على بدء:

من خلال ما قدّمنا، يتضح للباحث عِلْم الإمام الحسين عليه السلام بمصيره، وأما التفاصيل والتفريعات الدّالة على عِلْمه عليه السلام بالموضوعات المتعلّقة بأفعال المكلَّفين، فضلاً عن أفعاله . المقدّمات والنتائج . فإليكها ضمن الفصول الآتية .

هوامش الفصل الثاني:

(١) بحار الأنوار:٢٤٢/٤٤ ح٣٧ .

(٢) بحار الأنوار: ٤٥/٤٤ ح٤٤ .

(٣) بحار الأنوار:٢٤٣/٤٤ ح٣٨ .

(٤) بحار الأنوار:٢٤٣/٤٤ ح٣٩ .

(٥) الخصائص الحسينيّة:١٠٥ .

(٦) بحار الأنوار:٢٤٣/٤٤، والخصائص الحسينيّة:١٠٦ .

(٧) الخصائص الحسينيّة:١٠٦ .

(٨) بحار الأنوار:٢٤٤/٤٤ ح٤١ .

(٩) الخصائص الحسينيّة:١٠٦-١٠٧ .

(١٠) بحار الأنوار:٣٠٠/٤٤ ح٤ .

(١١) تفسير نور الثقلين : ٣١٩/٣ ح٣ نقلاً عن كمال الدين للصدوق والمناقب لإبن شهر آشوب، وتفسير البرهان: ٢/٣ ح٣ .

(١٢) كامل الزيارات: الباب ١٣٧/١٩ ح٢ .

(١٣) كامل الزيارات:باب١٣٨/١٩ ح٣ .

(١٤) كامل الزيارات:باب١٣٩/١٩ ح٤ .

(١٥) بحار الأنوار:٢٤٤/٤٤ ح٤٢ .

(١٦) بحار الأنوار:٢٤٤/٤٤ ح٤٣ .

(١٧) كامل الزيارات: باب١٤٢/٢١ ح٢، وبحار الأنوار:٣٠١/٤٤ ح١٠ .

(١٨) بحار الأنوار:٢٣٩/٤٤ ح٣٠ نقلاً عن الإرشاد للمفيد .

(١٩) بحار الأنوار:٢٣٩/٤٤ ح٣١ .

(٢٠) بحار الأنوار:٢٤٠/٤٤ ح٣١ .

(٢١) كامل الزيارات:باب١٤٣/٢٢ ح١٦٩ .

(٢٢) كامل الزيارات: باب١٤٥/٢٢ ح١٧٠، وبحار الأنوار:٢٦٤/٤٤ ح٢٢ نقلاً عن تفسير فرات:١٧١.

(٢٣) بحار الأنوار:٢٤٠/٤٤ ح٣٣ .

(٢٤) بحار الأنوار:٢٤١/٤٤ ح٣٤ .

(٢٥) بحار الأنوار:٢٤٧/٤٤ ح٤٦ .

(٢٦) بحار الأنوار:٤٤/٢٤٧ .

(٢٧) بحار الأنوار:٤٤/٢٥٢ح٢ .

(٢٨) كامل الزيارات: باب٢٢/١٤٦ح١٧٢ .

(٢٩) كامل الزيارات: باب٢٢/١٤٧ح١٧٣ .

(٣٠) كامل الزيارات: باب٢٢/١٤٧ـ١٤٨ح١٧٤ .

(٣١) كامل الزيارات: باب٢٢/١٤٨ح١٧٥ .

(٣٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي/ الفصل الثامن/١٥٨ .

(٣٣) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي/ الفصل الثامن/١٥٩ .

(٣٤) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي/ الفصل الثامن/١٥٩ .

(٣٥) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي:١/١٦٠ .

(٣٦) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي/ الفصل الثامن،١/١٦١ .

(٣٧) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي:١/١٦٠ .

(٣٨) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي:١/١٦٠ـ١٦١ .

(٣٩) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي:١/١٦٢ـ١٦٤/ الفصل الثامن .

(٤٠) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي:١/١٦٦ .

(٤١) كامل الزيارات: باب٢٢/١٤٧ح١٧٣ .

(٤٢) كامل الزيارات: باب٢٢/١٤٧ـ١٤٨ح١٧٤ .

(٤٣) كامل الزيارات: باب٢٢/١٤٨ح١٧٥ .

(٤٤) اللهوف على قتلى الطفوف:٩١-٩٦ .

(٤٥) كامل الزيارات:١٥٥ـ١٥٦ح١٩١ .

(٤٦) كامل الزيارات: باب٢٣/١٤٩ح١٧٦ .

(٤٧) كامل الزيارات: ١٤٩ح١٧٧ .

(٤٨) كامل الزيارات:باب٢٣/١٥٠ح١٨٠ .

(٤٩) كامل الزيارات: ١٥٠ح١٨١ .

(٥٠) بحار الأنوار:٤٤/٢٥٦ح٥ .

(٥١) بحار الأنوار:٤٤/٢٥٧ح٥ .

(٥٢) بحار الأنوار:٤٤/٢٥٧ـ٢٥٨ح٦ .

(٥٣) بحار الأنوار: ٤٤/٢٥٨ح٧ .

(٥٤) بحار الأنوار:٤٤/٢٥٨ح٨ .

(٥٥) بحار الأنوار:٤٤/٢٥٨ح٩ .

(٥٦) بحار الأنوار:٤٤/٢٥٩ح٩ .

(٥٧) بحار الأنوار:٤٤/٢٥٩ح١١ .

(٥٨) بحار الأنوار:٤٤/٢٦٠ح١٢ .

(٥٩) بحار الأنوار:٤٤/٢٦١ح١٥ .

(٦٠) بحار الأنوار:٤٤/٢٦١ح١٥ .

(٦١) بحار الأنوار:٤٤/٢٦٢ح١٦ نقلاً عن كامل الزيارات .

(٦٢) بحار الأنوار:٤٤/٢٦٢ح١٧ نقلاً عن كامل الزيارات .

(٦٣) بحار الأنوار:٤٤/٢٦٢ح١٨ نقلاً عن كامل الزيارات .

(٦٤) بحار الأنوار:٤٤/٢٦٦ح٢٣ .

(٦٥) كامل الزيارات: باب٢٩/١٦٥ح٢١٤ .

(٦٦) كامل الزيارات: باب٢٨/١٧٩ح٢٤١ .

(٦٧) كامل الزيارات: باب٢٨/١٨٠ح٢٤٢ .

(٦٨) كامل الزيارات: باب٢٨/١٨٠ح٢٤٣ .

(٦٩) كامل الزيارات: باب٢٨/١٨٦ح٢٦١ .

(٧٠) كامل الزيارات: باب٢٣/١٤٩ح١٧٨ .

(٧١) كامل الزيارات: باب٢٣/١٥٠ح١٨٢ .

(٧٢) كامل الزيارات: باب٢٣/١٥١ح١٨٣ .

(٧٣) كامل الزيارات: باب٢٣/١٥١ح١٨٤ .

(٧٤) كامل الزيارات: باب٢٣/١٥٦ح١٩٢ .

(٧٥) كامل الزيارات: باب٢٣/١٥٦ح١٩٣ .

(٧٦) كامل الزيارات: باب٢٣/١٥٦ح١٩٤ .

(٧٧) كامل الزيارات: باب٢٣/١٥٧ح١٩٥ .

(٧٨) كامل الزيارات: باب٢٣/١٥٧ح١٩٦ .

(٧٩) بحار الأنوار:٤٤/٢٦٣ح١٠ .

(٨٠) هامش اللهوف على قتلى الطفوف:٩٩ .

(٨١) هامش اللهوف على قتلى الطفوف:١٠٠ .

(٨٢) اللهوف على قتلى الطفوف:١٣٩.١٤١ .

(٨٣) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي:١٦٢ .

(٨٤) كامل الزيارات: باب٢٣/١٥٣ح١٩٠ .

(٨٥) الخرائج والجرائح للراوندي:١/٢٥٣ح٧ باب معجزات الإمام الحسين عليه السلام .

(٨٦) الخرائج والجرائح:١/٢٥٤ .

(٨٧) كيف نفهم الثورة الحسينيّة:٢٢ بتصرُّف في بعض الألفاظ .

(٨٨) اللهوف علىٰ قتلى الطفوف:١٥١ .

الفصل الثالث

القنوات العلميّة الخاصّة بالرسول والعترة صلوات الله عليهم أجمعين

ويتمحور هذا الفصل حول القنوات العلميّة الخاصّة برسول الله محمّدٍ وعترته الطّاهرة:

القناة الأولى: والبحث فيها عِبْرَ جهتين:

الجّهة الأولى: في رجاحة عقولهم المقدّسة ، واطّلاعهم على مجريات الأمور .

الجهة الثّانية: عصمتهم عليهم السّلام في مجال إبداء الرّأي وتشخيص الموضوعات .

أمّا الجّهة الأولى: فالحديث عنها متشعّب إلى أمور:

- **الأمر الأوّل**: تحديد ماهيّة العقل .

"والعقل" في الإصطلاح الّلغوي مصدر، إشتُقّ منه الفعل: "عَقَلَ" و"عقَّلَ" و"تعقَّلَ"، فعَقَلَ البعير: ثنى وظيفه . مستدق ساقه . مع ذراعيه فشدّهما معاً بحبلٍ هو العقال . وعَقَلَ الدّواءُ بطنه: أمسكه، وعقلت المرأةُ شعرَها: مشّطته، وعَقَل عقلاً الشّيء: فهمه وتدبّره، وعَقَل الغلام: أدرك، يقال:" ما فعلتُ منذُ عقلتُ " أي منذ أدركتُ، وعقل فلانٌ بعد الصّبا: عرف الخطأ الّذي كان عليه .

وجملة القول: أنّ العقل في الّلغة هو تعقّل الأشياء وفهمها، وأمّا معناه في الإصطلاح الرّوائي والكلا مي، فقد اختُلِفَ فيه كثيراً على أقوال، يجمعها شيء واحد هو : أنّ العقل نور غيبي تدركُ به النفس ما لا تُدركه بالحواسّ

بحيث يمنعها عن التورّط في المهالك . ولا يفرق المعنى اللّغوي عن الإصطلاحي بشيء سوى بالتّقسيمات التي أفرزتها كلمات الفلاسفة والمتكلّمين، وإلاّ فالقدر المتيقّن أو ما يُسمّى بالجّامع بين هذه التقسيمات والمعاني هو ما ذكرناه آنفاً، ونحن لن نخالف ما اصطلح عليه المشهور في تقسيم معناه على أمور هي:

الأوّل: هو الغريزة التي بها يمتاز الإنسان عن الحيوان، ويستعدّ لقبول العلوم النّظريّة، وتدبير الصّناعات الفكريّة، ويستوي فيه الأحمق والذّكي، ويوجد في النائم والمغمى عليه والغافل، وكما أنّ الحياة غريزة في الحيوان يفعل بها ويتهيّأ جسمه للحركات الإختياريّة ، والإدراكات الحسّية، فكذلك هذا العقل غريزة يتهيّأ بها الإنسان لإكتساب العلوم النّظريّة، فليس لأحدٍ أن يقول: إنّ الإنسان يساوي الحمار في الغريزة، ولا فرق بينهما إلاّ أنّ الله يخلق بحكم العادة فيه علوماً ولا يخلقها في الحمار والبهايم، إذ لو جاز ذلك ، لجاز أن يُسوّى بين الحمار والجماد في الغريزة والحياة ، من غير فرق، إلاّ أن الله تعالى يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم إجراء العادة، وكما امتنع أن يكون مفارقة الحيوان عن الجماد بحركات مخصوصة جرت العادة بصدورها عنه لا عن الجماد، بل إنّما هي بغريزة خاصّة به ليست في الحمار ، كذلك استحال أن يكون حصول العلوم النّظرية والتدابير الفكريّة من الإنسان بمجرّد إجراء العادة من الله تعالى حيث خلقها فيه لا لأجل غريزة فطره الله تعالى عليها بها يكون مفارقاً عن البهايم وبها تصدر عنه تلك العلوم والتّدابير، وإنما لأجل أمرٍ عظيم به يتسامى الإنسانُ ويترقى عن حضيض البهيمية والجماديّة إلى

صفة النورانية والملكوتية في أفعاله وأقواله، ولا يم كن الوصول إلى هذه الدرجة إلاّ بعد التصقيل والتهذيب، تماماً كالمرآة التي تمتاز عن ساير الأجسام بصفة مخصوصة كالصقالة ، بها تحصل في المرآة حكاية الصّور والألوان، وكذلك العين تفارق ساير الأعضاء بصفة غريزيّة بها استعدّت للرّؤية ، فنسبة هذه الغريزة في استعدادها لانكشاف العلوم كنسبة المرآة إلى صور الألوان، ونسبة العين إلى صور المرئيّات، والعقل بهذا المعنى يستعمله الحكماء في كتاب البرهان ويعنون به قوّة النّفس الّتي بها يحصل اليقين بالمقدّمات الصّادقة الضّروريّة لا عن قياس وفكر ، بل بالفطرة والطّبع ، ومن حيث لا يشعر، من أين حصلت؟ وكيف حصلت؟، فإذا هو جزء ما من النّفس تحصل بها أوايل العلوم .

الثّاني: العقل الّذي يردّده الجمهور من المتكلّمين في ألسنتهم فيقولون : هذا ما يوجبه العقل، وهذا ما ينفيه العقل، وإنّما يعنون به المشهور في بادىء الرّأي المشترك عند الجميع أو الأكثر، فهذا ما يسمّونه العقل كما يظهر من استقراء استعمالاتهم لهذا اللفظ فيما يتخاطبون به أو يكتبون في كتبهم العلميّة، ومن هذا الباب العلوم الضّروريّة كالعلم بأنّ الإثنين ضعف الواحد ، وأنّ الأشياء المساوية لشيء واحد متساوية، وأنّ الجسم الواحد لا يحصل في حيّزين .

الثالث: العقل الّذي يذكر في كتاب الأخلاق، ويراد به جزء من النفس الّذي يحصل بالمواظبة على اعتقاد شيء أو تجربة شيء من الأمور الإراديّة التي لنا أن نؤثرها أو نجتنبها، فإنّ ذلك الجزء من النّفس سُمِّيَ عقلاً، والقضايا التي تحصل للإنسان بهذا الوجه وفي ذلك الجزء من أجزاء النّفس هي مبادئ الرّأي

فيما سبيله أن يستنبط من الأمور الإراديّة التي شأنها أن تؤثر أو تجتنب، ونسبة هذه القضايا إلى ما يستنبط بها من تلك ، كنسبة تلك القضايا الضّروريّة إلى ما هي مبادئ لها من العلوم النّظريّة الّتي غايتها أ ن تُعْلم لا أن يفعل بها شيء، وهذا العقل ممّا يزيد ويشتدّ مع الإنسان طول عمره فإن من حرّكته التجارب وهذّبته المذاهب يُقال في العُرف أنّه عاقل ، ويتفاوت ويتفاضل فيه النّاس تفاضلاً كثيراً .

الرّابع: الشّيء الّذي به يقول الجّمهور للإنسان: إنه عاقل، ومرجعه إلى جودة الرّويّة وسرعة التفطّن في استنباط ما ينبغي أن يؤثر أو يُتَجَنَّب، وإن كان في باب الأغراض الدنيويّة وهوى النفس بالسّوء ، فإنّ النّاس يسمّون من له هذه الرّويّة المذكورة عاقلاً ، ويعدّون معاوية من جملة العقلاء، وأمّا أهل الحقّ فلا يسمّون هذه الحالة عقلاً بل إسماً آخ رَ كالنّكراء أو الشّيطنة أو الدّهاء أو شبه هذه الأسماء، والوجه في ذلك أنّ النفس الإنسانيّة متى كانت نشأتها غير مرتفعة عن عالم الحركات وكان الغالب على طبعها الجزء النّاري التي شأنها سرعة الحركة وقوّة الإشتعال ، فمثل هذه النّفس النّاريّة ، شديدة الشّبه بالشّيطان في استنباط الحيل والمكر والإستبداد بالرّأي والعمل بالقياس الفاسد والإباء والإستعلاء والغواية والإغواء بخلاف النفوس النوريّة المطمئنة الطّبع المعتدلة الخلقة، العالية الجوهر عن هذا العالم ، فإنّ شأنها الإنفعال عن الملكوت الأعلى، والتوكّل على الله عزّ وجلّ في أمر دنياها، واستعمال رويّة الفكر على سبيل القصد، فلا يكون مكّاراً ولا بليداً، فخير الأمور أوسطها، فهذا معنى العقل المستعمل في هذا الموضع، ومرجعه إلى التعقّل للأمور

والقضايا المستعملة في كتب الأخلاق التي هي مبادئ للآراء والعلوم التي لنا أن نعقلها لنفعلها أو نتج نّب عنها، ونسبة هذه القضايا إلى العقل المستعمل في كتب الأخلاق كنسبة تلك العلوم الضّروريّة إلى العقل المستعمل في كتاب البرهان، فذانك العقلان جزءان للنّفس الإنسانيّة: أحدهما جزء إنفعالي علمي ينفعل عن المبادئ العالية بالعلوم والمعارف التي غايتها أنفسها ، وهي الإيمان بالله واليوم الآخر، وثانيهما جزء فعلي عملي يفعل فيما تحته بسبب الآراء والعلوم التي غايتها أن يعمل بمقتضاها من فعل الطّاعات والإجتناب عن المعاصي والتخلّق بالأخلاق الحسنة والتخلّص من الأخلاق الذّميمة وهو الدّين والشّريعة، فإذا حصلت الغايتان حصل التقرّ ب إلى الله تعالى والتجرّد عما سواه .

الخامس: العقل الذي يذكر في كتاب النّفس وهو يطلق على أربعة أنحاء ومراتب: عقل بالقوّة وعقل بالملكة وعقل مستفاد وعقل بالفعل، فأوّلها هو قوّة من قوى النّفس بل هي النّفس من حيث نشأتها الأولى : التي ليس فيها كمال وصورة عقليّة كماليّة ولا استعداد قريب لها ، لكن في قوّتها أن ينتزع ماهيّات الموجودات كلّها وصورها، وثانيها: قوّة من النّفس أو هي النفس من حيث استعدّت بواسطة العلوم العاميّة والإدراكات الأوّليّة ل كي يحصل فيها صور الموجودات المنتزعة عن موادّها الخارجيّة صائرة إيّاها م تّحدة بها اتّحاد المادّة بالصّورة . وثالثها: مرتبة كونها بالفعل كلّ المعقولات أو أكثرها .

ورابعها: مرتبة من هذه الذّات متى شاءت أن يعقل هذه المعقولات مفصّلة أحضرتها من غير أن تحتاج إلى نزع وتجريد وتجشّم كسب جديد، كيف وقد

انتزعتها سابقاً وتجرّدت واختزنت، بل لما حصلت له ملكة الإتّصال بالعقل الفعّال فهي متى نظرت إلى العقل الفعّال استحضرتها لأنّها ما دامت باقية التعلّق والتّدبير لهذا العالم لم تكن دائمة الإستغراق لشهود الحقّ الأوّل والإتّصال به وبما يتلوه من واهب الصّور بإذنه، وفعّال المعقولات بقوّته التي تمسك الأرض والسّماوات وإنّما الّذي لها في هذا العالم ملكة الإتّصال على وجه .

السّادس: المذكور في الإلهيّات ومعرفة الرّبوبيّات وهو الموجود الّذي لا تعلّق له بشيء إلاّ بمبدئه، وهو الله القيّوم فلا تعلّق به بموضوع كالعرض، ولا بمادّة كالصّورة ولا ببدن كالنّفس ، وليس له كمال بالقوّة، ولا في ذاته جهة من جهات العدم والإمكان والقصور إلاّ ما صار منجبراً بوجوب وجوده الحقّ تعالى، ولهذا يُقال لعالمه عالم الجّبروت ، وكلّه نور وخير، ولا يشوبه شوب ظلمة وشرّ إلاّ ما احتجب بسطوة الضّوء الأحديّ والشّعاع الطّامس القيّوميّ وهو أمر الله تعالى وكلمته وهو المنعوت بما جرى في قول مولانا أبي الحسن الإمام موسى بن جعفر الصّادق عليه السلام قال: لما خلق الله العقل استنطقه ثمّ قال له: أقبِل فأَقبَل ثمّ قال له : أدبِر فأدبَر ثمّ قال: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك ولا أكملتك إلاّ فيمن أحبّ، أمَا إني إيّاك آمر وإيّاك أنهى وإيّاك أعاقب وإيّاك أثيب .

. والمعنى الرّابع هو الثمرة الأساسيّة المترتّبة على بقيّة المعاني، وبه جاء المديح من أئمّة أهل البيت عليهم السّلام، فقد سُئِلَ الإمام الصّادق عليه السلام ما العقل؟ قال عليه السلام: ما عُبِدَ به الرّحمان واكتُسِبَ به الجنان . قلت: فالّذي

كان في معاوية؟ فقال (عليه السلام): تلك النّكراء وتلك الشّيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل[1].

وهو المراد بقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لمولانا أمير المؤمنين (**خطاب النبيّ للإمام أو لأحد المعصومين عليهم السَّلام من باب : إياك أعني واسمعي يا جارة**) عليّ بن أبي طالب (عليه السلام): « إذا اكتسب النّاس من أنواع البرّ ليتقرّبوا بها إلى ربّنا عزّ وجلّ، فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزّلفة والقرب » [2].

وكذا ما ورد عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله لأبي الدّرداء:" إزدد عقلاً تزدد من ربّك قرباً، فقال: بأبي أنت وأمّي، وكيف لي بذلك؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : إجتنب محارم الله وأدِّ فرائض الله تكن عاقلاً، واعمل الصّالحات من الأعمال تزدد في عاجل الدّنيا رفعة وكرامة، وتنل من ربّك القرب والعزّ [3].

وبالجملة فإنّ الأقسام ما عدا الرّابع كلّها معانٍ للعقل النّظري، وأمّا الرّابع . والّذي قلنا آنفاً أنّه الثّمرة الأساسيّة المترتّبة على بقيّة المعاني . فحيث إنّه قوّة يُعْرف بها عواقب الأمور، فيقمع الشّهوة الدّاعية إلى الّلذة العاجلة ويقهرها، فإذا حصلت هذه القوّة سُمِّيَ صاحبها عاقلاً، لأنّ إقدامه وإحجامه مترشّحان بما يقتضيه النّظر في العواقب، لا بحكم الشّهوة العاجلة، وبهذه القوّة يتميّز الإنسان عن الحيوان .

وعليه: فإنّ مراتب العقل العملي أربعة:

الأولى: تهذيب الظّاهر بإتيان العبادات والإجتناب عن المنهيات .

الثانية: تطهير الباطن من الرّذايل حتى تصير النّفس كمرآة مجلوّة من شأنها أن تتجلّى فيها الحقايق في كسوة الأمثال .

الثّالثة: أن تشاهد المعلومات كلّها أو جلّها .

الرّابعة: أن يفنى عن نفسه ويرى الأشياء كلّها صادرة من الحقّ راجعة إليه، وهناك التّخلّق بأخلاق الله كما ورد في قوله صلى الله عليه وآله وسلّم : " تخلّقوا بأخلاق الله " وهذا آخر الدّرجات لكلا العقلين (النّظري والعملي) فيتّحدان في هذه الغاية، وليس وراء عبادان قرية .

والعقل الّذي هو عبارة عن الغريزة الإنسانيّة الّتي بها يمتاز الإنسان عن البهائم ليس أمراً متساوياً في أفراد النّاس كلّها، بل الحقّ أنّ جواهر النّفوس الإنسانيّة في أصل الفطرة مختلفة في الإشراق والكدورة والضّياء والظّلمة، فبعض النّفوس في صفاء الجوهر وقوّة الذّكاء واستعداد الإستضاءة بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور، فلا يحتاج إلى معلّم بشري لكي تستكمل ذاته بأنوار المعرفة والهدى، وبعض النفوس في كدورة الجوهر وخمود نور القريحة بحيث لا ينجع فيه تعليم ولا تأديب .

وزبدة المخض: إنّ العقل بأيّ المعاني كان، يقع الإشتباه بينه وبين النّكراء والشّيطنة، ومنشأ الإشتباه، أنّ كِلاَ العقلين يشتركان في جودة الرّوية وسرعة التعقّل في أمور وقضايا هي مبادئ آراء واعتقادات فيما يجب أن يؤثر أو يجتنب عنه، سواء كانت في باب الخير والآجل أو في باب الشّر والعاجل لكن المتعلّق بالدّنيا من الأعمال والحركات الفكريّة لا يخلو من إفراط وتفريط واعوجاج وتشويش واضطراب وعجلة كما هو من فع ل الشّياطين وعبدة

الطّاغوت، وأمّا الصّادر من عباد الرّحمان المتعلّق بأمور الدّين والعرفان فيكون على سبيل الإطمئنان وسكون واستقامة وسلامة الأحكام وصحّة السير .

وفائدة العقل العملي تكمن في قهره للقوى الثّلاث: الشّهويّة والغضبيّة والوهميّة، ويرجع العقل الع ملي في سياسته للقوى المتقدّمة وضبطه لها إلى إشارة العقل النّظري، لذا فإنّ سلامة القوّة الإدراكيّة تؤثر إيجاباً على القوى العمليّة، وتقهقُر القوّة الإدراكيّة إلى البلادة أو البلاهة والجّربزة يستتبع ضعف العمليّة وضمورها .

وبالجملة:

لا ريب أنّ عقل النبي والوليّ أرجح العقول لما يمتاز بخصائص روحيّة راقية نتيجة قربه من المبدأ الفياض لا سيّما وأنّ كلّ إدراك لا بدّ فيه من تجريد، فالمدركات العقليّة باتفاق الفلاسفة [٤] مجرّدة عن المادّة، وكلّ إدراك يحصل به نزع لحقائق الأشياء وأرواحها عن قوالب الأجسام وهياكل المو اد، فالصّورة العقليّة منتزعة نزعاً تاماً عن هياكل المادّة لأنّ قوامها بهيئتها وصورها لا بمادتها، لكون العقل غير مقصود إدراكه على ظواهر الشيء بل يتغلغل ويغوص في ماهيّة الشيء وحقيقته، ويستنسخ منها نسخة مطابقة لها من جميع الوجوه بل يصير هو هي بحقيقتها، وأمّا الإدراكات الحسيّة فإنها مشوبة بالجهالات ونيلها ممزوج بالفقدان، فإنّ الحسّ لا ينال إلاّ ظواهر الأشياء وقوالب الماهيات دون حقائقها وبواطنها [٥]، "فليس في العقل المحض تكثر البتة، ولا ترتب صورة فصورة، بل هو مبدأ لكلّ صورة يفيض عنها على

النفس، وعلى هذا ينبغي أ نْ يعتقد الحالّ في المفارقات المحضة في عقلها للأشياء؛ فإنّ عقلها هو العقل الفعّال للصّور والخلاّق لها"(٦) .

وإثبات العقل المحض أو ما يعبّر عنه بالعقل البسيط لا يمكن إلاّ بالقول باتّحاد العاقل بالمعقولات على الوجه الّذي أقامه صدر المتألهين رحمه الله، فالنفس إذا خرجت من القوّة إلى الفعل صارت عقلاً بسيطاً هو كلّ الأشياء، فيمكن أنْ تتعقّل النفس حينئذٍ التعقلات الكثيرة دفعةً واحدةً، **توضيح ذلك**: "إنّ العِلْم والتعقّل ضرب من الوجود، والوجود متحد مع الماهيّة، وكذا العِلْم متحد مع المعلوم، وكما أنّ بعض الوجودات خس يسٌ ضعيف، وبعضه شريف قويّ، والخسيس قشر قليل المعاني مقصور على معنى واحد كالمقدار الواحد وإنْ عظمت سموكه وجُسم انبساطه في الجهات، والشريف لبّ كثير الحيطة بالمعاني، وإنْ صغر مقداره، أو لم يكن له مقدار كالنفس الناطقة فكذلك العِلْم له أنواع كثيرة بعضها خسيس ضع يف كالحسّ فلا يمكن أنْ يحسّ بإحساس واحد محسوسات متعدّدة، وبعضها شريف كالتعقّل فإنّ العقل الواحد يكفي لإدراك معقولات لا تتناهى كما في العقل البسيط"(٧).

وبالجملة:

فكلما كان العِلْم أعلى وجوداً كان أكثر حيطةً بالمعلومات وأشدّ جمعيّة للماهيات، فإذا عرفنا الشيء بحدّه التامّ عرفناه بتمام حقيقته فلو استحال حصول العِلْم بجميع أجزائه دفعةً واحدةً لاستحال العِلْم بكنه حقيقته شيء في وقت من الأوقات، فبهذا يظهر إمكان حصول التصورات الكثيرة، وأما انه يمكن حصول التصديقات الكثيرة؛ فلأنّ المقدّمة الواحدة لا تنتج فلو

استحال العِلْم بالمقدّمتين معاً لاستحال حصول العلم بالنتيجة، وأيضاً العِلْم بوجود المضافين حاصل معاً، وكذا العِلْم بوجود اللاّزم ووجود الملزوم، فعلم بهذا الدليل صحّة حصول العلوم المتعدّدة في آنٍ واحدٍ، ومما يؤكّد ذلك ويحقّقه؛ أنّ النفس العارفة بمعلومات كثيرة عند تحققها بمقام العقليّة وتجرّدها عن جلباب البشريّة لا يسلب عنها علومها بل يزيدها كشفاً ووضوحاً، ومع ذلك لما خرّجت عند ذلك من اختلاف الأوقات والأمكنة فتحضر معلوماتها بأسرها عندها دفعةً واحدة كالحالّ في علوم المفارقات في كون معلوماتها بأسرها حاضرةً معاً بالفعل بلا شوب قوّة"(٨).

فإنْ قيل:

نحن نجد من نفوسنا أنا إذا أقبلنا بأذهاننا على إدراك شيء تعذّر علينا في تلك الحال الإقبال على إدراك شيء آخر .

قلنا:

إنّ العِلْم كالوجود يختلف بالكمال والنقص، فالعِلْم العقلي كالوجود العقلي مغاير للإدراك الخيالي وا لوجود الحسّي، فإنا إذا قلنا : الإنسان جوهر قابل للأبعاد نامٍ حسّاس ناطق، أحاط عقلنا بمفهومات هذه الألفاظ وظهر في خيالنا أثر مطابق لهذه المعقولات، فإذا قلبنا وقلنا : ناطق حساس ونامٍ قابل للابعاد جوهر؛ فالمعنى المفهوم عند العقل لا ينقلب لكنّ الصّور الخياليّة تنقلب وتنعكس، فإذا كان الأمر كذلك فربما يساعد على القوة الخياليّة يصعب عليها استحضار أمور كثيرة وتخيلات مختلفة هي صور وحكايات لأمور عقليّة تعقلها النفس بقوتها العقليّة، وأمّا العقل فإنه يقوى على ذلك،

والّذي يجده الناس كالمتعذر على نفوسهم من إدراك تعقلات متعدّدة في وقت واحد منشأه تعصّي القوّة الخياليّة عن تصويرها دفعةً واحدةً، ومع هذا لا يصعب عليها إدراك التخيلات التي ليست تصويراً للمعقولات دفعةً واحدةً، ولذلك قيل: "شأن العقل توحيد الكثير، وشأن الحسّ تكثير الواحد".

وبتعبيرٍ آخر:

إنّ هناك جهتين يمنعان من استحضار القوّة الخياليّة لأمورٍ كثيرة في وقتٍ واحدٍ:

إحداهما: إنّ للقوى الخياليّة مظاهر ماديّة في البدن كالعين، والأذن، والأجزاء الدماغيّة، تعمل أعمالاً ماديّة توجب استعداد النفس لإدراكات مخصوصة، والعصيان في الحقيقة لهذه القوى الماديّة دون القوى النفسانيّة المجرَّدة، من هنا تعالج الذاكرة بأكل الزبيب والكندر وما شابه ذلك .

ثانيهما: إنّ القوى الخياليّة وإنْ كانت مجرَّدة عن المادّة لكنها غير مجرَّدة من صفات المادّة كالكمّيّات وبعض الكيفيات، ولازم ذلك وقوع ترتيب ما بين المتخيلات، ولازم الترتيب عدم اجتماع الأجزاء في الجملة، فإذا تخيلنا طلوع الفجر ثمّ طلوع الشمس، فزوالها إلى غروبها، كان من طبع متخيلنا هذا أنْ يفارق بعض أجزائه بعضاً وإنّ فارق الجميع المادّة.

وعليه: فإنّ مبدأ العلوم كلّها من عالم القدس، لكنّ الإستعدادات للنفوس متفاوتة، وعند تمام الإستعداد لا فرق في الإفاضة بين الأوليات والثانويات، فحال الإنسان في إدراك الأوليات كماله بعد التفطن للحدود الوسطى في إدراك النظريات وكأنها تحصل بلا سبب، ووجود الشيء بلا سبب محال، لكنّ

السبب قد يكون ظاهراً مكشوفاً، وقد يكون باطناً مستوراً، والملقي للعلوم على النفوس المستعدّة هو بالحقيقة سبب مستور عن الحواس معلّم شديد القوى بالأفق الأعلى، وفعله في النفوس في غاية الخفاء، ولكن قد يبرز من الباطن إلى الظاهر وقد يبرز من ممكن الغيب إلى عالَم الشهادة والأوّل كما للأنبياء والثاني كما للأولياء .

إنّ باب الملكوت غير مسدود على أحد إلاّ لمانع من نفسه، وحجاب من غلظة طبيعته، فبقدر سعيه وحركة باطنه بتلطّف ذهنيّة قلبه ومقدحة طبعه ويستعدّ كبريت نفسه لأنْ ينقدح فيه شعلة من نار الملكوت أو نور من أنوار الجبروت، كيف لا؟ وإنّ الإحساس بالجزئيات سبب لاستعداد النفس لقبول التصوّرات الكليّة، وحصول التصوّرات المتناسبة سبب لحكم الذهن بثبوت أحدهما للآخر، فكثيراً ما يقع للذهن إلتفات إلى تصوّر محمول بسبب الإحساس بجزئياته عند استحضار تصوّر موضوعه، وعند ذلك يترتّب عليه؛ لا محالة، الجزم بثبوت ذلك المحمول لذلك الموضوع من غير استفادة من معلم أو راوية أو سماع من شيخ أو شهادة عدل أو تواتر، فظهر انّ الإنسان يمكنه أنْ يتعلّم من نفسه، وكلما كان كذلك فإنه يسمّى حدساً، وهذا الإستعداد القريب يتفاوت في أفراد الناس، فرُبّ إنسانٍ بالغ في جمود القريحة وخمود الفطنة، بحيث لو أكبّ طوال عمره على مسألة واحدة تعذّر عليه تحقيقها، وانصرف عنها بدون مطلوبه، ورُبَّ إنسانٍ يكون بضدّ ذلك، حتى إنه لو التفت ذهنه إليه أدنى التفاتة حصل له ذلك، ثمّ لما كانت الدرجات متفاوتة والقلوب مختلفة صفاءاً وكدورةً وقوّةً وضعفاً في الذّكاء، وكثرة وقلّة في الحدس؛

فلا يبعد في الطرف الأعلى وجود نفس عالية شديدة قويّة الإستنارة من نور الملكوت، سريعة قبول الإفاضة من منبع الخير والرحمة، فمثل هذا الإنسان يدرك لشدّة استعداده أكثر الحقائق في أسرع زمان فيحيط عِلْماً بحقائق الأشياء من غير طلبٍ منه وشوقٍ بل ذهنه الثاقب يسبق إلى النتائج من غير مزاولة لحدودها الوسطى، وكذلك من تلك النتائج إلى أخرى حتى يحيط بغايات المطالب الإنسانيّة ونهايات الدرجات البشريّة، **وتلك القوّة تسمّى قوّة قدسيّة،** وهي في مقابلة الطرف الأدنى من أفراد الناس ومخالفتها لسائر النفوس بالكمّ والكيف، أمّا الكمّ فلكونه أكثر استحضاراً للحدود الوسطى، وأمّا الكيف فمن وجوه:

أحدها: أنها أسرع انتقالاً من معقولٍ إلى معقول، ومن الأوائل إلى الثواني، ومن المبادئ إلى الغايات .

وثانيها: أنها تدرك العقليات الصّرفة من حيث إنياتها وهوياتها، لا من حيث مفهوماتها وماهياتها العامّة، فإنّ الوصول إلى حقائق تلك المعقولات هي العمدة في الإدراك دون المعارف الكليّة، وإنْ كانت هي أيضاً وسيلة إلى ذلك الوصول إذا استحكمت ورسخت أصول معانيها في النفس، ولذلك قيل: "المعرفة بذر المشاهدة" .

ثالثها: إنّ سائر النفوس تعيّن المطالب أوّلاً ثمّ تطلب الحدود الوسطى المنتِجَة لها، وأمّا النفس القدسيّة فيقع الحدّ الوسط لها في الذهن أولاً ويتأدّى الذهن منه إلى النتيجة المطلوبة فيكون الشعور بالحدود الوسطى مقدَّماً على الشعور بالمطالب كما هو عليه الأمر في نفسه في ذوات المبادي اللمّية(٩).

وبالجملة:

فإنّ عقل الحجج الطاهرين أكمل العقول و أشرفها على الإطلاق، لأنّ نفوسهم القدسيّة بلغت الغاية في الإستنارة من نور الملكوت، فهي محلّ الفيض من منبع الخير والرّحمة؟، فمثلها تدرك كلّ الحقائق الشرعيّة والكونيّة من غير طلب، بل لها الإحاطة بالحقائق والهيمنة على عوالم الملك والملكوت، فمثل هذه النفس لها قوّتان: عالِمة وعامِلة، والعاملة من هذه النفس لا تنفك عن العالِمة، وبعبارة أخرى: إنّ للنفس الناطقة قوتين:

أولاهما: قوّة الإدراك .

ثانيتهما: قوّة التحريك .

فقوّة الإدراك : يعبّر عنها بالعقل النظري، **وقوّة التحريك** : يعبّر عنها بالعقل العملي، فالنفس إذا م ا اعتدلت قواها الشهويّة والغضبيّة لا يمكن أنْ تنال الحكمة بشطريها النظري والعملي، ويُراد من الحكمة النظريّة : معرفة حقائق الموجودات على ما هي عليه، والموجودات إنْ لم يكن ووجودها بقدرتنا واختيارنا فالعِلْم المتعلّق بها هو الحكمة النظريّة، والحكمة النظريّة، وإنْ كان وجودها بقدرتنا واختيارنا، فالعِلْم المتعلّق بها هو الحكمة العمليّة، ولا شكّ أنّ الحجج ممن يملكون الحكمتين معاً، فأيّ دعوة تنسب إلى الحجج الجهل بتصرفاته أو مصيره؛ فإنها لا محالة باطلة وذلك؛ لأنّ ما يتميّز به الحجج من قوّة الإدراك وقوّة التحريك تستلزم الإعتقاد بصوابيّة تحركاته وأفعاله .

وبالتقسيمات العقليّة التي أشرنا إليها سابقاً ندرك أنّ الحجج عليهم السلام يمتلكون أعلى مراتب العقل ،بمعنى أنّنا عندما نقول إنّ النبيّ أو الولي لا يشتبه عليه شيء ذلك لأنّنا نعتقد . طبقاً للأدلّة . أنّه ذو قوّةٍ قدسيّة في عقله وروحه يستحيل من خلالها حصول الاشتباه في مطالبه أو تردّده فيها، لذا عُرّف العقل بأنّه "التمييز والإدراك والفهم " وسمّي العقل عقلاً لأنّه يعقل صاحبه عن التورّط في المهالك والاشتباه في المطالب والتردّد في التصديقات ، لذا قيل :إنّ تعقلك للشيء يعني فهمك له ولحقيقته، لذا اصطُلح عليه في علم الكلام بأنّه قوّة إدراك الخير والشّر والتمييز بينهما والتمكّن من معرفة أسباب الأمور ،وقد اسهبنا في بعض بحوثنا السّابقة في معرفة حقيقة العقل(١٠).

من هنا قيل بانقياد العقل العملي للعقل النظري، ومثّلوا له بقوّتي الشّهوة والغضب الواقعتين تحت إشراف العقل العملي، وهو بدوره واقعٌ تحت سيطرة العقل النظري،فيستحيل إنقياد القوّتين المذكورتين للعقل العملي دون إشارة العقل النظري. فالعقل النظري هو المدرك للفضائل والرذائل ، لأنّ النظري بمنزلة المشير الناصح، والعملي بمنزلة المنفّذ المضي لإشاراته،وعليه فدعوى أنّ الحجج يشتبهون في تشخيص الموضوعات مردودة على أصحابها لمنافاتها لما ذكرنا سابقاً.

- **الأمر الثاني**:تكامل القوّتين عند أهل البيت عليهم السّلام:

إتّفق الحكماء على أنّ غاية السّعادة هي التّشبّه بالمبدأ بمعنى أن يتمظهر الإنسان في صفاته بالمبدأ بأنْ يصدر عنه الجميل لكونه جميلاً، لا لغرض آخر

من جلب منفعة أو دفع مضرّة،ولا يتحقّق هذا إلاّ إذا صارت حقيقته . المعبَّر عنها بالنّفس النّاطقة . خيراً محضاً، بأن يتطهّر عن جميع الخبائث الجّسمانيّة والأقذار الحيوانيّة ، ولا يحوم حول شيء من العوارض الطبيعيّة والخواطر النفسانيّة، ويمتلئ من الأنوار الإلهيّة والمعارف الحقيقيّة، ويتيقّن بالحقائق الحقّة الواقعيّة، ويصير عقلاً محضاً، بحيث تصير جميع معقولاته كالقضايا الأوليّة، بل يصير ظهورها أشدّ، وانكشافها أتمّ، وحينئذٍ يكون له أسوة حسنة بالله سبحانه وتعالى في صدور الأفعال وتصير أفعاله على مثال الأفعال الإلهيّة . أي شبيهة بأفعال الله سبحانه .، يصدر منه الحسن لصرافة حسنه ، ولمحض جماله يصدر عنه الجميل ، من دون داعٍ خارجيٍّ، فتكون ذاته غاية فعله، وفعله غرضه بعينه، وكلّما يصدر عنه بالذّات وبالقصد الأوّل فإنّما يصدر لأجل ذاته وذات الفعل وإ نْ ترشّحت منه الفوائد الكثيرة على الغير بالقصد الثّاني وبالعرض، لذا قال الحكماء : إذا بلغ الإنسان هذه المرتبة فقد فاز بالبهجة الإلهيّة واللّذة الحقيقيّة الذّاتيّة، فيشمئزّ طبعُهُ من اللّذات الحسّيّة الحيوانيّة، لأنّ من أدرك اللّذة الحقيقيّة علم أنها لذّة ذاتيّة، والحسّيّة ليست لذّة بالحقيقة لتصرّمها ودثورها وكونها دفع ألم، لكن ليس معنى هذا أن يعرض السّالك عن ظواهر الشّرع بحجّة اللّذة الرّوحيّة، فإنّ الإعراض عمّا ذكرنا مخالف لظواهر الشّرع المبين، بل غاية ما أراده الحكماء هو أنّ على الإنسان أ نْ يسعى نحو الكمال ويتشبّه به لا لشيء آخر دونه، فالقصد الأوّلي هو عين الكمال، واللّذة الحيوانيّة قد تكون مطلوبة له بالعرض، فتأمّل .

وحتى يشعر الإنسان باللّذة الرّوحيّة عليه أن يهذّب القوى النفسانيّة والعقليّة، وهذه القوى هي أربع:

(**١**) . قوّة نظريّة عقليّة .

(**٢**) . قوّة وهميّة خياليّة .

(**٣**) . قوّة سبعيّة غضبيّة

(**٤**) . قوّة بهيميّة شهويّة .

ولكلّ واحدةٍ من هذه القوى لذّة وألم، لأنّ اللّذة إدراك الملائم، والألم إدراك غير الملائم، فلكلٍّ من الغرائز المدركة لذّة ينالها بحسب مقتضى طبعه الّذي خلق لأجله، وألم هو إدراكه على خلاف مقتضى طبعه .

(**فغريزة العقل**): إنما خُلِقَتْ لمعرفة حقائق الأمور، فلذّتها في المعرفة والعلم، وألمها في الجهل .

(**وغريزة الغضب**): إنما خُلِقَتْ للتشفي والإنتقام، فلذّتها في الغلبة التي يقتضيها طبعها، وألمها في عدمها .

(**وغريزة الشّهوة**): إنما خُلِقَتْ لتحصيل الغذاء الّذي به قوام البدن ، فلذّتها في نيل الغذاء، وألمها في عدم نيله، وهكذا في غيرها، فاللّذات والآلام أيضاً على أربعة أقسام: العقليّة والخياليّة والغضبيّة والبهيميّة .

فاللّذة العقليّة كالإبتهاج الحاصل من معرفة الأشياء الكلّية وإدراك الذّوات المجرّدة النّوريّة، والألم العقلي كالإنقباض الحاصل من الجهل .

واللّذة الخياليّة كالفرح الحاصل من إدراك الصّور والمعاني الجزئيّة الملائمة، والألم الخيالي كإدراك غير الملائمة منها .

واللّذة المتعلّقة بالقوّة الغضبيّة كالإنبساط الحاصل من الغلبة ونيل المناصب والرّياسات، والألم المتعلّق بها كالإنقباض الحاصل من المغلوبيّة والمرؤوسيّة .

واللّذة البهيميّة هي المدركة من الأكل والجماع وأمثالهما، والألم البهيمي ما يُدرَك من الجوع والعطش والحرّ والبرد وأشباهها .

وهذه اللّذات والآلام تصل إلى النّفس وهي الملتذّة والمتألّمة حقيقةً . ثمّ إنّ أقوى اللّذات هي العقليّة لكونها فعليّة ذاتيّة غير زائلةٍ باختلاف الأحوال، وغيرها من اللّذات الحسّية هي إنفعاليّة عرضيّة، ومنفعلة زائلة، وهي في مبدأ الحال مرغوب فيها عند الطبيعيّين ، وتتزايد بتزايد القوّة الحيوانيّة، وتضعف بضعفها إلى أن تنتفي بالمرّة، ويظهر قبحها عند العقل، وأمّا العقليّة فهي في البداية منتفية، لأنّ إدراكها لا يحصل إلاّ للنّفوس الزّكيّة المحلّية بالأخلاق المرضية، وبعد حصولها يظهر حسنها وشرفها، وتتزايد بتزايد القوّة العقليّة إلى أن ينتهي إلى أقصى المراتب، ولا يكون نقص ولا زوال .

وعليه فلا تحصل السّعادة إلاّ بإصلاح جميع القوى والصّفات، ولا تحصل بإصلاح بعضها دون البعض الآخر، أو في وقت دون وقت، تماماً كالصّحة الجسميّة وتدبير المنزل وسياسة المدن لا تحصل إلاّ بإصلاح جميع الأعضاء والأشخاص والطّوائف في جميع الأوقات، فالسّعيد المطلق هو من أصلح جميع صفاته وأفعاله على وجه الثّبوت والدّوام بحيث لا يغيّره تغيّر الأحوال

والازمان، فلا يزول صبره بحدوث المصائب والفتن، ولا شكره بورود النوائب والمحن، ولا يقينه بكثرة الشّبهات، ولا رضاه بأعظم النكبات، ولا إحسانه بالإساءة، وبالجّملة لا يحصل التفاوت في حاله ولو ورد عليه ما ورد على الصّابر وليّ الله الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السّلام لشهامة ذاته ورسوخ أخلاقه وصفاته، وعدم مبالاته بعوارض الطّبيعة وابتهاجه بشطر الحقّ، بل السّعيد الواقعي لتجرّده وتعاليه عن الجسمانيّات خارج عن تصرّف الطّبائع الفلكيّة، متعالٍ عن تأثير الكواكب والأجرام الأثيريّة، فلا يتأثّر عن سعدها ونحوسها، ولا ينفعل عن قمرها وشمسها، فأهل التّسبيح والتّقديس لا يبالون بالتّثليث والتسديس، وربّما بلغ تجرّدهم وقوّة نفوسهم مرتبة تحصل لهم ملكة الإقتدار على التصرّف في مواد الكائنات، ولو في الأفلاك وما فيها، كما حصل لفخر الأنبياء وسيّد الأوصياء صلوات الله عليهما وآلهما من شقّ القمر وردّ الشّمس .

وقد ظهر ممّا تقدّم أنّ من أصابه الجهل فلا يسمّى سعيداً، ومَن جَزَعَ واضطرب بورود المصائب والكدورات الطّبيعيّة، فإنّه يُدخل نفسه في معرض شماتة الأعداء وترحّم الأحبّاء، فهو بهذا خارج عن زمرة السعداء، لضعف غريزته وغَلَبَة الجّهل والجّبن على طبيعته.

ولنيل السّعادة لابدّ من استصلاح الصّفات والقوى، وتعديل القوّتين النّظريّة والعمليّة الموجبتين للتّخلّق بالأخلاق الإلهيّة فيشرق عليها نور الأزل فيلوح على هياكل التّوحيد آثاره .

وزبدة المخض:

إنّ حقيقة الإنسان ليست إلاّ ذاته المجرّدة، وكلّ ذات إنّما يكون هلاكها في نقصها وضعفها وآفتها ومجاورة ضدّها، ويكون بقاؤها في كمالها وقوّتها وصحّتها ومجاورة أشباهها في الكمال والصّحة، وقد ثبت في محلّه أنّ لكلّ شيء كمالاً خاصّاً يخصّه لذاته، فكمال القوّة الشهوتي نيل المشتهيات واللّذائذ الحسّية، وكمال القوّة الغضبيّة الظّفر بالإنتقام، وكمال القوّة الحسيّة إدراك المحسوسات، وكمال القوّة المتخيّلة تصوير المتمثلات، وكمال الواهمة الظّنون والرّجاء .

وهكذا النّفس الإنسانيّة فإنّ لها كمالاً في ذاتها يخصّها، ولها قوّتان، إحداهما: العاقلة النّظريّة، وهو . أي الإنسان . بهذه القوة متوجّه إلى الحقّ الأوّل، وثانيهما: العاملة المحرّكة للبدن المتوجّهة إليه .

فكمال الرفس بحسب قوّتها النّظريّة إنّما هو بمعرفة حقايق الأشياء وكلّياتها والمبادئ القصوى في الوجود .

ومعرفة الحقّ الأوّل بما له من صفات جماله ونعوت جلاله، وكيفيّة صدور الأفعال عنه ورجوعها إليه، ومعرفة كونه تعالى غاية الأشياء الّذي تتوجّه إليه الموجودات في بقائه ا كما يبتدي منه حدوثها، إلى غير ذلك من المعارف الحقّة التي كانت . النّفس . مستعدّة لها أوّلاً عند كونها هيولانيّة الذّات، يحصل لها بسبب حصول المقدمات صورها على نحو البرهان الدّائم اليقين، ثمّ ستصير المشاهدة إياها فائضة من الحقّ الأوّل، ثمّ تتّصل بها وترنحرط في سلكها مستغرقة في شهود مبدئها ومعادها بحيث لا تلتفت إلى ذاتها فضلاً عن غيرها، بل الإضمحلال في الجّلال والجّمال الإلهيّين يذهلها عن كلّ شيء

حتى عن ذاتها، فاليقين الأوّل أي الصّور الحاصلة بنحو البرهان الدّائم اليقين هو العلم أي علم اليقين، والثّاني أي مشاهدتها فائضة من الحقّ الأوّل هو عين اليقين، والثّالث أي الإتّصال بها والإستغراق في شهود مبدئها هو حقّ اليقين، فهذا هو كمال النّفس بحسب قوّتها النّظريّة .

ولا يحصل هذا الكمال إلاّ بسبق معرفة الحقائق والعلم بالمعقولات، وحصول المعارف متوقف على وساطة الرّ سول، ووساطته إنّما تحصل بإنزال القرآن العظيم، فقوله تعالى: ﴿**وأنزلنا معهم الكتاب**﴾ (الحديد/٢٥) إشارة إلى ما تستكمل به القوّة النّظريّة، ولا شكّ أيضاً في أنّ حصولها وتحصيلها من القرآن إنّما هو ببيان النبيّ والوصيّ صلّى الله عليهما وآلهما لتلك المعارف لنا، وبتصديقنا لهما ولأقوالهما، وإتباعنا لهما قولاً وعملاً وحالاً وسلوكاً ؛ تحصل تلك المعارف لنا، هذا كلّه بلحاظ كمال النّفس بحسب القوّة النّظريّة، وأمّا كمالها بحسب القوّة العمليّة **فنقول**:

إنّ النّفس لما كانت في أوّل نش أتها ناقصة ضعيفة القوام بذاتها ، فلا محالة تحتاج في استكمالها بالكمال الّذي سبق ذكره إلى مادّة بدنيّة تفيض وتستفيد بواسطة الآلة الجسمانيّة ومشاعره الإدراكيّة الخمسة مبادئ إدراكاتها التّصوّريّة، والتّصديقيّة من الأوّليات الحاصلة من المشاركات والمبائنات الجسمانيّة.

وبتعبير آخر: إنّ النّفس في أوّل الإستكمال محتاجة إلى البدن وإلى قواه من المشاعر الخمس، وبفقدان بعضها يفقد علماً وكمالاً، لذا قيل: من فَقَدَ حِسّاً فَقَدَ عِلْمَاً .

فالمتحصّل ممّا ذُكِر أنّ استكمال النّفس متوقّف على بقاء البدن مدّة، وبقاء البدن متوقّف على قوى ثلاث:

(**١**) . قوّة العلم للتّمييز بين الصّالح والفاسد .

(**٢**) . قوّة الغضب لدفع المفسدة .

(**٣**) . قوة الشّهوة لجلب المنفعة .

ومباشرة النّفس لهذه القوى الثّلاث لاستكمالها من باب الضّرورة، وهي الكَوْن في البدن وبقاؤها ببقاء البدن مدّة، وليست هذه المباشرة هي الكمال المطلوب منه ا، بل كمالها في التجرّد عنها، وإنّما احتاج إليها، لكونها موجودة في البدن لأجل الإستكمال، فهي م رتبطة بالبدن في أيّام بقائها في الدّنيا .

ثمّ إنّ كمالها الحاصل في الدّنيا وفي مدّة بقائها في البدن إنّما هو باتّصافها بالأمر المتوسّط من هذه القوى الثلاث . أي العلم والغضب والشّهوة . فإنّها وإن ابتلت في الدّنيا وفي البدن بصحبة الأخسّاء من الأضداد، إلاّ أنّه يمكن الخلاص منها بمخالفتها وترويضها بما ورد عن الحجج الطّاهرين عليهم السلام .

فكمال النّفس عند استقلالها بالقوى الثّلاث، واستعمالها إيّاها إنّما هو توسّطها بين الإفراط والتّفريط في هذه القوى الثّلاث .

ونتيجة هذا التوسّط هو أ نْ لا ينفعل عنها ولا يطاوعها في مآربها، بل يستعملها على هيئة الإستعلاء عليها لا الإستسلام أو الفرار منها، وهذه النّتيجة إنّما تحصل بالتّوسّط فيها بالنّحو المذكور وإليه يشير ما عن الغرر

والدّرر للآمدي عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليهما السّلام :" إنّ هذه النّفوس طُلعَةٌ إن تطيعوها تنزع بكم إلى شرّ غاية "[11].

وقال عليه السلام أيضاً: " إنّ مجاهدة النّفس لتزمُّها عن المعاصي وتعصمها عن الرّدى "[12].

وعنه أيضاً عليه أفضل الصّلاة والتّسليم قال : " إنّ هذه النّفس لأمّارة بالسّوء فمن أهملها جمحت به إلى المآثم "[13].

أمّا بيان كيفيّة تحصيل حال التوسّط في القوى الثلاث فبما يلي :

أمّا قوّة العلم فتوسّطها واعتدالها بوقوفها على العقل العملي . وهو غير العقل النّظري الدّال على حقايق الأشياء فإنّه كلّما كان أوفر كلّما كان أفضل . ولا بدّ في العقل العملي مع عدم الإفراط والتفريط، إذ إنّ إفراط هذه القوّة يسمّى بالجرّيزة وهي المكر والخديعة ، وتفريطها هي البلاهة والسّفاهة وكِلاَ الطّرفين مذمومان، والممدوح منها هو التوسّط العلمي في العقل العملي وهو ما يسمّى بالحكمة الّتي عبّر عنها المولى عزّ وجلّ بقوله :﴿**وَمَن يُؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً**﴾ (البقرة/٢٦٩).

وأمّا قوّة الغضب: فتوسّطها واعتدالها الشّجاعة وهي فضيلة كالجود، وكِلاَ جانبيها التّهوّر من طرف الإفراط، والجّبن من طرف التّفريط رذيلتان، كما أنّ طرفي الجود كالبخل والإسراف مذمومان لقوله تعالى : ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط**﴾(الإسراء/٢٩) وقوله تعالى:﴿**والّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**﴾ (الفرقان/٦٧).

وأمّا قوّة الشّهوة: فتوسّطها واعتدالها هو العفّة، وطرفاها الشّرَه من طرف الإفراط، والخمود من طرف التفريط رذيلتان .

ثمّ إنّه من تركيب هذه القوى الثّلاث، وامتزاج أوساطها الثّلاثة تحصل قوّة أخرى لها توسّط هي الفضيلة المعَبَّر عنها بالعدالة، والإفراط والتفريط بها يُعتَبَرُ جَوراً .

فالصّفات الأربع أصول الفضائل ا لعلميّة وأطرافها الثّمانية هي الرّذائل، ومجموعها حسن الخُلُق، إذا صارت ملَكَة ينوط بها خلاص الإ نسان من ذمائم الأخلاق الموجِب لسخط الباري عزّ وجلّ وغضبهوالتّعذيب بالإحتراق بالنّار بسبب الإنحراف عن العدالة الّتي هي الصّراط المستقيم، وخير الأمور في العالم أوسطها .

وكما انّ نفس الطّريق المستقيم ليس مقصوداً بل جوازها يؤدّي إلى المقصود، فكذلك حسن الخلق ليس كم الاً بل الإتّصاف به يورّث الخلاص من الجّحيم، وإنّما الكمال الحقيقي والمقصود الأصلي هو معرفة الحق الأوّل، وما يليه من الصّفات الجّماليّة والأفعال الإلهيّة التي تكمل بها النّفس وتقرّ بمشاهدتها العين السّليمة من الأمراض الباطنيّة .

ومن المعلوم أنّ قيام النّاس بالقسط واعتدال نفوسهم إنّما تجمعها وتؤدّيها الأخلاق الحسنة وإليه الإشارة بقوله تعالى :﴿**ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكّاها وق د خاب من دسّاها** ﴾ (الشمس/٧.١٠).

وللّنفس التي هي باطن الإنسان ، وجه إلى الخلق ووجه إلى الحقّ، ووجهها الّذي يلي الحقّ هو جهة وحدتها وبساطتها. ووجهها الذي يلي الخلق جهة تركيبها من الأخلاق.وللأخلاق أركان وأصول فلا بدَّ من حسن جميعها حتى يحسن الخلق، ولهذا جاء في الدّعاء: " الّلهمّ حسّن خلقي " فهو طلبٌ منه تعالى لتحسين الوجه العملي للسالك إذ بحسن الخُلُق يحسن العمل، ويقع على أحسن الوجوه والتدابير كما في قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: " الّلهمّ أرني الأشياء كما هي " طلبٌ منه تعالى لحسن الوجه العملي الشّهودي، إذ بمشاهدة الأشياء كما هي، يحصل حسن العلم بها بدون حجاب موجب للإشتباه .

إذا توضّح ما مرَّ فاعلم: أنّ الإنسان بذاته طالب للكمال والكامل، ومعلوم أنّ الكمال الأتمّ والتّمام بل وفوق التّمام هو الواجب تعالى، فكلّ موجود يطلبه بغريزة شوقه، ويشتاق إليه و يعشقه عشقاً إراديّاً أو طبيعيّاً، لذا قيل بسريان العشق في جميع الموجودات على تفاوت طبقاتها ، ولكلّ منها شعورٌ وعلمٌ مستدلّين لهذا بقوله تعالى :﴿**ولكلّ وجهة هو مولّيها** ﴾ (البقرة/١٤٨) وقوله تعالى:﴿**وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده**﴾ (الإسراء/٤٤).

فكلّ موجود بحسب ذاته يطلب الوصول إليه تعالى بنار الشّوق والعشق، فهو تعالى غاية الغايات كما هو مبدأ المبادئ، فكلّ من كان أقرب إليه تعالى فلا محالة يكون أشبه به تعالى صفةً ، فلا محالة يكون ملتذّاً بمعرفته عزّ وجلّ ومظهراً لصفاته .

وبما أنّ الله تعالى واحد أحد، والأحد جلّ شأن ه كامل بالفعل، وما دونه فهو ناقص لكونه محتاجاً إلى جنابه، والنّاقص لا يكون أحداً، لأنّه محدود بالفقدان، فإنّه يملك شيئاً ويفقد شيئاً آخر فيصير متعيّناً بما يملكه فلا يكون أحداً، وأمّا الّذي يجمع جميع الكمالات بما لا يتناهى فهو الأحد الّذي لا يتناهى، ولا بدّ أن تكون كمالاته جميعها بالفعل ؛ فإنّ القوّة لا تكون كمالاً إذ هي الفقدان والعدم، هذا بالإضافة إلى أنّ القوّة شأن الإمكان، والإمكان محتاج حادث، والله تعالى منزّه عن ذلك فهو الغنيّ القديم، وعليه فلابدّ من الإقرار بكماله تعالى الّذي هو عين الذّات من جميع الجّ هات، وغير الذّات ولو من جهة، فإن كان عينها من جميع الجّهات فهو هي، فأين الكمال؟ ولا شيء إلاّ الذّات، وإن كان غيرها ولو من جهة فهو خلقها ولا يجمع معها بالأدلّة والبراهين الفلسفيّة، فلا بدّ من القول بأنّ كماله غير ذاته، إذ الكمال أثر، ألا ترى أنّ أوّل الكمال هو الحركة الإيجاديّة وهي غير الذّات، فما دونها غيرها بطريق أولى، فكماله عزّ وجلّ خلقه، وأكمل الخلق بالصّفات الكماليّة هم أولى بالدّلالة على الكامل المطلق من النواقص، فالكامل الّذي لا نهاية لكماله إذا لم يخلق خلقاً كاملاً لا يعتبر حينئذٍ كاملاً، بل لدلّ خلقه النّاقص على نقصان كماله، فلا بدّ من وجود كاملين، لأنّ عدم إيجادهم نقصٌ في القادريّة هو تعالى منزّه عنها.

وبالجملة: فإنّ من فضل الله تعالى على العباد أن خلق جماعة جعلهم أبوابه وصراطه، وبهم يكمل عباده يفتح عليهم أبواب نعمته، وغير ذلك ممّا يترتّب على وجودهم من الآثار العظمى والألطاف الكبرى ، أمثال الأولياء

والأنبياء عليهم السّلام قال تعالى : ﴿**هو الّذي بعث في الأميّين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾ (الجمعة/٢ـ ٤) فصاحب الفضل العظيم لا يخلُّ بهذا الفضل البتة، ولا يمنعه، وذلك لأنّ فضله عزّ وجلّ لا يتناهى، فلا بدّ من ظهور فضله بما لا يتناهى ولو لم يخلق ما هو من أعظم الفضايل لكان نقصاً في الفضل ، وهو تعالى منزّه عن ذلك .

وبوجه آخر نقول:

إنّ الله حكيم، والحكيم لا يعبث ولا يلهو ولا يلعب، فلم يخلق الخلق عبثاً ﴿**ربّنا ما خلقت هذا باطلاً**﴾ (آل عمران /١٩١) ﴿**وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون**﴾ (الذاريات/٥٦) أي ليعرفون، فالعلّة الغائيّة معرفته وتوحيده وذلك في قوّة العباد لا فعليتهم كما هو مشهور، ووجه ذلك أنّه تعالى خلقهم من غاية البعد الأبعد ليسافروا في سيرهم إليه في جميع أطوار وجودهم، ويشاهدوا كلّ الأنوار، وغاية البعد ظاهر الإمكان و في قوّته جميع الأكوان، والله تعالى خلقهم منه للوصول إلى أعلى درجة العرفان، وذلك لا يمكن لهم بأنفسهم لنقصان القوابل والماهيات ، فإنّ العادم للشّيء لا يصير باعثه، وذلك ظاهر لمن كان له عينان، ولو كان يمكن ذلك لكان يمكن أ ن يكون الشّخص نفسه وذلك ممتنع إذ فاقد الوجود لا يكون موجداً، فتأمّل .

فلا بدّ في الحكمة من وجود مكمّلين في صفة المعرفة والتّوحيد، ولا شكّ أنّ المكمّل لشيء لا يكون مكمّلاً إذا كان محتاجاً فيه إلى المتكمّلين ، فإنهم فاقدون له وهو واحد، فلا بدّ وأن يكون المكمّل في صفة المعرفة غنيّاً عن جميع الخلق عالماً بنفسه، ولا شكّ أنه النبيّ والوليّ عليهما السّلام، فإنّ غيرهما لا يكون بهذه الصّفة، فلا يجوز في الحكمة الإخلال بوجود هكذا أشخاص .

هذا مضافاً إلى أنّ النّاس مخلوقون لغاية ، ولحصول الغاية لا بدّ من تمدّنهم فإنّهم لو تفرّقوا في البراري والفلوات ورؤوس الجبال والجحور والكهوف لما حصلت هذه الغاية العظيمة منهم بل لم يكونوا متمكّنين من ذلك لكثرة حوايجهم، فإنّ ساير الحيوانات ليسوا بحاجة إلى غير ربّهم، وإنّ الله خلق لهم ما يكتفون به في عيشهم، بخلاف الإنسان فإنّه في جميع أموره يحتاج إلى غيره، وكلّ واحد منهم بنفسه لا يقدر على سدّ جميع حوايجه ورفع مهماته فلا بدّ من اجتماعهم في القرى والبلدان لرفع الحوائج وإنجاح المطالب، ولأجل ذلك خلقهم الحكيم مختلفي الطّبايع ليذهب كلٌّ إلى سبيل، ويكسب أمراً خاصاً بطبعه ويرفع حوائج أبناء جنسه، ولو لم يجعل ذلك من طبعهم لما أحكموه، وبما أنّ الطّبايع مختلفة، ومع اختلافها يكثر النّزاع بينهم لا بدّ أن يجعل الحكيم الّذي لم يخلّ في جزءٍ من الجزئيّات، رئيساً حاكماً عليهم حتى يرفع ما وقع بينهم من التّشاجر والنّزاع ، ويضع كلّ شيء في موضعه، وكذلك لا بدّ وأن يكون هذا الحاكم خارجاً من حدّ الطّبايع إذ لو كان مقهوراً مثلهم للطّبايع لصار كأحدهم، ولا بدّ له ذا الحاكم أن يكون فوقهم لا من جنسهم،وكذلك لا بدّ من علمه وحكمته، فإنّ الجاهل لا يقدر على

الحكومة، وغير الحكيم لا يعرف السّياسة، ولا يضع كلّ شيء موضعه، كما لا يمكنه إصلاح أمر النّاس، كما لا بدّ أن يكون عالماً بالضّمائر، مطلعاً على السّرائر، فإنّ الجّاهل كيف يقدر على الحكومة بالحقّ؟ ألا ترى أنّ الحكّام والسّلاطين الجّهلة لعدم إطّلاعهم على البواطن ينصّبون في المحلاّت والشّوارع عيوناً ليخبروهم عن حالات رعيّتهم ومع ذلك تشتبه عليهم أمور كثيرة كما لا يخفى، والحاكم الحقيقي الخبير العليم يطّلع على الغيوب ،ويقف على المحاسن والعيوب، وكذلك لو كان بنفسه عاصياً مثل الرّعية لما صار أمين الله في أرضه، وما قدر على الأمر بالمعروف والنّهي عن النكر، وما وصل إلى مقام الفعليّة، ونقصان الخلق هو عصيانهم، ولو كانوا برمّتهم متقين لصاروا كاملين، فالحاكم الكامل هو المعصوم المطهّر وسلاطين الجور لا يختارون للحكومة المغصوبة من كان متجاهراً بالفسق،فلا تغفل،فالحاكم الخليفة، المنصوب من قِبَل الله تعالى، معصوم لا محالة، غاية الأمر أنّ الحاكم الكلّي معصوم، والجزئي . أي الذي ينصّبه الحاكم الكلّي . معصوم جزئي فيما يؤديه عن الحاكم الكلّي ، وكذلك لا يجوز أن يكون ساهياً إذ يُحتمل مع جواز سهوه لأن يسهو في الأحكام وحفظ الأنام، ومن جمع هذه الشّروط يكون نبيّاً أو وصيّاً، فمن الحكمة نصب الأنبياء والأولياء بين النّاس، فافهم .

وببيان آخر نقول:

إنّ الله سبحانه وتعالى بذاته بعيد عن حدّ إدراك الخلايق، فإنّ الأدوات تحدّ أنفسها والآلآت تشير إلى نظائرها،والله سبحانه وتعالى فوقها جميعاً بما لا يتناهى، ولذلك اختار لنفسه مظاهر في الكون والشّريعة،يتمكن الخلق من

إدراكهم وأخذ الأوامر الكونيّة والشّرعيّة عنهم،أمّا كونهم مظاهره في الأكوان بحسب شأنها ،وفعليّتها محال مشيّته وألسن إرادته ، فيؤدّون إلى الخلق أوامره ونواهيه الكونيّة المتعلقة بأكوان الخلق، ولما كانوا برمّتهم أيآته ومقاماته وعلاماته صارت طاعتهم طاعته،ولولاهم لما ظهر أمر الله وما سطع نوره وما عرفه أحد من خلقه، فالسّماء مثلاً مظهر أمر الله سبحانه وتعالى بإقبال العقل من البعد الأبعد الذي سار إليه في نزوله إلى القرب الأقرب وهو يؤدّي عن الله سبحانه أمره، فكلّ من أطاعه يُعدّ مطيعاً لله تعالى، وكذلك في الشّرع خلق لنفسه أولياء جعل طاعتهم طاعته بظهوره لهم فيهم، فكلّ من أطاعهم أطاع الله وهم الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم أجمعين، فهم ألسنة إرادة الله تعالى، بل هم اسماؤه وصفاته التي ظهرت في الأكوان لمّ صاروا بأنفسهم مطيعين لله بحيث صارت أنفسهم فانية في جنب الله وباقية به،أمروا غيرهم أن يدعوه بهم كما قال عليه السلام: نحن والله الأسماء الحسنى التي أمر الله أن تدعوه بها.وفي الزّيارة أيضاً: السّلام على اسم الله الرّضي ووجهه المضيء . فالحجج صلوات الله عليهم صاروا أسماءَه وذلك شأن كلّ فانٍ في جنب المفنى فيه، إذ يصير منبّئاً عنه لا عن نفسه، والإسم ما أنبأ عن المسمّى،فإذا أفنى أحد نفسه في جنب الشّيطان يصير اسمه، وإذا صار أحد فانياً في جنب الرّحمان يصير اسمه بل نفسه كما في قوله عليه السلام: **" أنا الذّات، أنا ذات الذّوات للذّات "**

.

فإذا صار بهذه المنزلة تصير كلّ معاملة معه معاملة مع الله تعالى، بل يصير الله ناطقاً من لسانه كما قال عزّ وجلّ في الحديث القدسي : **"ما يزال يتقرّب**

إليّ العبد بالنّوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت بصره الّذي يبصر به وسمعه الّذي يسمع به ويده الّتي يبطش بها، ورجله الّتي يمشي بها، إنْ دعاني أجبته وإنْ سكت عنّي ابتدأته".

فكلّ من امتثل أوامر المشرّعين المطهّرين ومن روى عنهم وقام في مقامهم يُعدّ عابداً لله سبحانه وتعالى، وكلّ من خالفهم يصير مخالفاً لله تعالى، فمن كفر بهم فقد كفر بالله،ومن أشرك أحداً معهم فقد اشرك بالله، فالموحّد من أخلص في مودّتهم وطاعتهم، قال تعالى: ﴿**من يطع الرّسول فقد أطاع الله**﴾ (النساء/١٠)، ﴿**قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعون ي يحببكم الله** ﴾ (آل عمران/ ٣١)، ﴿**وما آتاكم الرّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ (الحشر/٧)، وورد عنهم عليهم السّلام قالوا:"بنا عُبد الله، وبنا عُرِفَ الله، وبنا وُحِّدَ الله تبارك وتعالى" [١٤].

وقولهم عليهم السَّلام : "بعبادتنا عُبد الله ولولا نحن ما عُبد الله "[١٥] و"بعبادتنا عُبدَ الله عزّ وجلّ، ولولانا ما عُبدَ الله"[١٦].

معنى الحديث الشّريف أن العبادة متفرعة على المعرفة، ولولا النّبي وعترته ما عرف أحدٌ اللهَ حقيقةً، فهم السّبيل لعبادته ومعرفته، بل هم الصّفات الدّالة على الذّات، وإليه يشير قول مولانا الإمام الصّادق عليه السلام : "مَن عبد الله بالتوهّم فقد كفر، ومَن عبد الإسم ولم يعبد المعنى فقد كفر، ومَن عبد الإسم والمعنى فقد أشرك، ومَن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام،وفي حديث آخر:" أولئك هم المفلحون" [١٧].

وسأل هشام مولانا الإمام الصّادق عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها:"الله " ممّا هو مشتقّ؟

فقال عليه السلام: يا هشام! "الله مشتقّ من "إله" والإله يقتضي مألوهاً، والإسم غير المسمّى، فمن عبد الإسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الإسم والمعنى فقد كفر [ن التوحيد: فقد أشرك] وعبد الإثنين، ومن عبد المعنى دون الإسم فذاك التّوحيد، أفهمت يا هشام؟

قال: قلت : زدني .

قال عليه السلام: لله عزّ وجلّ تسعة وتسعون إسماً، فلو كان الإسم هو المسمّى لكان كلّ إسم منها إلهاً، ولكنّ الله معنىً يُدَلُّ عليه بهذه الأسماء، وكلّها غيره. يا هشام: الخبز اسمٌ للمأكول، والماء اسمٌ للمشروب، والثّوب اسمٌ للملبوس، والنّار اسمٌ للمُحْرِق، أفهمت يا هشام فَهْماً تدفع به وتناضل [ن التوحيد: وتنافر] به أعداءنا المتّخذين مع الله عزّ وجلّ غيره؟، قلت : نعم، فقال: نفعك الله به وثبّتك يا هشام . قال: فوالله ما قهرني أحد في التّوحيد حتى قمت مقامي هذا [18].

واعلم ـ أخي القارئ ـ أنّ مراده عليه السلام من العبادة بالوهم أن يكون الله صورة أو جسماً كما عمل عليه عامّة الخلق إذ يزعمون ربّهم شخصاً كمثل خلقه، ويتوهّمون أنّه في مكان في السّماء أو فوقها فيخاطبونه كما لو خاطبوا واحداً منهم من وراء حجاب، فمن اعتقد أنّ ذاته تعالى محدودة فقد كفر لأنّه تعالى أحد لا يحد بالعابد والمعبود بل الكلّ نوره، وأمّا عبادة الإسم دون المعنى به فعبادة غير الله، وهو كفر ؛ فإنّ الإسم اسمٌ إذا كان حاكياً عن المسمّى

كالشّعلة في حكايتها عن النّار الغيبيّة، ولا يكون ذلك إلاّ بعد الفناء التّام في المسمّى، فإذا صار فانياً هكذا لا يرى بالأسميّة، فما يراه العبد ويعرفه بوصف غير وصف المسمّى لا يكون اسماً وعبادته كفر، ومن هذا القبيل عبادة الصّوفيّة الملاحدة إذ يقولون بتصوّر صور أساتذتهم ومرشديهم في القلب ومخاطبتهم إيّاهم بما يخص الذّات الصّمديّة، فهؤلاء وقعوا في الكفر وذلك لأنّ المرشد لا يكون اسماً إلهيّاً، وعلى فرض كونه من أسماء الله وصفاته كالأنبياء والأولياء، فإذا عرفته بشخصه خرجت عن ملاحظة الإسم إذا لم يرَ ولم يعرف إلاّ بظهور المسمّى، فتكون العبادة له حينئذٍ عبادة لغير الله سبحانه وتعالى .

وقوله: " من عبد المعنى فقد دلّ على غايب " إشارة إلى ظهور المعنى في الإسم، فأمّا في الكون فجميع الملك أسماء وصفات، وأمّا في الشّرع فاختار الله لنفسه أسماء الكمال والجّمال والجّلال ولا يليق به غيرها، فظهوره في المنزلتين في أسمائه لا غير، وفي غيرها لا ظهور له، كما ترى في نفسك إذ هي آيته، حيث إنّ ظهورها إنّما هو في بدنك لا غيره من الأبدان، فمن دعاك في غير بدنك لم يجدك أبداً إلاّ في الصّلاح والقوّة، ومن دعاك من غير بدن دعا من لم يدركه، وقد أحال على غايب، وعلى فرض كونك مدركاً سامعاً لدعوته لا يكاد يجدك كمن يدعو ميتاً آدميّاً على قبره ؛ فإنه وإن كان يسمع دعاءه إلاّ أنّه . أي الدّاعي . لا يدركه، والآثار مترتّبة على الإدراك لا على الألفاظ، فمن دعاه من غير سبيل أسمائه فكأنّه لم يعبد شيئاً ولا ينتفع به في آخرته وإن أجزأه في ظاهر الشرع ، وهذه عبادة أكثر الفقهاء القشريّين الّذين

لم يعرفوا ربّهم حقيقة المعرفة ولكنّهم أصلحوا ظاهر أعمالهم، ومن هذا القبيل الّذين لم يعرفوا الأئمّة عليهم السّلام تكون أعمالهم وعباداتهم ظاهريّة، ولا تفيدهم بشيء لأنّهم لم يعرفوا إمامهم إلاّ بما توهّموه، فلم يعبدوا الله بما أراد، بل عبدوه بما أرادوا، والله تعالى يقول :﴿**ليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكنّ البرّ من اتّقى وأْتوا البيوت من أبوابها**﴾ (البقرة/١٨٩).

وقوله: " من عبد الإسم والمعنى فقد أشرك "فواضح إذ إنّ مَنْ فرّق بين الإسم والمعنى وعبدهما معاً فقد أخطأ ودعا مع الله إلهاً آخر وذلك في الظّاهر، وأمّا في الحقيقة، فالإسم إذا عُدّ مع المسمّى لا يكون اسماً، والمعنى لا يظهر إلاّ من الإسم، فهو إذا وجد الإسم والمعنى اثنين فقد عبد اثنين ﴿**لقد كفر الّذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة**﴾ (المائدة/٧٣).

وقوله: " من عبد المعنى بوقوع الإسم عليه . . ." ، فذلك أن تنظر إلى الإسم كونه كاشفاً سبحة الأحديّة بأن تشاهد منه المسمّى لا غير، لأنّه لا ينبّئ إلاّ عن مسمّاه، ففعلك يصير حقّاً لمطابقته لجعل الله كما أنّك تنظر إلى الشّعلة وترى النّار فذلك إيقاع الإسم على المعنى فتقول بلسانك: يا الله، وتعتقد في ضميرك المعنى به وهو الّذي تحيَّر فيه الخلائق كما تقول بلسانك: "زيد" وتعتقد في ضميرك شخصه .

- **الأمر الثّالث: الإمام** عليه السلام **هو قطب جميع الكائنات وقلبهم:**

إنّ الولاية المحمّديّة والعلويّة الخاصّة والمطلقة هي التي ظهرت بأوصاف كماله تعالى ونعوت جماله ، وهي الجّامعة للأسماء الإلهيّة، بل هي باطن الأُلوهيّة، وهي في رسول الله مع الرّسالة ، وفي الوصيّ مع الإمامة وحيث إنّ صاحبها

فانٍ عن نفسه وباقٍ بربّه، فلا محالة تكون الولاية الكائنة فيه بأوصافها ولاية الله تعالى.ولا ريب أنّ حقيقة هذه الولاية لا يمكن الإطا حة بها ذاتاً، بل هي مختصّة بهم عليهم السّلام، وحيث أنها حقيقتهم يعلمونها بالعلم الحضوري، ومن الممكن بيان آثارها لا بحقيقتها بل بمقدار ما يمكن تفهيمها لغيرهم، وكيف يمكن معرفة كنه الولاية الإلهيّة من حيث هي صفة إلهيّة مطلقة ثابته للذّات الرّبوبيّة المقدّ سة، ولهم عليهم السّلام بالقياس إلى غيرهم من الأنبياء والمرسلين، ومقيّدة بالقياس إلى الله عزّ وجلّ، ومعلوم أنّ المقيّد متقوّم بالمطلق، والمطلق ظاهر في المقيّد، فالولاية الثّابتة للأنبياء والأولياء جزئيّات الولاية المطلقة الإلهيّة، فالأنبياء والأولياء عترة رسول الله عليهم السّلام لهم القرب إلى الأشياء بالولاية الإلهيّة، حيث إنّ ولايتهم مظاهر الولاية الإلهيّة، وجزئيّات للولاية الإلهيّة، فلها من آثار ال سلطة والتولية ما للولاية الإلهيّة منها كما لا يخفى، وإليه يشير ما في بصائر الدّرجات من قوله عليه السلام: " ولايتنا ولاية الله تعالى "، وهذا نظير ما قيل من أنّ نبوّة الأنبياء جزئيّات النّبوة المطلقة المحمّدية، من هنا ورد عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: يا جابر عليك بالبيان والمعاني، فقلت : وما البيان والمعاني؟، فقال عليه السلام: أمّا البيان فهو أن تعرف أنّ الله سبحانه ليس كمثله شيء فتعبده ولا تشرك به شيئاً، وأمّا المعاني فنحن معانيه ونحن جنبه ويده ولسانه وأمره وحكمه وكلمته وعلمه وحقه وإذا شئنا شاء اللّه ، ويريد اللّه ما نريده، ونحن المثاني التي أعطانا اللّه نبينا، [ن: نحن المثاني الّذي أعطاه الله نبينا محمّداً]، ونحن وجه اللّه الذي يتقلّب في الأرض بين أظهركم، فمَن عرفنا فأمامه اليقين ومن جهلنا فأمامه

سجّين، ولو شئنا خرقنا الأرض وصعدنا السماء، وان الينا إياب هذا الخلق ثم إنّ علينا حسابهم[١٩].

وفي حديث آخر عبّر مولانا الإمام الصادق (عليه السلام) عن هذه المقامات بأسماء أُخر حيث قال : ان أمرنا هو الحق وحق الحق ،وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن، وهو السر وسرّ السر وسر مستسر وسرٌّ مقنّع بالسر [٢٠].

وآل محمّدٍ عليهم السلام في حقائقهم علّة جميع الكائنات، ومقام أشخاصهم وذواتهم المباركة أصفى وأعدل من جميع المقامات والقوابل، فنور البيان فيهم أظه ر وأسبق وأولى وأعلى من جميع الخلق، فكل بيان في الخلق من فرع بيانهم، وذلك قوله (عليه السلام) : نحن أصل كل خير ومن فروعنا كل بر ، ومن البر التوحيد. وفي الزيارة الجامعة: "من أراد اللّه بدأ بكم ومن وحدّه قبل عنكم ومن قصده توجه بكم".

من خلال ما ذكر يتضح لدينا بأنّ الإمام (عليه السلام) هو قطب جميع الكائنات وقلبهم، وكل فيض يصل الى الخلق يصل الى القلب أولاً ومنه ينتشر في ساير الخلق، والقلب في الإنسان أوّل ما يحيى وآخر من يموت، فإنّ النطفة بعدما وقعت في الرحم يتولّد منها أولاً قلب المولود ثمّ يتشعّب منه العروق والشرايين الى الأطراف وتنعقد حولها الأعضاء، وبعد تولّد المولود كامل الأعضاء يتولّد الروح أولاً في قلبه ويحيى بأمر اللّه ومنه يجري دم الحياة في كل البدن، بل المشرّحون من الأطباء يقولون أنّ الأوردة والشرايين كلّها ناشبة من القلب، والدم الوريدي والشرياني يقسم منه إلى البدن.

وبالجملة فأوّل مخلوق من البدن القلب، وأوّل حي القلب، وكذلك آخر ميّت من البدن القلب، وجميع البدن يدور على القلب ويستفيض منه دائماً وهو يفيض دائماً، وكذلك الأمر في الملك ﴿**ما ترى في خلق الرحمان من تفاوت**﴾ (الملك/٣)، وذلك لأنّ الشيء كائناً ما كان مركّب من وجود وماهية أو مادة وصورة، وا لصورة والما هيّة حدود الوجود والمادة ونهايتهما، والشيء هو شيء بهذه المادة والصورة، وجميع ما يترتب عليه من الصفات كلها أمثلة هذه النهاية والحدود التي هي المثال والشبح المتصل كما ترى أنّ لوجهَك مثلاً مادة وصورة هي مثاله المتصل، وجميع الصفات المترتبة على مثال وجهك كلها راجع إليه وعلى هيئته،ومنها الأمثلة الملقاة في الأجسام من وجهك، وترى عياناً مثال وجهك في الأجسام الصقيلة أنّه على شكلك، وكذلك ساير الصفات كلها راجعة إليه، فصفة كلّ شيء تابعة لصورته، وآثاره مترتبة عليها، ومحال في الحكمة أن تتخلّف صفة عن موصوفها من حيث الصدور إلاّ ما اختلف في القوابل، كما أنّه من المحال أن يقتضي أحد شيئاً الاّ ما على صفته وهيئته ﴿**قل كلٌّ يعمل على شاكلته** ﴾، وما نراه من اختلاف القوى في الأشياء فذلك بحسب الفعليات التي عليها لا بحسب نفس المادة من حيث هي هي، والوجود الجايز (أي الإمكان الراجح) لا فعليّة له سوى صلوح الانفعال، فإقتضاء الإمكان هو صلوحي من باب كونه صفةً، والصفة على طبق الموصوف، فبنفسه لا يقتضي سواه، ولا يكاد يخرج من قوته شيء إلاّ بمرجح خارجي يقتضي أمراً خاصاً ألا ترى أن المداد من حيث نفسه لا يقتضي التصوّر بصورة كلمة دون كلمة إلاّ بالكاتب أن يأخذ

شيئاً مرهم بالقلم وينقشه بصورة الحروف على حسب ميله الذي هو المرجّح، فافهم.

وهنا نسأل : ما المرجّ ح للصور الخاصة هل هو الله وهو الغني المطلق ولا يحتاج الى شيء ولا يميل الى شيء؟ أو هو فعله ولا كيف له كما لا كيف للّه تعالى؟ فما السبب . إذن . في خلق الخلق، وسَوْق الوجود إلى كلّ قابل؟ فإن كنت مؤمناً بالله و رسوله تعرف أنّ المخصص والمرجّ ح هو القلب وهو آدم الأوّل كان في جنان الكينونة فأنزله الله في أرض الجرز وخلقه منها بيده . بإرادته . على حسبها، وأحدثه على طبق مشيته، ثمّ خلق ساير الخلق به، وأمّا خلقه فبلا كيف كما أن مشيته بلا كيف، وعليه فإنّه بعدما خلق العقل وهو القلب والقطب لجميع المُلْك صار مرجحاً لخلق ساير الأشياء بالإرادات الخاصّة وهي لا تضرّ بالقلب، والخلق في كلّ مقام يحتاجون إلى لسان مترجم من الله تعالى يبيّن لهم الأمر الك وني والشّرعي، ففي عا لم الذّوات ، خلق الله أوّلاً قلبها وقطبها، وخلق به غيره، وفي عا لم الأرواح والنّفوس والطّبايع والأمثلة والأجسام هكذا، وكلّما تراه من بسايط العوا لم كلّها مخلوقة بسبب قلبها، وعليّ الإمام (*) ذلك القلب في كلّ عا لم غير مخلوق من عناصر هذا المل ك وبسائطه ولو كان مخلوقاً منها للزم محذور الدور، فإنّ كلّ شيء قبل خلقه في الإمكان، ولا يخرج منه إلاّ بمرجّح والمرجّح هو القلب، فكيف يمكن . حينئذٍ .

(*) عبرّ هشام بن الحكم في احتجاجه على عمرو بن عبيد قاضي البصرة عن القلب بإمام الجوارح يصحّح لها الصحيح وينفي ما شكّك فيه، وهذه الرواية من أروع ما جاء في الإحتجاج على إثبات صحّة وجود إمام في كلّ عصر فلتراجع: إحتجاج الطبرسي:٢/١٢٥،١٢٦.

أن يكون القلب مخلوقاً من العناصر والبسايط التي لا بدّ من خروجها من القوّة بواسطته، فتدبّر .

فالقلب في كلّ مكان مخلوق بنفسه . خلقه الله متعالياً عن البسايط والعناصر . قبل أجزاء ملكه، وكلّ شيء من أعراض الملك له قلب هو الحاكي للقلب الرّوحي الأعلى منه لا أنّه حقيقته، من هنا قيل : إنّ نسبة النّفس الكلّية الدّهريّة إلى النّفوس الجزئيّة كنسبة الجسم المطلق إلى الأجسام وما كان من النّفوس كالكرسي الجّامع للكلّ يحكي النّفس الكلّية ويصدق عليه اسمها مع أنّ النّفس الغيبيّة غيرها، ونفوس الأشياء هي صور النّفس الكلّية، فصورة الجماد مثلاً نفسه، وصورة النّبات نفسه، وهكذا صورة الإنسان والحيوان وغيرها من البسايط والمواليد، وكلّها أفراد المطلق الأعلى وهو النّفس الكلّية المحيطة بها وهي مبدأ الكلّ ومنشأ الجّميع، فإنّ جميع أفراد المطلق ظهوراته وتجلّياته، فإنّ أفراد الحديد هي ما ظهر من أشعّته فيما صيْغ من العناصر بصورة قابلة لحكايتها والأشعّة تصدر من الحديد بصورة واحدة إطلاقيّة إذا هي كماله وعلى حسبه، وتظهر في السّيف والوتد كلّ بحسبه، والحديديّة هي الحديديّة، والأشعّة الظّاهرة في أفراده جميعها بدؤها من الحديد وعودها إليه، وكذلك الأمر بالنّسبة إلى النّفس الكليّة، فجميع ما يظهر من الأفراد يرجع وينسب إليها ، وقد يستشكل بجواز نسبة صفة النّفس المطلقة إلى شخص يحكيها أم لا؟ ولكنّه مردود من حيث إنّ الفرد يحكي المطلق بحسب شأنه لا بحسب شأن المطلق، وذلك أيضاً ليس من حيث فرديّة الفرد بل من حيث حكاية البدن العنصري؛ فإنّ الفرد بنفسه شعاع المطلق وأثره ولا يخالفه ولكنّه

يظهر في المرآة بحسبها، فإنْ كانت المرآة صالحة لحكاية الشّعاع على ما هو عليه فلا تخالفه، مثاله: الحافظة عند الإنسان فإنّ الحفظ من لوازم الحافظة لا يفارقها، ولكنّ البدن ربّما يحكي الحفظ وربّما لا يحكي وذلك بحسب غلبة الرّطوبة على دماغ الإنسان وعدمها كما هو ظا هرٌ فإنْ كان البدن صالحاً لحكاية الحفظ يحكيه وألاّ فلا، وكذلك الكلام في ساير قوى الإنسان، ومن لا يحكي جميع قوى الإنسان لا يسمّى إنساناً على الحقيقة نعم يكون إنساناً ظلّيّاً، وهكذا السّماء تحكي سماويّتها دون أرضها، والأرض تحكي أرضيّتها دون غيرها، لذا لا يصدق على واحدة منهما اسم حقيقة النّفس بالكلّية، وكذلك الأمر في الأبدان الشّخصيّة، فالنّجيب الجزئي مثلاً وإنْ ظهر فيه شعاع النّفس ولكنّه لم يجمع جميع ما يشترط في حكاية النّفس، ولذا لايصدق عليه اسمها على الحقيقة، من هنا أيضاً لا يسوغ أن يقال لمرآة لا تحكي جميع النّفس بكمالاتها أنها نفس بل هي عضو لها، ففلك القمر لا يكون نفساً. لأنّه لايحكي كلّ ما في القمر. ولكنّه قمر النّفس الكلّية، والزّهرة لا تكون نفساً ولكنّها زهرة النّفس يعني النّفس الظّاهرة فيهما زهرةً وقمراً، ولكنّ الكرسيّ الجامع للكلّ ﴿**وسع كرسيّه السّماوات والأرض**﴾ الّذي وسع الأفلاك كلّها يحكي النّفس فيصدق عليه اسمها ويظهر منه أثرها، وهو بمنزلة البدن الكامل لزيد والشّعلة للنّار، وهو إمام السّماوات والأرض، والكلّي الحاكي عن الغيب وباب الإشارة ومحلّ العبارة والدّليل والأ مارة وصاحب الوساطة والسّفارة وهو النّفس الكلّية فيصدق على هذا البدن اسم الكلّي مع أنّ النّفس الغيبيّة غيره ونسبتها إليه وإلى ساير السّماوات والأرض بالسواء.

وبالجملة:

فإنّ الشّيعة المخلصين فروع آل محمّد عليهم السّلام إذ هم أنوارهم وأشعّتهم، والنّور لا يملك لنفسه شيئاً لا يكون من مولاه ومؤثره، فإنّ جميع ما منه يرجع إليه، ألا ترى إلى نور السّراج فإنّه لا يثبت للنّور شيء إلاّ وهو راجع إلى السّراج وينسب إليه، وكيف لا يكون هكذا ؟ وحقيقة النّور من المنير، وأصل وجوده يرجع إليه وفي نفسه فقير محتاج إليه، ولذلك جميع ما يثبت للشيعة من الفضايل يثبت لهم أصالةً ولشيعتهم بالتبع ، وذلك قوله عليه السّلام: " **نحن أصل كلّ خير ومن فروعنا كلّ برّ** " . ونفى عليه السلام المعجزات من الشّيعة وقال أنها للإمام يجريها على أيديهم، وبهذا المعنى إذا قلت أنّه لا علم للشّيعة ولا حلم ولا كمال أبداً إلاّ مما أظهره آل محمّد منهم لكنتَ صادقاً في قولك، فإنّ الشّبح في المرآة حسبه للشّاخص ومنه لا له ولا للمرآة، ففضايل الشّيعة أظهرها الإمام وأجراها من قوابلهم الّتي تعكس عن ذواتهم المقدّسة ولو إنعكاساً جزئيّاً لأنّ الإنعكاس الكلّي لا يمكن صدوره من النّفوس الجزئيّة حتى ولو اجتمعت متكاملة ﴿**قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً**﴾ (الكهف/١٠٩)، وقال عليه السلام: "إنّ حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله ملك مقرّب ولا نبيّ مرسَل ولا مؤمن ممتحن "، قيل: فمَن يحتمله؟ قال: نحن .

بعد هذا العرض المسهَب والّذي أثبتنا خلاله تكامل القوّتين عند أهل البيت عليهم السّلام وكونهم قطب جميع الكائنات، هل يمكن الرّكون إلى ما

ظنّه بعض الممسوحين بلمسات إبليس اللّعين من أنّ النّبي والأئمّ ة عليهم السّلام لم يكونوا مطّلعين على مجريات الأمور ولا يعلمون شيئاً عن عوالم الغيوب؟! وقد ورد في الأخبار المتواترة أنهم أوّ ل الخلق ومبدؤه ومنتهاه، ومن حاله هكذا كيف يصيبه الخطل في الرّأي أو الإشتباه والنّسيان في غير التبليغ؟
.

ويشهد لما قلنا ما ورد في موثّقة محمّد بن مسلم عن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال: لما خلق الله العقل استنطقه ثمّ قال له: أقبِل فأقبَل ثمّ قال له: أدبِر فأدبَر ثمّ قال: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليَّ منك ولا أكملتك إلاّ فيمن أحبّ، أما إنيّ إيّاك آمر، وإيّاك أنهى، وإيّاك أعاقب وإيّاك أثيب(٢١).

والمراد بالعقل هنا نور رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وانشعبت منه أنوار الأئمّة عليهم السّلام، واستنطاق ه على الحقيقة بجعله محلاًّ للمعارف اللامتناهية، والمراد بالأمر بالإقبال ترقّيه على مراتب الكمال، وجذبه إلى أعلى مقام القرب والوصال، وبإدباره إمّا إنزاله إلى البدن، أو الأمر بتكميل الخلق بعد غاية الكمال، فإنّه يلزمه التنزُّل عن غاية مراتب القرب بسبب معاشرة الخلق، ويومئ إليه قوله تعالى: ﴿**قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبيّنات ليخرج الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات من الظّلمات إلى النّور**﴾ (الطلاق/١٠-١١)، أو أن يكون المراد بالإقبال ، الإقبال إلى الخلق، وبالإدبار الرّجوع إلى عالم القدس بعد إتمام التّبليغ .

والمراد بقوله تعالى في الحديث القدسي المتقدِّم [ولا أكملتك] هو أني لا أكمل محبّتك والإرتباط بك وكونك واسطة بينه وبيني إلاّ فيمن أُحبّه، أو أن يكون الخطاب مع روح الأئمّة ونورهم عليهم السّلام، والمراد بالإكمال إكماله في أبدانهم الشّريفة أي هذا النّور بعد تشعّبه بأيّ بدن تعلّق وكمل فيه يكون ذلك الشّخص أحبّ الخلق إلى الله تعالى .

وقوله: "إيّاك آمر" التخصيص إمّا لكونهم صلوات الله عليهم مُكلّفين بما لم يُكلّف به غيرهم، ويتأتّى منهم من حقّ عبادته تعالى ما لا يتأتّى من غيرهم، أو لاشتراط صحّة أعم ال العباد بولايتهم والإقرار بفضلهم، وبهذا يجمع بين ما رُوي عن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم : أوّل ما خلق الله نوري، وبين ما رُوي: أوّل ما خلق الله العقل .

ويؤيّده ما رُوي عن سلمان الفارسي قال : سمعت حبيبي محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ يسبّح اللهَ ذلك النّور ويقدّسُهُ قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق آدم أودع ذلك النّور في صلبه ، فلم يزل أنا وعليّ شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطّلب، ففيّ النبوّة وفي عليّ الإمامة .

وفي أخبار أُخَر:"افترقنا في صلب عبد المطّلب فجزء أنا وجزء عليّ" .

وكون النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّل ما خلق الله، وقد أصبح هذا الإعتقاد من الضّروريّات في حوزة الإسلام، بل إنّ جميع الملّيّين متفقون على ذلك، وإنْ لم يعرفوا شخصه المبارك، ألا ترى أنهم كلّهم يقرّون ويعترفون بأنّ رسول الله محمّداً خاتم النّبيين، وقد أخذ على الأنبياء سلام الله عليهم ميثاق

ولايته والإقرار بنبوّته، غاية الأمر أنّ بعضهم أقرّ بشخصه، وبعضهم انتظر أمر ظهوره ولكنّهم . أي أتباع الأديان السماوية . لا ينكرون فضله على جميع الأنبياء، ولا شكّ أنهم السّابقون فهو أسبق السّابقين .

وبالجّملة لا شكّ في أنّه أوّل ما خلق الله، وقد نطق بذلك كتاب الله جلّ جلاله حيث قال تعالى: ﴿**قل إن كان للرّحمان ولد فأنا أوّل العابدين** ﴾ (الزخرف/٨١) .

فقوله: ﴿**أنا أوّل العابدين**﴾ أي أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّل خلق الله عَبَدَ الله تعالى .

وبتعبير آخر: إنْ كان للرحمان ولد حسب زعمكم . أيها المشركون . فأنا أوّل العابدين لهكذا إله [على فرض وجوده] لأنني أوّل من عبد الله وحده، فقد دفع أنْ يكون له ولد، والمعنى: أنا أوّل الموحّدين لله، المنكرين لقولكم[٢٢] .

تقرير ذلك:

لا شكّ أنّ جميع الخلق عبيد الله عزّ وجلّ ﴿**وإنْ من شيء إلاّ يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾ (الإسراء/٤٤) ﴿**بل له ما في السّماوات والأرض كلّ له قانتون** ﴾ (البقرة/١١٦) ﴿**إنّ كلّ من في السّماوات والأرض إلاّ آتي الرّحمان عبداً**﴾ (مريم/٩٣).

وفي الدّعاء: أنت إله كلّ شيء، وكلّ شيء يعبدك ويسبّح بحمدك ويسجد لك . ومن الدّعاء أيضاً: انتهى كلّ شيء إلى أمرك .

فلمّا كان رسول الله أوّل العابدين دلّ على أنّه أوّل خلق الله تعالى، وإذا دلّ صريح الكتاب على شيء ووافقه الخبر الصّحيح مع الإجماع الضّروري، فالإقرار به حينئذٍ إيمان وإنكاره كفر قال تعالى : ﴿**قل إنّني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ديناً قِيَمًا ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أوّل المسلمين**﴾ (الأنعام/١٦١.١٦٢) ولا ريب أنّ جميع الخلق أسلموا لله كوناً وقهراً كما قال تعالى : ﴿**وله أسلم من في السّماوات والأرض**﴾ (آل عمران/ ٨٣) ﴿**قل إنّي أُمِرت أن أكون أوّل من أسلم**﴾ (الأنعام/١٤) هذا ﴿**وإنّ الدّين عند الله الإسلام**﴾ (آل عمران/١٩) ولا دين سواه، وجميع خلقه دان له بالعبوديّة، فكلّهم مسلمون تكويناً وبالفطرة وهو صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّل المسلمين وكذلك قال تعالى: ﴿**قل إنّي أُمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدّين وأُمرت لأن أكون أوّل المسلمين**﴾ (الزمر/١٢).

ولا يعارض هذه الآية قول موسى : ﴿**سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين**﴾ (الأعراف/١٤٣) فإنّ مرده أوّل من آمن من بني إسرائيل بأنّك لا تُرى، وهذا نظير قول السّحرة ﴿**إنّا نطمع أن يغفر لنا ربّنا خطايانا أن كنّا أوّل المؤمنين**﴾ (الشعراء/٥١)، يعنون أوّل من آمن في ذلك المشهد، لا أوّل من آمن من الموجودات، وكما قال بأنّ حمزة سيّد الشّهداء مع أنّ مولانا الإمام الحسين عليه السلام سيّد شهداء العالم، فبينهما فرق كبير، كما لا شكّ أنّ

إبراهيم الخليل خير من النّبي موسى، فقوله ﴿**أوّل المؤمنين**﴾ ليس على عمومه، وكذلك نوح خير منه وكذلك نبيّنا خير منه بالإجماع، هذا وقد قال الله تعالى :﴿**النّبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ (الأحزاب/٦) فإذا كان موسى أوّل المؤمنين فالنبيُّ محمّد أولى به منه، فهو الأوّل لا موسى لكون الثّاني من المؤمنين، والنّبي له ولاية عليه، فتدبّر .

وهذه الآية المباركة ﴿**النّبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ أيضاً أحد الشّواهد من كتاب الله تعالى على ولايته المطلقة على عامّة المؤمنين الأوّلين والآخرين إلى قيام يوم الدّين، فكلّ ما دون الله تعالى من الحجر والمدر والنّبات والحيوان والجنّ والإنس والملائكة ، مؤمن به وبمشيّته سبحانه تكويناً، والجّمع المحلّى في قوله: ﴿**بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ يفيد العموم ولا مخصّص في المقام، حتى يقال بأنّ المراد هم المؤمنون الشّرعيّون، فالمراد جميعهم والنّبي أولى بهم جميعاً ، وإذا كان المراد من [**المؤمنين**] الكونيّين والشّرعيّين، فالأولويّة أيضاً كونيّة وشرعيّة، لا محض الحكم الظّاهري كأولويّة الأب والسّابق إلى مكان في المسجد وأمثالهما، بل الأولويّة الّتي لا تثبت إلاّ للمحيط بما دونه، يعني أنه أوجد في مكانه منه، وأظهر من وجهه منه وأقدر منه عليه، فصدر الآية المباركة دلالة قاطعة على ولاية النّبيّ التامّة على المؤمنين، وذيلها هو قوله :﴿**وأزواجه أمّهاتهم**﴾ دلالة على آل بيته بحسب التأويل والوجوه الباطنيّة للقرآن الكريم من حيث إنّ المراد من الأزواج أولياؤه ، فإنه لا قرين له غيرهم فإنّ الزّوجة مخلوقة من نفس الزّوج كما قال تعالى:﴿**خلق لكم من أنفسكم أزواجاً** ﴾ (الروم/٢١) **وأُمنا** حوّاء عليها

السّلام خُلقت من طينة أبينا آدم . وكما جاء في الرّواية من ضلعه الأيسر أي نفسه أو طينته . ولم يُخلق من نفس رسول الله إلاّ الأئمّة عليهم السّلام والصّدّيقة فاطمة الزّهراء عليها السّلام وذلك لقوله تعالى : ﴿**قد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾(التوبة/١٢٨) والمراد من قوله:﴿**أنفسكم**﴾ هم أهل البيت عليهم السّلام بقرينة قو له تعالى : ﴿**بالمؤمنين**﴾ فإنّه لو كان المراد من الأنفس المؤمنين، لما كان حاجة إلى تكراره، وكان يكفي قوله : ﴿**بكم رؤوف رحيم**﴾ .

وإن كان المراد من ﴿**أنفسكم**﴾ جميع الخلق ورأفته مخصوصة بالمؤمنين ، لزم كونه من أنفس الكفّار والمنافقين وهو باطل عقلاً ونقلاً، وقد قال تع الى : ﴿**ما كان محمّد أبا أحدٍ من رجالكم ولكنْ رسول الله وخاتم النّبيّين**﴾(الأحزاب/٤٠) ولو كان من أنفسهم لكان أباهم بالبداهة ، إذ ليس المراد نفي الأبوّة الظّاهريّ؛ فإنّ ذلك أمر ظاهر مع أنّ نفي الأبوّة الظّاهر يّ ليس مقدّمة لإثبات الرّسالة، فسياق الكلام يشهد بأنّ المراد نفي الأبوّة الباطنيّة وهي مرتفعة لعدم كونهم من نفسه، ولو كانوا من نفسه لكانوا ولده ؛ فإنّ الولد جزء من الوالد، فالمراد من ﴿**أنفسكم**﴾ آل محمّد سلام الله عليهم . فأزواج النّبيّ في عا لم الحقيقة من لُنَّ من طينته ونفسه ولا يشاركه فيها سوى الأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين (**نحن لا ننفي المعنى الظاهري لمفهوم الأمومة لأكثر نساء النبيّ باعتبار حرمة التزويج، فهم بعد موت النبيّ بمثابة الأمهات من حيث حرمة التزويج بهنّ**)، فأزواجه . أي نظائره . الأئمّة، هم

أمّهاتهم أي مبادئ الأمّة وأصولها، فلهم الولاية عليهم، فإنّ الأمّ وإنْ لم تكن لها الولاية في الأمر بحسب ظاهر الشّرع، لكن لها الولاية في عالم الحقيقة، وقد سلب الله عزّ وجلّ الولاية عن الأمّهات الظّاهريّات لنقصان عقولهنّ، فإنّهنّ نواقص العقول ونواقص الحظوظ، نواقص الإيمان، ولو ثَبُتتْ لهنّ ولاية الأولاد لربّما أوقعنهم في المهالك، كيف وقد سلب الله عنهنّ الإختيار في أنفسهنّ وأموالهنّ، فكيف يثبت لهنّ الولاية على غيرهنّ، فبحكم العرض الظّاهري، سلب الإختيار عنهنّ مع أنّ الولد جزؤهنّ ومن فاضل طينتهنّ، وأمّا الأمّهات الواقعيات فلا يجري عليهنّ هذا الحكم ، فهنّ أولى بالمؤمنين وذلك قوله تعالى: ﴿**إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا** ﴾ (المائدة/٥٥) وهم الأئمّة الأطهار عليهم السّلام وكذا قوله تعالى : ﴿**وأنفسنا وأنفسكم**﴾ (آل عمران/٦١) وكذا قوله: ﴿**يا أيّها الّذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله واتّقوا الله إنّ الله سميع عليم**﴾ (الحجرات/١)، فقوله في الآية: ﴿**يا أيّها الّذين آمنوا** ﴾ مطلق يشمل جميع المؤمنين من الأوّلين والآخرين وقد نهاهم الله عن التّقدّم بين يدي الله رسوله، وذلك لسيادته صلّى الله عليه وآله وسلم على عامّة الخلق قال تعالى : ﴿**تبارك الّذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً**﴾ (الفرقان/١) والعالمون جمع محلّى يفيد العموم فهو نذير الله في جميعها، والنّذير أشرف من المنذرين (على صيغة إسم المفعول) لأنّه حجّة الله عليهم فهو أشرف منهم لا محالة .

وكذا قوله تعالى: ﴿**هذا نذير من النذر الأولى**﴾ (النجم/٥٦)، يدلّ على أنّ الرّسول الأعظم كان في عالم الذرّ نذيراً من النذر الأولى، والنذر هم آل محمّد عليهم السَّلام، روى المجلسي عن بصائر الدّرجات:

بإسناده إلى عليّ بن معمّر، عن أبيه، قال: سألتُ الإمام أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾.

قال عليه السلام: يعني به محمّداً حيث دعاهم إلى الإقرار بالله في الذرّ الأوّل[٢٣].

هذه نبذة من الآيات ـ كافية بحمد الله ـ في إثبات كونه صلّى الله عليه وآله أوّل ما خلق الله، وأمّا الأخبار فكثيرة نكتفي بذكر حديثين:

الأوّل: عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم أوّل شيء خلق الله تعالى ما هو؟، فقال: نور نبيّك يا جابر، خلقه الله ثمّ خلق منه كلّ خير ثمّ أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله ثمّ جعله أقساماً، فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرّابع في مقام الحبّ ما شاء الله، ثمّ جعله أقساماً، فخلق القلم من قسم واللوح من قسم، والجنة من قسم، وأقام القسم الرّابع في مقام الخوف ما شاء الله، ثمّ جعله أجزاءاً، فخلق الملائكة من جزء، والشمس من جزء، والقمر من جزء، وأقام القسم الرّابع في مقام الرّجاء ما شاء الله، ثمّ جعله أجزاءاً، فخلق العقل من جزء والعلم والحلم من جزء والعصمة والتّوفيق من جزء، وأقام القسم الرّابع في مقام الحياء ما شاء الله ثمّ نظر بعين الهيبة فرشح ذلك النّور وقطرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف

قطرة، فخلق من كلّ قطرة روح نبيّ ورسول ، ثمّ نفست أرواح الأنبياء، فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشّهداء والصّالحين .

يظهر من الحديث المبارك أنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلم قبل جميع الكائنات .

الثّاني: ما عن العوالم للبحراني في تفسير قوله تعالى : ﴿**كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف**﴾ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أوّل ما خلق الله نوري ، ابتدعه من نوره، وأشعّة من جلال عظمته فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظَمَة في ثمانين ألف سنة ثمّ سجد لله تعظيماً ففتق منه نور عليّ عليه السلام فكان نوري محيطاً ونور علي محيطاً بالقدرة .

وما ثَبُتَ لرسول الله فهو ثابت لعترته الطّاهرة عليهم السّلام لأنهم منه بلا ريب وذلك أمر واضح نطق به الكتاب والسّنّة وتؤيدهما الأدلّة العقليّة الكثيرة، أمّا من الكتاب فقوله تعالى حكاية عن إبراهيم : ﴿**فمن تبعني فإنه منّي**﴾ (إبراهيم/٣٦).

ولا شكّ أنهم صلوات الله عليهم اتّبعوه بحقيقة المتابعة حيث لم يخالفوه في صغير الأمور وكبيرها، إذ كانوا معصومين بنصّ آية التّطهير، وإذا كانوا متابعين له على الحقيقة فهم منه، وكذلك قوله تعالى :﴿**الّذين آمنوا واتبعتهم ذرّيتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيتهم** ﴾ (الطور/٢١) ولا يلحق به إ لاّ من كان من جنسه، فآله الميامين من جنسه لا محالة وإلاّ لم يلحقوا به صلّى الله عليه وآله، هذا مضافاً إلى أنّ الولد جزء الوالد، ولا ريب أنّ الأئمّة أولاد النّبي

حقيقةً، فهم جزؤه، والجزء حكمه حكم الكلّ لا محالة، وكذلك قال تعالى في صفة الذّريّة ﴿**وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم** ﴾ (الأعراف/١٧٢) ولا يمكن ذلك إلاّ بأن يكونوا من طينة الآباء، والأئمّة لكونهم ذريّة النّبي يلحقون به ويكونون من جنسه، وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهكذا هم أيضاً أولى بهم، وأولوا الأرحام بعضهم أَوْلى ببعض، كما أنّ قوله تعالى:

﴿**فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعوا أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**﴾ (آل عمران/٦١) ولا شكّ أنهم نفسه للأحاديث المتواترة الدّالة على ذلك . ففي الخبر حسبماجاء في البخاري وغيره قال النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم للإمام علي عليه السلام: أنت منّي وأنا منك . وقال عن سيّدة النّساء مولاتنا فاطمة لعن الله من ظلمها : «فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة، وفاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني ». وقال صلّى الله عليه وآله : «حسنٌ منّي وأنا منه ».

وروى أنس بن مالك عن النّبي قال له لما أراد أن يميط عنه الإمام الحسن: « ويحك يا أنس دع ابني وثمرة فؤادي فإنّ من آذى هذا فقد آذاني » . وقال صلّى الله عليه وآله وسلم: « أنا من الحسين والحسين مني » .

وقال عنهم جميعاً: إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض،

وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما[٢٤].

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: « مَن سرَّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليّه وليقتدِ بأهل بيتي من بعدي فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي فويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي » [٢٥].

وفي الخبر أيضاً: "أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد" .

وفي الزّيارة الجامعة:" أشهد أنّ أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض ".

وعن مولانا الإمام علي بن الحسين عليهما السّلام: إنّ الله عزّ وجلّ خلق محمّداً وعليّاً والأئمّة الأحد عشر من نور عظمته أرواحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق يسبّحون الله عزّ وجلّ ويقدّسونه وهم الأئمّة الهادية من آل محمّد صلوات الله عليهم .

وكونهم عليهم السّلام من نور واحد وطين ةٍ واحدة وأوّل ما خلق الله من ضروريّات الشّيعة، ولا يشكّ أحد في هذه الم سألة إجمالاً وإن كانوا جاهلين بتفاصيلها ونتايجها .

والأسبقيّة في الخلق تستلزم القول بأفضليّتهم على سائر الخلق، وللقرائن الأخرى الّتي دلّت على ذلك، منها: كونهم أولياءه، والولاية صفة إلهيّة، وشأن من الشّؤون الذّاتيّة التي تقتضي الظّهور المستمدّ من ولايته عزّ وجلّ (وهو

الوليّ الحميد) وهذه الولاية التي مرجعها إلى القرب، إمّا بلحاظ قربه تعالى إلى الأشياء، وإمّا بلحاظ قرب العبد إليه تعالى الموجب لكونه . أي العبد . وليّاً لله تعالى على حسب درجته واتّصافه بالأسماء، فأيّما عبد إتّصف بالمظاهر الإلهيّة تجلّى باسمه في حقيقته وقلبه، فصار قريباً منه تعالى، فإذا كان التّجلي بجميع الأسماء، فلا محالة يكون العبد أقرب، وإذا كان ببعض الأسماء، فالقرب على حسبه حسبما قلنا، فالفناء الحاصل للعبد إنّما هو بتجلّي الأسماء فيه كمّاً وكيفاً بحسب ما يملك من القابليّات، فكلّما اتّسعت القابليّة كلّما تجلّى على ذاته من مظاهر الذّات المقدّسة، وذلك لأنّ جميع الآثار والصفات تحكي عن المؤثر، فإنه حقيقتها، ولكنّ الصفات لبُعد بعضها عن المؤثر، تغيّرت فطرتها الأوليّة فلا تحكي عن جميع شؤون المؤثر على ما ينبغي، وبعضها أقرب ، فشباهته بالمؤثر أكثر، وحكايته لشؤونه وكمالاته أشدّ، وإن شئت أن تعرف مثال ذلك على الحقيقة: أنظر إلى الشّمس وأنوارها السّاطعة فإنّ ما في الهواء نورها، وما في الأرض نورها، وما في الصّحن بلا حجاب نورها، وما في الأظلال نورها فإنّه لولا النّور لما ظهر الظّل أبداً، فما ترى أنّك ترى في الظّل، وتقرأ السطور في الكتاب، فكلّ ذلك من نور الشمس لا نفس الظل، فإنه نفسه . أي الظّل . ظلمة غير مرئيّة ولا مُ ظهرة للغير، ولكن مع ذلك تسمّى النّور الظّاهر في الصّحن بالشّمس، والنّور الظّاهر في الظل بلون الظّل ولا تسمّيه باسم الشّمس ، وليس ذلك إلاّ لتغيّر لونه وصفته، وكذلك أفراد الإنسان المطلق جميعهم أنواره، ويُسمّى الكلّ باسم المنير إذا حكى بعض كمالات المؤثر الذّاتيّة وشؤونه، وأمّا إذا كان أحد فاقداً لجميع الكمالات إلاّ

فيما يتعلّق بالشّباهة الصّوريّة العرضيّة فلا يُسمّى بالإنسان حقيقةً، لذا فإنّ الله تعالى أخرج جماعة من حدّ الإنسانيّة، وتتفاوت مراتب الإنسانيّة في الأفراد بحسب اختلافهم، لذلك نقول إنّ الإنسانيّة تقبل الإشتداد والضّعف، فزيد أكثر إنسانيّةً من عمرو، وعمرو أقلّ إنسانيّة من زيد، مع أنّ الحقائق بأنفسها فوق الإشتداد والضّعف بل الوجود بهذا المعنى أيضاً يقبل الضّعف والإشتداد فإنّ الموجود من حيث وجوده . بما هو هو . أضعف من الموجود من تينك الحيثيتين المتقدمتين فافهم وتدبّر، وكذلك الأمر في المقام فإنّ الكلّ آثار للكينونة الأولى، ولكنّ بعضهم في غاية البعد ، فلم يحكوا عنه إلاّ صرف الوجود، وفقدوا سائر الصّفات، وأمّا من كان حاكياً لكمالاتها وصفاتها يُدعى باسمها ولكن بحسب كمالاتها وحكايتها .

والأثر الكامل هو من كان حاكياً لجميع كمالاتها وصفاتها غير فاقدٍ لشيءٍ منها، وإذا بلغ هذه المنزلة ينسب إليه جميع ما ينسب إلى المؤثّر ، فيوصف بجميع ما وصِفَ به المؤثّر .

وهل يمكن لكلّ النّفوس أن تحكي كل ما يُنسب إلى المؤثّر أو أنّ ذلك شأن خاصّ ببعضها ؟ .

الحقّ هو الثّاني وذلك لأنّ التجلّي الأعظم لو كان على كلّ النّفوس بمستوىً واحدٍ لما حصل تفاوت في الأفراد من حيث الإيمان والكفر، ولما استتبع ذلك إرسال الأنبياء والحجج عليهم السّلام، لذا فإنّ النّور الأعلى الأوّل والتّجلّي الأعظم الأجلّ إنّما هو لأوّل خلقه الخاتم لملك الله والأوّل والآخر والظّاهر والباطن وهو حقيقة آل محمّد عليهم سلام الله ، فابتدأ الله بهم خلقه وسوف

يختم فهم الآخرون حيث ستكون ولايتهم آخر الظّهورات الإلهيّة تماماً كما كانت أوّل الظّهورات، وهم ظاهر الرّسالات، وباطن الولايات الإلهيّة، كيف لا؟، وجميع الخلق آثارهم وأنوارهم وأشعّتهم صلوات الله عليهم، قائمون بهم، صادرون منهم، ففي الزّيارة: «أشهد أنكم أبواب الله ومفاتيح رحمته ومقاليد مغفرته وسحائب رضوانه ومصابيح جنانه وحملة فرقانه ...وحرسة خلائقه وحفظة ودائعه...» (٢٦).

وفي وصف الملائكة لآل محمّد في حديث المعراج قالوا له:

كيف لا نعرفكم وأنتم أوّل ما خلق الله، خلقكم أشباح من نور من نوره، فما أُنزل من الله فإليكم وما صعد إلى الله فمن عندكم، فلِمَ لا نعرفكم؟(٢٧).

وما ورد في زيارة المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام: «إرادةُ الربِّ في مقاديرِ أمورِهِ تهبطُ إليكم، وتصدُرُ من بيوتكم...» (٢٨).

والمعنى: إنّ ما يصعد من الخلق من حقيقة العبوديّة، والحمد والثناء والدعاء، يمرّ بكم وأنتم تتلقونه ثمّ منكم يصعد إليه تعالى إذ لا طريق إليه تعالى إلاّ منكم؛ لأنكم أقرب الخلق إليه تعالى، وهو عزّ وجلّ قد احتجب بكم، كما في الحديث: «إحتجب ربنا بنا»، وكيف كان، فحيث إنّ أنوارهم وخلقهم النوراني، قد امكنها الله في مقامٍ بين الوجوب والإمكان، وبين الحقّ والخلق، فلا محالة لا ينزل من الحقّ إلاّ إليهم، وما يصعد إليه إلاّ منهم، ومن عندهم، وهذا المقام المشار إليه بقولهم: «وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه»، فتدبّر تعرف إنّ شاء الله تعالى.

فهم أولى بجميع الموجودات والماهيّات والصّفات والأسماء والأعراض الجّواهر منها وبها ملأ الله سماءه وأرضه حتى ظهر وحدته تعالى وصفاته وأفعاله وعبادته، ولكنّ الخلق لا يصلون للحكاية التّامة عنهم وإن كان جميعهم أسماءهم وصفاتهم ويصحّ انتساب الكلّ إليهم وقد أشار المولى عزّ وجلّ إلى هذه الحقيقة بقوله : ﴿**وتقلّبك في السّاجدين**﴾ وغير ذلك من الآيات الصّريحة عند أهلها، ولكن مع ذلك لا يُنسب إلى كلّ إسم ما يُنسب إليهم صلوات الله عليهم إلاّ بعد الغضّ عن الخصوصيّة، ألا ترى أن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يقول في بعض خطبه: " أنا آدم ونوح وإبراهيم ".فهو عليه السلام آدم أي اسم آدم واسم نوح واسم إبراهيم، ومع ذلك لا يُنسب إلى آدم من حيث الآدميّة جميع ما يُنسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السّلام، وهكذا عندما ينسب نفسه إلى النّجم والشّمس والقمر وغير ذلك، فهو لا ينسب إلى الشّمس والقمر ما يُنسب إليه، وليس ذلك إلاّ لأنّ نسبة هذه الأسماء إليه ليست إلاّ كنسبة القائم إلى زيد، فبعد كشف سبحة الآدميّة والنّوحيّة والإبراهيميّة تقول ما تقول في شأنه، وأمّا مع خصوصيّة الصّورة فإنّ آدم ونوحاً لمن المرسلين ولهما صفة المرسلين .

وأنت . أخي القارئ . إذا عرفت هذا المطلب الشّريف تعرف الأمر في التّوجّهات كلّيّة، فإنّك تتوجّه إلى الكعبة لأنها إسم من أسماء الله تعالى، وإذا نظرت إلى الكعبة مواجهاً لصورتها ناظراً إليها لا تقدر أن تناجي ربّك فيها فإنّها ليست إلاّ الكعبة البيت الحرام ولكن بعد الغضّ عنها تناجي ربّك مقبلاً إليها، وكذلك الأمر في جميع ملك الله تعالى، فالأبدان الجّزئيّة تصلح

لانتساب جميع ما يليق بالمؤثّر إليها، ولكنّ الله تعالى اختار أبدا ناً كاملةً حاكيةً لجميع شؤون مملكة الله تعالى، يبلغ عددهم بحسب الأرواح أربعة عشر، ورد في الزّيارة: « **بأبي أنتم وأمّي ونفسي وأهلي ومالي ذكركم في الذّاكرين وأسماؤكم في الأسماء، وأجسادكم في الأجساد ، وأرواحكم في الأرواح ، وأنفسكم في النّفوس ، وآثاركم في الآثار ، وقبوركم في القبور ، فما أحلى أسماءكم وأكرم أنفسكم وأعظم شأنكم وأجلّ خطركم وأوفى عهدكم وأصدق وعدكم كلامكم نور ، وأمركم رشد، ووصيّتكم التّقوى، وفعلكم الخير ، وعادتكم الإحسان ، وسجيّتكم الكرم . . . إنْ ذُكِرَ الخير كنتم أوّله، وأصله، وفرعه، ومعدنه، ومأواه، ومنتهاه** ».

ولما كانوا عليهم السّلام أوّل ما خلق الله، فلا شكّ حينئذٍ أن يكون جميع الملك صادر من أمرهم شرعاً وكوناً، وجميع الخلايق صنايع لهم كوناً وشرعاً، وموادّهم وصورهم من ظلّ نورهم فهم أولى بكلّ موجود من نفسه وأظهر في مكانه منه في الدّنيا والآخرة، ومرجع الكلّ إليهم، ومردّ الأمور مطلقاً إليهم، والثّواب والعقاب والحساب والكتاب عليهم، فإنّ جميع الأمور راجعة إلى المبدأ ـ وهم المبدأ ـ؛ لأنهم نفس رسول الله الّذي أجمعت الأمّة والملل على أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أشرف من ساير أولي العزم، والسّابقون من الأنبياء أخبروا بوجوده وشرافته .

يتلخّص ممّا ذكرنا أنّ آل محمد عليهم السّلام مطّلعون على مجريات الأمور لرجاحة عقولهم المقدّسة ، ولكونهم أوّل صادر عن المشيّة الإلهيّة لقربهم من المبدأ الفيّاض عزّ وجلّ، فلا ريب حينئذٍ أن يكونوا العالمين بكلّ ما يتعلّق

بالجّواهر والأعراض، ومَنْ ينسب إليهم الجّهل في الأحكام أو في الموضوعات فقد افترى إثماً عظيماً وسيلاقي ربّه بما قال .

ويشهد لما قلنا ما ورد في الزّيارة الجّامعة المرويّة بسند صحيح من أنهم عليهم السّلام معدن الرّحمة وخزّان العلم، لذا ينبغي التّأكيد على هاتين الفقرتين من الزّيارة ليتّضح ما رُمنا إليه، فنقول:

أمّا قوله عليه السلام: « السّلام عليكم يا أهل بيت النّبوّة... ومعدن الرّحمة » فهو إشارة واضحة إلى أنهم عليهم السّلام مركز ومستقر عطفه تعالى وبرّه وإحسانه وعنايته ورزقه وما شابه ذلك، والرّحمة بالعرف الخاصّ هي إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه وهو قوله تعالى: ﴿**الرّحمان على العرش استوى**﴾ (طه/٥)، أي أنّه عزّ وجلّ استوى برحمانيّته على العرش ، فأعطى كلّ ذي حقّ حقّه كقوله تعالى : ﴿**أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى** ﴾ (طه/٥٠)؛ فالعرش ما سوى الله تعالى هو رحيم بهم، فالله تعالى برحمانيّته خلقهم، ووهبهم الحياة ورزقهم ويرزقهم ثمّ يميتهم، وهي أركان أربعة للعرش، فالرّكن الأحمر استوى الرّحمان عليه بصفة الخلق فمنه خلق كلّ شيء، واستوى الرّحمان على الرّكن الأصفر بصفة الحياة فمنه أحيا كلّ شيء، واستوى الرّحمان على الرّكن الأبيض بصفة الرّزق فمنه رزق كلّ شيء، واستوى الرّحمان على الرّكن الأخضر بصفة الموت فمنه أمات كلّ شيء .

فجميع هذه الأركان أو الأصول الأربعة مظاهر رحمته فهو تعالى مستوٍ على الخلق برحمانيّته الظّاهرة في هذه الموارد، وإليه يشير قوله تعالى : ﴿**ثمّ استوى على العرش الرّحمان فاسأل به خبيراً**﴾ (الفرقان/٥٩). أي إنّه تعالى

يربّيهم بهذه الأصول الأربعة بمقتضى رحمته وحكمته، ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿**ثمّ استوى على العرش يدبّر الأمر**﴾ أي الرّحمان يدبّر الأمر، ولم يقل الله على العرش استوى فتأمّل . والرّحمة قسمان: الرّحمة الواسعة والرّحمة المكتوبة .

الرّحمة الواسعة: سُمّيت بذلك لشمولها لجميع الخلق من مؤمنٍ وكافرٍ وصالحٍ وطالحٍ وجمادٍ ونباتٍ وحيوانٍ .

وهذه الرّحمة هي الوجود، والوجود خيرٌ محض في نفسه، فهو أفضل من العدم، ومن هذا الخير الفضل والعدل فيعمّ المؤمن والكافر ، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿**ورحمتي وسِعَت كلّ شيء**﴾ وقول الإمام الصّادق عليه السلام لما سُئِلَ عن الرّحمان؟ قال: الرحمان بجميع خلقه .

وأمّا الرّحمة المكتوبة: وهي الرّحمة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿**فسأكتبها للّذين يتّقون**﴾ (الأعراف/١٥٦)، وقال تعالى: ﴿**وكان بالمؤمنين رحيماً**﴾ (الأحزاب/٤٣) .

بيان ذلك:

إنّ الله تعالى أوجد ويوجد الموجودات برحمته الواسعة الّتي وسعت كلّ شيء، ثمّ إذا كان المرحوم بها من أهل التّقوى، فالرّحمة حينئذٍ ثابتة له ومكتوبة أي مثبتة، فالرّحمة بالمؤمنين هي نفس الرّحمة الواسعة إلاّ أنها بالتقوى صارت ثابتة لموردها لا مستعارة، فغير المؤمن تؤخذ منه الرّحمة الثابتة ، فتسلب منه فيصير إلى العذاب الإلهي دون المتقي، فبهذا الإعتبار تسمّى الرّحمة الثابتة والباقية بالرّحمة المكتوبة أو الخاصّة بالمؤمنين .

وهناك وجه آخر للفرق بين الصّفتين وهو أنّ الرّحمان أكثر حروفاً من الرّحيم، وزيادة المباني تدلّ على زيادة المعاني، فتشمل صفة الرّحمان الدّنيا والآخرة، وصفة الرحيم مختصّة بالآخرة، **فعلى الأوّل**: عموم صفة الرّحمان للمؤمن والكافر في الدّنيا من جهة الفضل على المؤمن والعدل بالكافر أو أنّه سبحانه وتعالى قد تفضّل على المؤمن بما يستحقّه لإيمانه، وعلى الكافر إتماماً للنّعمة لعلّه يتذكّر نعمة الله أو يخشى عقوبته عليها بترك شكرها أو بزوالها أو استدراجاً كما قال تعالى: ﴿**فلمّا نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون**﴾ (الأنعام/ ٤٤). وأنّه قد أجرى عدله على المؤمن بأنّ يؤاخذه بما يقع منه من الذّنوب ولم يعفِ عنه بل يبتليه بالمرض والفقر وموت النّسل والهموم أو يسلّط عليه ظالماً بمعنى لا يحيل بين المؤمن وبين ما ذُكِر بالإرادة التّكوينيّة، أو بينه وبين جارٍ سوء وصاحب سوء، أو إمرأة سوء تؤذي زوجها، أو غير ذلك ليعلم الصّابرين، ويكون ما أصابه كفّارة لما وقع منه من الذّنوب، وليعلم المؤمن أنّ الدّنيا ليست بدار أمنٍ وثوابٍ وراحةٍ فلا يرغب في الرّكون إليها أو أنّه قد أجرى عدله على الكافر جزاءً بما كان يكسب أو ليرغب في الإسلام أو ليكره الدّنيا لأنّ كثيراً ممّن كفر إنّما كفر لرغبته في الدّنيا، إذ قد يكون عليه في الإسلام ذلّة في زعمه بالإنقياد إلى أهل الإسلام أو خوفاً على فوات بعض حطامها وأمثال ذلك فلا يسلم حرصاً على الدّنيا فإذا تبيّن له فساد الرّكون إليها وأنّه لا يدرك مطلوبه،أمِنَ، أو أن ذلك مقدّمه لعذابه وغير ذلك .

وعلى الثّاني: يرحم المؤمن في الدّنيا بأن يتفضّل عليه بجزيل النّعم إنعاماً لباله قال تعالى : ﴿**أليس الله بأعلم بالشّاكرين** ﴾ (الأنعام/٥٣)، وأن يعفو عن تقصيراته وسيّئاته تفضّلاً فلا يؤاخذه بشيء من ذلك ، وهذا جهة الفضل من الرّحمة الواسعة وذلك الفضل هو الرّحمة المكتوبة فتجري على ذلك المؤمن بنعيم الأبد وملك لا يبلى ، وهذا صفة الرّحيم، وقد تجري صفة الرّحيم على الكافر في الدّنيا بأن تُرفع عنه البلايا والمحن والفقر والهموم والأمراض استدراجاً أو تذكيراً لنعمه عليه، ولا تجري عليه في الآخرة إلاّ على نحو لا يحسّ بها كما لو كانت له استحقاقات من الأعمال الظّاهرة كما لو أعطى فقيراً شيئاً من رقّة قلبه ولم يُجاز أو يُعاقَب عليها في الدّنيا ثمّ تفرَّق عليه في النّار حتى يُوفّاها وهو في النّار مفرّقةً بحيث لا يحسّ بالتخفيف .

وبالجّملة: الرّحمة الواسعة تعمّ المؤمن والكافر في الدّنيا والآخرة وهي صفة الرّحمان والرّحمة المكتوبة قد تعمهما في الدّنيا والآخرة، وقد تخصّ المؤمن في الآخرة إلاّ أنه لا يجري على المؤمن من الرّحمة الواسعة في الآخرة إلاّ جهة الفضل الّتي يطلق عليها الرّحمة المكتوبة، وفي الدّنيا يشارك الكافر في الفضل والعدل إلاّ أنّه على نحو اللّطف به والتّطهير له بخلاف جريان الرّحمة الواسعة على الكافر فإنّها لا تجري على نحو اللّطف والتّطهير، فكونهم عليهم السّلام معدن الرّحمة أنهم معدن الرّحمة الواسعة في الدّنيا والآخرة بجميع معانيها، ومعدن الرّحمة المكتوبة في الدّنيا والآخرة كذلك، وذلك لأنّهم أولياء النّعم وسيوف النّقم، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿**حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون** ﴾ ﴿**فضرب بينهم بسورٍ له باب باطنه**

فيه الرّحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ لأنّهم عليهم السّلام مناة للخلق أي مبتلون ومختبرون ومقدّر ون للخلق في جميع الحركات والسّكنات والإرادات والأعمال والإعتقادات، وأذوادٌ يذودون الأعداء عن الخير والأولياء عن الشّر كما قال مولانا الإمام الحجّة المنتظر المهديّ عليه السلام في دعاء كلّ يوم من رجب « اللّهمّ إنّي أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك المأمونون على سرّك المستبشرون بأمرك الواصفون لقدرتك المعلنون لعظمتك أسألك بما نطق فيهم من مشيّتك فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك . . . لا فرق بينك وبينها إلاّ أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك، أعضادٌ وأشهادٌ ومناةٌ وأذوادٌ وحفظةٌ وروّادٌ فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلاّ أنت..» . فقوله عليه السلام:"أعضاد" إشارة إلى مفهوم قوله تعالى:﴿**ما أشهدتهم خلق السّماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلّين عضداً** ﴾ (الكهف/٥١) فقد أشهدهم صلوات الله ورحماته عليهم خلق السّماوات والأرض وخلق من أسكنهما من الجنّ والإنس والملائكة وسائر ما برأ وذرأ وما أحدث من جماد ونبات وحيوان، وأشهدهم خلق أنفسهم واتّخذهم أعضاداً لخلقه لأنّهم الهادون، واتّخذ الهادين عضداً، ومعنى أنّه عزّ وجلّ اتّخذهم أعضاداً لخلقه: أنّ الشّيء لا يتقوّم إلاّ بمادّته وصورته لتوقّف وجوده على العلّة المادّية والعلّة الصوريّة، ولما خلق اللهُ سيّدنا محمّداً سراجاً منيراً أشرق نوره حتى ملأ العمق الأكبر، فخلق اللهُ موادّ الأشياء، غيبها وشهادتها، مادّيّها وغير مادّيّها، وجواهرها وأعراضها، من نور محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ولما

خلق اللهُ سيّدنا عليّاً عليه السلام قمراً منيراً أشرق نوره حتى ملأ العمق الأكبر فخلق سبحانه صور الأشياء غيبها وشهادتها ماديها وغير ماديها ، وجوهرها وأعراضها، من نور أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليهما السّلام، فالمادّة هي الأب ، والصّورة هي الأمّ، وإليه أشار النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله: " أنا وعليّ أبوا هذه الأمّة " وقد وضّح الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام فحوى الحديث فقال عليه السلام: " إنّ الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمّه، أبوه النّور وأمّه الرّحمة» . ولا شكّ أنّ الصّبغ هو الصّورة وهي الأمّ، فافهم .

فالمادّة والصّورة . اللّتان هما العلتان . لا يتقوّم الشّيء إلاّ بهما، هما ركنا الشّيء وعضده فقد اتّخذهم أعضاداً لخلقه .

وقوله عليه السلام: " أشهاد ": أي أنّ الله سبحانه وتعالى جعلهم شهداء على خلقه، يعني يشهدون أعمالهم، وأحوالهم وأقوالهم وجميع حركاتهم وسكناتهم، لا يغيب عنهم شيء من أحوال الخلق ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾ (التوبة/١٠٥).

ففي الكافي بإسناده إلى يعقوب بن شعيب قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ :﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾ قال: هم الأئمّة .

وفي عيون الأخبار أنّ الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليهما السّلام سأله بعض من حضر من الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة في مجلس المأمون :

قال: يا ابن رسول الله بأيّ شيء تصحّ الإمامة لمدّعيها؟.

قال (عليه السلام): بالنّص والدّليل .

قال: فدلالة الإمام فيها هي؟ .

قال عليه أفضل الصّلاة والتّسليم: في العلم واستجابة الدّعوة .

قال: فما وجه إخباركم بما يكون؟.

قال (عليه السلام): ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله .

قال: فما وجه إخباركم بما في قلوب النّاس ؟.

قال (عليه السلام) له: أمَا بلَغَك قول رسول الله : اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله؟ .

قال: بلى .

قال (عليه السلام): فما من مؤمن إلاّ وله فراسة، لينظر بنور الله على قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه، وقد جمع الله الأئمّة منّا ما فرّقه في جميع المؤمنين، وقال عزّ وجلّ في محكم آياته : ﴿**إنّ في ذلك لآيات للمتوسّمين** ﴾ (الحجر/٧٥)، فأوّل المتوسّمين رسول الله ، ثمّ أمير المؤمنين من بعده ، ثمّ الحسن والحسين والأئمّة من وُلد الحسين عليهم السّلام إلى يوم القيامة .

قال: فنظر المأمون، فقال له: يا أبا الحسن زدنا ممّا جعل الله لكم أهل البيت! .

فقال الإمام الرّضا (عليه السلام): إنّ الله تبارك وتعالى قد أيّدنا بروح منه مقدّسة مطهّرة ليست بملك لم تكن مع أحد ممّن مضى إلاّ مع رسول الله وهي مع

الأئمّة منّا تسدّدهم وتوفّقهم وهي عامود من نور بيننا وبين الله عزّ وجلّ». إنتهى الخبر.

فقد أشار الحديث الشّريف إلى أنّ الرّوح المقدّسة هي نور بينهم وبين الله تعالى أي قوّة إلهيّة نورانيّة لم يعطها كاملةً لأحدٍ من الأنبياءِ والمرسلين سوى لرسول الله محمّد وعترته الطّاهرة، وبهذا النّور يشهدون جميع أعمال العباد، ويُسمّى هذا العمود ملكاً في بعض الأخبار، وفي بعض آخر مفاده أنّ الله يعطي وليّه عموداً من نور يرى فيه أعمال الخلايق كما يرى أحدكم الشّخص في المرآة . ولا تعارض بين هذه الأخبار حيث حملنا الملك على المخلوق ذي الأبعاد الثّلاثة هو خادم عند رسول الله وآله الأطهار عليهم السّلام يسدّدون به شيعتهم، وروح القدس الّذي ليس بملك كما أفاد الحديث الشّريف المتقدّم بل هو قوّة روحيّة تختلف بماهيّتها عن الملك .

والحاصل: إنّ كونهم شهداء على الخلق يعني أنّ لهم الشّهادة، فلا يخفى عليهم شيء من أعمال الخلايق، فهم يشاهدونهم، وكلّ ذلك بواسطة روح القدس المطهّرة والّتي ليست بملك . حسبما أفاد الحديث الشّريف المتقدّم. فالمدد الإلهيّ هو الّذي يسدّدهم ويحدّثهم، وفي بعض الأخبار أنّ الإمام عليه السلام إذا غاب عنه الملك المحدِّث ، تصيبه الغفلة، ولا يعلم شيئاً ، فالمراد به هو ما قلنا آنفاً بحيث لا يفارق النّبي والأئمّة عليهم السّلام ، ماهيته ملكوتية، والملكوت هو باطن كلّ شيء أي باطن الكلّ ومحيط بالكلّ و متصرّف بالكلّ بنحو الكلّية التّامة، فهو . أي الملكوت . فوق عوالم الملك حتى الملائكة، من هنا ورد أنّ روح القدس خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل .

فظهر من جميع ما ذكر أنهم يشهدون جميع ما في العالم بذلك النّور، وهو الرّوح العظيم من الله تعالى بحيث لا يشذّ عرهم شاذّ .

وقوله ﷺ: "ومناة": ومناة جمع ماني، كرماة ورامي، ودعاة وداعي، وهو من مناه الله يمينه، كرمى يرمي أي قدّره واختبره وابتلاه، أو من مناه يمنوه كدعا يدعو أي ابتلاه واختبره، أو أن تكون مناة، جمع مُنّة بالضم وهي القوّة، وهو الأصحّ، ومعنى المقدّر أنهم محالّ القدر والتقدير ووضع حدود الأشياء ومقاديرها في الكمّ والكيف والأين والمتى والوضع والرّتبة والمكان والأجل والإذن والكتاب والنّسب والإضافات، وذلك في الأسباب والمسبّبات قال تعالى :﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو ويعلم ما في البرّ والبحر وما تسقط من ورقة إلاّ يعلمها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين**﴾ وفي تفسير نور الثّقلين عن الإحتجاج عن مولانا الإمام أبي عبد الله ﷺ في حديث طويل: «. . وقال لصاحبكم أمير المؤمنين ﷺ: قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب، وقال الله عزّ وجلّ: ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين، وعلم هذا الكتاب عنده ».

ويؤيده قوله ﷺ في نفس الدعاء: « وأذوادٌ وحفظةٌ وروّادٌ » إذ الأذواد جمع ذائد كأصحاب وصاحب وهو الحامي والذاب عن الحمى وعما ينبغي أنْ يحامي، والحفظة جمع حافظ، والروّاد جمع رائد، وه و الخبير المطلع بمواضع الكلام والمواقع المناسبة لرعي الأنعام المأمونة عن الذئاب والسباع .

وفي نصوص متضافرة أنّ الكتاب المبين هو الإمام علي بن أبي طالب عليهما السّلام .

فَقَدْر وتقدير الأمور وميزاتها عندهم بل هم الميزان والقدر، بهم تقدّر الأشياء وتوزن وتحدَّد .

ولأجل كونهم عليهم السّلام الميزان والقدر ، لذا هم يمتحنون الخلق فيستنطقون الطّبايع بما انطوت، والسّرائر بما أضمرت، والحقائق بما أسرّت، وهذا مفاد قوله عليه السلام في الزّيارة نفسها : « وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم » حيث إنّ أمور الخلق متعلّق بهم عليهم السّلام، كما أنهم الهادون لمن أراد الهداية، والمضلّون لمن لم يردها، قال تعالى: ﴿**قل إنّ الله يضلّ من يشاء ويهدي إليه من أناب**﴾ (الرعد/٢٧) ﴿**فيضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم**﴾ (إبراهيم/٤) ﴿**ولكن يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء**﴾ (النحل/٩٣) ﴿**إنّ الله لا يهدي من يضلّ**﴾ (النحل/٣٧) فبما أنّه سبحانه وتعالى يهدي من يشاء الهداية ويضلّ من يشاء الضلال كذا الإمام عليه السلام بإذن الله تعالى ﴿**وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله**﴾ (الإنسان/٣٠) فلأجل ذلك تبيّن معنى ما ورد من أنهم المبتلون حيث امتحنهم الله سبحانه فوجدهم لم امتحنهم صابرين وإن كان عزّ وجلّ يعرف صبرهم وشكرهم لكنّ ابتلاءَه لهم لتظهر حقائقهم للملأ، فكان ابتلاؤهم شكراً لله تعالى وإظهاراً لمننه ونعمه، كما أنهم المُبتلى بهم بمعنى أنهم جُعِلوا محنةً وسبباً لامتحان الخلق من الأنبياء والملائكة والمؤمنين والنّاس أجمعين، بل وجميع الموجودات من النّباتات والجّمادات والمياه والأشجار وساير أنواع الخلق

كلّ ذلك بواسطة عرض ولايتهم عليهم السّلام على جميع الخلق بأصنافها، فجميع الخلق مبتلون بهم . ويشهد لما قلنا أنّ ولايتهم فرِضَت على الأنبياء فمن قبِلَها صار من المرسلين، ومن تأمّل فيها . لا على نحو الإنكار، بل لعدم استيعابه لحقيقتها وماهيتها . عاقبه الله تعالى حتى يرجع إلى الإقرار بها، وقد يُستغرب عدم قبول بعض الأنبياء والملائكة لولاية آل البيت عليهم السّلام إذ كيف يمكن تصوّر الخلاف في حقّ الملائكة والأنبياء؟ . لكنّ ذلك مندفع بما حاصله: من أنّ الإبتلاء هو نوع اختبار بالتكليف الشّاق كأنْ يؤمر الشّخص بما لا يعرف حقيقته بعقله أو ينبّه عليه، كما قد يعرض ذلك لكثير من المتكلّفين المتفلسفين بحيث يُظهر من الوجوه والإحتمالات ممّا لا ينبغي الإصغاء إليه، فتأمّل بعض الأنبياء كأيّوب ويونس . لو فرضنا صحّة تلك النّقولات عنهم . ربّما مرجعه إلى التأمّل في حقيقة ولايتهم عليهم السّلام بحيث لم يدرك عقلهم الوصول إليها، فكان الأولى لهم أن يسلّموا لأمر الله تعالى رضاً بقضائه لكنّهم وقعوا في مخالفة الأمر الإرشادي، فحسبوا هذا التّرك معصيةً كما قيل: " إنّ حسنات الأبرار سيّئات عند المقرَّبين " .

والحاصل: إنّ بعض الأنبياء والملائكة لم يتحمّلوا بعض الحقائق والأسرار المتعلّقة بأئمّة آل البيت عليهم السّلام فوقع الإمتحان الصّعب عليهم، ثمّ بعد ذلك أقرّوا ، فقد ورد في بصائر الدّرجات بإسناده عن سُدَير الصّيرفي عن مولانا الإمام إبي عبد الله عليه السلام قال: « إنّ أمركم هذا عُرِضَ على الملائكة فلم يقرّ به إلاّ المقرّبون، و عُرِض على الأنبياء فلم يقرّ به إلاّ المرسلون، وعُ رِضَ على المؤمنين فلم يقرّ به إلا الممتحنون ».

وبإسناده إلى أبي سعيد الخدْري قال : رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وسمعته يقول: يا عليّ ما بعث الله نبيّاً إلاّ وقد دعاه إلى ولايتك طائعاً أو كارهاً .

ملاحظة:

المراد من كون بعض الأنبياء كارهين لقبول الولاية هو عدم تحمّلهم لحقيقة الولاية العلوية، وإلاّ فإنّ الرفض المطلق للولاية يستلزم عدم اتصافهم بالنبوّة، لما ورد من أنّ نبوّتهم مشروطة باعتقادهم بنبوّة رسول الله محمّد، وولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فتأمّل .

وفيه بإسناده إلى حبّة العرْني قال : قال أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليهما السّلام: أنّ الله عرض ولايتي على أهل السّماوات وعلى أهل الأرض أقرّ بها من أقرّ وأنكرها من أنكر، أنكرها يونس فحبسه الله في بطن الحوت حتى أقرّ بها .

وبإسناده عن جابر عن مولانا أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً**﴾ قال: عهد الله في محمّد والأئمّة من بعده فترك، ولم يكن له عزم فيهم أنهم هكذا .

وإنّما يُسمّى أولو العزم بـ (أولوا العزم) لأنّه عهد إليهم في محمّد والأوصياء من بعده والمهديّ وسيرته فأجمع عزمهم أنّ ذلك كذلك والإقرار به .

فعُلِمَ ممّا ذُكِرَ أنّ الإمتحان للأنبياء عليهم السّلام والملائكة إنّما هو بهم عليهم السّلام أي بعرض ولايتهم عليهم، فمن قبِلَها من الأنبياء صار من المرسلين، ومن الملائكة صار من المقرّبين، ومن المؤمنين صار من الممتحنين،

ومن ساير الموجودات كذلك، فصارت الآثار المرغوبة والحسنة مترتّبة عليها، فالأنبياء والملائكة كُلِّفوا بذلك وامتُحِنوا بذ لك فافترقوا قسمين: مسلّمين لأمرهم بشكل مطلق، وغير مسلّمين بشكل مطلَق وهو ما يُطلق عليه «ترك الأولى» والله سبحانه يؤاخذهم عليه لقربهم منه ، لذا ورد في الحديث أ نّ في الصّراط عقباتٍ كـؤداً لا يقطعها بسهولة إلاّ رسول الله محمّد وأهل بيته، وتلك العقبات يعثر فيها الخلق، والعثرات مختلفة:

فمنها: عثرات عظيمة ومهلكة لا تقبل التّلافي كما في كثير من غير المعصومين المقصّرين في الطّاعة، والمرتكبين للكبائر المؤدّية إلى الشّرك .

ومنها: عثرات مهلكة قابلة للتلافي كأهل الولاية والمبتلين بالمعاصي غير المؤدية إلى الشرك .

ومنها: عثرات أهل العصمة من الأنبياء عليهم السّلام وهي عثرات في حقّهم خاصّة من حيث التّفاوت في المراتب الكماليّة وعدم التّسليم المطلق، وهذا يستلزم القصور في ولاية آل البيت عليهم السّلام، والقصور أو التّقصير كلٌّ بحسبه، فظهر بذلك على أنهم عليهم السّلام المبتلى بهم والمبتلون، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿**وإنّ كنّا لمبتلين**﴾ .

عودٌ على بدء:

كان الكلام في شرح قوله عليه السلام:"ومناةٌ وأذوادٌ "...وأمّا قوله عليه السلام"وحفظة ": أي أنهم الحافظون لأعمال العباد ولأحوالهم .

وأمّا كونهم حافظين لأعمال العباد فلأنّهم الشّهداء على الخلق، ومعنى أنهم شهداء أي أنهم محيطون بأعمال المشهود عليه بحيث لا يغيب عنهم شيء

من أعماله وأفعاله، كما أنّ الشّهادة فرع الحضور والهيمنة، فلو لم يكن الشّاهد حاضراً لا يمكنه أنْ يشهد على الآخر .

ومن المعلوم أنّ شهادتهم في الحاضر ويوم القيامة تستلزم حفظهم لتلك الأعمال الّتي يشهدون عليها، وإليه أشار تعالى بقوله : ﴿**هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون** ﴾ (الجاثية/٢٩) وفي نهج البلاغة قال عليه السلام: « وهذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور بين الدفتين، لا ينطق بلسان، ولا بدّ له من ترجمان، وإنما ينطق عنه الرّجال » فيُفهم من هذا الخبر وأمثاله أنّ النّاطق بالقرآن هو الرّجال وهم الأئمّة عليهم السّلام، وأحاديث عرض الأعمال عليهم ، وأحاديث أنهم الشّهداء على الخلق دالة على ما قلنا ، إذ لا يشهدون على ما لا يحفظونه، هذا مضافاً إلى أنّ معنى كونهم حفظةً أيضاً أي أنهم مناة أي مقدّرون لكونهم محالّ قدرِ الله تعالى ومظاهره فيبعثون بأمر الله ملائكةً يحفظون كلّ نسمة فلا يأتيه حجر ولا صادم ولا يقع من شاهق إلاّ وحفظته الملائكة من كلّ ما يرد عليه من مكروه حتى يقدّر الله سبحانه ذلك فيردّ قدره على قلب الوليّ من آل محمّ د فيأمر الملائكة الحفظة عن أمر الله أن يكفّوا عن الحفظ والدّفاع فيكفّون فيصيبه ما قدّر له وهو تأويل قوله تعالى : ﴿**له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أم ر الله**﴾ (الرعد/١١)، وتأويل قوله تعالى: ﴿**إنْ كلّ نفس لمّا عليها حافظ**﴾ (الطارق/٤)، فملائكة تحفظ عنه م أعمال العباد وتعرضها عليهم، وملائكته تحفظ عنهم مقدّرات الأسباب حتى يظهر وقت الإصابة ويحضر فيجري كما قدّروا، وملائ كة تحفظ عنهم أعمال العباد

وتكتبها . فيُعلَم من هذا بأنّ الأعمال في حيطة الرّسول والوليّ صلّى الله عليهما وآلهما ثمّ منهما ينسخ في الذّكر الحكيم .

والحاصل: أنهم عليهم السّلام الحافظون لحقيقة أعمال العباد، وهي في حيطتهم للأشهاد عليهم ولهم يوم الآخر، فلا يتخلّف عنهم شيء أبداً، وكيف يتخلّف وهم أوعية مشيّة الله وتقدير أموره حسبما ورد في زيارة الإمام الحسين المطلقة كما في كامل الزّيارات حيث قال : « إرادة الرّب في مقادير أموره تهبط إليكم، وتصدرمن بيوتكم، والصّادر عمّا فُصِّلَ به من أحكام العباد » فالظّاهر من الزّيارة الشريفة ثبوت هذا الشّأن لهم، وأنّ المقادير في الخلق تصدر من بيوتهم عليهم السّلام باستخدامهم الملائكة العمّال بأمرهم .

فتبيّن من خلال هذا أنّ الأئمّة من آل البيت عليهم السّلام معدن الرّحمة الّتي هي أساس كلّ شيء .

وأمّا الفقرة الثّانية أعني قوله عليه السلام: " وخزّان العلم ": أي أن حقائقهم عليهم السّلام خزائن العلم الإلهي، وهم مفاتيح الغيب الّتي لا يعلمها إلاّ هو حسبما جاء في النّصوص المفسِّرة لقوله تعالى: ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو ويعلم ما في البرّ والبحر وما تسقط من ورقة إلاّ يعلمها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين**﴾ (الأنعام/٥٩) فقد جاء في تفسير العياشي عن الحسين بن خلف قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو ويعلم ما في البرّ والبحر وما تسقط من ورقة إلاّ يعلمها**...﴾ فقال: الورقة السّقط يسقط من بطن أمّه من قبل أن يهلّ

الولد، قال : وقوله: ﴿**ولا حبّة**﴾، قال: يعني الولد في بطن أمّه إذا أهلّ ويسقط من قبل الولادة، قال: قلت: وقوله:﴿**ولا رطب**﴾: قال: يعني المضغة إذا استكنّت في الرّحم قبل أن يتمّ خلقها قبل أن تنتقل . قال قلت قوله : ﴿**ولا يابس**﴾: قال: الولد التامّ، قال قلت:﴿**في كتاب مبين**﴾: قال: في إمام مبين .

ولا يخفى أنّ التعبير الوارد في الخبر ليس منحصراً فيما ذُكِرَ بل يشير إلى بيان مصاديق الموضوعات التي يحصيها الإمام عليه السلام بإذن الله تعالى وفي طول إرادته ومشيّته وهو تماماً كقول النّبي الكريم عيسى بن مريم عليهما السّلام ﴿**وأُنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم** ﴾ (آل عمران/٤٩) وإلاّ فالورقة وما يسقط في ظلمات الأرض وما يوجد في البرّ والبحر تُحمل بحسب معناها الّلغوي على مفرداتها المعهودة والمشهورة، وإنْ كان حملها على ما أفاده الخبر وبحسب المدلول الّلغوي لا يمنع عن كونها أحد مصاديق المفهوم الّلغوي لتلك المفردات .

فالرّطب واليابس وما شابه ذلك حسبما أفادته الآية الشّريفة يشمل كلّ شيء، وهذا الكلّ المؤلّف من جزئيّات يعلمه الإمام عليه السلام أي في كتاب مبين .

ولوقيل لنا: إنّ المراد بـ " الكتاب المبين " اللّوح المحفوظ، فكيف تدّعون أنّه الإمام عليه السلام؟ .

قلنا: مضافاً إلى أنّ الخبر المستفيض أفاد أنّ الكتاب المبين هو الإمام عليه السلام فإنّ ما كان مثبتاً في الّلوح المحفوظ فإنّ الإمام عليه السلام مهيمنٌ عليه ومحيطٌ به

بقدرة الله تعالى، ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾ (الرعد/٤٣).

وعن احتجاج الطّبرسي عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل فيه: قال لصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾ وقال الله عزّ وجلّ:﴿**ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين**﴾ وعلم هذا الكتاب عنده .

وعن سدير قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزّاز وداود بن كثير في مجلس الإمام أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج علينا وهو مغضب، فلمّا أخذ مجلسه قال: يا عجباً لأقوامٍ يزعمون أنّا نعلم الغيب! ما يعلم الغيب إلاّ الله عزّ وجلّ، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت منّي فما علمت في أيّ بيوت الدّار هي؟ قال سدير : فلمّا أن قام الإمام من مجلسه وصار في منزله دخلت أنا وأبو بصير وميسر فقلنا له : جُعِلنا فداك سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريتك ونحن نعلم أنك تعْلَم عِلْماً كثيراً ولا ننسبك إلى علم الغيب ؟ قال عليه السلام: يا سدير ألم تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ ﴿**قال الّذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك**﴾ قال: قلت: جُعِلت فداك قد قرأته، قال : فهل عرفت الرّجل وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلت:أخبرني به، قال: قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر فما يكون ذلك من علم الكتاب؟ قال: قلت: جعلت فداك ما أقلّ هذا،قال : يا سدير ما أكثر هذا أن ينسبه الله عزّ وجلّ إلى العلم الّذي أخبرك به، يا سدير فهل وجدت فيما

قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ أيضاً : ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب** ﴾ قال: قلت: قد قرأته جعلت فداك، قال : فمن عنده علم الكتاب كلّه أفهم أم من عنده علم الكتاب بعضه؟ قلت : لا بل من عنده علم الكتاب كلّه، قال : فأومى بيده إلى صدره وقال: علم الكتاب والله كلّه عندنا، علم الكتاب والله كلُّه عندنا .

وفي تفسير القمّي عن إبن أُذينة عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: الّذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام، وسُئِلَ عن الّذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب ؟ فقال: ما كان علم الّذي عنده علم من الكتاب عند الّذي عنده عِلْم الكتاب إلاّ بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر .

فمن عنده علم الكتاب هو نفسه الكتاب المبين، وهو نفسه الخزينة الإلهيّة الّتي ادّخر الله عزّ وجلّ فيها نفائسه من العلوم والمعارف، فالإمام عليه السلام خزانة علم الله تعالى، ففي التّوحيد والمعاني والمجالس عن الإمام الصّادق عليه السلام لما صعد موسى عليه السلام إلى الطّور فنادى ربّه قال: يا ربِّ أرني خزائنك قال يا موسى إنّما خزانتي إذا أردت شيئاً أن أقول له كن فيكون . فهذا وغيره يدلّ على أنهم مفاتح الخزائن بل هم محالّ مشيّة الله تعالى، وقد ورد عنهم عليهم السّلام: " قلوبنا أوعية مشيّة الله " أي أنهم مفاتح تلك المشيّة الّتي من خلالها يمكن التصرّف في الأشياء لا أنهم عين المشيّة أو أنهم عليهم السّلام مُختارون فيها استقلالاً من دون إذنه تعالى، كيف وقد قالوا: وما نشاء إلاّ أن يشاء الله، فهم مظاهر الرّضا والسّخط الإلهيّين.

وبناءً عليه فحيث إنّ علمه تعالى هو عبارة عن إنكشاف الأشياء لديه انكشافاً تامّاً حضوريّاً، فكذا علمهم عليهم السّلام فإنّه حضوري لأجل كونهم عند الله تعالى لا خفاء لهم في شيء وليس كسبيّاً لقول مولانا الإمام الرّضا عليه السلام في أوصاف الإمام عليه السلام: " كلّ ذلك بلا طلب ولا اكتساب "، وقد ورد في حديث المفضل بن عمر . رحمه الله . عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام عند ذكر بعض ما خصّهم الله تعالى به قال المفضل : هل بذلك شاهد من كتاب الله تعالى؟ قال : نعم يا مفضل قوله تعالى ﴿**وله مَن في السّماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبّحون اللّيل والنّهار لا يفترون**﴾ (الأنبياء/١٩) إلى قوله عزّ وجلّ ﴿**ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون**﴾ (الأنبياء/٢٨) ويحك يا مفضل أتعلمون أنّ ما في السّماوات هم الملائكة، ومن في الأرض هم الجنّ والبشر وكلّ ذي حركة؟ فنحن الّذين كنّا عنده ولا كون قبلنا ولا حدوث سماء ولا أرض ولا ملك ولا نبيّ ولا رسول، الحديث .

هذا مضافاً للأحاديث . ومنها الزّيارة الجّامعة . الّتي دلّت على أنّ الله تعالى خلقهم أنواراً قبل خلق كلّ شيء فحمّلهم علمه ودينه، وهل لمن حمل علم الله ودينه يجهل أو يصيبه ما يصيب النّاس من الخطأ أو الخطل في الرّأي؟ ! أعوذ بالله أن ينسب إليهم شيئاً من هذا إلاّ من كان غافلاً عن معرفتهم وجاهلاً بحقائق حكمة الله عزّ وجلّ أو أنّه مستكبر عن الحقّ مغرور ينظر في عطفيه معجباً بنفسه ذاهلاً عن ربّه .

والحاصل أنّ العلم الّذي أعطاه الله تعالى عزّ اسمه للرّسول محمّد وآله الطّاهرين هو الحضوري الم طلق قسيم العلم الكسبي، وذلك لقوله تعالى: ﴿**وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** ﴾ ولغيرها من آي الذّكر الحكيم والنّصوص المعتَبَرة والّتي منها ما ورد في المعاني عن الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليهما السّلام قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﴿**وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** ﴾ قام أبو بكر وعمر من مجلسهما فقالا : يا رسول الله هو التّوراة؟ قال: لا، قالا: فهو الإنجيل؟ قال: لا، قالا: فهو القرآن؟ قال: لا، قال: فأقبل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السّلام فقال رسول الله : هو هذا إنّه الإمام الّذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كلّ شيء .

وفي بصائر الدّرجات بإسناده عن سورة بن كليب قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: والله إنّا لخزّان الله في سمائه وأرضه لا على ذهب ولا على فضّة إلاّ على علمه .

وفي خبر آخر بإسناده أيضاً عن مولانا أبي جعفر عليه السلام مثله بزيادة قوله: وإنَّ منّا لحَمَلَةَ العرش يوم القيامة.

وبإسناده أيضاً عن سدير قال : قلت: جُعلت فداك ما أنتم؟ قال : نحن خزّان الله على علم الله، نحن تراجمة وحي ا لله، نحن الحجّة البالغة على من دون السّماء وفوق الأرض .

وسعة هذا العِلْم إنّما هو بسعة قابليّتهم المقدّسة إذ لا يمكن قياسها على غيرهم من الأنبياء والأوصياء باعتبار ما خصّها المولى عزَّ ذكره من الألطاف والكرامات بسبب عشقها له وتعلّقها به، فبحسب سعتها أفا ض عليها من

الماء ﴿أنزل من السّماء ماءً فسالت أودية بقدرها ﴾ (الرعد/١٧) فالعلوم ماء الحياة الرّوحيّة ، سالت على قلوبهم الشّريفة لسعة إحاطتها، وسيأتي إنْ شاء الله تعالى بيان كيفيّة هذا العِلْم في مستقبل البحث.

وصفوة القول: إنّ أئمّتنا عليهم السّلام هم أصحاب العقول الكاملة الّتي بها تحصل جميع الكمالات، بل وجميع القربات والزّلفى لديه تعالى . ففي أصول الكافي عن أحمد بن محمّد بن خالد البرقي عن بعض أصحابه رفعه قال: قال رسول الله: " ما قسّم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاّهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاّهل، ولا بعث الله نبيّاً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من عقول جميع المجتهدين، وما أدّى العبد فرائض الله حتى عقل عنه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل، والعقلاء هم أولو الألباب الّذين قال الله تعالى: ﴿**إنما يتذكّر أولوا الألباب**﴾ (الرّعد/١٩) .

فعُلِمَ مِنْ هذا أهميّة العقل، وأنّ به جميع الكمالات والقربات، وهم عليهم السّلام أولو الحجى أي أصحاب العقول الكاملة، فلا محالة لهم الكمالات بأجمعها، كما أنّ لهم الفطنة الكاملة وهو أحد معاني " الحجى " .

فالحقيقة المحمّدية التي هي العقل والنّور الأوّل قائمة أوّلاً به صلّى الله عليه وآله ثمّ بهم على الترتيب الوجودي الخارجي .

فجميع المظاهر تكون في الحقيقة ، مظاهر النّور المحمّدي العلوي، فتلك الحقيقة الواحدة بما لها من الآثار واحدة ذاتاً ومظهراً إلاّ أنّ مظهرها يتبدّل على التّرتيب الوجودي لهم عليهم السّلام، ففي زمان واحد لا تكون تلك

الحقيقة إلاّ قائمة بأحد المظاهر، ففي زمان النّبيّ محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم تكون قائمةً به صلّى الله عليه وآله وسلّم فهو مظهر للعقل الكلّ والولاية ثمّ هي نفسها كانت في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السّلام ثمّ انتقلت ظاهراً إلى الإمام الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام وكان الإمام الحسين صامتاً، إلى أن انتقلت تلك الحقيقة إليه، وهكذا إلى الحجّة القائم المهديّ المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشّريف، وإليه يشير قوله عليه السلام:" لا يكون في زمان واحد إمامان إلاّ وأحدهما صامت ".

وإلى هذا الإشتعال الحقيقي النّوري يشير قول الإمام عليّ بن أبي طالب عليهما السّلام: " أنا من محمّد كالضّوء من الضّوء " .

وأمّا ما قد يُقال من أفضليّة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم على الوصيّ، ثمّ هو على ساير الأوصياء والصدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهراء أولهم حسبما جاء في الأخبار، فالوجه الإجمالي فيه هو أنّ الأفضليّة للمتقدّم، فإنّ التّقدّم أحد وجوه الأشرفيّة، نعم ورد أنّ القائم . روحي فداه . أفضل التسعة، ولعلّ الوجه فيه كونه القائم بالأمر، فبحقيقة القيام صار أفضل، والله العالِم.

فكلّ واحد من أئمة أهل البيت عليهم السّلام مختصّ بشأن خاصّ من شؤون الولاية المطلقة كما يُستفاد من الأحاديث والأدعية، فكلّ واحد منهم وإنْ كان له خصوصيّة تخصّه عليه السلام في الظّهور إلاّ أنّه مع ذلك جميع شؤون الولاية ثابتة لكلّ واحد منهم، وإليه يشير قوله عليه السلام: " أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد وكلّنا محمّد "، صلّى الله عليهم أجمعين .

وعليه فإنّ عقولهم أكمل العقول وأشرفها كما يُستفاد من حديث استنطاق العقل وأمثاله، فدعوى أنهم يُخطئون أو يشتبهون أو يسهون وما شابهها من الدّعاوى الفا رغة مردودة جملةً وتفصيلاً، وتخالف النصوص القطعيّة من الكتاب الكريم والسّنّة المطهَّرة وحكم العقل .

وأحبّ أن أختم هذه الجّهة بما رواه الكليني بإسناده عن أبي بصير قال : قلت للإمام أبي الحسن عليه السلام: جُعِلتُ فداك بمَ يُعرف الإمام عليه السلام؟ قال : بخصال: أمّا أوّلها فإنّه بشيء قد تقدّم من أبيه فيه بإشارة إليه لتكون عليهم حجّة ويسأل فيجيب وإن سُكِتَ عنه ابتدأ ويخبر بما في غدٍ ويكلّم النّاس بكلّ لسان، ثمّ قال لي: يا أبا محمّد أعطيك علامة قبل أن تقوم فلم البث أن دخل علينا رجل من أهل خراسان، فكلّمه الخراساني بالعربيّة فأجابه أبو الحسن عليه السلام بالفارسيّة فقال له الخراساني : والله جُعِلت فداك ما منعني أن أكلّمك بالخراسانيّة غير أنّي ظننت أنّك لا تحسنها، فقال : سبحان الله إذا كنت لا أحسن أجيبك فما فضلي عليك؟، ثمّ قال لي : يا أبا محمّد إنّ الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من النّاس ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه الرّوح، فمَن لم تكن هذه الخصال فيه فليس هو بإمام .

وفيه بإسناده عن عبد الرّحمان بن كُثَيْر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نحن ولاة أمر الله، وخزنة علم الله وعيبة وحي الله .

وبإسناده أيضاً إلى أبي خالد الكابلي قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿**فآمنوا بالله ورسوله والنّور الّذي أنزلنا**﴾ (التغابن/٨)، فقال: يا أبا خالد : النور والله نور الأئمّة من آل محمّد صلّى الله عليه وآله

وسلّم إلى يوم القيامة، وهم والله نور الله الّذي أ نزل، وهم والله نور الله في السّماوات وفي الأرض، والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشّمس المضيئة بالنّهار، وهم والله ينوّرون قلوب المؤمنين، ويحجب الله عزّ وجلّ نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم، والله يا أبا خالد لا يحبّنا عبد ويتولانا حتى يطهّر الله قلبه ولا يطهّر الله قلب عبد حتى يُسلِّم لنا ويكون سلماً لنا، فإنْ كان سِلماً لنا سلّمه الله من شديد الحساب وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر .

وبإسناده عن علي بن إبراهيم عن المولى أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿**الّذين يتبعون الرّسول النّبي الأمّي الّذي يجدونه مكتوباً عندهم في التّوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحلّ لهم الطّيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضعُ عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالّذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النّور الّذي أُ نزل معه أولئك هم المفلحون**﴾(الأعراف/١٥٧) قال: النّور في هذا الموضع عليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة عليهم السّلام .

وعن أبي الجّارود عن الإمام أبي جعفر عليه السلام مفسِّراً قوله تعالى : ﴿**يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به**﴾ (الحديد/٢٩) يعني إماماً تأتمّون به .

وفيه بإسناده إلى صالح بن سهيل الهمداني قال:

قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿**الله نور السّماوات والأرض مثل نوره كمشكاة** ﴾ فاطمة عليها السّلام ﴿**فيها مصباح**﴾ الحسن ﴿**المصباح في زجاجة**﴾ الحسين ﴿**الزّجاجة كأنّها كوكب دريّ** ﴾ فاطمة كوكب درّي بين نساء أهل الدّنيا ﴿**توقد من شجرة مباركة**﴾ إبراهيم عليه السلام ﴿**زيتونة لا شرقيّة ولا غربيّة**﴾ لا يهوديّة ولا نصرانيّة ﴿**يكاد زيتها يضيء**﴾ يكاد العلم يتفجّر منها ﴿**ولو لم تمسسه نار نو ر على نور** ﴾ إمام منها بعد إمام ﴿**يهدي الله لنوره من يشاء** ﴾ يهدي الله للأئمّة من يشاء ﴿**ويضرب الله الأمثال للنّاس**﴾ قلت: ﴿**أو كظلمات**﴾ قال: الأول وصاحبه ﴿**يغشاه موجٌ**﴾ الثّالث ﴿**من فوقه موجٌ ظلمات**﴾ الثّاني ﴿**بعضها فوق بعض**﴾ معاوية لعنه الله وفتن بني أميّة ﴿**إذا أخرج يده**﴾ المؤمن في ظلمة فتنتهم ﴿**لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً** ﴾ إماماً من ولد فاطمة عليها السّلام ﴿**فما له من نور**﴾ إمام يوم القيامة .

وكونهم عليهم السّلام نور الله في السّماوات والأرض يتعارض مع دعوى عدم معرفتهم بالموضوعات وعدم حضوريّة علمهم عليهم السّلام، فمن نسب إليهم عدم حضوريّة معارفهم فقد افترى على الله وعليهم كذباً، وهو عين الكفر بما أنزل الله على رسوله:

﴿**إنما يفتري الكذب الّذين لا يؤمنون بآيات الله**﴾ (النحل/١٠٥).

﴿**وليسئلنّ يوم القيامة عما كانوا يفترون**﴾ (العنكبوت/١٣) .

﴿الّذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ (المائدة/١٠٣).

هذه أهمّ الأمور في الجّهة الأولى .

الجّهة الثّانية: ويدور الحديث فيها حول عصمة النّبيّ والإمام عليهما السّلام في مجال إبداء الرّأي وتشخيص الموضوعات .

وقبل بيان الأدلّة والبراهين على هذه الجّهة ، لا بدّ من الإشارة إلى حقيقة العصمة، وهل أنّ منشأها وسببها هو العلم أو العمل؟ .

إنّ المراد من العصمة هو الإمساك والمنع، يُقال: عصمه الطّعام أي منعه من الجّوع، واعتصم العبد بالله تعالى: إذا امتنع، واستعصم: أي أبى أو تأبى، ومنه قوله تعالى حكايةً عن إمرأة العزيز حين راودته عن نفسه: فاستعصم، أي لم يُجِبْها إلى ما طلبت . والعصمة: المنعة، والعاصم: المانع الحامي، والإعتصام: الإمتساك بالشّيء، افتعال منه ومنه شعر سيّدنا أبي طالب عليه السلام.

ثِمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل . أي يمنعهم من الضّياع والحاجة، والعصمة من الله عزّ وجلّ هي التّوفيق الّذي يسلم به الإنسان فيما يكره إذا أتى بالطّاعة .

وبالجملة: المراد من العصمة مصونيّة المتحلّي بها عن الخطأ والعصيان، بل المصونيّة في الفكر والعزم، فالمعصوم المطلق من لا يخطأ في حياته، ولا يعصي الله في عمره ولا يريد العصيان ولا يفكّر فيه .

وبعبارة أخرى هي درجة من العلم والمعرفة واليقين يصل إليها المعصوم بحيث تحجزه عمليّاً من العصيان .

وبهذا يتّضح أنّ منشأها هو ا لعلم، وهذا الضّرب من العلم هو الّذي يمنع صاحبه من الإتيان بما يخالف أوامر الله تعالى في السّلوك والعمل . وعليه فإنّ جذور العصمة ليس أمراً عمليّاً بل هو أمر علمي، وهذا ما وضّحه لنا القرآن الكريم حيث أشار إلى أنّ العلم هو منشأ السّلوك الخارجي، فاليقين الّذي تمتلئ به شخصيّة الإنسان هو الّذي يتحكم بنمط سلوكه الخارجي ويضبطه .

وهذا العلم اليقيني الّذي يتّصف به من ذكرنا ، يختلف بطبيعته عن العلم العادي الّذي يشترك فيه جميع الأفراد وهو العلم الحصولي الّذي أشار إليه المولى عزّ وجلّ في قوله : ﴿**والله أخرجكم من بطون أمّهاتكم لا تعلمون شيئاً ثمّ جعل لكم السّمع والأبصار والأفئدة لعلّكم تشكرون** ﴾ (النحل/٧٨).

فالإنسان يولد خالي الذّهن من ص‌ور الأشياء ومفاهيمها، لكنّ الله عزّ وجلّ جعل له الطّرق المؤدّية إلى تحصيلها عبر السّمع والأبصار والأفئدة، فيمكن لأيّ إنسان أن يحصل عل ى هذا العلم سواء كان فاسقاً أ و مؤمناً عادلاً، وهو ما يُعَبَّر عنه بالعِلْم الحصولي حيث هو شركة بين أفراد البشر جميعاً .

أمّا العلم الحضوري فليس تحصيله ميسوراً لكلّ أحد سوى لأهل التّقوى، فمن لم يكن تقيّاً لم يرزقه الله تعالى هذا النّوع من العلم والمعرفة، لذا قال تعالى: ﴿**واتقوا الله ويعلّمكم الله**﴾ (البقرة/٢٨٢) فالتّقوى مقدّمة لتحصيل هذا العلم الرّبوبي، فالعلم اليقيني يدور مدار التّقوى قال تعالى: ﴿**إن تتّقوا الله**

يجعل لكم فرقاناً ﴾ ((الأنفال/٢٩) والفرقان هو التّمييز بين الحقّ والباطل بواسطة البصيرة النيّرة والقلب الطّاهر وهي خصلة لا ت.عطى لكلّ أحد بل توهب لمن كان تقيّاً . والعلوم اليقينيّة والمعارف الحقّة هي أرزاق معنويّة يفيضها عزّ اسمه على أهل التّقوى وتدخل في عداد الرّزق غير المحتسب الّذي يشير إليه قوله تعالى : ﴿**ومن يتّقِ الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ (الطلاق/٣).

فليس الرّزق الوارد في الآية رزقاً مادّياً بل هو معنوي، لأنّ الرّزق المادّي لا يتوقّف على التّقوى، بل البشريّة برمّتها ترزق مادّياً مع أنّ فيها التّقي وغير التّقي، بل ثمّة آياتٌ في القرآن الكريم تشير إلى أنّ الله عزّ وجلّ قد يعطي الكفلرّ سقوفاً من فضّة ومعارج عليها يتّكئون لولا الخوف على النّاس وحتّى المؤمنين من أن يطمعوا أن يكونوا كافرين وقال تعالى : ﴿**ولولا أن يكون النّاس أمّة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرّحمان لبيوتهم سقفاً من فضّة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتّكئو ن، وزخرفاً وإن كلّ ذلك لما متاع الحياة الدّنيا والآخرة عند ربّك للمتّقين** ﴾ (الزخرف/٣٣.٣٥).

يتّضح من خلال هذا أنّ الإنسان يمرّ بمراحل متعدّدة:

الخلوّ من العلوم الحصوليّة ﴿...**أخرجكم من بطون أمّهاتكم لا تعلمون شيئاً**﴾ ثمّ التّحليه بها ﴿**ثمّ جعل لكم السّمع والأبصار والأفئدة لعلّكم تشكرون**﴾ .

ثمّ الإشراق بالعلم الحضوري وهو مسبّب عن التقوى ﴿**إن تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً**﴾ والحضوري معلول لحالة اليقين لقوله تعالى: ﴿**واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين**﴾ (الحجر/٩٩) ﴿**كلاّ لو تعلمون عِلْم اليقين لترونّ الجّحيم ثمّ لترونّها عين اليقين** ﴾ (التكاثر/٧.٥) فالحكمة من وجود الإنسان والغاية من عبادته لله تعالى هي أن يصل إلى مقام اليقين لكن ليس معنى هذا أن يتوقّف عن العبادة إذا وصل إلى ذلك المقام حسبما توهّمه الصّوفيّون، لأنّ التوقّف خلاف اليقين، وذلك لاستمرار اليقين باستمراريّة العبادة؛ فإذا توقّفت العبادة توقف اليقين . وإلى مسألة اليقين أشار مولانا الإمام الرّضا عليه السلام بقوله: الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتّقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التّقوى بدرجة ولم يقسّم بين العباد شيء أقلّ من اليقين . وهو ما حصل عليه إبراهيم الخليل بقوله تعالى : ﴿**وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السّماوات والأرض وليكون من الموقنين** ﴾ (الأنعام/٧٥) فلمّا وصل إلى المرتبة العالية من اليقين جعله إماماً ﴿**وإذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمّهنّ قال إنّي جاعلك للنّاس إماماً قال ومن ذرّيتي قال لا ينال عهدي الظّالمين**﴾ (البقرة/١٢٤).

فالإطّلاع على عالم الملكوت طريق إلى اليقين، وهو بنفسه طريق إلى الإمامة، وعليه فلا يكفي العلم الحصولي لكي يكون الإنسان إماماً، كما لا يكفيه أيضاً العلم الّذي ينشأ من التّقوى، بل هو لا يستحقّ الإمامة إلاّ إذا بلغ اليقين على مستوى العلم، كما ليس كلّ من وصل إلى اليقين صار إماماً

لكون الإمامة مشروطة بعدم المعصية السّابقة عليها بالإضافة إلى اللاحقة لها ولو احتمالاً.

إنّ أهمّ خصائص العلم الحصولي أنّه يمكن أن ينفكّ عن الأثر المترتّب عليه، فأنت قد تعلم بوجوب الصّلاة عليك، وهذا علم حصولي، ولكنّك قد ترتّب الأثر خارجاً فتصلّي وقد لا ترتب الأثر خارجاً فلا تصلّي، وهذا بخلاف العلم الحضوري الّذي يساوي اليقين بل هو أحد أقسامه فإنّه علم يلامس الواقع الخارجي لا أنّه يتصوّره فحسب، ففرق بين تصوّر الألم وبين المريض الّذي يحسّ بالألم ويعايش مرارته، فقد يتصوّر الطّبيب الألم الّذي يمرّ به المريض ولكنّه لايستطيع أن يعيش حالة الألم .فالتصور للألم هو الّذي يطلق عليه "العلم الحصولي"، والشعور بالألم هو ما يطلق عليه "العِلْم الحضوري"، فدعوى أن علوم النّبي والأئمّة عليهم السّلام حصوليّة تساوق القول بأنّ جلّ علومهم تصوّرية لا تصديق فيها، فيترتّب عليها محذور الجّهل بالواقع، مضافاً إلى محذور العصمة الكسبيّة التي يستلزم الإعتقاد بها صدور الخطأ سهواً بعد التكليف، وقبل التكليف أيضاً، وقد قامت الأدلّة العقليّة والنّقليّة من الكتاب والسُّنة المطهّرة على بطلانه، وهو خلاف ما أجمعت عليه الشّيعة الإماميّة من العصمة الذّاتية مذ كانوا في بطون أمّهاتهم إلى يوم مماتهم عليهم السّلام، لكن ليس معناه أنهم مجبرون على الطّاعة وعدم المعصية، وإلاّ لضاع الأجر وبطُل الثّواب والمدح، بل يراد ممّا قلنا أنهم قادرون على المعصية لكنّهم لا يفعلونها لعلمهم بقبحها وعدم رضا الرّب عن الإتيان بها، فهم مختارون في أعمالهم وأفعالهم ويمتنع صدور المعصية منهم وهذا ما يعبَّر عنه بالإمتناع الوقوعي (أي

الإمتناع في مقام الوقوع) في مقابل الإمتناع الذّاتي (أي ما لا يمكن أن يوجد كاجتماع النقيضين) فصدور المعصية من النّبي أو الإمام عليهما السّلام ليست ممتنعة بالذّات،وإن كانت ممتنعة بحسب مقام الفعل والوقوع، فصدورها بحسب مقام الذّات ممكن بيد أنها لا تقع منهم عليهم السّلام، وهذا ما يُطلق عليه أيضا، بالإمكان الذّاتي والإمكان الوقوعي،إذ تارةً يُقال بأنّ هذا الشّيء ممكن ذاتاً بيد أنّه لا يقع، كاعتقادنا بأنّ الله تعالى قادر على أن يظلم لأنّ قدرته شاملة،لكنّه لا يفعل، فصدور الظّلم منه مستحيل وقوعاً منه عزّ وجلّ،وهذا لا يتنافى مع قدرته واختياره وإمكان وقوع الظّلم منه .

فالإمتناع الوقوعي لا يتنافى مع الإمكان الذّاتي، لأنّ الأوّل يمكن أن يقع ولكنّه لا يقع أبداً، فأنا وأنت نستطيع أن نشرب السّم وأن نخرج إلى الشّارع عراة، بيد أنّا لا نفعل ذلك، وهذه الأمور من حيث الإمكان ممكنة ذاتاً ولكن من حيث الوقوع ممتنعة وقوعاً .

وهكذا في مقامنا فإنّ النبيّ والإمام عليهما السّلام قادران على فعل المعصية لكنّهما لا يفعلانها لقبحها عند المولى عزّ وجلّ، فصدور المعصية منهما ممكن ذاتاً لكنّه مستحيل وقوعاً .

وبناءً عليه فإنّ المعصوم يملك علماً، وهذا العلم هو سنخ علم يختلف عن العلوم المتداولة والمعارف الكسبيّة، هو علم يبلغ بصاحبه درجة اليقين، بحيث لن يكون هناك انفكاك بين هذا العلم وبين العمل، وهذه هي العصمة . فعلم المعصوم يحصل من رؤية الملكوت ﴿**وكذلك نري إبراهيم ملكوت**

السّماوات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ فالله سبحانه وتعالى أرى إبراهيم الملكوت، والرّؤية مشعرة بوصف اليقين، فلا يكفي من الإمام إبراهيم الخليل (عليه السلام) أن يكون على مستوى العلم الحصولي، ولا على مستوى التّقوى، بل لا بدّ أن يكون من حيث العلم على مستوى اليقين، فما لم يصل إلى مستوى اليقين فإنّه لا يستحقّ التّصدي لمسؤوليّة الإمامة التّكوينيّة، من هنا ربط القرآن الكريم بين بلوغ الإنسان إلى مقام اليقين ورؤية الملكوت، فإذا ما رأى الملكوت يكون قد وصل إلى مقام اليقين، والفارق الكبير بين ما في الملكوت وبين رؤيته، وذلك من قبيل من يرى حادثة تقع في الشّارع فيعيشها ويلامس وقائعها مباشرةً وبين من يسمع بها عن طريق المذياع أو مخبرٍ أو يقرأ عنها في صحيفة، لذلك لما فرغ إبراهيم الخليل (عليه السلام) من بناء البيت توجّه إلى ربّه بقوله: ﴿**وأرنا مناسكنا**﴾ ولم يقل علّمنا مناسكنا، فالّذي يريده من ربّه هو رؤية المناسك، وهذه الرّؤية غير قابلة للخطأ .

إنّ من يريد الوصول إلى موقع الإمامة . وهو أمر لا يتسنى إلاّ للمعصوم . لا بدّ أن يكون بالغاً لمرتبة اليقين من حيث العلم وإلى مقام الصّبر من حيث العمل، كما هو الحال في كثير من القضايا التّكوينيّة التي ترتبط بقوانينها وشروطها ولوازمها، فإذا أردت أن ترى شيئاً فلا بدّ أن تكون العين سالمة، وأن لا يوجد مانع بين الرّائي والمرئي، وأن يكون هناك نور بينهما، وهذه سنة تكوينيّة في عالم الخلق، وهكذا فإنّ الوصول إلى موقع الإمامة لا يكون إلاّ من حيث العلم، بمعنى أن يكون طاهراً على مستوى الإعتقاد، وعلى مستوى الملكات، وعلى مستوى العمل، وهذا المسار يعبّر عن نسقٍ تكوينيٍّ ثابتٍ .

وعليه فإنّ حقيقة العصمة تقوم على أساس البعد العلمي الإعتقادي لا البعد العملي، وذلك لأنّ الأعمال الصّادرة من الإنسان حصيلة الملكات التي يكتسبها إن خيراً فخير وإنْ شرّاً فشرّ، فالملكة منشأ للعمل والآثار الخارجيّة، فعندما يقدم الإنسان إلى مواقع الخطر، يقال: إنّه يتحلّى بملكة الشّجاعة، وإذا أنفق أحدهم على مستحقٍّ أو محتاجٍ يوصف بأنّه سخيّ أو كريمٌ .

والملكات النّفسانيّة عند البشر يسبقها مجموعة من الإعتقادات، لوجود ترابط وترتّب منطقي بين العمل الّذي تسبقه ملكة، والملكة التي يسبقها نحو من الإعتقاد والإيمان وهو فرع العلم .

فإذا ما أريد اكتشاف التسلسل المنطقي للوصول إلى العمل الخارجي نجد أنّ السلسلة تبدأ من العلم، فالعلم يكون منشأً لتحقق إيمان ما وعقيدة ما، وهذه العقيدة تكون منشأً أيضاً لوجود مجموعة من الأخلاق والملكات التي تكون بدورها منشأً لتحقّق الأفعال الخارجيّة .

يتلخّص من هذا أن أفعالنا مترتّ بة على ملكات، تسبقها مجموعة من الإعتقادات والعلوم، وهذه الإعتقادات قد تكون مطابقة للواقع وقد تخالفه، هذا مضافاً إلى أنّ تلك العلوم والإعتقادات تنفكّ عنها في الأعمّ الأغلب الملكات والأفعال المترتّبة عليها، والسّبب في ذلك أنّ تلك العلوم حصوليّة، والعلوم الحصوليّة قد يترتّب عليها الأثر المطلوب منها وقد لا يترتّب.

وبعبارة أخرى: إنّ الملكات النّفسانيّة قد يكون مصدرها علوم واعتقادات صحيحة، وقد يكون مصدرها اعتقادات غير صحيحة وليست مطابقة للواقع، كما قد تترتب الأفعال على هذه الإعتقادات والعلوم وقد لا تترتب .

من هنا صحّ ما قيل من أنّ البعد العلمي قد ينفكّ عن البعد العملي في الملكات، فقد تجد عالماً ليس بعامل، وقد تجد عابداً أو عاملاً ليس بعالم، هذا كلّه بشأن الملكات النّفسانيّة الموجودة في البشر، أمّا ما يوجد عند النّبيّ أو الوليّ من العصمة فلا يمكن النّظر إليها من ناحية البعد العملي، بل لا يصحّ تفسيرها إلاّ على أساس البعد العلمي الإعتقادي، ومن ناحية أخرى يتوضّح أنّ هذا البعد العلمي اليقيني (أو الحضوري كيفما شئت فعبّر) هو سنخ علم لا ينفك عنه الأثر والعمل المترتّب عليه، وبمعنى آخر: إنّ العلم الموجود عند المعصوم سنخ علم تكون قوّته بنحو لا ينفك عنه العمل المترتّب عليه، ويكفي كشاهدٍ على ما ذكرنا ما أورده القرآن الكريم حسبما جاء في قصّة يوسف عليه السلام: ﴿**قال ربّ السّجن أَحَبُّ إليّ مما يدعونني إليه وإلاّ تصرف عنّي كيدهنّ أصبُ إليهنّ وأكن من الجاهلين**﴾ (يوسف/٣٣) ففيها دلالة واضحة على أنّ منشأ الصّبوة والميل إلى الحرام الّذي دعا يوسف ربّه أن يصرفه عنه بدفع كيد النّسوة عنه إنّما هو الجّهل وليس الظلم، ويظهر ذلك من خلال ملاحظة مفهوم الصّبوة، حيث إنّ منبثقها لا يكمن بالبعد العملي بل بالبعد العلمي وهو عدم العلم أو وجوده بنحو ضعيف لا يفي بعصمة الإنسان وردعه عن المعصية .

فقد أرجع يوسف عليه السلام في خطابه لربّه العصمة إلى العلم والمعرفة لا إلى الملكة والأعمال، فالعصمة نحو علم لا ينفك عن الأثر المترتّب عليه . وإلى هذه القاعدة التي تربط بين العلم والعمل أشار أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السّلام في قوله: " العلم يهتف بالعمل فإنّ أجابه وإلاّ ارتحل"،

وفي نفس الوقت أرجع يوسف عليه السلام معصية زليخا إمرأة العزيز إلى الظّلم بقوله تعالى: ﴿**إنّه لا يفلح الظّالمون**﴾ (يوسف/٢٣) وبخطابه أيضاً للملك: ﴿**وأنّ الله لا يهدي كيد الخائنين**﴾ (يوسف/٥٢) فقد أرجع المعصية إليهما لأنهما . أي زليخا والعزيز . لا يفهمان أن منشأ هذه المعصية "الجّهل" أي عدم معرفة الله تعالى إذ لو عرف الجّاهلُ اللهَ عزّ وجلّ لما أقدم على المعصية التي هي أثر مترتّب على الجّهل .

إلى هذه الدّقيقة الشّريفة أشار العلاّمة الطباطبائي في تعقيبه على الآية بقوله: " إنّ القوّة القدسيّة [العصمة] من قبيل العلوم والمعارف، ولذا قال عليه السلام: ﴿**وأكن من الجّاهلين**﴾ ولم يقل: وأكن من الظّالمين، كما قال لإمرأة العزيز: ﴿ **إنّه لا يفلح الظّالمون**﴾ أو أكن من الخائنين، كما قال للملك : ﴿**وإنّ الله لا يهدي كيد الخائنين** ﴾ وقد فرّق في نحو الخطاب بينهما وبين ربّه فخاطبهما بظاهر الأمر رعاية لمنزلتهما في الفهم، فقال : إنّه ظلم والظّالم لا يفلح، وإنهّ خيانة والله لايهدي كيد الخائنين، وخاطب ربّه بحقيقة الأمر وهو أنّ الصبوة اليهنّ من الجّهل[٢٩]، وفي مقام آخر يقول رحمه الله: " ومن الدليل على أنّ العصمة من قبيل العلم قوله تعالى خطاباً لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم : ﴿**ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمَّت طائفة منهم أن يضلّوك وما يضلّون إلاّ أنفسهم وما يضرّونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً**﴾ [٣٠].

فالقوّة القدسيّة (وهي العصمة) الموجودة عند المعصوم عليه السلام هي من قبيل العلوم والمعارف لا من قبيل العمل وإلاّ فالعمل مترتّب على ذلك العلم .

وهكذا لا يتميّز المعصوم عن غيره أوّلاً وبالدّرجة الأساس بالبعد العملي فقط حيث لا تصدر منه المعصية والشّرك ويكون س لوكه العملي منسجماً مع التشريع بل تجسيداً للشّريعة، وإنما تكمن العصمة أساساً وقبل ذلك بالعلم الّذي يوجد عند الإمام عليه السلام .

وعليه؛ فإنّ للمعصوم بعدين مهمّين:

الأوّل: البعد العلمي أو مقام اليقين في العلم .

الثّاني: البعد العملي أو مقام الخلوص في العمل .

وهذان البعدان مترابطان انفكاك بينهما في شخصيّة المعصوم عليه السلام وهما جوهر العصمة، وبهما يتميّز المعصوم عن غيره من حيث أنهم يعلمون من ربّهم ما لا يعلمه غيرهم لذا قال تعالى مادحاً شأنهم : ﴿**سبحان الله عمّا يصفون إلاّ عباد الله المخلصين**﴾ (الصافات/١٦٠) فإنّ المحبّة الإلهيّة تبعثهم على أن لا يريدوا إلاّ ما يريده الله ﴿**قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلَصين**﴾ (ص/٨٣) وعلمهم غير العلم الموجود عند عامّة البشر، فعلومهم عليهم السّلام لا يتسرّب إليها التخلّف بخلاف علوم غيرهم في أكثر الأحيان .

قال العلاّمة الطّباطبائي عليه الرّحمة: " إنّ القوّة المسمّاة بقوّة العصمة سبب شعوري علمي غير مغلوب البتة، ولو كانت من قبيل ما نتعارفه من أقسام الشّعور والإدراك لتَسرَّبَ إليها التّخلف، ولَتَخبَّط الإنسان على أثره أحياناً،

فهذا العلم من غير سنخ سائر العلوم والإ دراكات المتعارفة التي تقبل الإكتساب والتّعلم، وقد أشار الله في خطابه الذي خصّ به نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله: ﴿**وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم**﴾ (النساء/١١٣) وهو خطاب خاصّ لا نفقهه حقيقةَ الفقه إذ لا ذوق لنا في هذا النّحو من العِلْم والشّعور [٣١]".

والعلم الّذي حباه المولى عزّ وجلّ لخاصّة أوليائه وإن كان يخالف سائر العلوم في أنّ أثره العِلْمي وهو صرف الإنسان عمّا لاينبغي قطعي غير متخلّف دائماً بخلاف سائر العلوم فإنّ الصّرف فيها أكثريٌّ غير دائم، قال تعالى:﴿**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم**﴾ (النمل/١٤) وقال: ﴿**أفرأيت من اتّخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علم** ﴾ (الجاثية/٢٣) وقال:﴿**فما اختلفوا إلاّ من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم** ﴾ (الجاثية/١٧) أمّا ما هو عند الأولياء فلا يتخلّف ، فما نصفه نحن غير ما يصفه هؤلاء المخلصون ﴿**سبحان الله عمّا يصفون إلاّ عباد الله المخلصين** ﴾ فكلا العلمين متعلقهما واحدٌ إلاّ أنهما يختلفان عن بعضهما بشدّة اليقين وضعفه، والقول بملكة العصمة عند الأولياء لا يغيّر الطبيعة الإنسانيّة المختارة في أفعالها الإراديّة ولا يخرجها إلى ساحة الإجبار والإضطرار ، كيف؟ " والعلم من مبادئ الإختيار،ومجرّد قوّة العلم لا يوجب إلاّ قوّة الإرادة كطالب السّلامة إذا أيقن بكون مانعٍ ما سمّاً قاتلاً من حينه فإنّه يمتنع باختياره من شربه قطعاً وإنّما يضطرّ الفاعل ويجبر إذا أخرج من يجبره أحد طرفي الفعل والترك من الإمكان إلى الإمتناع،ويشهد على ذلك قوله تعالى : ﴿**واجتبيناهم وهديناهم**

إلى صراط مستقيم ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ (الأنعام/٨٨) أي أنهم في إمكانهم أن يشركوا بالله وإن كان الإجتباء والهدى الإلهي مانعاً من ذلك، وقوله تعالى:﴿**يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من النّاس**﴾ (المائدة/٦٧).

فالإنسان المعصوم إنّما ينصرف عن المعصية بنفسه وعن اختياره وإرادته ونسبة الصّرف إلى عصمته تعالى كنسبة انصراف غير المعصوم عن المعصية إلى توفيقه تعالى . ولا ينافي ذلك ما يشير إليه كلامه تعالى وتصرّح به الإخبار أنّ ذلك من الأنبياء والأئمّة بتسديد من روح القدس ؛ فإنّ النّسبة إلى روح القدس كنسبة تسديد المؤمن إلى روح الإيمان، ونسبة الضّلال والغواية إلى الشّيطان وتسويله، فإنّ شيئاً من ذلك لا يخرج الفعل عن كونه فعلاً صادراً عن فاعله مستنداً إلى اختياره وإرادته"[٣٢].

فإذا كانت العصمة من سنخ الإدراكات والعلوم اليقينيّة وهي بدورها تختلف عن بقيّة المِلَكَات والإدراكات الموجودة عند البشر فلا يصحّ حينئذٍ نسبة الخطأ إلى صاحبها في وقت من الأوقات (أي في غير التبليغ) وذلك لعدم وجود دليل على الإختصاص بوقت التّبليغ دون غيره، فالله الذي منح العصمة لبعض الأفراد في وقت معيّن لوجود أرضيّة صالحة في نفس صاحبها يقتضي استمرار هذا المنح في وقت آخر أيضاً،وما ظنّه بعض المتأ ثرين بالفكر العامّي الأشعري: "من لزوم العصمة في التبليغ دون غيره " ينمّ عن الخلط في فهمه لشخصيّة المعصوم عليه السلام حيث . وتبعاً لسادة الفكر العامي . ينظرون

دائماً إلى جنبَة التّبليغ ظنّاً منهم بأنّ الإنسان لا يحتاج في حياته إلى عصمة النّبي أو الإمام إلاّ في نطاق تبليغ الشّريعة وفي دائرة أداء الإمام لدوره على هذا الصّعيد، فهذا هو القدر الذي نحتاج إليه من عصمة الإمام وليس أكثر من ذلك، مع أنّ الواقع يختلف تماما عمّا ألصقه هؤلاء بالحجج الطّاهرين من حيث إنّ النظر إلى الإمام يجب أن ينصبّ إليه في نفسه بالغضّ عن أن يكون مبلّغاً أو قدوة، فالّذين أثبتوا العصمة للنّبي والإمام في مجال التّبليغ دون غيره اقتصروا على الجّانب الإثباتي لهما، مع أنّ المطلوب هو النّظر إلى الجّانب الثّبوتي أيضاً أعني مجال القدوة والإطاعة المطلقة في كلّ الأحوال والأزمنة والظّروف سواء قبل التّبليغ وحال التبليغ و بعده، وما افترضوه في مقام حاجة النّاس إلى الإمام بعد التّبليغ كم ا هو حال التّبليغ دون ما قبله لا يقوم على أساس علمي فلسفي بل هو يضادّ مبدأ العصمة القائم على الملَكَة التي لا يمكن أن تبعّض في حال من الأحوال، كما أنّه يناقض المفهوم اليقيني العلمي الّذي تحلّى به المعصوم عليه السلام فلا يصحّ الإعتقاد بتجزئة تلك المعارف اليقينيّة إلى مرحلتين: ما قبل التّبليغ وما بعده،حيث سُلب عنه الملَكَة أو المعرفة اليقينيّة قبل التّبليغ ثمّ تُعطى له حال التّبليغ وبعده .

عود على بدء:

بعد أن عرفت . أخي القارئ . أنّ حقيقة العصمة تقوم على أساس البعد العلمي الإعتقادي يبطل ما قيل من أنّ حقيقتها ترجع إلى البعد العملي وهي الدّرجة القصوى من التّقوى بالتّقرير الّذي قدّمناه فيما سبق.

فالعامل الّذي أوجب صيانة المعصوم عن الخطأ والوقوع في حبال المعصية هو علمه بعواقب المعاصي، وهو علم يقيني يخلق في نفس الإنسان وازعاً قويّاً يصدُّه عن ارتكاب كلّ ما لا يُرضي الرّب سبحانه .

وعلمهم بعواقب المعاصي ومناقب الط اعات لا يستلزم كون عباداتهم وسلوكهم بداعي الخوف من العقاب والطّمع في الثّواب فه ا هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يصرّح عن مضمون سرّه في عبادته لله تعالى: " إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنّتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك " فالدّاعي عند هؤلاء العظماء هو الحبّ والأنس بالله عزّ وجلّ،والحبّ سببٌ في إفاضة المعارف والعلوم على قلوبهم،وهي بدورها سببٌ آخر لإبتعادهم عن كلّ ما يخالف رضاه والقرب منه.

ولما كانت العصمة هبة إلهيّة مفاضة من علاّم الغيوب إ لى أوليائه الميامين نتيجة وجود أرضيّات صالحة في نفوسهم المقدّسة، فلا بدّ حينئذٍ من أنْ تكون سبباً لإبعادهم عمّا لا يرضاه عزّ وجلّ، وهذه الأرضيّات والقابليّات ، هي بمثابة العلّة بالقياس إلى معلولها، فإذا وجِدَت العلّة، وأرادت إيجاد المعلول، فلا بدّ أنْ يوجد ولا يتخلّف البتة .

فالأُنس بالله تعالى عامل قويّ لإفاضة المعارف على قلوبهم الشّريفة، وهناك عوامل أخرى لتكوّن تلك القابليّات هي:

الأوّل:الفطرة السليمة التي وُلِدَ عليها المعصوم عليه السلام ومحافظته عليها، فالله سبحانه خلق البشر على الفطرة لكنّهم لوّثوها بالحجب الظّلمانيّة من هنا ورد في الحديث بما معناه: " كلّ مولود يولد على الفطرة حتى يأتي أبواه فيهوّدانه

أو ينصّرانه " حيث إنّ للأهل وللبيئة تأثيراً عظيماً على سلوك الفرد سلباً أو إيجاباً.

الثّاني: الوراثة حيث تلعب دوراً غير إختياري في تكوين بعض الصّفات في شخصيّة المولود، فالصفات الصّالحة أو الطّالحة تنتقل من طريق الوراثة إلى الأولاد، فإنّنا نكتسب بعض الصّفات من أبائنا وأجدادنا كالشّجاعة أو الجبن والكرم أو البخل،إلى غير ذلك من الأوصاف الرّوحيّة وحتّى الجسميّة كما هو ملحوظ.

فالأنبياء والمرسلون ومنهم الأولياء عليهم السّلام تولّدوا في بيوت صالحة عريقة بالفضائل والكمالات،فانتقلت هذه الكمالات والفضائل الرّوحيّة من نسل إلى نسل إلى أن تجسّدت في نفس النّبيّ والوليّ عليهما السّلام ممّا استلزم وجود قابليّة عنده يُفاض عليها الكثير من المواهب الإلهيّة.

الثالث: التّربية، فإن الكمالات والفضائل الموجودة في المحيط العائلي تهيّئ الوليد لاكتساب القابليّة الحسنة لتقبُّل تلك الفضائل ولكنّ التّربية ليست علّة تامّة في تكوين القابليّة عند الأولياء عليهم السّلام نعم هي جزء علّة في بعض الأحيان، وإلاّ لو كانت علّة بنفسها لذ لك لما كان موسى عليه السلام بذاك المستوى من الإيمان العظيم مع أنّه تربّى في أحضان فرعون، وكذا إبراهيم الخليل عليه السلام عاش يتيماً مع عمّه الكافر آزر، وهكذا يوسف عليه السلام حيث ترعرع في قصر عزيز مصر وفرعونها مع حيطة زليخا له وانغمارها في حبّه ومراودتها له عن نفسه ورفضه للخيانة والرذيلة.كلّ هذه الشّواهد دليلاً صادقاً على عدم دخالة التّربية والبيئة أيضاً . على نحو العلّية التامّة . في تكوين

شخصيّة النّبيّ أو الوليّ عليهما السّلام .مضافاً إلى عدم دخالتهما بشكل قطعي في تكوين مسار الفرد العاقل الّذي ينظر إلى الأشياء بخواتيمها ويتدبّر الأمور بدقائقها كآسية بنت مزاحم التي أحاطها فرعون بالنّعيم والجاه فلم تتأثّر بدعوته الإلحاديّة ولا أنها تنازلت عن عقيدتها رغم ما لاقت من الحتوف والظّلم بسبب رفضها الإنصياع لكفر زوجها فرعون، وهكذا يحدّثنا التّاريخ عن الصدّيقة خديجة زوج النّبيّ وأمّ المؤمنين عليها السّلام حيث عاشت وسط بيئة منحرفة تعبد الحجر والمدر، ولم تتأثّر بتلك الترهات بل كانت على طريق الهدى ومن أتباع الحنيفيّة الإبراهيميّة.

فالبيئة والتربية ليسا عاملين رئيسيّين في تكوين القابليّة . حسبما توهّمه بعض الناس . بل هما علّة في بعض الأحيان .

وهناك عامل آخر لاكتساب الأرضيّات الصّالحة تدخل في إطار حريّة واختيار الإنسان وهو:السّعي نحو الطّاعة والإبتعاد عن المعصية،فها هي حياة الأولياء والأنبياء عليهم السّلام مشحونة بالمجاهدات الفرديّة والإجتماعيّة من لدنّ ولادتهم إلى زمان بعثتهم حيث أسلمت نفوسهم لعقولهم الطّاهرة التي لم تفكّر إلاّ بالله سبحانه وتعالى ولم تلتفت لسواه،فها هو الصّدّيق يوسف عليه السلام جاهد نفسه وألجمها بأشدّ الوجوه عندما راودته زليخا في بيته ﴿**وغلّقت الأبواب وقالت هيت لك**﴾ فأجابها بالرّد والنّفي ﴿**معاذ الله إنّه ربّي أحسن مثواي إنّه لا يفلح الظّالمون**﴾.

وهناك شواهد تاريخيّة كثيرة على جهاد الأنبياء وقيامهم بواجبهم إبّان شبابهم إلى زمن بعثتهم .

فجميع هذه العوامل، التي يدخل بعضها في إطار الإختيار،وبعضها الآخر خارج عن إطاره، أوجدت قابليّات وأرضيّات صالحة لإفاضة العصمة عليهم وانتخابهم لذلك الفيض العظيم، فعندئذٍ تصبح العصمة موضع اعتزاز للمتحلّي بها ومفخرة عظيمة يستحقّ صاحبها التّكريم والتّبجيل .

وبتعبير أدقّ: إنّ الله عزّ وجلّ وقف على ضمائرهم ونيّاتهم ومستقبل أمرهم ومصير حالهم وعلم أنهم ذوات مقدّسة لو أُفيضت إليهم تلك الموهبة لاستعانوا بها في طريق الطّاعة وترك المعصية بحرّية واختيار،وهذا العلم كافٍ لتصحيح إفاضة تلك الموهبة عليهم بخلاف من يعلم من حاله خلاف ذلك .

قال العلاّمة الطّباطبائي عليه الرّحمة: " إنّ الله سبحانه خلق بعض عباده على استقامة الفطرة، واعتدال الخلقة، فنشأوا من بادئ الأمر بأذهان وقّادة وإدراكات صحيحة ونفوس طاهرة، وقلوب سليمة،فنالوا بمجرّد صفاء الفطرة وسلامة النّفس من نعمة الإخلاص ما ناله غيرهم بالإجتهاد والكسب بل أعلى وأرقى لطهارة داخلهم من التلوّث بألواث الموانع والمزاحمات،والظّاهر أنّ هؤلاء هم المخلصون (بالفتح) لله تعالى في مصطلح القر آن وهم الأنبياء والأئمّة، وقد نصّ القرآن الكريم بأنّ الله تعالى اجتباهم أي جمعهم لنفسه وأخلصهم لحضرته قال تعالى : ﴿**واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم**﴾ الأنعام/٨٧ وقال: ﴿**هو الّذي اجتباكم وما جعل عليكم في الدّين من حرج**﴾[٣٣](الحجّ/٧٨) .

فقد أشار رحمه الله إلى القابليّات الخارجة عن اختيار الأنبياء، غير أنّ هناك أموراً واقعة تحت اختيارهم كما عرفت، فالكلّ يعطي الصّلاحيّة لإفاضة الموهبة الإلهيّة على تلك النّفوس المقدّسة .

وبهذا يندفع ما قيل بأنّ العصمة أمر حاصل للشّخص بالإكتساب، مضافاً إلى أنّه لو كانت كذلك . أي بالإكتساب . لترتّب محذور عدم العصمة على الأولياء والأنبياء قبل التكليف وهو منفيّ بالأدلّة القطعيّة ، منها دليل التنفير، وعدم الإلزام على العصمة بعد التكليف، إذ لو كانوا قبل التكليف غير معصومين، ثمّ عصمهم بعد التكليف ، لاستلزم الجّبر في السّلوك وهو باطل جملةً وتفصيلاً .

من هنا قال المفيد عليه الرّحمة : العصمة تفضّل من الله تعالى على من علِمَ أنّه يتمسّك بعصمته [٣٤].فعبارته تشعر بأنّ إفاضة العصمة من الله سبحانه أمر خارج عن إطار الإختيار، غير أنّ اعمالها والإستفادة منها يرجع إلى العبد وداخل في إطار إرادته، فله أن يتمسّك بها فيبقى معصوماً عن المعصية، كما له أن لا يتمسّك بها .

ومشهور المتكلّمين عبّروا عن العصمة باللطف يفعله بالعبد فيمتنع عن فعل القبيح مع قدرته عليه .

لذا قال المرتضى عليه الرّحمة:

" كلّ من علم الله تعالى أنّ له لطفاً يختار عنده الإمتناع من القبائح فإنّه لا بدّ أن يفعل به وإنْ لم يكن نبيّاً ولا إماماً، لأنّ التكليف يقتضي فعل اللطف على ما دلّ عليه في موا ضع كثيرة غير أنه لا يمتنع أن يكون في

المكلّفين من ليس في المعلوم أنّ شيئاً متى فعل، اختار عنده الإمتناع من القبيح فيكون هذا المكلّف لا عصمة له في المعلوم ولا لطف، وتكليف من لا لطف له يحسن ولا يقبح وإنّما القبيح منع اللطف في مَنْ له لطف مع ثبوت التكليف (٣٥).

وزبدة المخض: إنّ الملاك في إفاضة هذا الفيض هو علمه سبحانه بحال الأفراد في المستقبل فكلّ من علم عزّ وجلّ أنّه لو أُفيض عليه العصمة لاختار عنده الإمتناع من القبائح، فعندئذٍ تُفاض عليه العصمة، وإنْ لم يكن نبيّاً ولا إماماً، وأمّا من علم أنّه متى أُفيضت إليه تلك الموهبة لما اختار عندها الإمتناع من القبيح لما أُفيضت عليه هذه العصمة لأنه لا يستحقّها.

وعليه؛ فإنّ العصمة موهبة إلهية تُفاض على من يُعلَم من حاله أنّه ينتفع منها في ترك القبائح عن حريّة واختيار .

وبهذا نصحّح الشّبهة الدّائرة التي أثارها بعض النّواصب حول عدم عصمة الصدّيقة الطّاهرة المقدَّسة فاطمة الزّهراء سيّدة النّساء بل وعدم عصمة أئمّة آل البيت عليهم السّلام بدعوى أنهم ليسوا أنبياء .

● **عود على بدء:**

وهنا نرجع إلى بيان الجّهة الثّانية وهي البرهنة والإستدلال على عصمة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته الطّاهرين عليهم السّلام في مجال إبداء الرّأي وتشخيص الموضوعات الصّرفة، ويترشّح منها عصمتهم عليهم السّلام في م قام العمل،وهاتان المسألتان متفرّعتان عن عصمتهم في مقام الوحي وتبليغ الرّسالة ،ونقصد بالوحي الأعم من التشريعي المخصوص

برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم،أمّا الوحي التّسديدي فيشمل الأئمّة عليهم السّلام فلا يشتبهون ولا يخطئون في تحديده،وهكذا لا يخطئون في مجال تبليغ الرّسالة التي تشمل بيان الأحكام والفرائض والسُّنَن والعقائد، إلاّ أن مورد البحث إنّما هو في الوحي التشريعي المخصوص برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بواسطة الملك جبرائيل عليه السلام،أمّا ما كان بواسطة الإلهام اللدني، فلا ريب أنّه أحد أقسام الوحي الّذي لا يشتبه بر قلبه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمة الأطهار عليهم السّلام .

وعليه فإنّ العصمة على أربعة أقسام:

العصمة عن الخطأ في تلقّي الوحي،والعصمة عن الخطأ في التّبليغ والرّسالة، والعصمة عن المعصية، وهي ما فيه هتك حرمة العبودية،ويعمّ كلّ قولٍ أو فعلٍ ينافي مقام العبوديّة والعصمة عن الخطأ في الأمور الخارجيّة نظير الأغلاط الواقعة للإنسان في الحواس وإدراكاتها أو الإعتبارات من العلوم،ونظير الخطأ في تشخيص الأمور التّكوينيّة من حيث الصّلاح والفساد، والنفع والضّرر؛ وإليك بيان الدليل الإجمالي عليها:

العصمة عن الخطأ في تلقّي الوحي:

نستدلّ على عصمة الأنبياء في مجال تلقّي الوحي (من جبرائيل عليه السلام وكذا الأوصياء في مجال تلقّيهم للوحي من الأنبياء السّابقين عليهم ببراهين وأدلّة عقليّة[٣٦] كثيرة منها اثنان . وبهما الكفاية . هما:

الأوّل: عدم التنفير:

توضيحه:

إنّ الله تعالى خلقنا للمعرفة والعبادة،وهما لا يحصلان إلاّ من خلال إرادته، وإرادته انحصرت ببعث الأنبياء والأولياء عليهم السّلام ،إذ إنّ الغاية القصوى والهدف الأسمى من بعثهم هو هداية النّاس إلى التّعاليم الإلهيّة، ولا تحصل تلك الغاية إلاّ بإيمانهم بصدق ا لمبعوثين وإذعانهم بكونهم مرسَلين من جانب الله عزّ وجلّ وإنّ أقوالهم قوله سبحانه،وهذا الإذعان والإيمان لايحصل إلاّ بإذعان آخر وهو الإعتقاد بمصونيّتهم عن الخطأ في مرحلة تلقّي الوحي وغيرها من سائر الأنحاء الأخرى،وإلاّ لما حصل الوثوق بقولهم والغرض من بعثهم،فاحتمال تطرّق الخطأ في تلقّيهم للوحي بنفسه مخلاًّ بفائدة البعثة والإنقياد إليهم لكون تطرّق الخطأ في هذا المجال والمجالات الأخرى منفّراً من قبول الدعوة ومبعّداً عنهم وهو قبيح يستحيل صدوره ممن نصّبهم قادةً وسادة على الخلق .

وبعبارة أوضح:

إنّ الغرض من بعثة الأنبياء عليهم السّلام وكذا الأولياء والسّفراء إنّما يحصل بالعصمة (سواء في مرحلة تلقّي الوحي أو في تبليغه وغيرها) فتجب العصمة حينئذٍ تحصيلاً للغرض وهو الهداية، بمعنى أن المبعوث إليهم لو جوّزوا المعاصي صغيرها أو كبيرها على الأنبياء والأوصياء في مجال التّلق ي وغيره لجازت المعصية أيضاً في أوامرهم ونواهيهم وأفعالهم التي أمرو ا باتباعهم فيها وحينئذٍ لا ينقادون إلى امتثال أوامرهم وذلك . أي جواز المعصية في أوامرهم

ونواهيهم . يعتبر منفّراً من قبول دعوتهم وإطاعتهم وهو نقضٌ للغرض من البعثة .

إنّ صيانة الأنبياء والأوصياء عليهم السّلام من الإثم والخطأ في كلّ مراحل حياتهم، وفي كلّ المجالات بدون استثناء،من أجل كونهم موضع ثقة النّاس، بل والقدوة لهم في تصرّفاتهم وأقوالهم، فمن لم يكن مصوناً من كلّ خطأ وإثم فإنّه غير قادر على أن يكون قائداً نموذجاً وقدوةً وأسوةً للنّاس يعتقدونه ويتبعونه. فلا بدّ لهؤلاء السّفراء والحجج أن يستحوذوا على قلوب النّا س فيأتمرون بأمرهم دون اعتراض نتيجة الخطأ والإثم، وإلاّ فمن كان ملوَّثاً بما ذكرنا لا يمكن أبداً أن يبلغ هذا المبلغ في القلوب،وتنتفي الغاية من بعثه ونصبه ، وتتزلزل ثقة النّاس به واطمئنانهم بسيرته ، فمن كان في أعماله اليوميّة عرضة للأخطاء والهفوات أو أنّه قد يشتبه في تلقّي الوحي أو الأحكام وإبلاغها للنّاس،كيف يمكن أن يوثَق به في إدارة أعمال المجتمع ويطمئ إلى آرائه وتنفيذها بدون أي اعتراض؟ لا بدّ . إذن . أن يكون النّبيّ معصوماً بشتى مراحل العصمة، وكذا خليفته مثله يجب أن يتحلّى بصفة العصمة لئلاّ يقع في المعاصي فيغرّر غيره بالوقوع فيها وهو خلاف اللطف الإلهي من بعثه وإرساله ليقرّب النّاس إلى الطّاعة ويبعّدهم عن المعصية.

الثّاني: عدم التّبعيض في العصمة:

والملكة قوّة نفسانيّة راسخة بالنّفس بطيئة الزّوال .وملكة العصمة بحسب الإصطلاح هي قوّة تمنع الإنسان عن الوقوع في الخطأ أو فعل المعصية

واقتراف الخطيئة، وليست هذه القوة نفس صدور الفعل أو عدم صدوره وإنما هي مبدأ نفساني تصدر عنه الأفعال عن الملكات النفسانيّة .

وهذه المَلَكة أو القوّة القدسيّة (العصمة) هي من قبيل العلوم والمعارف ، لا من قبيل العمل وإلاّ فالعمل مترتب على ذلك العلم .

وبعبارة أخرى: إنّ العصمة درجةٌ من العلم والمعرفة واليقين يصل إليها الإنسان بحيث تحجزه عمليّاً عن الخطأ والعصيان .فالعصمة منشؤها علم، وهذا الضّرب من العلم هو الّذي يمنع صاحبه من الإتيان بما يخالف أوامر الله تعالى في السّلوك والعمل، وبذلك يتّضح أنّ جَذْرَ العصمة ليس أمراً عمليّاً بل هو أمر علمي،وهذا ما يوضحه القرآن وهو يشير إلى أنّ العلم هو منشأ السّلوك الخارجي، فاليقين الّذي تمتلئ به شخصيّة الإنسان هو الّذي يتحكّم بنمط سلوكه الخارجي.وعليه يتّضح الفرق بين بُعدين يتميّز بهما المعصوم عليه السلام هما البُعد العلمي والبُعد العملي، ومعنى الأوّل هو أنّ للمعصوم علماً هو من القوّة والتّأثير بحيث لا ينفك عن العمل المترتِّب عليه. ومعنى الثّاني هو أنّه لا يمكن أن يصدر عن المعصوم ما يؤدّي به إلى الشرك لأنّه عالم .

فالعصمة تكمن أساساً وقبل كلّ شيء بالعلم الّذي يوجد عند الإمام وحسبما جاء في تعبير السيّد الطّباطبائي : " إنّ هذه القوّة القدسيّة من قبيل العلوم والمعارف[٣٧]" وليس من قبيل العمل لأنّ العمل مترتّب على ذلك العلم .

واعتقادنا بملكة العصمة في الخليفة عليه السلام لا تعني خروج أفعاله عن الإختيار، للزوم ذلك إبطال علمه وإرادته وتأثيرها في أفعاله، وهو ينافي

افتراض كونه فرداً من أفراد الإنسان الفاعل بالعلم والإرادة،بل العصمة من الله عزّ وجلّ إنّما هي بإيجاد سببٍ في الإنسان المعصوم تصدر عنه أفع اله الإختياريّة صواباً وطاعةً وهو نوع من العلم الرّاسخ وهو المِلَكَة النّفسانيّة نظير العفّة والشّجاعة والعدالة، فصدور الأفعال عن المعصوم بوصف الطاعة دائماً ليس إلاّ لأنّ العلم الّذي يصدر عنه، فعَهُ بالمشيّة وهي صورة علميّة صالحة غير متغيّرة وهذه الصورة هي الإذعان بوجوب العبوديّة دائماً.

" فتديّن المعصوم عليه السلام بدين الحقّ وهي سُنَّة الحياة ووروده وصدوره في الأمور عن إرادته تعالى هو تقوى الله والتوكّل عليه بوضع إرادته تعالى موضع إرادة نفس المعصوم، فينال من سعادة الحياة بحسبه ويجعل الله له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب [٣٨]".

وزبدة القول: إنّ القول بالعصمة في مجال دون مجال آخر يستلزم القول بتبعّض مَلَكَة العصمة وهو قول جزافٌ لا ي بتني على أساسٍ علميٍّ لكون المِلَكَة . وحسبما عرفت . حالة راسخة في صقع النّفس ،فلا يمكن أن نبعِّضَها أو نُجَزِّئَهَا فنقيّدها بمجالي تلقّي الوحي والتبليغ دون غيرهما لأنّ المِلَكَة لا تُبَعَّض ولا تُجَزَّأ بحال دون حال.

* بهذين البرهانين يتمّ إثبات عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السّلام في مجال تلقّي الوحي وبقيّة المجالات الأخرى، ولا حاجة تستدعينا إلى تجشّم عناء البحث عن براهين وأدلّة أخرى تثبت لهم العصمة في مقام تبليغ الوحي وتشخيص الرّأي وما شابه ذلك، ومن أراد المزيد فعليه بالمطوّلات الكلاميّة[٣٩].

وأمّا الأدلّة الشّرعيّة على عصمة الأنبياء والأولياء الحجج عليهم السّلام في مجالي تلقّي الوحي وتبليغ الرّسالة فكثيرة أيضاً نقتصر على بعض الآيات:

الآية الأولى: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربّهم وأحاط بما لديهم وأحصى كلّ شيء عدداً**﴾ (الجنّ/٢٦. ٢٨).

دلالة الآيات على مصونيّة الرُّسُل والأنبياء في مجال تلقّي الوحي وما يليه من التحفّظ والتّبليغ واضحة لا غبار عليها من حيث ارتضائه عزّ وجلّ لهم كي يكونوا مرسلين ومنذرين وحافظين لما أُنزِلَ عليهم فلا يضيّعونه بالإهمال والخطأ والنسيان وإلاّ لا يصحّ تسميتهم بمرسلين ومنذرين،إذ كيف يُرسَلُ من كان قابلاً للإهمال والخطأ؟! وكيف يخطئ من كان الله من ورائه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً؟! وما الرّصد بالمراقبة إلاّ للتحفّظ على الوحي من كلّ تخليط وتشويش بالزّيادة والنّقص نتيجة إغراء الشّيطان وجنوده وقد نزه الله سبحانه وتعالى أولياءَه وأنبياءَهُ عن الإصغاء إلى وسا وس إبليس مع التّاكيد بأنّه لاسلطة لإبليس عليهم ﴿**فبعزتك لأغوينّهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين**﴾ (ص/ ٨٢ . ٨٣).

وفي الآي المباركة دلالة على عصمة الرّسول المرسَل في المجالات الثّلاثة: تلقّي الوحي والتّحفّظ عليه والإبلا غ والتّبيين.

يقول العلاّمة ال طباطبائي: " إنّ قوله ﴿**فإنّه يسلك من بين يديه ومن خلفه**﴾ إلى آخر الآيتين يدلّ على أنّ الوحي الإلهي محفوظ من لدنّ صدوره

من مصدر الوحي إلى بلوغه للناس، مصون في طريق نزوله إلى أن يصل إلى من قصد نزوله إليه .أمّا مصونيّته من حين صدوره من مصدره إلى أن ينتهي إلى الرّسول فيكفي في الدّلالة عليه قوله ﴿**من خلفه**﴾ وأمّا مصونيّته من حين أخْذ الرّسول إيّاه وتلقّيه من ملَك الوحي بحيث يعرفه ولا يغلط في أخْذِهِ، ومصونيّته في حفظه بحيث يعيه كما أوحي إليه من غير أن ينساه أو يغيّرَه أو يبدِّلَه .

والدليل على مصونيتة في تبليغه إلى النّاس من تصرّف الشيطان فيه قوله : ﴿**ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربّهم** ﴾ حيث يعطينا صورةً واقعيةً عن أنّ الغرض الإلهي من سلوك الرّصد هو أن يعلم إبلاغهم رسالات ربّهم أي أنْ يتحقّق في الخارج إبلاغ الوحي إلى النّاس، ولازمه بلوغه إياهم،ولولا مصونيّة الرّسول في الجّهات الثلاث المذكورة جميعاً لم يتمّ الغرض الإلهي وهو ظاهر.

وحيث لم يذكر تعالى للحصول على هذا الغرض غير سلوك الرّصد دلّ ذلك على أن الوحي محروس بالملائكة وهو عند الرّسول،كما أنّه محروس بهم في طريقه إلى الرّسول حتى ينتهي إليه ويؤكده قوله بعد : ﴿**وأحاط بما لديهم**﴾.

وأمّا مصونيّته في مسيره من الرّسول حتى ينتهي إلى النّاس فيكفي فيه قوله : ﴿**من بين يديه**﴾ على ما تقدَّمَ معناه.

أضِفْ إلى ذلك دلالة قوله : ﴿**ليعلم أنْ قد أبلغوا رسالات ربّهم** ﴾ بما تقدَّمَ من تقريب دلالته .

ويتفرع على هذا البيان : أنّ الرّسول مؤيّد بالعصمة في أخْذ الوحي من ربّه وفي حفظه وفي تبليغه إلى النّاس، مصون من الخطأ في الجّهات الثلاث جميعاً لِمَا مرّ من دلالة على أنّ ما نزّلَه الله سبحانه من أحكام دينه على النّاس من طريق الرِّسالة بالوحي، مصون في جميع مراحله إلى أن ينتهي إلى النّاس،ومن مراحله مرحلة أخْذ الرَّسول للوحي وحِفْظِهِ له وتبليغه إلى النّاس.

والتّبليغ يعمّ القول والفعل فإنّ في الفعل تبليغاً كما في القول، فالرّسول معصوم من المعصية باقتراف المحرَّمات وترك الواجبات الدّينيّة لأن في ذلك تبليغاً لِمَا يُناقِض الدّين فهو معصوم من فعل المعصية كما أنّه معصوم من الخطأ في أخْذ الوحي وحفظِهِ وتبليغه قولاً.

وقد تقدَّمت الإشارة إلى أنّ النبوّة كالرّسالة في دورانها مدار الوحي، فالنّبي كالرّسول في خاصيّة العصمة،ويتحصَّل بذلك أنّ أصحاب الوحي سواء كانوا رُسُلاً أو أنبياء، معصومون في أخْذ الوحي وفي حفظ ما أُوحِيَ إليهم وفي تبليغه إلى النّاس قولاً وفعلاً [٤٠] ".

ونضيف إلى قول السّيد الطباطبائي رحمه الله أنّ قوله تعالى :﴿**فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ...وأحاط بما لديهم**﴾ يفيد ديمومة الحفظ والرَّصد والإحاطة للرُّسُل والأنبياء سواء أكان ذلك في المجالات الثلاثة التي ذكرها رضوان الله تعالى عليه أم المجال الرّابع وهو العصمة عن الخطأ في الأمور الشّخصيّة؛ لأنّ عمليّة الرَّصد والإحاطة بما يصدر منهم مطلقة فلا مجال لتقييدها بالأمور الثلاثة المذكورة،فدعوى أنّ مورد العصمة هو المجالات الثّلاثة فقط خلاف الإطلاق في الآيتين،هذا مضافاً إلى أنّ كلّ حياتهم الشريفة تبليغ

لرسالات الله تعالى، فتقييد رسالة الله بالمجالات الثلاثة دون المجال الرابع يأباه الذّوق الأدبي والعرفي واللفظي .كما أنّ القول بعصمتهم في المجالات الثلاثة فقط يستلزم القول بالجّبر الّذي قامت الأدلة ا لقطعيّة على بطلانه، كما أنَّه يستلزم نفي مَلَكَة العصمة التي تقدَّم منّا استحالة القول باستحالة تجزئتها وتبعيضها، فتأمّل .

وعليه فالآيتان تقرّران عصمة رسول الله في القول والفعل والتّقرير في كلّ المجالات بدون استثناء .

الآية الثانية:

قوله سبحانه :﴿**كان النّاس أمّة واحدة فبعث الله النّبيّين مبشِّرين ومنذِرين وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين النّاس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلاّ الّذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الّذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقِّ بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾ (البقرة/ ٢١٣) .

الآية المباركة واضحة الدّلالة في أنّ الله سبحانه وتعالى إنما بعث النّبيّين إلى النّاس والجنّ بالتبشير والإنذار وإنزال الكتاب لأجل هدايتهم إلى الصّراط المستقيم وليبيّنوا لهم الحقَّ في الإعتقاد والعمل، وهذا هو غرضه سبحانه في بعثهم . وبتعبير آخر: إنّ الهدف من بعث الأنبياء هو القضاء بالحقّ بين الناس فيما اختلفوا فيه، والقضاء بالحقّ فرع وصول الحقّ إلى القاضي بلا تغيير وتحريف، ونتيجة القضاء هي هداية مَنْ آمن مِنَ الناس إلى الحقّ بإذنه كما هو صريح قوله تعالى : ﴿**فهدى الله الذين آمنوا لِمَا اختلفوا فيه من الحقّ**

بإذنه﴾ والهادي وإنْ كان هو الله سبحانه في الحقيقة لكنَّ الهداية تتحقّق بواسطة الأنبياء والحجج عليهم السّلام، وتحقُّق الهداية منهم فرع كونهم واقفين على الحقّ بلا تحريف، وكلّ ذلك يستلزم عصمة هؤلاء في تلقّي الوحي والحفاظ عليه وإبلاغه إلى النّاس .

وبالجملة فالآية تدلّ على أنّ النبيّ يقضي بالحقّ بين النّاس ويهدي إليه، وكلّ ذلك . أي القضاء بالحقّ أوّلاً، وهداية المؤمنين إليه ثانياً . يستلزم كونه واقفاً على الحقّ على ما هو عليه، وليس المراد من الحقّ إلاّ ما يوحى إليه .

الآية الثالثة:

قوله تعالى:﴿**وما نتنزل إلاّ بأمر ربّك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربّك نسيّاً**﴾ مريم/٦٤ .

دلَّت الآية الشّريفة على أنّ الوحي من حين شروعه في النّزول بواسطة الملائكة إلى بلوغه النّبيّ فتبليغه للنّاس محفوظ مصون عن أيّ تغيير قد يطرأ عليه .

الآية الرّابعة:

قوله تعالى:﴿**وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلاّ وحي يوحى**﴾(النّجم/٣.٤) .

تصرِّح الآية المباركة بأنّ النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لا ينطق عن الهوى النّفساني لكونه بعيداً عن ساحته إذ لا مسرح للشّيطان وجنوده على نفسه المباركة، فهو دائماً مع الحقّ ولا يتكلّم بداعي الهوى . فالمراد إمّا جميع ما يصدر عنه من القول في مجال الحياة كما هو مقتضى إطلاقه، أو خصوص ما

يحكيه عن الله عزّ شأنه، فعلى كلّ تقدير فهو يدلّ على صيانته وعصمته في كلّ مراحل حياته سواء ما قبل البعثة أو بعدها .

الآية الخامسة:

قوله تعالى: ﴿**أولئك الّذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾ الأنعام/٩٠ .

فالآية الشّريفة تشير إلى هداية الأنبياء جميعاً، والهداية المطلقة تستلزم العصمة المطلقة من الخطأ والضّلال في القول والعمل، فجميعهم عليهم السّلام كُتِبَت عليهم الهداية وعدم الضّلال، وقد قال الله تعالى : ﴿**ومن يضلل الله فما له من هادٍ ومن يهدي الله فما له من مضلّ** ﴾ وقال تعالى: ﴿**من يهدِ الله فهو المهتدِ**﴾ فنفى عن المهتدين بهدايته كلّ مضلّ يؤثّر فيهم بضلال، فلا يوجد فيهم ضلال، وكلّ معصية ضلالة كما يشير إليه قوله تعالى:﴿ **ألم أعهَد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشّيطان إنّه لكم عدوّ مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضلّ منكم جِبِلاًّ كثيراً**﴾ فعدّ كلّ معصية ضلالاً حاصلاً بإضلال الشّيطان بعدما عدّها عبادة للشّيطان، فإثبات هدايته تعالى في حقّ الأنبياء عليهم السّلام ثمّ نفي الضّلال ع مّن اهتدى بهداه ثمّ عدّه كلّ معصية ضلالاً، يكون تبرئة منه تعالى لساحة أنبيائه عن صدور المعصية منهم، وكذا وقوع الخطأ في فهمهم الوحي وإبلاغهم إيّاه .

فالآية في مورد عصمتهم عن الخطأ في كلّ المجالات، والّتي منها تصويب آرائهم الشّخصيّة وتشخيصهم للموضوعات الخارجيّة .

الآية السّادسة:

قوله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلاّ ليُطاع بإذن الله**﴾ (النّساء/٦٤).

حيث جعل كون الرّسول مطاعاً غاية للإرسال، وقصر الغاية فيه، وذلك يستدعي بالملازمة البيّنة تعلق إرادته تعالى بكلّ ما يُطاع فيه الرّسول وهو قوله أو فعله لأنّ كلاًّ منهما وسيلة معمولة متداولة في التبليغ، فلو تحقّق من الرّسول خطأ في فهم الوحي أو في التبليغ كان ذلك إرادة منه تعالى للباطل، والله سبحانه لا يريد إلاّ الحقّ .

وكذا لو صدر عن الرّسول معصية قولاً أو فعلاً، والمعصية مبغوضة منهيّ عنها لكان بعينه متعلّق إرادته تعالى فيكون بعينه طاعة محبوبة، فيكون تعالى مريداً وغير مريد، آمراً وناهياً، محبّاً ومبغضاً بالنّسبة إلى فعل واحد بعينه، تعالى الله عن تناقض الصّفات والأفعال علوّاً كبيراً وهو باطل[٤١].

الآية السّابعة:

قوله تعالى : ﴿**رسلاً مبشّرين ومنذرين لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل**﴾ (النّساء/١٦٤) .

ظاهر الآية الشّريفة أنّ الله سبحانه يريد قطع عذر النّاس فيما فيه المخالفة والمعصية وأن لا قاطع للعذر إلاّ الرّسل عليهم السّلام، ومن المعلوم أنّ قطع الرّسل عذر النّاس ورفعهم لحجّتهم إنّما يصحّ إذا لم يتحقّق في ناحيتهم ما لا يوافق إرادة الله ورضاه: من قول أو فعل، وخطأ أو معصية وإلاّ كان للنّاس أن يتمسّكوا به ويحتجّوا على ربّهم سبحانه وتعالى وهو نقض لغرضه تعالى.

وهناك آيات أُخر فيها دلالة قطعيّة على عصمة الأنبياء والمرسلين في مجالي تلقّي الوحي وتبليغه بل وعصمتهم في مجالي إبداء آرائهم في الأمور الشّخصيّة وتشخيص الموضوعات، إليك قسماً منها هي :

الآية الأولى:

قوله تعالى:﴿**قال إنّي عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً، وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصّلاة والزّكاة مادمت حيّا**﴾(مريم/٣٠. ٣١) .

تشير الآية الشّريفة إلى عصمة عيسى عليه السلام من خلال كونه مباركاً خلال مسيرة حياته كلّها مذ كان صغيراً وإلى منتهى عمره الشّريف فلا سلطة لإبليس اللعين وآثاره من الخطأ والسّهو والنّسيان والجّهل على ساحة عيسى المقدَّسة بشيء، لأنّ البركة في حياته لا تتلاءم مع ما ذكرنا من آثار إبليس، لأنّ معنى البركة لغةً هي النفاع للنّاس يعلّمهم دينهم ويدعوهم إلى العمل الصّالح ويربّيهم تربية زاكية ويهديهم إلى وجوه الحكم والمنافع والخيرات، فإن ضلّوا فمن قِبَل أنفسهم لا من قِبَلِه، هذا مضافاً إلى أنّ معاني البركة الزّيادة والعلوّ فكأنّه قال:جعلني في جميع الأحوال غالباً مفلحاً منجحاً لأني ما دمت باقياً في الدّنيا أكون على الغير مستعلياً بالحجّة، فلو فرضنا أنه غير معصوم في تشخيص الموضوعات وإبداء النظر فيها،يستلزم هذا عدم كونه مباركاً،وبالتالي ليس نفاعاً ولا مستعلياً بالحجّة، بل تكون الحجّة لغيره عليه، وهذا خلف كونه حجّة على الآخرين وما ثبُت للنّبي عيسى عليه السلام فهو ثابت لرسول الله محمّد وآله الميامين بطريق أولى،لكون النّبي محمّداً أفضل من عيسى

وعترته نفسه صلّى الله عليه وآله وسلَّم بمقتضى آية المباهلة،ولوحدة المناط من حيث الرّسوليّة والحجّية التي تستلزم . أي الرّسوليّة . مَلَكَة العصمة والطّهارة .

وبعبارة أخرى:لما ثبُتَ كون النّبي عيسى عليه السلام نفّاعاً مباركاً في كلّ تصرّفاته سواء أكانت تبليغيّة أم غيرها ولا يمكن الفصل بين التبليغ وغيره لاستلزامه التّبعيض بالبركة والطّهارة وهو خلاف الإطلاق في الآية المباركة.

الآية الثانية:

قوله تعالى : ﴿**ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاًّ هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذرّيته داود وسليمان وأيّوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين، وزكريّا ويحيى وعيسى وإلياس كلٌّ من الصّالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاًّ فضّلنا على الـعالمين، ومن آبائهم وذريّاتهم وإِخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده . . . أولئك الّذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجراً إنْ هو إلاّ ذكر للعالمين**﴾ (الأنعام/٨٣ . ٩٠).

تصف هذه الآيات الأنبياء وما يج ب أن يتصفوا به من الصّفات الجّميلة من جانب كونهم معصومين مهديين لا يتطرّق الضّلال إلى ساحتهم المقدَّسة، ومن جانب آخر كونهم قدوة وأسوة حسنة للمؤمنين، وعليه فلمَّا كانوا معصومين ومهديّين ولا يتطرق إليهم الضّلال لأنّ الضّلالة معصية لا يفعلونها أبداً، حينئذٍ نستنتج أنّ من لا يتطرّق إليه الضّلال، لا يتطرَّق إليه العصيان، لذا فإنّ كلّ أقواله وأفعاله حجّة وقدوة حسنة .

ولا يخفى أنّ الخطاب بقوله تعالى: ﴿**فبهداهم اقتده**﴾ وإنْ كان متوجّهاً إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم لكنّ المراد منه هو أمّته، وعليه لا ي صحّ التفرقة بين هداهم وبين ذواتهم المقدَّسة حسبما فعله العلاّمة الطّباطبائي مدّعياً: " أنّ أمر الله تعالى نبيّه بالإقتداء بالأنبياء هو نسبة تشري فيَّة لأنّ الإتّباع إنما هو لأجل هداهم الّذي هو هدى الله لا بهم (٤٢)" وذلك لأنّ اتباع هداهم يستلزم اتّباع ذواته م المقدَّسة التي لا تعرف لغير الله طريقاً ووجهَةً، لأنّ الهدى الصّادر منهم إنما هو لأجل هداية ذواتهم ونفوسهم المطهَّرة فلا معنى لِمَا أفاده السيِّد الطّباطبائي عليه الرَّحْمة بل يستلزم كلامه السابق إلصاق الخطأ في تصرفاتهم العاديّة دون الأمور التّبليغيّة ممّ ا يستدعي القول بأنّ عصمتهم ليست على نحو المِلَكَة الرّاسخة الّتي لا يفرَّق فيها بين التبليغ وغيره.

وحتى لو قلنا أنّ المراد من الخطاب ﴿**فبهداهم اقتده**﴾ هو النّبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم فلا يعني أنّه أدنى منهم درجةً . حسبما توهّمه بعض . بل يُقصَد من الخطاب اتباعهم بالهدى الإلهي الّذي اهتدى به الأنبياء قبله .

تقرير ذلك:

إنّ خصال الكمال وصفات الشَّرف كانت مفرَّقة فيهم بأجمعهم، فداود وسليمان كانا من أصحاب الشّكر على النّعمة،وأيّوب كان من أصحاب الصّبر على البلاء، ويوسف كان مستجمعاً للشّكر وللصّبر، وم وسى كان صاحب المعجزات الظّاهرة، وزكريّا وعيسى ويحيى وعيسى وإلياس كانوا أصحاب الزّهد، وإسماعيل كان صاحب الصّدق،ويونس صاحب التضرُّع،

فثبت أنّه تعالى إنما ذكر كلّ واحد من هؤلاء الأنبياء لأن الغالب عليه كان خصلة معيّنة من خصال المدح والشّرف،ثمّ إنه تعالى لما ذكَرَ الكلّ أمر النّبيّ محمّداً بأن يقتدي بالهدى الّذي كانوا عليه، فكان التقدير كأنّه تعالى أمر سيّدنا محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يجمع من خصال العبوديّة والطّاعة كلّ الصِّفات التي كانت مفرَّقة فيهم بأجمعهم، ولأنّ الله تعالى أمره بذلك، امتنع حينئذٍ أنْ يُقال : إنه قصَّرَ في تحصيلها، فثبتَ أنه حصَّلَها، ومتى كان الأمر كذلك، ثبُتَ أنّه اجتمع فيه من خصال الخير ما كان متفرِّقاً فيهم بأسرهم، ومتى كان الأمر كذلك، وَجَبَ أن يُقال: إنّه أفضل منهم بأجمعهم.

الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿**ومَن يُطِع الله والرّسول فأولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النّبيّين والصدِّيقين والشّهداء والصّالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً**﴾ الأنبياء/١٩.

وَعَدَ الله سبحانه في الآية المباركة بالثواب الجزّيل كلّ من أطاع الله وأطاع الرّسول، ولم يحدِّد إطاعة الرّسول في المهام التبلغيّة فقط وذلك للإطلاق في كلمة "الرّسول" مضافاً إلى أنّ حذف المتعَلَّق دليل العموم في الإطاعة سواء أكانت في الأمور الرّاجعة إلى التّبليغ أم في بقيّة الأمور،كما أنّ مفاد الآية يشير إلى أنّ الأنبياء من الّذين أنعم الله عليهم لكونهم مخبرين من قِبَل الله تعالى ولأنهم عليهم السّلام حسبما وَصَفَهُم في آية أخرى بأنهم ﴿**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾ الفاتحة/٧ .

فغير المغضوب عليهم ولا الضّالين هم أنفسهم الأنبياء والأولياء عليهم السّلام الّذين وصفهم الله تعالى بالمنعَم عليهم،ومن كانت صفته ما ذكرَتْه الآيتان المتقدّمتان لا شكّ أنّه معصوم، لأنّ من كان غير مغضوب عليه ولا ضالاًّ فهو دائماً مع الله تعالى لا يخالف ربَّه ولا يعصي أمره بخلاف العاصي الّذي يجلب غضب الرَّب، ويضلّ عن الصّراط المستقيم قدر عصيانه .

إشكال:

قلتُم: إنّ العصمة في كلّ المجالات شملت من أنعم الله عليه م وهم الأنبياء مع أنّ الآية عطفت على الأنبياء والصّدّيقين جماعة آخرين هم الشّهداء والصَّالحون الّذين لم يدَّعِ أحد أنهم معصومون كالأنبياء والصّدّيقين، فكيف حصرتم العصمة بجماعة دون آخرين،أليس هذا ترجيحاً بلا مرجَّح؟

والجّواب:

أنَّ تقييدنا العصمة بالأ نبياء والصِّدِّيقين ليس استحساناً صَدَرَ منّا وإنما لوجود قرائن تُثبِت ذلك منها ما ذكرناه آنفاً من ضمّ آية ﴿**غير المغضوب عليهم ولا الضّالين** ﴾ إلى الأنبياء والأولياء للإطلاق في مفهومي ﴿**غير المغضوب عليهم ولا الضّالين** ﴾ الدّال على الشّمول الأزماني في متعلَّق الأفراد الموصوفين بعدم الغضب والضَّلال خلال سنيّ حياتهم.

مضافاً إلى القرائن الأخرى كقوله تعالى : ﴿**أولئك الّذين أنعَمَ الله عليهم من النّبيّين من ذرّيَّة آدم وممّن حملنا مع نوح ومن ذرّيّة إبراهيم وإسرائيل وممّن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرّحمان خ رّوا سُجَّدَاً وبكياً**﴾ (مريم/٥٨) .

فالإنعام والهداية والإجتباء أوصاف ثلاثة مهمَّة أصبغها ربُّ العزَّة على الأنبياء المصطَفين من النّاس ممّا يدلّ على مصونيّتهم من الخلاف والخطأ واقتراف المعاصي .

الآية الرّابعة:

قوله تعالى: ﴿قل إنّ كنتم تحبُّون الله فاتّبعونِ يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ (آل عمران/٣١) .

تدعو الآية الشّريفة إلى اتّباع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم والإنقياد إليه إنقياداً مطلقاً، لأنّ من ادّعَى محبّة الله تعالى والإخلاص له في العبوديَّة، عليه أنْ يبرهن عن مصد اقيّته باتّباع الرّسول الكريم المحِبّ الحقيقي لله تعالى، فمَن اتّبعه أحَبَّه الله سبحانه، وذلك لأنّ الحبّ ليس علاقة قلبيّة فحسب، بل يجب أن تظهر آثاره في عمل الإنسان، فمن يدّعي حبّ الله عليه الإنقياد والإتباع لرسوله ﴿**إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني**﴾ حيث إنّ م ن آثار الحبّ الطّبيعيّة إنجذاب المحِبّ نحو المحبوب والإستجابة له، فالحبّ الحقيقي له آثار عمليّة تربط المحبّ بالحبيب وتدفعه للسّعي نحو تحقيق طلباته . فحبّك لشخص ما لا بدّ أن يكون بسبب عثورك على أحد الكمالات فيه، ولا يمكن أن يحبّ الإنسان مخلوقاً ليس فيه شيء من قوّة الجّذب، وعليه فإنّ حبّ الإنسان لله تعالى ناشيء من كونه منبع جميع الكمالات وأصلها، إنّ محبوباً هذا شأنه لا بدّ أن تكون أوامره كاملة أيضاً، فكيف يمكن لإنسان يعشق الكمال المطلق أن يعصي أوامر الحبيب وتعاليمه؟، فإنْ عصى فذلك دليلٌ على أنَّ حبَّهُ غير حق يقي، فالّذين لا يفتؤون يتحدَّثون عن حبِّهم لله

ولأئمّة أهل البيت عليهم السّلام ولكنّهم لا يشبهون أولئك في العمل، هم كاذبون .

وبالجّملة فإنّ الآية حكمت باتّباع رسول الله على وجه الإطلاق، وهو بدوره يكشف عن أنّ دعواته وأوامره قولاً وفعلاً حليفة الواقع وقرين ة الحقيقة، لا تتخلَّف عنه قيد شعرة، من غير فرق بين الدّعوة الّلفظيّة أو العمليّة، فإنّ الدعوة عن طريق العمل والفعل من أقوى العوامل تأثيراً في مجال التربية والتعليم وأرسَخِها، وكلّ عمل يصدر من الرُّسُل عليهم السّلام فالنّاس يتلقَّونه دعوة عمليَّة إلى إقتفاء أثرهم في ذاك المجال .

"فلو كان ما يصدر من النّبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم طيلة الحياة مطابقاً لرضاه وموافقاً لحكمه صحّ الأمر بالإقتفاء في القول والفعل، ولو كانت أفعالهم تخالف الواقع في بعض الأحيان وتتسِم بالعصيان والخطأ، لَمَا صحَّ الأمر بإطاعته والإقتداء به على وجه الإطلاق .كيف وقد وصف الرّسول بأنّه الأسوة الحسنة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لِمَن كان يرجو الله واليوم الآخِرْ وذَكَرَ الله كثيراً** ﴾ (الأحزاب/٢١) .فكونه أسوة حسنة في جميع المجالات لا يتَّفِق إلاّ مع عصمته المُ طلَقَة، بخلاف من يكون أسوة في مجال دون مجال، وعلى ذلك فهو مصونٌ من الخلاف والعصيان والخطأ والزّلل".

الآية الخامسة:

قوله تعالى : ﴿**قل أطيعوا الله والرّسول فإنّ تولّوا فإنّ الله لا يحبّ الكافرين**﴾ (آل عمران/٣٢) .

هنا يأمر الله عزّ وجلّ بإطاعته في كتابـه الكريم وإطاعة رسوله فيما يأمر به قولاً وفعلاً من دون قيد وشرط، ومن كانت هذه صفته فهو قطعاً يكون معصوماً من العصيان والخطأ والنّسيان والجّهل والزّلَل في كلّ مراحل حياته إلى الممات. فكونه مطاعاً في جميع المجالات لا يتفق إلاّ مع عصمته المطلقة، ولو أراد الشّارع التقييد بمجال دون آخر لكان عليه أنْ ينصبَ قرينةً وقيداً على مراده، وبما أنه لم يفعل دلّ ذلك على أنّه يريد جميع المجالات .

ودعوى أنّه يجب اتّباعه في خصوص ما ثبت كونه موافقاً للشّرع أو في حال لم تعلم مخالفته له،خلاف الإطلاق في الآية وأمثالها الآمرة بالإتباع على وجه الإطلاق من غير فرق بين فعل دون فعل،ووقت دون وقت[٤٣].

وبهذا يندفع ما تصوَّره بعض ال علماء من وجوب اتّباع الفقيه في أوامره الشّخصيّة تبعاً لإطاعة أولي الأمر في قوله تعالى : ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم**﴾ (النساء/٥٩)، حيث إنّ الإطاعة لأولي الأمر مطلقة من دون قيد وشرط ممّا يدلّ على صوابيّة أفكارهم ومطابقتها للواقع ممّا يستلزم عصمتهم من كلّ خطأ وزلل، بخلاف الفقهاء فإنّهم معرَّضون للخطأ والجّهل والنّسيان وحاشا لله أنْ يأمر بالإطاعة المطلقة للفقهاء حتى في حالات الجّهل والخطأ وما شابه ذلك، لأنّ الله تعالى أمر باتباع أولي الأمر لكونهم معصومين مطهَّرين، ولو فرضنا أنـهم يتعرَّضون للخطأ والجّهل والنّسيان لما أمر الله عزّ وجلّ باتّباعهم، إذ لو صدر عن النّبي وأولي الأمر عصيان وخلاف،فمن جانب يجب علينا طاعتهم واقتفاء آثارهم واتباعهم، وبما أنّ

الصّادر منهم منكر يحرُم الإقتداء بهم واتباعهم وتجب مخالفتهم، فعندئذٍ يلزم الأمر بالمتناقضين، وهو محال لا يأمر به المولى عزّ وجلّ.

وعليه؛ فلو فرضنا أنّ أولي الأمر . حسبما يدَّعون . هم الفقهاء فإنّ التناقض واقع لا محالة في أحكام الله تعالى وآياته،من حيث كونه أمر بإطاعتهم مطلقاً ثمّ في الوقت نفسه ينهى عن اتباعهم في الخطأ والزَّلَل والمعصية، لأنّ كلّ هذه الأمور من خطوات الشّيطان الّذي لا سلطة له على المخلصين بقوله تعالى : ﴿**يا أيّها الّذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشّيطان**﴾ (النّور/٢١) .

مضافاً إلى أنّ الخ طأ والمعصية من إغواء الشّيطان الّذي لا سلطة له على المخلَصين لقوله تعالى :﴿**فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلَصين**﴾ (ص/٨٣) .

ومن معاني الغواية : إظلام الأمر وخلاف الرّشد أو فساد الجّوف، وعليه فالعباد المخلَصون منزَّهون من أنْ تغشاهم الظُّلْمة في حياتهم أو أنْ يرتكبوا أمراً فاسداً أو يصدر منهم فعل أو قول خلاف المصلحة، ونفي هذه الأمور عن ذواتهم المقدَّسة يستلزم العصمة لأنّ العاصي تغشاه غبرة الجَّهل وظلمة الباطل، كما أنه يفسد علمه بالمخالفة .

والمراد من الغواية في الآية هو التمرُّد والتجرّي ا لّلذان هما الملاك في صدق المعصية وليس الغواية الّتي تلازم مخالفة الأوامر الإرشاديّة الّتي تستلزم النّصح والإرشاد، فهي وإنْ كانت تلازم غشيان الغبرة في الحياة وفساد العمل، لكنّها لا تستلزم التمرُّد والعصيان للمولى عزّ وجل، ومن هذا القبيل مخالفة بعض الأنبياء للأولى .

هذا بعض ما يمكن الإستدلال به على عصمة الأنبياء في جميع المجالات، وهناك آيات يمكن الإستدلال بها على العصمة أيضاً لم نذكرها حرصاً على الإيجاز ودفعاً لملَل القارئ .

هنا نكون قد انتهينا من الإستدلال على عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السّلام في كلّ المجالات سواء أكانت تبليغيّة أم عاديّة .

والأدلّة الّتي تقدَّمت عامة تشمل كلّ الأنبياء والمرسَلين والأوصياء بلا استثناء، لكن وزيادة عليها هناك أدلّة أخرى مخصوصة نثبت من خلالها العصمة لسيّدنا محمّد وعترته الطّاهرة فيما يُبدونه من الآراء الشّخصيّة وتشخيص الموضوعات من خلال ناحيتين:

النّاحية الأولى: إطلاقات الأدلّة الدّالة على وجوب العصمة .

النّاحية الثّانية: شمول الأدلّة على وجوب إطاعة أوامرهم الشّخصيّة .

أمّا النّاحية الأولى: فإنّ الإطلاقات من الكتاب والسُّنة المطَهَّرة دلَّت على عصمة النّبي و العترة الطّاهرة فيما يبدونه من الآراء الشّخصيّة وتشخيص الموضوعات، فالإدلّة التي سيقت على عصمتهم في مجالي تلقّي الوحي والتبليغ هي بنفسها أدلّة على عصمتهم في مجالي الآراء الشّخصيّة وتشخيص الموضوعات الخارجيّة وترتُّب الأحكام عليها، لِمَا فصَّلنا سابقاً من أنّ العصمة مَلَكَة لا يمكن أنْ تبعَّض، مضافاً إلى أنّ إثبات العصمة في مجالين معيّنين دون بقية المجالات يستلزم نسبة الجَّبْر إلى الذّات الإلهيّة من حيث إنه عزّ وجلّ . طبقاً لهذا الإعتقاد الباطل . عصَمَهُم في مجالي تلقّي الوحي والتّبليغ دون البقيّة، وقد قامت الأ دلّة القطعيّة على استحالة ذلك، ولا أدري كيف يتجرّأ

بعض أهل العلم بإلصاق عدم العصمة بساحة الأنبياء والأولياء عليهم السّلام في آرائهم الشخصيّة والتشخيصات الخارجيّة؟ وهذا التّجرُّؤ ينمّ عن قلّة ورع ومعرفة بمقامات الأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم أجمعين، ح تى ولو صدر من عالِمٍ مرموق أو آخر مشهور، إذ الحقّ لا يُقاس بالرّجال وإنما الرّجال تُقاس بالحقّ .

فالفصل بين مقام وآخر في مقام الإستدلال على العصمة،خلاف إطلاقات الأدلّة،ومن ادّعى ذلك، عليه البيّنة،وحسب تتبُّعي للمسألة لم نستهدِ على دليل لهم لهذه الدّعوى .

وأمّا النّاحية الثانية : لا إشكال في وجوب إطاعتهم في الأحكام الشّرعيّة المتعلِّقة بأمور التبليغ وحرمة مخالفتهم، وهذه قضيّة قياساتها معها، إذ بعد العلم بأنّ الأحكام الإلهيّة لا تصل إلى كلّ أحد بلا واسطة،بل لا بدّ من وسائط لنزول الفيض التشريعي إلى المكلّفين، والمتكفِّل بهذه النّاحية إنما هم الأنبياء والأوصياء سيّما نبيّنا محمّد وأهل بيته الميامين، فلا مناص حينئذٍ من وجوب إطاعته وحرمة معصيته، وهذا الوجوب وجوباً مولويّاً لا مغمز فيه على الإطلاق عند أحد من فقهاء الإماميّة، وليس فيه خلاف أصلاً، لكنّ الخلاف (لا خلاف بين الشيعة في وجوب الأخذ بأوامرهم الشخصيّة، والخارج عنهم يعتبر شاذاً أمثال الصّدوق والمرتضى والطبرسي الذين قالا بجواز النسيان في غير التبليغ، أما فقهاء العامّة فالمسألة من الواضحات عندهم بجواز الجهل والنسيان بل المعصية على الأنبياء قبل التبليغ، فتأمّل) في الجهة أو النّاحية الأخرى المتعلِّقة بغير التبليغ الرّاجعة إلى صدور الأوامر الشّخصيّة

من قبَلِهم عليهم السّلام وهل تجب إطاعتهم فيها أو لا؟ الحقّ هو الأوّل من حيث إنّ وجوب إطاعتهم في الأمور الشّخصيّة متفرّع على وجوب عصمتهم عن الخطأ في التّشخيص والخطل في الرّأي والسَّفَه في الأمور،فلمّا كانوا منزَّهين عن كلّ ذلك، إستلزم القول بعصمتهم ووجوب الأخذ بآرائهم وأفكارهم في غير الأمور التبليغيّة إلاّ إذا قامت القرينة على عدم الوجوب كما هو حاصل في الأوامر الإرشاديّة في الأحكام الشّرعيّة .

ونستدلُّ على وجوب طاعتهم في أوامرهم الشّخصيّة والّتي من خلالها نُثبت عصمتهم فيها بما يلي:

١. إذا وجب إطاعة الوالدين النّسبيَّين في الأمور الشّرعيّة أو المباحة دون المحرَّمة والمحظورة لكونهما سبب وجود الولد بالعلّة الإعداديّة، فوجب بطريق أولى إطاعة الوالدين الرّوحيَّين لعلّة إفاضة الوجود على الولد ووالديه ببركتهم عليهم السّلام ولكونهم أولياء النِّعَم، وشكر المنْعِم واجب عقلاً وشرعاً، فيجب شكر الوالدين الرّوحيّين، والشّكر لا يتمّ إلاّ بالمعرفة والطّاعة، فيجب شكرهما وإطاعتهما مطلقاً سواء في الأمور التبليغيّة أو غيرها، والإطاعة المطلقة تستلزم العصمة المطلقة،فلمّا كانت إطاعتهم مطلقة إستلزم ذلك كونهم معصومين مطلقاً، إذ حاشا لله تعالى أن يأمر بالإطّاعة المطلقة لمن لم يكن معصوماً مطلَقاً، كما أنّ العصمة المطْلَقَة تستلزم الإطاعة المطْلَقَة إلاّ ما قام على خلافه الدّليل .

٢ . دلالة جملة من آيات القرآن الكريم على المطلوب منها:

أ . **الآية الأولى** :قوله تعالى : ﴿**يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم فإنْ تنازعنم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول إنْ كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخِر ذلك خير وأحسن تأويلاً** ﴾ (النّساء/٥٩) .

قد دلَّت الآية المباركة على وجود إطاعتين، واحدة لله تعالى إستقلالاً وأخرى للرّسول وأولي الأمر تبعاً وعرضاً، ولا يعني ذلك أنّ ما يأمر به النّبيّ وأولو الأمر غير ما أمر به الله جلّ وعلا، بل هو عين ما يأمر به تعالى، فكلٌّ منهم بعنوانه واج ب الإطاعة ومفترض الطّاعة، ولا ريب في أنّ طاعة الرّسول وأولي الأمر هي طاعة لله تعالى لأنّ الله تعالى هو المشرِّع لوجوب إطاعتهم كما قال تعالى : ﴿**وما أرسلنا من رسول إلاّ ليُطاع بإذن الله** ﴾ والله لا يريد بإطاعته إلاّ إطاعته فيما يوحيه إلينا من طريق رسوله من المع ارف والشّرائع، وأمّا رسوله فله حيثيتان:

إحداهما: حيثية التّشريع بما يوحيه إليه ربّه غير الكتاب، وهو ما بيّنه للنّاس من تفاصيل ما يشتمل على إجماله الكتاب كما قال تعالى : ﴿**وأنزلنا إليك الذِّكْرَ لتبيّن للنّاس ما نزل إليهم**﴾ (النّحل/٤٤).

والثّانية: ما يراه من صواب الرّأي في كلّ شؤون المكلّفين وما يرتبط به مصيرهم، وهو ما نعبِّر عنه بفصل القضاء في الأمور لقوله تعالى : ﴿**وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكَّلْ على الله** ﴾ (آل عمران/١٥٩)، وأمّا قضاؤه في الأحكام الشّرعيّة فهو حاصل له لكونه من صلب مهامه ووظائفه لقوله

عالى: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾ (الأحزاب/٣٦)، وقوله تعالى: ﴿**لتحكم بين الناس بما أراك الله**﴾ (النساء/١٠٥) .

وتكرار الأمر بالإطاعة إشارة إلى ذلك، فإطاعة الرّسول عين إطاعة الله عزّ شأنه فيما أمر به نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم بالوحي والتشريع، أمّا أولوا الأمر فهم وإنْ كانوا ليسوا بأنبياء مشرِّعين بحسب الظّاهر . إلاّ أنهم يملكون مقتضيات النّبوّة واقعاً لمصالح اقتضت ذلك والّتي منها ضيق الزّمن الّذي هم فيه وكونه آخر الأزمنة استدعى عدم نزول شريعة عليهم أو لعلّ المراد أنّ الله سبحانه وتعالى أراد أنْ يكرمَ جدّهم محمداً فخصَّه بختم الشّرائع تمييزاً له عن بقيّة أولي العزم، فخُتِمَت به النُّبوّات الطّاهرة وبقي باب الفيض مفتوحاً بوجود الحجّة المهديّ المنتظر عجلّ الله تعالى فرجه الشّريف . لكنّهم عليهم السّلام أولياء مسدَّدين بالوحي التسديدي والأمر الرّباني، فشأنهم الرّأي الذي يستصوبونه، فلهم . حسب الفهم التقليدي لمفسِّري الشّيعة . إفتراض الطّاعة نظير ما للرّسول في رأيه وقوله ولذلك ذكر وجوب الرّد والتّسليم عند المتاجرة ولم يذكرهم، بل خصّ الله ورسوله، إلاّ أننا نرى أنّ عدم وجوب الرّد والتسليم إليهم عند المشاجرة ليس لأنهم لا نصيب لهم من التّشريع كما أفاد السيّد الطباطبائي رحمه الله بل لأنّ وجوب الرّد والتسليم راجع إلى الله والرّسول المطلق والّذي يشملهم بلا ريب لك ونهم مرسَلين من قِبَل الله تعالى، من هنا نحكم بوجوب الردّ إليهم والتسليم لأمرهم حال المنازعة وعدمها، لذا فإنّ مفسِّري الإماميّة أجمعوا على أنّ الله لا يُظهِر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى

من رسول، وأئمّة آل البيت عليهم السّلام هم من ارتضاهم المولى لرسالته والإطلاع على غيبه .

إنْ قيل: إنّ تفسيركم للرسول بمطلق المبعوث من قِبَل الله تعالى يتعارض مع قرينة قوله:﴿**أولي الأمر**﴾ الواردة في الآية، فعلام جعلتموهما معنىً واحداً؟.

قلنا: إنّ كون أولي الأمر هم أنفسهم الرّسول المطلق لقوله تعالى : ﴿**من يُطِعِ الرّسول فقد أطاع الله** ﴾ ﴿**وإذا قضى الله ورسوله أمراً ...**﴾ لا يلغي دور ولايتهم عليهم السّلام على الأمور تمييزاً لهم عن غيرهم ممّن يدّعي الولاية لنفسه بعد رسول الله محمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم، فحيث إنّ أهل البيت عليهم السّلام نفس النّبيّ محمّد بمقتضى آية المباهلة، دلّ ذلك على أنّ لهم حيثية الرّسالة وولاية الأمر وحيثية الولاية أرقى من حيثية الرِّسَالة، وفي حال اقتصرنا على الحيثية المحمَّديَة في بيان الأحكام عند التنازع فإنه يستلزم إلغاء دور الأئمّة رُسُلُ الله في بيان تلك الأحكام والرّجوع إليهم حال المنازعة، بل يصبح الأمر بالرّجوع إليهم إرشاديّاً لا مولويّاً، إلاّ إذا قلنا بأنّ الرّجوع إليهم رجوعٌ إلى الله ورسوله باعتبار ما ملَّكَهم الله من أحكام ومعارف أراد لهم أن يبلّغوها للنّاس كلٌّ في زمانه المخصوص لعدم قدرة النّبيّ على بيانها إلى يوم القيامة لقصر عمره الشّريف حسبما شاءت الحكمة الإلهيّة لبيان دور الأئمّة عليهم السّلام من بعده .

وعليه؛ فلم يكن لأولي الأمر غير ما كان لله ورسوله من الحكم، لذا لم يذكرهم الله سبحانه ثانياً عند ذكر الرّد بقوله : ﴿**فإنْ تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول** ﴾ فلله تعالى إطاعة واحدة، وللرّسول وأولي الأمر

إطاعة واحدة لذلك قال:﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم**﴾ . فإطاعتهم إطاعة للرّسول فيما يبدونه وما يرونه هو بعينه ما يبدو عند الرّسول ويراه لا يختلف عنهم بشيء، ولا يختلفون عنه برأي أو حكم أو تشخيص، وهذا عين ما أراده المولى عزّ وجلّ بلا ريب أو إشكال .

كما لا ينبغي أن يشكّ أو يرتاب أحد في أنّ هذه الإطاعة المأمور بها في قوله تعالى : ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول** ﴾، إطاعة مطلقة غير مشروطة بشرط، ولا مقيَّدة بقيد، وهو بدوره دليلٌ على أنّ الرّسول لا يأمر بشيء ولا ينهى عن شيء يخالف حكم الله جلّ وعلا في الواقعة وإلاّ كان فرض طاعته تناقضاً م نه تعالى، ولا يتمّ ذلك إلاّ بعصمة فيه صلّى الله عليه وآله وسلَّم فطاعة أولي الأمر عليهم السّلام واجبة مطلقاً بحكم الإلتحام بين طاعتهم وطاعة الرّسول الّتي تعني طاعة الله تعالى، وبهذا تكون الآية دالّة على عصمة أولي الأمر لاقتران طاعتهم بطاعة الله ورسوله، وحيث لا يجوز على الرّسول أنْ يأمر بمعصية أو يخطئ في حكم أو يشتبه في مسألة، ولو جاز شيء من ذلك لجاز على أولي الأمر، وبما أنّ الأمر بإطاعة الرّسول مطلقة، كذا الأمر بإطاعة أولي الأمر من غير تقييد بحيثيةٍ دون أخرى، ولازمه اعتبار العصمة في جانب أولي الأمر كما اعتبر في جانب رسول الله من غير فرق لكون إطاعتهم معطوفة على إطاعة الرّسول من دون تكرار ﴿**أطيعوا**﴾ .

وثمة تفاسير أخرى تطبّق أولي الأمر على الأمراء والحكّام أو خلفاء الجّور بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم أو العلماء وهذا يلتقي مع نظريّة ولاية الفقيه التي يعتقد بها بعض الشّيعة بدعوى أنّ أولي الأمر هم أهل الحَلِّ والعقد فهم وإنْ كانوا غير معصومين يتعرّضون للخطأ غير أنهم لما كانوا عصابة فاضلة خبيرة بالأمور مدرّبين مجرّبين يقلّ خطؤهم جدّاً، وإنّ الأمر بوجوب طاعتهم مع كونهم ربّما يغلطون ويخطئون من باب المسامحة في موارد الخطأ نظراً إلى المصلحة الغالبة في مداخلتهم، فلو حكموا بما يغاير حكم الكتاب والسُّنة، ويطابق ما شخصوه من مصلحةالأمّة بتفسير حكم من أحكام الدّين بغير ما كان يُفَسَّر سابقاً أو تغيير حكم بما يوافق صلاح الوقت أو طبع الأمّة، وحسبما ادّعى صاحب فجر الإسلام: إنّ للخليفة أن يعمل بما يخالف صريح الدّين حفظاً لصلاح الأمّة .

يرِدُ على هذه التّفاسير:

أولاً: أنها توجب على المسلمين أن يطيعوا كلّ أميرٍ أو حاكمٍ ظالمٍ أو عالمٍ فاسقٍ، وكلّ حكومةٍ وسلطةٍ مهما كان شأنها ولونها، وهذا لا يتناسب ومفهوم الآية و روح التّعاليم الإسلاميّة بحال، إذ لايمكن أن تقترن طاعة كلّ حكومة . مهما كانت طبيعتها . من دون قيد أو شرط بإطاعة الله والنّبيّ، وكذا يستحيل الأمر بإطاعة الظّالمين والفاسقين مهما كانت أشكالهم وتوجّهاتهم .

ثانياً: إنّ الإطلاق في الآية يوجب إطاعة أولي الأمر من دون قيد أو شرط، فتقييد إطاعة الحكّام والعلماء فيما لا يسخط الله تعالى خِلاَف

الإطاعة المطلقة الدّالة على عصمة أولي الأمر، فتخصيص الإطاعة بجهة ما، يُعْتَبَر خروجاً عن الإطلاق من دون دليل لفظي . هذا مضافاً إلى أنّ الحكَّام والعلماء معرَّضون للخطأ والإنحراف عن جادَّة الحقّ لكونهم غير معصومين ذاتاً، فلا تجب حينئذٍ طاعتهم بل يحرم ذلك، في حين توجب الآية الشّريفة إطاعة أولي الأمر بنحو مطلق كإطاعة النّبي، مع التأكيد على أنّ إطاعة الحكّام والعلماء إنما هي في الأحكام التي يستفيدونها من الكتاب والسنة، وعليه فلا تكون إطاعتهم شيئاً غير إطاعة الله وإطاعة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلَّم فلا حاجة إلى ذِكْرِها بصورة مستقِلَّة .

ثالثاً: إنّ الآية فيها دلالة قطعيّة على عصمة أولي الأمر، ولا عصمة في هؤلاء الطّبقات سواء كانوا علماء أو حكّاماً وأمراءً بِلاَ إشكال إلاّ ما نعتقده نحن الإماميّة في حقّ مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه أفضل الصّلاة والتسليم وأبنائه الميامين من العصمة اللاّزمة لهم بحكم هذه الأية . الّتي حدّد مصاديقها رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم . والأدلّة القطعيّة الأخرى .

وبهذا يندفع ما تصوَّره بعض من التزم بولاية الفقيه العامّة من حيث إنّ إطاعة مطلق الفقيه الجّامع للشّرائط . سواء أكان يقول بالولاية أم لا . إنما تكون واجبة في ظلّ شروط معيّنة وفي مجال استنباط الحكم الشّرعي من الأدلّة المقرَّرة بالإضافة إلى وجوب إطاعته في الأمور الحسبيّة وال قضائيّة فيما لو كانت موافِقة لمواصفات الإستنباط المحدَّدة، ولا تجب إطاعة الفقيه أو ما يسمُّونه . بالوليّ الفقيه . لكونه من أولي الأمر بل لكونه نائباً عامّاً . كغيره من

الفقهاء الّذين لا يلتزمون بالولاية العامّة . ووكيلاً عنهم . هذا مضافاً إلى أنَّ توَلِّي أحد ما لبعض المناصب الإداريّة أو الفقهيّة من قِبَل الأئِمَّة عليهم السلام لا يوجِب له العصمة والإطاعة المطلقة حتى في موارد الخطأ والإستبداد بالرّأي .

ولا أدري كيف يطرح أصحاب هذه النّظريّة أنفسهم قادةً على الأُمَّة وأنّ أفكارهم صحيحة مائة بالمائة في حين يستنكرون ع لى الآخرين استبدادهم بآرائهم وأفكارهم وأطروحاتهم؟ ! فعلامَ يستنكر هؤلاء على مشروع العولمة وعلى التفرُّد ببعض السّلطات من قِبَلْ جهات أخرى؟ ! ألأَنَّ الآخرين لا يملكون تلك العقول التي يمتلكها هؤلاء؟ أم لأنهم يملكون إيماناً أعمق من إيمان الآخرين وإسلاماً أفضل من إسلام أولئك؟!! .

إنّ استبداد الفقيه بأمور التشريع وامتلاكه الصّلاحيّة ليقلب الموازين بحجّة الولاية لم نعهده في سيرة أئمّة آل البيت عليهم السّلام، اللّهم إلاّ ما ورد في سيرة خلفاء الجَّور بعد رحيل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم.

إنّ الرّسول والأئمّة لا يملكون من الولاية إلاّ المقدار الّذي ملَّكَهم الله إياه، لم يتخطّوه قيد أنمُلة، فليس بمقدورهم أن يقلبوا الحلال إلى الحرام والحرام إلى حلال ﴿**لو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأَخَذْنا منه باليمين ولقطَعْنا منه الوتين**﴾ (الحاقة/٤٤)﴿**إنْ هو إلاّ وحيٌ ي وحى**﴾(النجم/٤) وللحديث الشريف:(حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة) .

مضافاً إلى أنّ ولايتهم لم تتخطَّ العناوين الأوّلية مع أنه بإمكانهم تغيير العناوين الأصليّة إلى ثانويّة ولكنّهم لم يفعلوا حتى لا تكون سُنَّة وعادة جارية يقلّدهم فيها من شاءت نفسه ذلك، من هنا لم يمنع أمير المؤمنين عليّ بن

أبي طالب عليهما السّلام الماء عن جند معاوية حينما سيطر على ضِفَّة النّهر في حرب صفين، ولو فعل لكانت المعركة لصالحه، وكذا لم ينكث الإمام الحسن (عليه السلام) عهده مع معاوية وهو يعلم أنّ الثاني سينكثه وقال (عليه السلام) كلمته المشهورة: (**إنّ الإسلام قيد الفتك**) وهكذا لم يهادن الإمام الحسين بن علي عليهما السّلام معاوية ولو تقيّةً لكون ذلك يؤدّي إلى أضرار جسيمة على هيكلية التشريع الإسلامي وصلابته .

بل إنّ مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه وهو السّفير الخاصّ للإمام الحسين (عليه السلام) لم يقلب العنوان الأوّلي إلى ثانوي حينما لم يغدر بعبيد الله بن زياد لما دخل لعيادة هانئ وتذكّر كلمة الإمام الحسن بن علي عليهما السّلام: "الإسلام يقيّد الفتك " كان بإمكان هؤلاء أن يفعلوا ما يفعله اليوم الفقهاء تحت عنوان الولاية والنّيابة عن الإمام المهدي ا لم نتظر عجّل الله تعالى فرجه الشّريف .

رابعاً: إنّ حصر أولي الأمر بالطّبقات المذكورة أو التعدّي من المورد المتيقَّن إلى المشكوك مشكل وغير جائزٍ، بل يُعتبر ذلك تعدّياً عن مورد الدّليل المتيقَّن، وتعميماً للولاية المخصوصة بالأئمّة إلى غيرهم، وهو سلبٌ لحقوقه م الخاصّة بهم، وسلب هذا الحقّ يُعتبر تقمُّصاً لم يسمح به الله عزّ وجلّ، من هنا اعترض أمير المؤمنين (عليه السلام) على أبي بكر الّذي تقمّص ولايتهم العامّة، بقوله (عليه السلام): " لقد تقمّصها إبن أبي قحافة، وهو يعلم أنّي منها كمحلّ القطب من الرّحى ..."، فدعوى الولاية العامّة للفقيه ه ي كتقمّص أبي بكر لولاية الأئمّة الأطهار عليهم السَّلام .

وبهذا يتبيّن أنّ أولي الأمر هم الأئمّة المعصومون الّذين أُنيطت بهم قيادة الأمّة الإسلاميّة المادية والمعنويّة في جميع حقول الحياة من جانب الله تعالى حيث فوَّض إليهم أمر الخليقة يرعونها بإشارته وق درته عزّ وجلّ، والسرّ في ذلك طهارتهم وعصمتهم عليهم السّلام، [إرادة الربّ في مقادير أموره، تهبط إليكم، وتصدر من بيوتكم] .

إشكال ودفع:

قد يُقال إنّ إطاعة أولي الأمر عليهم السّلام راجِعَة إلى جهة الإمامة دون الّتي ترجع إلى ذواتهم وشؤونهم، وكذا الأدل ة الأخرى الدّالة على وجوب إطاعتهم إنما تدلّ على ذلك من جهة إمامتهم لا ذواتهم المقدَّسة .

والجّواب:

إنّ الأدلّة الدّالة على وجوب إطاعتهم مطلقة سواء من جهة إمامتهم أو شؤونهم الخاصّة، فالتقييد بجهة دون أخرى بلا وجه يتعبر تخصيصاً من دون مخصِّص؛ نعم، جهة الإ مامة من الجّهات التعليليّة لا من الجّهات التقليديّة وإنّ كونهم أئمّة أوجبت وجوب إطاعتهم في جميع الجّهات.

وبالجّملة لا شبهة في دلالة الأدلّة على وجوب إطاعة أوامرهم الشّخصيّة وعدم تقييدها بجهة الإمامة .

الآية الثانية:

ب . ومن الآيات الدّالة على وجو ب إطاعتهم في كلّ شيء قوله تعالى :
﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾ (الأحزاب/٣٦) .

نزلت الآية المباركة في قصّة زيد بن حارثة عندما خطب له النّبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم بنت عمّته زينب بنت جحش فاستنكرت هي ذلك وكذلك أخوها عبد الله، فلمّا نزلت الآية قالت : رضيت يا رسول الله، وجعلت أمرها إلى رسول الله وكذلك أخوها .

وليست القضيّة قضيّة شخصيّة فقط، بل الظّاهر أنها كانت اجتماعيّة إذ المورد لا يخصّص الوارد، لاسيّما بعدما طلقها زيد وتزوّجها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وكان زواجه صلّى الله عليه وآله منها لإزالة عادتين خرافيّتين من عادات الجّاهليّة:

إحداهما: الإشمئزاز والإستنكاف من تزويج إمرأة قرشيّة لمولى من الموالي.

وثانيهما: إعتبار كون الأدعياء أبناء وكون أزواجهم في حكم أزواج البنين

ولا يخفى أنّ القضاء الوارد في الآية ليس مقتصراً على القضاء التشريعي المتعلّق بالأحكام الشّرعيّة بل يعمُّ كلّ تصرُّف في شأنٍ من شؤونهم بواسطة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وهذا التصرُّف نتيجة الولاية التي جعلها الله تعالى له بمثل قوله عزّ وجلّ : ﴿**النّبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ فيكون القضاء الرّاجع إلى الله تعالى هو التشريع، وقضاء رسوله هو التصرُّف في شؤون النّاس وأمورهم، فليس لهم أنْ يختاروا على ما قضاه صلّى الله عليه وآله وسلَّم شيئاً آخر بل عليهم أن يتبعوا إرادة الله ورسوله .

وبالجّملة: ما ثبُتَ لرسول الله ثبتُ للعترة الطّاهرة، فطاعتهم طاعة له صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وقضاؤهم قضاؤه صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وحكمهم عليهم السَّلام ولو بما يرجع إلى شخصهم وشؤونهم من جملة القضاء الوارد في الآية، فتجب إطاعة النبي وإطاعتهم عليهم السَّلام في كلّ ما يأمرون به ممّا يستلزم حجيّة كلّ ما يأمرون به وينهون عنه .

ج . الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿**إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ لتحكم بين النّاس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً**﴾ (النّساء /١٠٥) .

ومضمون الآية: إنّ الله تعالى أنزل إليك الكتاب وعلَّمك أحكامه وشرائعه وحكمه لتضيف إليها ما أوجد لك من الرّأي وعرَّفك من الحكم بين النّاس، وترفع بذلك اختلافاتهم (٤٤).

ولا يمكن أن نقصر الحكم بين النّاس على القضاء في مخاصماتهم ومنازعاتهم ممّا يرجع إلى الأمور القضائيّة ورفع الإختلافات بالحكم، بتقريب أنّ إطلاق الحكم بين النّاس يشمل جميع الشّؤون ويعمّ المسلمين وغيرهم أيضا، فالآية بعمومها تدلّ على جعل حقّ الحكم لرسول الله والحجّية لرأيه ونظره "فإنّ الحكم وهو القطع في القضاء وفصل الخصومة لا ينفكّ عن إعمال نظر من القاضي الحاكم وإظهار عقيدة منه، مضافاً إلى ما عنده من العلم بالأحكام العامّة والقوانين الكليّة في موارد الخصومة، فإنّ العلم بكليّات الأحكام

وحقوق الناس أمر، والقطع والحكم بانطباق مورد النّزاع على بعضها دون بعض أمر آخر[٤٥] " .

ففي الآية دلالة على حجّية أقوال النّبي بما أعطاه من قوّة على فهم القضايا والأمور وما حباه به المولى من إيجاد الرّأي الثاقب وبُعد النّظر والتعمّق في الأمور قبل الإقدام عليها والدّخول فيها، وكلّ هذا يستلزم صوابيّة أفكاره ممّا يعني مصونيّته عن الخطأ والجّهل .

د . الآية الرّابعة:

قوله تعالى : ﴿**إنما المؤمنون الّذين آمنوا بالله ورسوله، وإذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ لم يذهبوا حتى يستئذنوه إنّ الّذين يسئذنونك أولئك الّذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استئذنوك لبعض شأنهم فأْذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إنّ الله غفورٌ رحيم، لا تجعلوا دعاءَ الرّسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الّذين يتسلّلون م نكم لواذاً فليحذر الّذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾ (النّور/٦٢ . ٦٣) .

تشير الآية الأولى على أنّ لرسول الله مضافاً إلى منصب الرّسالة منصب القيادة والإمامة في كلّ الأمور السّياسيّة والإجتماعيّة والإقتصاديّة والأخلاقيّة والتربويّة، وإنّ الواجب على الأمّة رعاية هذه الجّهة أيضاً .

والآية الثانية تشير إلى وجوب إطاعته في أوامره وحرمة مخالفته، وهي أوامر مولويّة صادرة عنه صلّى الله عليه وآله وسلَّم من خلال ولايته على الخلق ،

وليست أوامر إرشاديّة في مقام بيان أحكام الله تعالى، لأنها في الحقيقة أوامر الله تعالى لا أوامره صلّى الله عليه وآله وسلَّم .

والآيتان تشيران إلى أنّ حقيقة العبد المؤمن هي أن يمتثل الأوامر الصّادرة من النّبي ولا يخالفه في أمر ما، لأنّ في مخالفته إصابة الفتنة والوقوع في المزالق والمخاطر وفي ذلك عذاب أليم .

كما أنّ الآية الأولى أشارت إلى وجوب تفخيم النبي في المخاطبة بأنْ يقولوا مثلاً: "يا رسول الله" ولا يقولوا: "يا محمّد" والتفخيم لشخصه الكريم دلالة واضحة على مدى اهتمام الذّات الإلهيّة برسول الله حيث كان فضله عليه عظيماً، ومن كان كذلك هل يتصوَّر فقيهٌ صدور الخطأ في تشخيص رسول الله في أحكامه وأوامره الشّريفة ؟! .

وهكذا بقيّة الأئمّة فحيث أنهم نفس رسول الله بالفضائل والدّرجات العلميّة والكماليّة فلا يمكن أن يتطرَّق إلى أفكارهم وآرائهم الفساد والخطأ، كما يجب على المؤمنين أن يفخِّموا ذواتهم المقدَّسة المباركة حسبما أمر الله عزّ شأنه بالنّسبة إلى رسول الله محمّد، من هنا أكَّدت الأخبار على ذكر الأئمّة بألقابهم الشّريفة، ويظهر من بعضها الوجوب لاسيّما فيما يتعلَّق بمولانا وسيّدنا الإمام الحجَّة القائم عليه السلام حيث أمرت تلك الأخبار بوجوب القيام عند ذكر لقبه الشَّريف "القائم" وحرمة ذكر اسمه الشّريف . لا من باب الحمل على الغيبة الصغرى فحسب، وإنما لخصوصيّة التعظيم. كلّ ذلك للتأكيد على أنه نفس رسول الله، فإذا وجب تفخيم النّبي بذكر لقبه الشّريف دون الإسم مجرَّداً، وَجَبَ أيضاً تفخيم العترة الطّاهرة فلا تُذْكَر إلاّ مقرونة بألقابهم الشَّريفة، فتأمَّلْ .

هـ. الآية الخامسة:

﴿وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم فسْأَلوا أهل الذّكر إنْ كنتم لا تعلمون﴾ (النّحل/٤٣) .

لقد أمر الله تعالى العباد أن يسألوا أهل الذّكر وهم آل محمد عليهم السَّلام، فنحن السّائلون، وهم المسؤولون ، وقد ورد ذلك في أخبار العترة الطاهرة عليهم السّلام، ولا يقتصر السّؤال منهم على الأمور الدّينيّة فحسب بل يعمّ كل ما له علاقة بشؤون الدّين والدّنيا، ويشمل كلّ المعارف والعلوم سواء المتعلّقة بالمعارف النّظريّة أو التطبيقيّة والتجريبيّة وما شابه ذلك، فأهل الذّكر في مقابل أهل الجّهل والنّسيان والخطأ، لا يمكن أن يتطرَّق إليهم الجّهل في علم ما أو في عمل ما يتعلّق بالكائن الحيّ، لكونهم عليهم السّلام قبلة المعرفة بل قطبها ودائرتها، فلا يخفى عليهم سرُّ حِرْفة أو صنعة أو إختصاص بميدان من ميادين الحياة، وإلاّ لعُدَّ الرّجوع إليهم عبثاً يتنزَّه عنه المولى عزّ وجلّ من حيث إنّ حذف المتَعلَّق بأهل الذّكر وكذا المتعلّق بما لا تعلمون يفيد العموم والإرسال في إفادة التعليم منهم لمن لا يعلم على نحو الشّمول والإطلاق .

فالآية الشّريفة تفيد تعلُّق ذوات أهل الذّكر بالله تعالى الّذي جعلها منبع فيضه وخزانة سرِّه ومهبط وحيه فلا يتطرَّق إلى ساحتها عدم أو فناء لإتصالها بالحياة السّرمديّة للذّات الإلهيّة، فصارت يده التي يبطش بها، وعينه الّتي يرى بها، ولسانه الّذي ينطق، وأذنه التي من خلالها يسمع، ومَن كانت صفته ما

ذكرنا كيف يصحّ نسبة الجّهل إليه بالموضوعات الصَّرْفَة عدا عن الأحكام قبل البعثة؟! .

والآية السَّادسَة:

قوله تعالى: ﴿**إنّما يريد الله ليُذهِبَ عنكم الرّجس أهل البيت ويطهِّرَكم تطهيراً**﴾ (الأحزاب/٣٣) .

دلَّت الآية الشّريفة على الطّهارة العامّة المعنويّة والماديّة لأه ل البيت عليهم السَّلام وذلك لقرينتين:

الأولى: إذهاب الرّجس عنهم عليهم السَّلام، ونعني به **دفع الرّجس لا الرّفع**، والفرق بينهما واضح من حيث إنّ الأوّل مرفوع عنهم من الأصل، والثّاني كان ثابتاً ثمَّ رُفِع، وهذا . أي الرّفع .غير جائز لِمَا يترتَّب عليه من نسبة الجّبر في الأفعال الإلهيّة، وفي أفعالهم أيضاً، وكلّ ذلك منفيٌّ بدلالة العقل والنّقل لاستلزامه نفي الثّواب والعقاب والجنّة والنّار والحُسْن والقبح العقليَّيْن.

الثانية: التطهير العام بكلّ مراتبه حتى ترك الأوْلى والقذارة الماديّة لما قد يتصوّره البعض من أنّ الآية نفت عنهم الرّجس المعنوي فقط،فجاء التطهير مؤكّداً لإذهاب الرّجس بحيث يشمل نفي الطّبيعة بعامّة مراتبها، وليس المنفي هو نوع الرّجس ولا صنفه، بل جنسه وهو بدوره يلازم نفي الطّبيعة، ولأجل ذلك لم يكتفِ سبحانه بقوله :﴿**ليُذهب عنكم الرّجس**﴾ بل أكّده بقوله: ﴿**ويطهركم تطهيراً**﴾ ولو كان المراد نفي قسم خاصّ من الرّجس . أي

النّجاسة المعنوية كالشّرك والكفر والمعاصي وما شاكل ذلك . لَمَا كان لهذه العناية وجه .

وبالجّملة: فالآية تفيد العصمة المطْلَقَة ﴿**ليذهِبَ عنكم الرّجس**﴾ والطّهارة المطلقة ﴿**ويطهّركم تطهيراً**﴾؛ والعصمة تفضُّل من الله عزَّ شأنه على من علم أنه يتمسَّك بعصمته، وهي بهذا المعنى نوع من العلم المفاض منه عزّ شأنه على من اختاره الله سبحانه فيمنعه عن ارتكاب المعصية أو الوقوع في الخطأ، بل ويردعه عن التفكير في كلّ ذلك، فضلاً عن العمل، وذلك أثر العلم وخاصرّيته؛ فإنّ العلم النّافع والحكمة البالغة يوجبان تنزُّه صاحبهما عن الوقوع في المهالك والتلوّث بأقذار المعاصي، وذلك ما نلاحظه في رجال العلم والحكمة من أهل الدّين والتقى، غير أنّ سببيّة العلم العادي سببيّة غالبيّة لا دائميّة،

وبعبارة أخرى: إنّ العلم مقتضٍ للتّنزُّه عن المعاصي، كما هو شأن سائر الأسباب الموجودة في عالم المادّة، من هنا فكلّ متلبّس بالكمال يحجزه ذلك الكمال عن النّقص ويصونه عن الخطأ حسب قوّته وشدّته .

هذا هو شأن العلم وأثره، غير أنّ القوى الشّعوريّة والغريزيّة الأخرى ربّما توجب مغلوبيّة العلم وتنفي أثره، أو توجب ضعفه، فصاحب ملَكَة التقوى . مثلاً . ما دام يشعر بتلك الفضيلة ويخضع لتلك الملَكَة فهو لا يميل إلى شهوة غير مرضية، وإنما توجب أن يجري صاحبها على مقتضى تقواه، غير أنّ اشتعال نار الشّهوة، ربّما أوجَبَ غلبة الشهوة على ذلك الشّعور الدّيني ، فلا يلبث دون أنْ يرتكب ما لا ترتضيه التقوى، وعلى هذا النّمط يكون حال سائر الأسباب الشّعوريّة في الإنسان فهو لا يحيد عن حكم سبب ومقتضاه

ما دام ذلك السَّبب قائماً على قدم وساق، وما دام الإنسان يخضع له ويعيش في جوّه إلاّ إذا غلبته سائر القوى البشريّة الأخرى، فهناك يسقط تأثير السَّبب المغلوب وينساق الإنسان مع مقتضى السَّبب الغالب .

نعم، شتان ما بين العلم العادي الّذي يحجز صاحبه عن ارتكاب الرّذائل وبين العلم المفاض من الله الملك الحنّان إلى أوليائه، فإنّ الثاني سبب علمي غير مغلوب البتة، ولو كان من قبيل ما هو متعارف من أقسام الوعي والعلم، ومن الأنواع المألوفة من الشّعور والإدراك لتسرَّب إليه التخلُّف، فهذا العلم الّذي يصون حامله عن ارتكاب المعاصي والخطايا يغاير سائر العلوم والإدراكات العاديّة المألوفة التي تحصل بالإكتساب والتعلُّم، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿**وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلَّمَك ما لم تكن تعلم**﴾ (النساء/١١٣) فإنّ قوله تعالى: ﴿**وعلَّمَكَ ما لم تكن تعلم**﴾ بقرينة عطفه على نزول الكتاب والحكمة، يفيد بأنّ للنّبي علماً مفاضاً منه عزّ وجلّ، مضافاً إلى العلم والحكمة اللذين أُنزلا عليه . وهو خطاب خاصّ لا نفقهه حقيقة الفِقه إذ لا ذوق لنا في هذا النّحو من العلم والشّعور غير أنّ الّذي يظهر لنا بعض الظهور من سائر كلامه تعالى بعض الظّهور كقوله تعالى: ﴿**قل من كان عدوّاً لجبريل فإنه نزله على قلبك**﴾ (البقرة/٩٧)، وقوله: ﴿**نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين**﴾ (الشعراء/١٩٤)، إنّ الإنزال المذكور من سنخ العلم، ويظهر من جهة أخرى أنّ ذلك من قبيل الوحي والتكليم كما يظهر من قوله : ﴿**شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً والّذي أوحينا إليك وما وصّينا به**

إبراهيم وموسى وعيسى ﴾ (الشورى/١٣)، وقوله: ﴿**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنّبيّين من بعده**﴾(النساء/١٦٣)، وقوله: ﴿**إنْ أتبع إلا ما يوحى إليّ**﴾ (الأنعام/٥٠) فالمراد بالإنزال هو وحي الكتاب والحكمة، وهو نوع تعليم إلهي لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم غير أنَّ العلم المفاض المشار إليه بقوله: ﴿**وعلّمَكَ ما لم تكن تعلم** ﴾ يختلف عمَّا علمه بوحي الكتاب والحكمة، فإنّ مورد الآية قضاء النّبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم في الحوادث الواقعة والدّعاوى التي تُرفع إليه برأيه الخاصّ، وليس ذلك من الكتاب والحكمة بشيء وإنْ كان متوقِّفاً عليهما بل رأيه ونظره الخاصّ به .

من هنا يظهر أنّ المراد بالإنزال والتعليم في قوله تعالى: ﴿**وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم** ﴾ (النساء/١١٣)؛ نوعان اثنان من العلم: أحدهما التعليم بالوحي ونزول الرّوح الأمين على النّبي، والآخر: التعليم بنوع من الإلقاء في القلب والإلهام الخفيّ الإلهيّ من غير إنزال الملك، وهذا هو الّذي تؤيّده الرّوايات الواردة في علم النّبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم. وبهذا؛ فالمراد بقوله تعالى: ﴿**وعلّمك ما لم تكن تعلم** ﴾ أي آتاك نوعاً من العلم لو لم يهبكه من لدنه لم يكفِك في إيتائه الأسباب العاديّة التي اعت اد عليها الإنسان في اكتساب العلوم .

فالعصمة موهبة إلهيّة وهي نوع من العلم والشّعور والإدراك يغاير سائر أنواع العلم في أنه غير مغلوب لشيء من القوى الشّعوريّة، فالعصمة بهذا المعنى تمنع صاحبها من الوقوع في المعاصي بل والتفكر فيها، وقد ورد في الرّوايات والأخبار أنّ للنّبيّ والإمام روحاً تسدّده وتعصمه عن المعصية والخطيئة، وهي

التي يشير إليها بقوله تعالى :﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا**﴾ (الشورى/٥٢) بتنزيل الآية على ظاهرها من إلقاء كلمة الرّوح المعلمة الهادية إلى النّبي ونظيره قوله تعالى : ﴿**وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الزّكاة وإيتاء الزّكاة وكانوا لنا عابدين** ﴾ (الأنبياء/٧٣).

فالعصمة من مقولة العلم، وقد يبلغ العلم في الأفراد العاديّين مرتبة يوجب إيجاد العصمة في آحاد النّاس في بعض الموارد، ولذلك لا يمسّ الإنسان العاقل بيده الأسلاك الكهربائيّة ولا يلقي بنفسه أمام سّيارة متحرِّكة لعلمه بأنّ في ذلك هلاكه وموته . فلو بلغ علم الإنسان في جميع مجالات هذه المرحلة لصار معصوماً ومصوناً من كلّ الهفوات والأخطاء والم عاصي، وعاد مثالاً لقوله تعالى : ﴿**كلا لو تعلمون علم اليقين، لترونّ الجحيم، ثمّ لترونَّها عين اليقين**﴾ (التكاثر/٧.٥).

وكما تكون العصمة في الأحكام الشّرعيّة وبيانها كذا تكون في مورد تشخيص الأحكام والموضوعات وإبداء الرّأي فيها، فلا مجال للإشتباه أو الوقوع في الخطأ لأنّ من كان لله تعالى في كلّ أفعاله وأقواله كان الله تعالى له في جميع عمره من دون تخصيص بمورد دون آخر أو في زمن دون زمن. مضافاً إلى أنّ العصمة ملَكَة نفسانيّة لا يمكن تجزئتها وتبعيضها . حسبما أفدنا سابقاً ،. فتقييدها بجهة دون أخرى خلاف الملَكَة وخلا ف الإطلاق الموجود في آية

التطهير، فمن نسب إلى سيّد المرسلين وعترته الميامين الخطأ في التشخيص فقد افترى عليهم بالأمر المشين وخرج عن جادّة الحقّ المبين.

وزبدة المخض:

إنّ إرادة الله تعالى التكوينيّة تعلّقت بزوال الرّجس عن أهل البيت عليهم السّلام، وهذه ا لإرادة هي حتميّة نظراً إلى علمه تعالى باستعدادهم لاستحقاق ذواتهم المقدَّسة للطّهارة ونفي الرّجس بإفاضة العصمة عليهم، ولا يلزم من ذلك المجازفة المنافية للحكمة الإلهيّة وهي أنه سبحانه وتعالى أراد ذلك أيضاً من غيرهم بالإرادة غير الحتميّة (الإرادة التشريعيّة) كإرادته الإيمان من الناس، فالتكوينيّة لا تنفكّ عن المراد بخلاف التشريعيّة .

ولما تعلّقت إرادته الحتميّة بزوال الرّجس وبإفاضة الطّهارة المطلقة عليهم استلزم ذلك الإعتقاد بصوابيّة آرآئهم ومطابقتها للمشيئة الإلهيّة، وعليه؛ كيف يمكن الفصل بين صوابيّة ما ير تأونه من الكتاب والسنّة وبين ما يبدونه في مجال تشخيص الموضوعات وإصابة الرّأي .

إنّ الفصل بين المجالات المتعدّدة التي هي من مهام وظائفهم لكونهم القدوة الحسنة يستلزم تقسيم تلك الطّهارة المدلول عليها بالمصدر المحذوف المتعلّق والّذي فيد عمليّة التطهير والتقديس المطلق لذواتهم المقدَّسة، كما يستلزم تبعّض نفي الرّجس . حسبما أفدنا سابقاً . مع كونه مدلولاً عليه بلام الجّنس التي تفيد الإطلاق أو العموم في نفي الطّبيعة .

ولا تقتصر وظائفهم على بيان الأحكام الشّرعيّة فحسب بل تشمل كلّ ما له علاقة مباشرة أو غير مباش رة بأفعال المكلَّفين وسيرهم وعروجهم نحو الله

عزّ شأنه، كما لا تقتصر تلكم الوظائف على حالة التبليغ دون غيرها ممّا قد يسبّب الإنفصام بشخصيّة المعصوم ونسبة الجبر إلى أفعاله وتصرّفاته، وقلّ من تفطّن إلى هذا الإشكال ممن كتبوا في عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السَّلام، لذا ارتأينا جعله دليلاً برأسه ليكون علامةً فارقةً تشكّل مفصلاً في حياة المعصوم الدّاعية الأكبر إلى الله تعالى فلا اثنينيّة في تصرّفاته وأفعاله وأقواله بحسب ما فصَّلناه في تحليل ماهيّة العصمة وجوهرها .

ز . الآية السَّابعة:

قوله تعالى: ﴿**وانه لذو علم لما علّمناه ولكن أكثر النّاس لا يعلمون** ﴾ (يوسف/٦٨) .

تشير الآية المباركة إلى العلم الإفاضي الموهبي ليعقوب عليه السلام وهو يختلف بطبيعته عن العلم الإكتسابي، والطّريق إلى تحصيل الإفاضي إنما هو الإخلاص في التوحيد العبادي والأفعالي، وعليه تكون الوسيلة التي أمر بها عزّ وجلّ من ضمن السّلسلة الافعاليّة التي أمر بالأخذ بها، وبه يندفع ما قد يتصوّره البعض من أنّ التوسّل خلاف التوحيد العبادي والافعالي لله عزّ وجلّ، وذلك لأنّ التمسّك بالوسيلة الرّبانيّة يعني التمسّك بالتوحيد الأفعالي لكون الوسيلة سبباً ربّانيّاً لا بدّ من الأخذ به تماماً كمن يأخذ بالأسباب الظّاهريّة ولا يعدّ تصرّفه شرعاً وعرفاً خلاف التوحيد المذكور .

فما استفاده النّبي يعقوب عليه السلام من العلم الموهبي خلاف ما تعارف عليه أكثر النّاس ﴿**ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون** ﴾ إذ إنّ أكثرهم يتمسّكون بالأسباب العاديّة ولا علا قة لهم بالحقائق والوقائع الثابتة، ولو كان علمه

عليه السلام من صنف الإكتسابي الّذي يحكم بالأسباب الظّاهريّة ويتوصَّل إليه من الطّرق العاديّة المألوفة لعلمه النّاس واهتدوا إليه .

وقوله تعالى: ﴿**وإنه لذو علم لما علمناه**﴾ ثناء على يعقوب عليه السلام لكون ما حباه به المولى من العلم الموهبي لا يضلّ في هدايته ولا يخطئ في إصابته وهو مطلق يشمل الأحكام وإصابة الرّأي، والكلام كما يفيده السّياق يشير إلى ما تفرس له النبي يعقوب سلام الله عليه من الصبر على البلاء، وما أكنه في نفسه من حاجته ليوسف، وهي حاجة لا ينساها ولا يزال يذكرها، فمن هذه الجّهات يعلم أنّ في قوله : ﴿**وإنه لذو علم لما علّمناه**﴾ تصديقاً ليعقوب عليه السلام فيما قاله لنبيّه وتصويباً لما اتخذه من الوسيلة لحاجته فأمرهم بالأسباب، متوكّلاً على الله فقضى الله له حاجته التي أسرّها في نفسه .

فإذا ثبُتَ صحّة نسبة العلم الإفاضي إلى النّبي يعقوب عليه السلام يثبت بطريق أولى لرسول الله لكونه سيّد الرّسل والأنبياء وأفضلهم وأعلمهم وكذا ما لرسول الله هو لعترته الطّاهرة إلاّ ما أخرجه الدّليل لكونهم نفسه بنصّ آية المباهلة والأخبار والإجماع .

فمن كان ذا يقين ومعرفة بالله عزّ وجلّ من أجل تعليمه له لا يمكن أن يغيّر بتدبيره دون أن يكون لغيره تعالى فيه نصيب، لذا فإنّ آرآءهم الشّخصيّة لا يدخل غيره عزّ وجلّ فيها، ولا ولاية للشّيطان عليها، فتأمّل.

ج . **الآية الثامنة:** قوله تعالى: في شأن الوليّ الصّالح الخضر عليه السلام ﴿**آتيناه رحمةً من عندنا وعلّمناه من لدنّا علماً**﴾ (الكهف/ ٦٥) .

أشارت الآية الشّريفة إلى مسألتين عظيمتين:

الأولى: الإلهام أو الوحي لدى الخضر (عليه السلام) .

الثّانية: العلم الّلدنيّ وهو الإخبار عن الغيوب .

والمراد من الوحي هنا ليس التّسديدي فحسب بل التشريعي لكونه كان مكلّفاً بشريعة نفسه ولم يكن مأموراً بإتّباع شريعة النّبي موسى (عليه السلام) بل لكلٍّ منهما شريعة خاصّة به، فموسى (عليه السلام) مكلَّف بالظّاهر، والخضر (عليه السلام) مكلَّف بالباطن، وكلاهما تكليفان مغايران لبعضهما البعض، من هنا اعترض النّبي موسى (عليه السلام) على الخضر الولي (عليه السلام) لما خرق السّفينة وقتل الغلام وأقام الجدار . وإطلاق الرّحمة على شخصه الكريم إشارة واضحة إلى مدى العناية الرّبانيّة لهذا العبد الصّالح، لذا لا يمكن أن يتطرَّق إليه جهل أو سهو أو خطأ لا في التّبليغ ولا في تحديد الموضوعات الصّرفة، إذ كيف يتطرَّق اليه شيء من هذا القبيل وهو مبعوث إلى موسى أحبّ الخلق إلى الله تعالى؟! .

وكذا الإطلاق في نسبة العلم الّلدنيّ إليه كافٍ في تحديد ماهيّة الخضر الرّوحيّة المتّصفة بالعلم الرّبوبي المزدان بالعشق الإلهي .

فالعلوم التي حصل عليها الخضر (عليه السلام) من الله من غير واسطة، هي ردٌّ على من استنكر على الشّيعة مقالتهم بالإلهام الرّبوبي الّذي سُدّد به أئمّة آل البيت والصدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهراء عليهم السّلام، وقد عيّب عليهم بعض علماء العامّة لاسيّما أتباع إبن تيميّة (أي الوهّابيين) حيث قصروا علم الغيب على الأنبياء والمرسلين دون غيرهم من الأولياء والصدّيقين متغافلين عن الآيات الشّريفة في القرآن الكريم . والّتي منها هذه الآية . حيث أشارت إلى تعليم الله عزّ شأنه لثلّة من العباد الصّلحاء واطلاعهم على الغيب أمثال :

مريم وآسية بنت مزاحم وأمّ موسى والصدّيقة الطّاهرة فاطمة الزّهراء سيّدة نساء العالمين وآصف بن برخيا واسكندر ذي القرنين وبلعم بن باعورا .

والطّريق إلى تحصيل العلم اللّدني . بعد التوكّل على الله تعالى ومعرفة الحجج عليهم السّلام والتوسّل بهم . يتمّ بواسطة الرّياضات والمجاهدات حتى تصير القوى الحسيّة والخياليّة ضعيفة، فإذا ضعُفت قويت القوّة العقليّة وأشرقت الأنوار الإلهيّة في جوهر العقل، وحصلت المعارف وكَمُ لَتْ العلوم من غير واسطة سعي وطلب في التفكّر والتأمّل، إذا عرفت هذا نقول :

"جواهر النّفس النّاطقة مختلفة بالماهيّة فقد تكون النّفس نفساً مشرقة نورانيّة إلهيّة قليلة التعلّق بالجّواذب البدنيّة والنّوازع الجسمانيّة ،فلا جرم كانت أبداً شديدة الإستعدا د لقبول الجّلايا القدسيّة والأنوار الإلهيّة، فلا جرم فاضت عليها من عا لم الغيب تلك الأنوار على سبيل الكمال والتّمام، وهذا هو المراد بالعلم اللّدنيّ وهو المراد من قوله تعالى : ﴿**آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنّا علماً**﴾ وأمّا النّفس الّتي ما بلغت في صفاء ا لجّوهر وإشراق العنصر فهي النّفس الناقصة البليدة الّتي لا يمكنها تحصيل المعارف والعلوم إلاّ بمتوسّط بشري يحتال في تعليمه وتعلّمه، فالقسم الأوّل بالنّسبة إلى القسم الثّاني كالشّمس بالنّسبة إلى الأضواء الجزئيّة وكالبحر بالنّسبة إلى الجداول الجزئيّة، وكالرّوح الأعظم بالنّسبة إلى الأرواح الجزئيّة (٤٦)" .

فالرّحمة هي نعمة من الله تعالى يسبغها على من يشاء من عبيده، " وهذه الرّحمة منها ما تتوسّط فيه الأسباب الكونيّة وتعمل فيه كالنّعم الظّاهريّة بأنواعها، ومنها ما لا يتوسّط فيه شيء منها كالنّعم الباطنيّة من النبوّة والولاية

بشُعبها ومقاماتها، وكذا العلم من عنده حيث لا صنع فيه للأسباب العاديّة كالحسّ والفكر فهو علم وهبيّ غير اكتسابي يختصّ به أولياءه، وآخر الآيات يدلّ على أنّه كان علماً بتأويل الحوادث[٤٧]" .

إنّ دور الولاية الّذي اختُصَّ به الخضر عليه السلام بحيث صار موسى تابعاً له ليعلّمه ممّا عُلِّمَ رشداً يلقي الضّوء على حقيقة العلم الملكوتي الّذي كان يحمله الخضر، إنّه فوق علم النبوّة التّشريعيّة، فهو الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً، ولا يتوهّمنّ أحدٌ أنّ الرّحمة التي أوتيها الخضر عليه السلام هي نفسها الّتي عند رسول الله محمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم بقوله تعالى : ﴿**وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين**﴾ وذلك لوجود فرق بين قوله: ﴿**آتيناه رحمةً**﴾ وبين كونه صلّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿**رحمةً للعالمين**﴾ فالخضر نال شيئاً من الرّحمة فصار معلّماً لموسى عليه السلام فكيف بمن كان نفسه هو الرّحمة؟ !!، فهل يتصوّر أحدٌ ما غاب عن عينيه ولم تسمع أذناه؟ وإذا كان الخضر عليه السلام بتلك المنزلة الرّفيعة والدّرجة العظيمة حتى أفاض الحقّ عليه من الرّحمة والعلم بحيث صار مضرب المثل الإلهي وهو دون رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم في القرب من الله تعالى فكيف بمن كان من ربّه كقاب قوسين أو أدنى، أو من كان ناظراً بعينيه إلى شجرة طوبى وسدرة المنتهى؟ !! . إنّ القلم يتكسّر على شاطئ فضائل محمّدٍ وآل محمّد، واللّسان يتلجلج إذا أراد أن يتفوّه بفضائلهم، إذ كيف يدرك القاصر قعر المحيط؟ !! وهل تحيط السّاقية بالبحر العظيم؟ كلاّ وربّ الخلائق أجمعين .

يتلخّص من قصّة النّبي موسى والخضر عليهما السّلام أنّ الأوّل كان مأموراً بالظّاهر والثّاني مأموراً بالباطن، وأهل الظّاهر لا يتحمّلون أهل الباطن الّذين يرون بعيون ملكوتية، لكن ليس معنى ذلك أنّ موسى ليس من أهل الباطن، كلاّ، بل لأنّه مكلّف بالظّاهر كعادة أكثر النّاس الّذين يجمدون على المظاهر الماديّة ولا يغوصون إلى بواطن الأمور، من هنا كان نبيّنا محمّد كغيره من الرّسل مأموراً بالظّاهر وكذا عترته الطّاهرة إلى زمن خروج مولانا الإمام الحجّة المنتظر عليه السلام فإنّه يحكم بالباطن كحكم الخضر وداود عليهما السَّلام لا يطلبان بيّنة .

مضافاً إلى أنّ الخضر أشار إلى عظمة القدرة الإلهيّة الّتي أمدّته بالعطاء الّذي لا ينفد حيث سبر غور الأشياء وبواطنها، فقتل الغلام وأقام الجدّار وخرق جانب السّفينة،كلّ هذا مصاديق لموضوعات متعدّدة يترتّب عليها أحكام شرعيّة، وقد أطلعه الله عزّ وجلّ على مصيرها لكونه يستحقّ ذلك لسعة قابليّته وفوران نورانيّته وهو عبد من عبيد سيّد الخلق محمّد صلّى الله عليه وآله،فما ثبُت للعبد المخلص ثبُت للسّادة المعظّمين محمّد وآله الميامين بطريق أولى لكونهم أفضل من الخضر باتّفاق الأمّة وضرورة الأدلّة.

ط ـ الآية التاسعة: قوله تعالى:﴿**قال ربّ اجعلني على خزائن الأرض إنّي حفيظ عليم**﴾ (يوسف/٥٥).

لقد طلب النّبي يوسف عليه السلام من ملك مصر آنذاك أن يجعله قيّماً على الأرض التي كانت تحت يد الملك ليقوم برعايتها وحفظها، ودعواه بأنّه سيكون عليها حفيظاً عليماً دلالة قطعيّة على صحّة مدّعاه، إذ كيف يحتمل

في حقّه أن لايكون كذلك ثمّ في الوقت ذاته يطلب من الملك أنّ يجعله قيّماً عليها إلاّ إذا كانت دعواه مطابقة لحاله وهو الحقّ الصّريح إذ يتنزّه الأنبياء عن كلّ مكروه فكيف بما يبعّد عنه عزّ وجلّ ويؤدّي إلى سخطه فإنّه بطريق أو لى لابدّ أن يحترز عنه .

فلمّا كان يوسف عليه السلام حافظاً لما في يده، وعالماً بكلّ ما يجري وما يتعلّق بالمملكة القيّم عليها لا تخفى عليه خافية، مضافاً إلى علمه بكلّ لسان حسبما ورد عن أئمّة آل البيت عليهم السَّلام، فلا شكّ أنّ ذلك ثابت لنبيّنا الأعظم محمّد وآله الأنوار بطريق الأولويّة ، تأمّل .

ي . الآية العاشرة: قوله تعالى :﴿**أنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطّير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأُحي الموتى بإذن الله وأنبّئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم إنّ في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين**﴾ (آل عمران/ ٤٩) .

أشارت الآية المباركة إلى معاجز عدّة جرت على يد النّبي عيسى عليه السلام منها خلق الطّير وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيّبات وكلّ ذلك بإذن الله تعالى، إذ من دون إذنه تعالى لا يمكنه أن يفعل شيئاً من تلكم المعاجز لكونها خارجة عن حيطة قدرته، إذ أنّ للمخلوق الضّعيف أن يخلق من العدم حيواناً أو يحيي ميّتاً صار رميماً أو يشفي مريضاً عجز الأطبّاء عن مداواته أو يخبر بالجزئيّات الغائبة عن العيون ،وما يأكله ويشربه الإنسان، وهذه لا يمكن الإحاطة بها إلاّ من خلال القدرة المستمدَّة من الله عزّ شأنه بكلّ ما يصدق عليه أنّه شيء قابل للإدّخار، ويؤكل ويُشرَب فإنّ عيسى

عليه السلام يعلمه، فإذا صحّ هذا للنّبي عيسى عليه السلام وهو أدنى بالفضل من رسول الله محمّد وآله الأطهار يثبت لهم ذلك بطريق أولى .

وفي الختام نقول : إنّ عصمة الأنبياء والأولياء عليهم السَّلام في التّ بليغ دون غيره يدخل تحت قاعدة الترجيح بلا مرجِّح، مضافاً إلى أنّ هذا القول يستلزم الجّبر، إذ ما الدّاعي حتى يعصمهم الله في التّبليغ دون غيره؟ .

فإنْ كان الدّاعي للعصمة هو النفور منهم لو صدرت أخطاء حال التّبليغ فهو . أي النّفور . لا يتوقّف على التّبليغ، بل يعمّ كلّ المجالات، فتخصيص العصمة بمجال دون آخر يُعتَبَر ترجيحاً بلا مرجِّح وهو قبيح عقلاً ونقلاً .

وإنْ كان الدّاعي للعصمة هو المَلَكَة وسِعَة القابليّة فلِمَ اقتصرت على التّبليغ دون غيره؟ وهل تبعّض الملَكَة بمجال دون آخر وقد قامت الأدلّة على عد م جواز تبعّضها وتجزئتها! فلا بدّ حينئذٍ من القول بأنّ ملَكَةَ العصمة . الّتي هي نتيجةٌ لمِلَكَة قدسيّة يتحلّى بها النّبي والولي . هي السّبب المباشر لعصمته في جميع المجالات دون تخصيص أو تقييد، لكون التقييد بمجالٍ دون آخر يستلزم المحاذير المتقدّمة، فيبطل الأجر والثّواب والعقاب . تدبّر جيّداً.

القناة الثّانية:ليلة القدر:

الفهم السّائد لدى مشهور المفسّرين أنّ ليلة القدر هي إحدى القنوات العلميّة للمعصوم عليه السلام حيث تُفاض عليه فيها المعارف والعلوم لكون نزولهم . أي الملائكة . من أجل هذه الغاية، وبناءً عليه فإنّ الرّسول والعترة الطّاهرة عليهم السَّلام كانوا يعلمون الأمور التفصيليّة المبرمة الّتي ستجري في تلك السّنة، ومن هذه الأمور ما سيجري عليهم من الأحداث ومنها القتل، حيث

إنّ علمهم بذلك من الغيب الّذي أفيض عليهم في ليلة القدر، وإلاّ فإنّ الجهل بمصيرهم في تلك اللّيلة دون الجهل بمصير بقيّة الممكنات، يؤدّي إلى التّرجيح بلا مرجّح، مضافاً إلى استلزامه العبثيّة في قوله تعالى: ﴿**من كلّ أمر**﴾ إذ كيف تنزل من كلّ أمر ولا يعلمون . أي الأئمّة . ما يجري عليهم، أو أنهم يعلمون بالإجمال، فإنّ العلم الإجمالي مناهض لمفاد الآية ﴿**من كلّ أمر**﴾ .

فاستدلال البعض بدلالة بعض الأخبار بأنّهم يعلمون مجملاً غير صحيح لكونه تقديماً للخبر على الآية وهو غير جائز لاستلزامه طرح كلام الله من أساسه، مضافاً إلى مخالفة هذه الأخبار للأخبار الأخرى الدّالة على معرفته التّفصيليّة في ليلة القدر وهي أكثر ص راحة ووثاقةً من تلك، بالإضافة إلى موافقتها . أي الأخبار الأخرى . لصريح الآية، وسيأتي التعرّض لهذا الفهم وتفنيده من أساسه .

وعليه فإذا لم يتّضح المعنى الحقيقي من نزول الملائكة في ليلة القدر طبقاً للفهم المتقدِّم فما هو المراد من نزولهم حينئذٍ على صاحبها؟ .

وللإجابة الحقيقيّة عن السّؤال لا بدّ من استعراض الفرضيّات المستوحاة من النّصوص بشأن مهمّة النّزول، وإليكها:

الفرضيّة الأولى:نزولهم لإعطاء الأمر .

الفرضيّة الثّانية: نزولهم لتفريق وبيان المجمل .

الفرضيّة الثّالثة: نزولهم لخصوصيّات لم يفصحوا عنها .

الفرضيّة الرّابعة: نزولهم للزيارة والبشارة .

الفرضيّة الخامسة: نزولهم لأخذ الأمر.

أمّا الفرضيّة الأولى:

فقد أشار إلى هذه النّظريّة خبران أوردهما الكليني " رحمه الله " ومفادهما أنّ الملائكة تنزل في ليلة القدر بالتّكليف على النّبي أو الإمام عليهما السَّلام.

الخبر الأوّل: بالإسناد إلى مولانا أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ في ليلة القدر ﴿فيها يُفرق كلّ أمرٍ حكيم﴾ يقول: ينزل فيها كلّ أمر حكيم ...، إلى أن قال : إنّه لينزل في ليلة القدر إلى وليّ الأمر تفسير الأمور سنة سنة، يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا، وفي أمر النّاس بكذا وكذا، وإنّه ليحدث لوليّ الأمر سوى ذلك كلّ يومٍ علم الله عزّ وجلّ الخاصّ والمكنون العجيب المخزون مثل ما ينزل في تلك اللّيلة من الأمر، ثمّ قرأ ﴿**ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله إنّ الله عزيز حكيم**﴾[٤٨].

الخبر الثّاني: بالإسناد إلى مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: لقد خلق الله جلّ ذكره ليلة القدر أوّل ما خلق الدّنيا ... إلى أن قال : لأنَّه لا يقوم الأنبياء والرُّسُل والمحدَّثون إلاّ أنْ تكون عليهم حجّة بما يأتيهم في تلك اللّيالي ...[٤٩].

يُلاحظ على ذلك:

(**أوّلاً**): **أمّا الخبر الأوّل** وإنْ كان يدلّ على نزول الأمر على وليّ الأمر عليه السلام طبقاً لمنطوق قوله تعالى : ﴿**فيها يفرق كلّ أمر حكيم**﴾ لكن ليس فيه ما يدلّ على المدّعى أي نزولهم لإعطاء الأمر إلى أولياء الأمر عليهم السّلام، إذ لا ملازمة بين نزولهم وبين إعطائهم الأمر للوليّ عليه السلام، إذ قد يكون نزولهم لمعنى آخر كما تدلّ عليه الفرضيّات الأخرى .

مضافاً إلى أنّ قوله في الخبر : " يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا ..." فيه دلالة على أنّه كان عالماً بما سيجري عليه من تفاصيل الحوادث .

وأمّا الخبر الثّاني فليس فيه ما يدلّ أيضاً على المدّعى بل ما فيه أعمّ من المدّعى لأنّ قوله :"**بما يأتيهم في تلك اللّيلة** " ليس نصّاً على المطلوب، بالإضافة إلى أنّ القرائن الداخليّة في هذين الحديثين تدلّ على وجود علم خاصّ عجيب مكنون مخزون لدى المعصوم .

(ثانياً): مخالفة الفرضيّة المتقدّمة لآية عرض الأعمال على النّبي والأئمّة عليهم السّلام وهي قوله تعالى : ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون إلى عالم الغيب والشّهادة فينبّئكم بما كنتم تعملون**﴾ (التوبة/١٠٥).

فالآية تثبت حقيقة عرض الأعمال على إمام كلّ عصر لكونه مسؤولاً عن أعمال العباد، فإعمالهم ليست محجوبة عن علم الإمام، وأنّه لا وجود لزمان يخلو من إمام حسبما جاء في نصوص منها:

أ ـ صحيحة الوشاء قال :سمعت الإمام الرّضا عليه السلام يقول: إنّ الأعمال تُعْرَض على رسول الله أبرارها وفجّارها[٥٠] .

ب ـ موثّقة سماعة قال : سمعت الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما لكم تسوؤن رسول الله؟ فقال رجل : كيف نسوؤه؟ فقال:أما تعلمون أنّ أعمالكم تعرَضْ عليه، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوؤا رسول الله وسرّوه[٥١] .

ج . موثقة عبد الله بن أبان الزيّات،وكان مكيناً عند الإمام الرّضا عليه السلام قال: قلت للرّضا عليه السلام: ادعُ الله لي ولأهل بيتي، فقال : أولست أفعل؟ والله إنّ أعمالكم لتعرض عليّ في كلّ يوم وليلة، قال : فاستعظمت ذلك، فقال لي: أمَا تقرأ كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾؟ قال: هو والله عليّ بن أبي طالب عليهما السلام (٥٢).

د . موثقة يعقوب بن شعيب قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ:﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ قال: هم الأئمّة(٥٣) .

والملاحَظ في الآية الشّريفة مع ضميمة هذه الأخبار المطهَّرة أنّ للرّسول والأئمّة ولاية تكوينيّة يمكنهم بواسطتها رؤية أعمال العباد، فهي . أي الأعمال . غير محجوبة عن علم الرّسول والإمام عليهما السّلام تماماً كعلم الله تعالى حيث لا يغيب عنه مثقال ذرّة في الأرض والسَّماء .

إشكال ودفع : إنّ هذه الأخبار تشير إلى رؤيتهم للأعمال كلّ صباح ومساء في حين أنّ ثمّة أخباراً (٥٤) أخرى تدلّ على أنّ رؤيتهم للأعمال إنّما تتمّ كلّ اثنين وخميس، فيقع التّعارض بين تلكم الأخبار فماذا تقولون؟

والجواب :

إنّما يقع التّعارض بين المثبت والنافي، ولا تعارض بين المثبتات فهذه الصّيَغُ الإثباتيّة متعدّدة لا تنافي بينها، بل تُحْمَلْ أخبار الإثنين والخميس على مسألة تأكّد معارفهم في ذينك اليومين، أو يكون الإثنين أو الخميس اليومين اللّذين يثبت فيهما العمل الصّادر من الإنسان بمعنى أنّ هذين اليومين هما

المهلة الأخيرة لإثبات العمل فيهما "فسرُّوه" . حسبما ورد آنفاً في الخبر . بإثبات العمل الصّالح و"لا تحزنوه" بإثبات العمل الطّالح، والأوّل عندي أرجح .

فرؤية الرّسول والإمام عليهما السَّلام لأعمال العباد إنّما هي رؤية شهوديّة تفصيليّة، وهي شرط أساسي في وظيفتهما التكوينيّة، فإذا ما أراد النّبي أو الإمام أن يكون دليلاً ومرشداً للخلق فلا بدّ أن يكون شاهداً على تصرّفاتهم وواقفاً على درجاتهم الإيمانيّة والعقائديّة والوجوديّة .

ورؤيتهما للأعمال ليس معناه إحتجاب الأخلاق والعقائد عنهما، إذ إنّ رؤيتهما للأعمال فرع رؤية الله تعالى لها، ولا أحد ينسب إلى الذّات الإلهيّة بأنّها ترى الأعمال دون الأخلاق والمِلَكَات النّفسيّة، مضافاً إلى أنّ الإيمان والأخلاق هما أيضاً نحوان من العمل لكونهمامن الأمور الإختياريّة .

ولم تقتصر المخالفة على آية عرض الأعمال فحسب بل تعمّ الآيات التي تشير إلى حضوريّة علم النّبي والعترة الطّاهرة، ومنها آية الشّهادة وهي انعكاس لردّ الكفّار على رسول الله بأنّه ليس مرسَلاً، فاحتجّ عليهم النّبي بشاهدين : **الأوّل** هو الله عزّ شأنه، **والثّاني**: من عنده علم الكتاب، وهو قوله تعالى : ﴿**ويقول الّذين كفروا لستَ مرسَلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾ (الرّعد/٤٣).

وثمَّة روايات كثيرة من الفريقين تشير إلى أنّ الآية نزلت في أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب عليهما السَّلام .

وعلم الكتاب هو علم مضاف، ومعناه أنّه لا يوجد شيء في الكتاب إلاّ وعلمه عند الإمام عليه السلام، وذلك لأنّ كلّ التّفاصيل متعلّقة بعالم التكوين مثبتة في كتاب مبين حسب مقتضى قوله تعالى : ﴿**ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين**﴾ أي في إمام مبين وهو يعادل قوله تعالى : ﴿**وكلَّ شيء أحصيناه في إمام مبين**﴾ والإمام المبين هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السَّلام الّذي يوجد عنده علم الكتاب، فهو إذن لا يُحجَب شيء عن علمه.

يتّضح من خلال هذا السَّرد الإجمالي للآيات أنّ عند الإمام علماً مطلقاً وليس علماً بأعمال العباد فحسب بل بكلّ ما يتعلَّق بعوالم التكوين.

ثالثاً: كونها . أي الفرضيّة الأولى . تثبت للملائكة الأعلميّة والسّلطة التّكوينيّة والتّشريعيّة على رسول الله والعترة الطّاهرة وهو خُلف كونهم أفضل خلق الله تعالى بحسب ما جاء في الأدلّة العقليّة والنّقليّة وقد فصّلنا ذلك في بعض المواضع (٥٥).

هذا مضافاً إلى أنّ الفرضيّة المذكورة تعارض الآيات الدّالة على أعلميّة آدم وسجودهم له من حيث كونه أعلم منهم بل كانوا جاهلين بالأسماء الّتي علمها أبونا آدم عليه السلام، مضافاً إلى أنّ إعطائهم الأمر للنّبي والأئمّة عليهم السَّلام يستلزم وجود ولاية لهم على هؤلاء مع أنّ للنّبي والأئمّة عليهم السَّلام الولاية المطلقة على الكائنات، فتدبّر .

(**رابعاً**): ثمة روايات متضافرة تعارض ذينك الخبرين المتقدمين منها ما رواه الكليني عليه الرحمة:

(**١**) . محمّد بن أبي عبد الله ومحمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد؛ ومحمّد بن يحيى، عن أحمد إبن محمّد جميعاً، عن الحسن بن العباس بن الحريش عن مولانا أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: قال أبو عبد الله : بينا أبي عليه السلام يطوف بالكعبة إذا رجلٌ معتجر قد قيّض له فقطع عليه أسبوعه حتى أدخله إلى دار جنب الصفا،فأرسل إليّ فكنا ثلاثة، فقال : مرحباً يا ابن رسول الله، ثمّ وضع يده على رأسي وقال: بارك اللّه فيك يا أمين اللّه بعد آبائه .

يا أبا جعفر إن شئت فأخبرني وإن شئت فأخبرتك وإن شئت سلني وإن شرئت سألتك، وإن شئت فاصدقني وإن شئت صدقتك ؟، قال: كلّ ذلك أشاء، قال: فإياك أن ينطق لسانك عند مسألتي بأمر تضمر لي غيره، قال : إنما يفعل ذلك مَن في قلبه علمان يخالف أحدهما صاحبه وإنّ اللّه عزّ وجلّ أبى أن يكون له علم فيه اختلاف قال: هذه مسألتي وقد فسّرت طرفاً مرها.

أخبرني عن هذا العلم الّذي ليس فيه اختلاف، من يعلمه؟، قال عليه السلام: أمّا جملة العلم فعند اللّه جلّ ذكره، وأمّا ما لا بدّ للعباد منه فعند الأوصياء، قال: ففتح الرّجل عجيرته واستوى جالساً وتهلّل وجهه وقال: هذه أردت ولها أتيت، زعمت أنّ علم ما لا اختلاف فيه من ا لعلم عند الأوصياء، فكيف يعلمونه؟ قال: كما كان رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم يعلمه إلاّ أنـهم لا يرون ما كان رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم يرى لأنه كان نبيّاً وهم محدّثون، وأنه كان يفد إلى اللّه عزّ وجلّ فيسمع الوحي وهم لا يسمعون،

فقال: صدقت يا ابن رسول اللّه سآتيك بمسألة صعبة أخبرني عن هذا العلم ما له لا يظهر كما كان يظهر مع رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم؟ قال: فضحك أبي عليه السلام وقال، أبى اللّه عزّ وجلّ أن يطلع على علمه إلاّ ممتحناً للإيمان به كما قضى على رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلم أن يصبر على أذى قومه ولا يجاهدهم إلاّ بأمره، فكم من اكتتام قد اكتتم به، حتى قيل له : ﴿**إصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**﴾، وأيم اللّه أن لو صدع قبل ذلك لكان آمناً، ولكنّه إنما نظر في الطّاعة، وخاف الخلاف، فلذلك كفّ،

فوددت أنّ عينك تكون مع مهديّ هذه الأمّة والملائكة بسيوف آل داود بين السّماء والأرض تعذّب أرواح الكفرة من الأموات، وتلحق بهم أرواح أشباههم من الأحياء ثمّ أخرج سيفاً، ثمّ قال : ها إنّ هذا منها قال : فقال أبي: إي والّذي اصطفى محمّدا على البشر، قال: فردّ الرّجل اعتجاره وقال: أنا إلياس ما سألتك عن أمرك وبي منه جهالة غير أني أحببت أن يكون هذا الحديث قوّة لأصحابك وسأخبرك بآية أنت تعرفها إن خاصموا بها فلجوا.

قال: فقال له أبي : إن شئت أخبرتك بها، قال : قد شئت، قال: إنّ شيعتنا إن قالوا لأهل الخلاف لنا : إنّ اللّه عزّ وجلّ يقول لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلم : ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾ إلى آخرها، فهل كان رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم **يعلم من العلم شيئا لا يعلمه في تلك اللّيلة؟**، أو يأتيه به جبرائيل عليه السلام في غيرها؟، فإنهم سيقولون: لا، فقل لهم: فهل كان لما علم بدّ من أن يظهر؟، فيقولون: لا، فقل لهم: فهل كان فيما أظهر رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم من علم اللّه عزّ ذكره اختلاف؟، فإن قالوا :

لا، فقل لهم : فمَن حكم بحكم اللّه فيه اختلاف، فهل خالف رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم؟، فيقولون : نعم، فإن قالوا: لا، فقد نقضوا أوّل كلامهم، فقل لهم : ما يعلم تأويله إلاّ اللّه والرّاسخون في العلم، فإن قالوا : مَن الرّاسخون في العلم؟، فقل : من لا يختلف في علمه، فإن قالوا: فمَن هو ذاك؟، فقل: كان رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم صاحب ذلك، فهل بلّغ أو لا، فإن قالوا : قد بلّغ، فقل : فهل مات صلّى الله عليه وآله وسلمّ، والخليفة من بعده يعلم علماً ليس فيه اختلاف؟، فإن قالوا : لا، فقل: إنّ خليفة رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم مؤيّد ولا يستخلف رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم إلاّ مَن يحكم بحكمه، وإلّا مَن يكون مثله إلاّ النّبوّة، وإن كان رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم لم يستخلف في علمه أحداً فقد ضيّع مَن في أصلاب الرّجال ممّن يكون بعده، فإن قالوا لك : فإنّ علم رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم كان من القرآن فقل : ﴿**حم، والكتاب المبين، إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنّا منذرين** ﴾ إلى قوله ﴿**إنا كنّا مرسلين**﴾ فإن قالوا لك: لا يرسل اللّه عزّ وجلّ إلاّ إلى نبيّ، فقل : هذا الأمر الحكيم الّذي يفرق فيه هو من الملائكة والرّوح الّتي تنزل من سماء إلى سماء أو من سماء إلى أرض؟، فإن قالوا : من سماء إلى سماء فليس في السّماء أحد يرجع من طاعة إلى معصية، فإن قالوا: من سماء إلى أرض وأهل الأرض أحوج الخلق إلى ذلك، فقل : فهل لهم بدّ من سيّد يتحاكمون إليه؟، فإن قالوا: فإنّ الخليفة هو حكمهم، فقل : ﴿**اللّه وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات إلى النّور**﴾ إلى قوله ﴿**خالدون**﴾، لعمري ما في الأرض ولا في

السّماء وليّ للّه عزّ ذكره إلاّ وهو مؤيّد، ومن أُيد لم يخطئ، وما في الأرض عدوّ للّه عزّ ذكره إلاّ وهو مخذول، ومن خُذل لم يصب، كما أنّ الأمر لا بدّ من تنزيله من السّماء يحكم به أهل الأرض، كذلك لا بدّ من والٍ فإن قالوا: لا نعرف هذا فقل لهم: قولوا ما أحببتم أبى اللّه عزّ وجلّ بعد محمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم أن يترك العباد ولا حجّة عليهم، قال أبو عبد اللّه عليه السلام: ثمّ وقف، فقال: هاهنا يا ابن رسول اللّه باب غامض، أرأيت إن قالوا : حجّة اللّه القرآن، قال: إذن أقول لهم: إنّ القرآن ليس بناطق يأمر وينهى، ولكن للقرآن أهل يأمرون وينهون، وأقول قد عرضت لبعض أهل الأرض مصيبة ما هي في السّنّة والحكم الّذي ليس فيه اختلاف وليست في القرآن، أبى اللّه لعلمه بتلك الفتنة أن تظهر في الأرض، وليس في حكمه رادّ لها ومفرّج عن أهلها، فقال: هاهنا تفلجون يا ابن رسول اللّه أشهد أنّ اللّه عزّ ذكره قد علم بما يصيب الخلق من مصيبة في الأرض أو في أنفسهم من الدّين أو غيره فوضع القرآن دليلاً، قال: فقال الرّجل: هل تدري يا ابن رسول اللّه دليل ما هو؟ قال أبو جعفر عليه السلام: نعم، فيه جمل الحدود وتفسيرها عند الحكم فقال: أبى اللّه أن يصيب عبداً بمصيبة في دينه أو في نفسه أو في ماله ليس في أرضه من حكمه قاض بالصّواب في تلك المصيبة، قال: فقال الرّجل: أمّا في هذا الباب فقد فلجتهم بحجّة إلاّ أن يفتري خصمكم على اللّه فيقول: ليس للّه جلّ ذكره حجّة، ولكن أخبرني عن تفسير ﴿**لكي لا تأسوا على ما فاتكم**﴾ ممّا خصّ به عليّ عليه السلام ﴿**ولا تفرحوا بما آتاكم**﴾ قال: في أبي فلان [يقصد أبا بكر] وأصحابه واحدة مقدّمة وواحدة مؤخّرة ﴿**لا تأسوا على ما فاتكم**﴾

ممّا خصّ به عليّ عليه السلام ﴿**ولا تفرحوا بما آتاكم** ﴾ من الفتنة الّتي عرضت لكم بعد رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم فقال   : الرّجل أشهد أنّكم أصحاب الحكم الّذي لا اختلاف فيه ثمّ قام الرّجل وذهب فلم أره (٥٦).

ملاحظة هامّة:

وفي الخبر قرائن تشهد على صحة العلم التفصيلي للمعصوم قبل نزول الملائكة عليه في ليلة القدر منها قوله عليه السلام :" فهل كان رسول الله يعلم من العلم شيئاً لا يعلمه في تلك الليلة أو يأتيه به جبرائيل في غيرها".

ومنها قوله عليه السلام: " قد عرضت لبعض أهل الأرض مصيبة ما هي في السُّنَّة والحكم الذي ليس فيه اختلاف وليست في القرآن، أبى الله لعلمه بتلك الفتنة أن تظهر في الأرض وليس في حكمه رادّ لها ومفرج عن أهلها". **ومنها** قوله:" نعم فيه جمل الحدود وتفسيرها عند الحكم. أي الحكم فيها ليلة القدر. " .

(**٢**) . عن أبي عبد اللّه   عليه السلام قال: بينما أبي جالسٌ وعندهُ نفرٌ إذا استضحك حتى اغرورقت عيناهُ دُمُوعاً، ثمّ قال : هل تدرُون ما أضحكني؟، قال: فقالُوا: لا، قال: زعم إبن عبّاس إنه من الّذين : ﴿ **قالُوا ربُّنا اللّهُ ثُمّ استقامُوا**﴾ فقُلتُ لهُ: هل رأيت الملائكة يا ابن عبّاس تخبرُك بولايتها لك في الدُّنيا والآخرة مع الأمن من الخوف والحُزن؟، قال   : فقال: إنّ اللّه تبارك وتعالى يقولُ: ﴿**إنما المُؤمنُون إخوة**﴾ "الحجرات ـ ٣" ، وقد دخل في هذا جميعُ الأُمّة، فاستضحكتُ، ثمّ قُلتُ : صدقت يا ابن عبّاس أنشُدُك اللّه هل في حُكم اللّه جلّ ذكرُهُ اختلافٌ؟، قال: فقال: لا، فقُلتُ ما ترى في رجُل ضرب رجُلاً أصابعهُ بالسّيف حتى سقطت ثُمّ ذهب وأتى رجُلٌ آخرُ فأطار

كفّهُ فأُتي به إليك وأنت قاضٍ كيف أنت صانعٌ؟ قال : أقُولُ: لهذا القاطع أعطه دية كفّه وأقُولُ لهذا المقطُوع صالحهُ على ما شئت وابعث به إلى ذوي عدل، قُلتُ: جاء الاختلافُ في حُكم اللّه عزّ ذكرُهُ ونقضت القول الأوّل، أبى اللّهُ عزّ ذكرُهُ أن يُحدث في خلقه شيئاً من الحُدُود وليس تفسيرُهُ في الأرض اقطع قاطع الكفّ أصلاً ثُمّ أعطه دية الأصابع هكذا حُكمُ اللّه ليلةً تنزل فيها أمرُهُ إن جحدتها بعد ما سمعت من رسُول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم فأدخلك اللّهُ النّار كما أعمى بصرك يوم جحدتها عليّ ابن أبي طالب، قال: فلذلك عُمِي بصري، قال : وما علمُك بذلك؟ فواللّه إنّ عُمِيَ بصري إلاّ من صفقة جناح الملك، قال : فاستضحكتُ ثُمّ تركتهُ يومهُ ذلك لسخافة عقله، ثُمّ لقيتُهُ فقُلتُ يا ابن عبّاس ما تكلّمت بصدق مثل أمس، قال لك عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام: إنّ ليلة القدر في كُلّ سنة وإنّهُ ينزل في تلك اللّيلة أمرُ السّنة وإنّ لذلك الأمر وُلاةً بعد رسُول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم، فقُلت : من هُم؟ فقال : أنا وأحد عشر من صُلبي أئمّةٌ مُحدّثُون، فقُلت: لا أراها كانت إلاّ مع رسُول اللّه فتبدّى لك الملكُ الّذي يُحدّثُهُ فقال : كذبت يا عبد اللّه رأت عيناي الّذي حدّثك به عليٌّ . ولم ترهُ عيناهُ ولكن وعى قلبُهُ ووُقر في سمعه ثُمّ صفقك بجناحه فعُميتَ قال : فقال إبن عبّاس: ما اختلفنا في شيء فحُكمُهُ إلى اللّه، فقُلتُ لهُ : فهل حكم اللهُ في حُكم من حُكمه بأمرين؟ قال: لا، فقُلتُ: هاهُنا هلكت وأهلك[٥٧] .

(٣) . وبهذا الإسناد عن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال: قال اللّهُ عزّ وجلّ في ليلة القدر ﴿**فيها يُفرقُ كُلُّ أمر حكيم**﴾ يقُول: ينزل فيها كُلُّ أمر حكيم

والمحكمُ ليس بشيئين ،إنّما هُو شيءٌ واحدٌ ،فمن حكم بما ليس فيه اختلافٌ فحُكمُهُ من حُكم اللّه عزّ وجلّ، ومن حكم بأمرٍ فيه اختلافٌ فرأى أنه مُصيبٌ، فقد حكم بحُكم الطّاغُوت إنه لين .زلُ في ليلة القدر إلى وليّ الأمر تفسيرُ الأُمُور سنةً سنةً يُؤمرُ فيها في أمر نفسه بكذا وكذا وفي أمر النّاس بكذا وكذا وإنّهُ ليحدُثُ لوليّ الأمر سوى ذلك كُلّ يوم علمُ اللّه عزّ وجلّ الخاصُّ والمكنُونُ العجيبُ المخزُونُ مثلُ ما ينزل في تلك اللّيلة من الأمر ثُمّ قرأ: ﴿**ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلامٌ والبحرُ يمُدُّهُ من بعده سبعةُ أبحُر ما نفدت كلماتُ اللّه إنّ اللّه عزيزٌ حكيمٌ** ﴾ "لقمان ٢٧" (٥٨).

(**٤**) . **و**بهذا الإسناد عن مولانا أبي عبد اللّه عليه السلام قال: كان عليُّ بنُ الحُسين صلواتُ اللّه عليه يقُولُ: ﴿**إنّا أنزلناهُ في ليلة القدر**﴾ صدق اللّهُ عزّ وجلّ أنزل اللّهُ القُرآن في ليلة القدر ﴿**وما أدراك ما ليلةُ القدر**﴾، قال رسُولُ اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا أدري قال اللّهُ عزّ وجلّ: ﴿**ليلةُ القدر خيرٌ من ألف شهر** ﴾ ليس فيها ليلةُ القدر قال لرسُول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: وهل تدري لم هي خيرٌ من ألف شهر؟ قال: لا، قال: لأنّها تنزل فيها ﴿**الملائكةُ والرُّوحُ**﴾ ﴿**بإذن ربّهم من كُلّ أمر** ﴾ وإذا أذن اللّهُ عزّ وجلّ بشيء فقد رضيهُ ﴿**سلامٌ هي حتى مطلع الفجر** ﴾ يقُولُ: تُسلّمُ عليك يا مُحمّدُ ملائكتي ورُوحي بسلامي من أوّل ما يهبطُون إلى مطلع الفجر ثُمّ قال في بعض كتابه: ﴿**واتّقُوا فتنةً لا تُصيبنّ الّذين ظلمُوا منكُم خاصّة**﴾ **في** ﴿ **إنّاأنزلناه في ليلة القدر**﴾ وقال في بعض كتابه : ﴿**وما مُحمّدٌ إلاّ رسُولٌ قد**

خلت من قبله الرُّسُلُ أفإن مات أو قُتل انقلبتُم على أعقابكُم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضُرّ اللّه شيئاً وسيجزي اللّهُ الشّاكرين ﴾ يقُولُ في الآية الأُولى إنّ مُحمّداً حين يمُوتُ يقُولُ أهلُ الخلاف لأمر اللّه عزّ وجل ـّ : مضت ليلةُ القدر مع رسُول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم فهذه فتنةٌ أصابتهُم خاصّةً وبهذا ارتدُّوا على أعقابهم، لأنهم إن قالُوا : لم تذهب فلا بُدّ أن يكُون للّه عزّ وجلّ فيها أمرٌ، وإذا أقرُّوا بالأمر لم يكُن لهُ من صاحب بُدٌّ (٥٩).

(٥) . وعن مولانا أبي عبد اللّه عليه السلام قال: كان عليٌّ عليه السلام كثيراً ما يقُولُ: ما اجتمع التّيميُّ والعدويُّ عند رسُول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم ، وهُو يقرأُ ﴿**إنّا أنزلناهُ**﴾ بتخشُّع وبُكاءٍ فيقُولان: ما أشدّ رقّتك لهذه السُّورة؟ فيقُولُ رسُولُ اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم: لما رأت عيني ووعى قلبي ولما يرى قلبُ هذا من بعدي، فيقُولان: وما الّذي رأيت؟ وما الّذي يرى؟ قال: فيكتب لهُما في التُّراب ﴿**تنزل الملائكةُ والرُّوحُ فيها بإذن ربّهم من كُلّ أمر**﴾ قال: ثُمّ يقُولُ: هل بقي شيءٌ بعد قوله عزّ وجلّ ﴿**كُلّ أمرٍ**﴾ فيقُولان:لا، فيقُولُ: هل تعلمان من المنزلُ إليه بذلك ؟ فيقُولان: أنت يا رسُول اللّه ، فيقُولُ: نعم، فيقُولُ: هل تكُونُ ليلةُ القدر من بعدي ؟ فيقُولان: نعم، قال: فيقُولُ: فهل ينزل ذلك الأمرُ فيها؟ فيقُولان: نعم، قال: فيقُولُ: إلى من؟، فيقُولان: لا ندري، فيأخُذُ برأسي ويقُولُ: إن لم تدريا فادريا هُو هذا من بعدي، قال: فإن كانا ليعرفان تلك اللّيلة بعد رسُول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم من شدّة ما يُداخلُهُما من الرُّعب(٦٠).

(٦) . وعن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال: يا معشر الشّيعة خاصمُوا بسُورة ﴿**إنّا أنزلناهُ**﴾ تفلُجُوا فواللّه أنها لحُجّةُ اللّه تبارك وتعالى على الخلق بعد رسُول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم، وإنّها لسيّدةُ دينكُم وإنّها لغايةُ علمنا يا معشر الشّيعة خاصمُوا بـ: ﴿**حم والكتاب المُبين إنّا أنزلناهُ في ليلة مُباركة إنّا كُنّا مُنذرين**﴾ فإنها لوُلاة الأمر خاصّةً بعد رسُول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم يا معشر الشّيعة يقُولُ اللّهُ تبارك وتعالى : ﴿**وإن من أُمّة إلاّ خلا فيها نذيرٌ**﴾ قيل يا أبا جعفر : نذيرُها مُحمّدٌ صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال: صدقت فهل كان نذيرٌ وهُو حيٌّ من البعثة في أقطار الأرض ؟ فقال السّائلُ: لا، قال أبُو جعفر عليه السلام أرأيت بعيثهُ أليس نذيرهُ كما أنّ رسُول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم في بعثته من اللّه عزّ وجلّ نذيرٌ فقال : بلى، قال: فكذلك لم يمُت مُحمّدٌ إلاّ ولهُ بعي ثٌ نذيرٌ ، قال: فإن قُلتُ : لا، فقد ضيّع رسُولُ اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم من في أصلاب الرّجال من أُمّته، قال: وما يكفيهمُ القُرآنُ؟ قال: بلى، إن وجدُوا لهُ مُفسّراً، قال: وما فسّرهُ رسُولُ اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم ، قال: بلى، قد فسّرهُ لرجُل وا حد وفسّر للأُمّة شأن ذلك الرّجُل وهُو عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام، قال السّائلُ: يا أبا جعفر كان هذا أمرٌ خاصٌّ لا يحتملُهُ العامّةُ قال : أبى اللّهُ أن يُعبد إلاّ سرّاً حتى يأتي إبّانُ أجله الّذي يظهرُ فيه دينُهُ كما إنه كان رسُولُ اللّه مع خديجة مُستتراً حتى أُم ر بالإعلان قال السّائلُ : ينبغي لصاحب هذا الدّين أن يكتُم قال : أوما كتم عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام يوم أسلم مع رسُول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى ظهر أمرُهُ قال: بلى، قال: فكذلك أمرُنا حتى يبلُغ الكتابُ أجلهُ (٦١).

(٧) . وعن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال: لقد خلق اللّهُ جلّ ذكرُهُ ليلة القدر أوّل ما خلق الدُّنيا ولقد خلق فيها أوّل نبيّ يكُونُ وأوّل وصيّ يكُونُ ولقد قضى أن يكُون في كُلّ سنة ليلةٌ يهبطُ فيها بتفسير الأُمُور إلى مثلها من السّنة المقبلة من جحد ذلك فقد ردّ على اللّه عزّ وجلّ علمهُ لأنّهُ لا يقُومُ الأ نبياءُ والرُّسُلُ والمحدّثُون إلاّ أن تكُون عليهم حُجّةٌ بما يأتيهم في تلك اللّيلة مع الحُجّة الّتي يأتيهم بها جبرائيلُ عليه السلام قُلتُ: والمحدّثُون أيضاً يأتيهم جبرائيلُ أو غيرُهُ من الملائكة عليهم السلام؟ قال: أمّا الأنبياءُ والرُّسُلُ صلّى اللّهُ عليهم فلا شكّ ولا بُدّ لمن سواهُم من أوّل يوم خُلقت فيه الأرضُ إلى آخر فناء الدُّنيا أن تكُون على أهل الأرض حُجّةٌ ينزل ذلك في تلك اللّيلة إلى من أحبّ من عباده وايمُ اللّه لقد نزل الرُّوحُ والملائكةُ بالأمر في ليلة القدر على آدم وايمُ اللّه ما مات آدمُ إلاّ ولهُ وصيٌّ وكُلُّ من بعد آدم من الأنبياء قد أتاهُ الأمرُ فيها ووضع لوصيّه من بعده وايمُ اللّه إن كان النّبيُّ ليُؤمرُ فيما يأتيه من الأمر في تلك اللّيلة من آدم إلى مُحمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم أن أوص إلى فُلان ولقد قال اللّهُ عزّ وجلّ في كتابه لوُلاة الأمر من بعد مُحمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم خاصّةً: ﴿**وعد اللّهُ الّذين آمنُوا منكُم وعملُوا الصّالحات ليستخلفنّهُم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلهم** . إلى قوله . **فأُولئك هُمُ الفاسقُون**﴾ (النور/٥٥) يقُولُ: أستخلفكم لعلمي وديني وعبادتي بعد نبيّكُم كما استخلف وُصاة آدم من بعده حتى يبعث النّبيّ الّذي يليه ﴿**يعبُدُونني لا يُشركُون بي شيئاً** ﴾ يقُولُ: يعبُدُونني بإيمان لا نبيّ بعد مُحمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم فمن قال غير ذلك ﴿**فأُولئك هُمُ الفاسقُون**﴾ فقد

مكّن وُلاة الأمر بعد مُحمّد بالعلم، ونحنُ هُم فاسألُونا فإن صدقناكُم فأ قرُّوا، وما أنتُم بفاعلين أمّا علمُنا فظاهرٌ، وأمّا إبّانُ أجلنا الّذي يظهرُ فيه الدّينُ منّا حتى لا يكُون بين النّاس اختلافٌ؛ فإنّ لهُ أجلاً من ممرّ اللّيالي والأيّام إذا أتى ظهر، وكان الأمرُ واحداً، وايم اللّه، لقد قُضي الأمرُ أن لا يكُون بين المؤمنين اختلافٌ ولذلك جعلهُم شُهداء على النّاس ليشهد مُحمّدٌ صلّى الله عليه وآله وسلَّم علينا ولنشهد على شيعتنا ولتشهد شيعتُنا على النّاس، أبى اللّهُ عزّ وجلّ أن يكُون في حُكمه اختلافٌ أو بين أهل علمه تناقُضٌ، ثُمّ قال الإمام أبُو جعفر عليه السلام: فضلُ إيمان المؤمن بجُملة ﴿إنّا أنزلناهُ﴾ وبتفسيرها على من ليس مثلهُ في الإيمان بها كفضل الإنسان على البهائم وإنّ اللّه عزّ وجلّ ليدفعُ بالمؤمنين بها عن الجاحدين لها في الدُّنيا لكمال عذاب الآخرة لمن علم إنه لا يتوبُ منهُم ما يدفعُ بالمجاهدين عن القاعدين ولا أعلمُ أنّ في هذا الزّمان جهاداً إلاّ الحج والعُمرة والجوار (٦٢).

(٨) . قال: وقال رجُلٌ لمولانا أبي جعفر عليه السلام: يا ابن رسُول اللّه لا تغضب عليَّ قال: لماذا؟ قال: لما أُريدُ أن أسألك عنهُ ، قال: قُل، قال: ولا تغضبُ؟ قال: ولا أغضبُ، قال: أرأيت قولك في ليلة القدر ﴿**تنزل الملائكة والرُّوح فيها**﴾ إلى الأوصياء يأتُونهُم بأمر لم يكُن رسُولُ اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم قد علمهُ أو يأتُونهُم بأمر كان رسُولُ اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم يعلمُهُ وقد علمتُ أنّ رسُول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم مات وليس من علمه شيءٌ إلاّ وعليٌّ عليه السلام لهُ واعٍ قال أبُو جعفر عليه السلام: ما لي ولك أيُّها الرّجُلُ ومن أدخلك عليَّ ، قال : أدخلني عليك القضاءُ لطلب الدّين، قال:

فافهم ما أقُولُ لك إنّ رسُول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم لما أُسري به لم يهبط حتى أعلمهُ اللّهُ جلّ ذكرُهُ علم ما قد كان وما سيكُونُ و كان كثيرٌ من علمه ذلك جُملاً يأتي تفسيرُها في ليلة القدر وكذلك كان عليٌّ بنُ أبي طالب عليه السلام قد علم جُمل العلم ويأتي تفسيرُهُ في ليالي القدر كما كان مع رسُول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم قال السّائلُ : أوما كان في الجمل تفسيرٌ ؟ قال : بلى، ولكنّهُ إنما يأتي بالأمر من اللّه تعالى في ليالي القدر إلى النّبيّ وإلى الأوصياء افعل كذا وكذا لأمر قد كانُوا علمُوهُ أُمرُوا كيف يعملُون فيه قُلتُ : فسّر لي هذا ، قال : لم يمت رسُولُ اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم إلاّ حافظاً لجُملة العلم وتفسيره ، قُلت: فالّذي كان يأتيه في ليالي القدر علمُ ما هُو ؟ ، قال : الأمرُ واليُسرُ فيما كان قد علم ، قال السّائلُ : فما يحدُثُ لهُم في ليالي القدر علمٌ سوى ما علمُوا؟ قال : هذا ممّا أُمرُوا بكتمانه ولا يعلمُ تفسير ما سألت عنهُ إلاّ اللّهُ عزّ وجلّ ، قال السّائلُ: فهل يعلمُ الأوصياءُ ما لا يعلمُ الأنبياءُ؟، قال : لا، وكيف يعلمُ وصيٌّ غير علم ما أُوصي إليه ، قال السّائلُ: فهل يسعُنا أن نقُول إنّ أحداً من الوُصاة يعلمُ ما لا يعلمُ الآخرُ، قال: لا، لم يمُت نبيٌّ إلاّ وعلمُهُ في جوف وصيّه، وإنما تنزل الملائكةُ والرُّوحُ في ليلة القدر بالحُكم الّذي يحكُمُ به بين العباد، قال السّائلُ : وما كانُوا علمُوا ذلك الحُكم؟، قال: بلى، قد علمُوهُ ولكنّهُم لا يستطيعُون إمضاء شي ء منهُ حتى يُؤمرُوا في ليالي القدر كيف يصنعُون إلى السّنة المقبلة، قال السّائلُ : يا أبا جعفر، لا أستطيعُ إنكار هذا، قال الإمام أبـُو جعفر عليه السلام: مَن أنكرهُ فليس منّا، قال السّائلُ: يا أبا جعفر أرأيت النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلَّم هل كان

يأتيه في ليالي القدر شيءٌ لم يكُن يعلمهُ؟، قال : لا، يحلُّ لك أن تسأل عن هذا، أمّا علمُ ما كان وما سيكُونُ فليس يموتُ نبيٌّ ولا وصيٌّ إلاّ والوصيُّ الّذي بعدهُ يعلمُهُ، أمّا هذا العلمُ الّذي تسألُ عنهُ فإنّ اللّه عزّ وجلّ أبى أن يُطلع الأوصياء عليه إلاّ أنفُسهُم، قال السّائلُ: يا ابن رسُول اللّه كيف أعرفُ أنّ ليلة القدر تكُونُ في كُلّ سنة؟ قال : إذا أتى شهرُ رمضان فاقرأ سُورة الدُّخان في كُلّ ليلة مائة م رّة فإذا أتت ليلةُ ثلاث وعشرين؛ فإنّك ناظرٌ إلى تصديق الّذي سألت عنهُ (٦٣).

(٩) . وقال: قال الإمام أبُو جعفر عليه السلام: لما ترون [لعلّه تصحيف: أترون] من بعثهُ اللّهُ عزّ وجلّ للشّقاء على أهل الضّلالة من أجناد الشّياطين وأزواجهم أكثرُ ممّا ترون خليفة اللّه الّذي بعثهُ للعدل والصّواب من الملائكة، قيل: يا أبا جعفر وكيف يكُونُ شيءٌ أكثر من الملائكة، قال : كما شاء اللّهُ عزّ وجلّ، قال السّائلُ: يا أبا جعفر إنّي لو حدّثتُ بعض الشّيعة بهذا الحديث لأنكرُوهُ، قال: كيف يُنكرُونهُ؟، قال: يقُولُون إنّ الملائكة عليهم السّلام أكثرُ من الشّياطين، قال: صدقت إفهم عنّي ما أقُولُ، إنه ليس من يوم ولا ليلة إلاّ وجميعُ الجنّ والشّياطين تزُورُ أئمّة الضّلالة ويزُورُ إمام الهُدى عددُهُم من الملائكة حتى إذا أتت ليلةُ القدر فيهبطُ فيها من الملائكة إلى وليّ الأمر خلق اللّهُ، أو قال: قيّض اللّهُ عزّ وجلّ من الشّياطين بعددهم ثُمّ زارُوا وليّ الضّلالة فأتوهُ بالإفك والكذب حتى لعلّهُ يُصبحُ فيقُولُ : رأيتُ كذا وكذا فلو سأل وليّ الأمر عن ذلك لقال : رأيت شيطاناً أخبرك بكذا وكذا حتى يُفسّر لهُ تفسيراً ويُعلمهُ الضّلالة الّتي هُو عليها، وايمُ اللّه إنّ من صدّق بليلة القدر ليعلمُ أنها

لنا خاصّةً لقول رسُول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم لعليّ عليه السلام حين دنا موتُهُ: هذا وليُّكُم من بعدي فإن أطعتمُوهُ رشدتُم ولكن من لا يُؤمنُ بما في ليلة القدر مُنكرٌ ومن آمن بليلة القدر ممّن على غير رأينا فإنّهُ لا يسعُهُ في الصّدق إلاّ أن يقُول أنها لنا ومن لم يقُل فإنهُ كاذبٌ إنّ اللّه عزّ وجلّ أعظمُ من أن ينزل الأمر مع الرُّوح والملائكة إلى كافر فاسق؛ فإن قال : إنه ينزل إلى الخليفة الّذي هُو عليها، فليس قولُهُم ذلك بشي ء، وإن قالُوا : إنه ليس ينزل إلى أحد، فلا يكُونُ أن ينزل شيءٌ إلى غير شيء، وإن قالُوا وسيقُولُون : ليس هذا بشيء فقد ضلُّوا ضلالاً بعيداً(٦٤) .

إذن لا تصلح هذه الفرضية لبيان إعطاء الأمر للمعصومين عليهم السَّلام لمعارضتها للأخبار الأخرى، هذا مضافاً إلى وجود قرائن في هذه الأخبار المتقدّمة، لا سيّما الخ بر الأخير تثبت عكس مدّعى هذه النظريّة، حيث ورد فيها أنهم يعلمون جملة العلم وتفسيره وتفاصيله، أما من أي طريق، فليس في هذه الأخبار ما يحصر العِلْم والإخبار بالملائكة، فدعوى حصره بالملائكة مصادرة على المطلوب، وحصراً لقنوات العِلْم بهم، مع أنّ الآيات والأخبا ر دلّت على وجود قناة أخرى لعِلْم المعصوم، وهو العِلْم الدّفعي الحضوريّ المباشري .

أمّا الفرضيّة الثانية: مفادها نزول الملائكة لتفريق وبيان المجمل .

ويشير إلى هذه الإفتراضية ما ورد عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله عز وجل في ليلة القدر " فيها يفرق كل أمر حكيم " يقول: ينزل فيها كل أمر حكيم، والمحكم ليس بشيئين، إنّما هو شيء واحد، فمن حكم

بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عزّ وجلّ، ومن حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت، إنه لين ـزل في ليلة القدر إلى وليّ الأمر تفسير الأمور سنة سنة يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا وفي أمر الناس بكذا كذا، وأنه ليحدث لولي الأمر سوى ذلك كل يوم علم الله الخاص والمكنون العجيب المخزون، مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمر ...(٦٥).

فَهِمَ أصحاب هذه النظرية من قوله ﷺ: " إنه لينزل في ليلة القدر إلى ولي الأمر تفسير الأمور سنة سنة ... " [بأن الإمام ﷺ كان يعلم العلوم على الوجه الكلي الذي يمكنه استنباط الجزئيات منه، فيأتيه في ليلة القدر تفصيل أفراد تلك الكليات لمزيد التوضيح ولتسهيل الأمر عليه في استعلام الجزئيات] (٦٦).

يرد عليه:

١ . تُظْهر هذه الفرضيّة جهل المعصوم ﷺ بالأحكام التفصيلية أو بالجزئيات قبل بيانها، مما يستلزم معارضة ثلة من الآيات الكريمة التي دلت على إحاطتهم وشهودهم وطهارتهم عليهم السَّلام عن الجهل بالجزئيات والتفاصيل التشريعية وغيرها .

٢ . كونها مخالفة لأخبار عرض الأعمال وغيرها من الأ خبار المتقدمة، فالعلاج: إنما يتم بتأويل الأخبار المعارضة التي اعتمدتها النظرية المتقدمة بشكل تتناسب مع الأخبار المعارضة لها، فتحمل حينئذ إمّا على فائدة ما لو كان إخبار ما يلزم إخباره وإمضاء ما أمروا به من التكاليف موقوف على

تكرير الإعلام في ليلة القدر .وإمّا أن يكون المراد بالتفسير والتفصيل، تعيين ما هو محتوم وما يقبل البداء، لأنه قبل أن يعيّن لهم الأمور البدائية والمحتومة لا يجوز لهم الإخبار بها لذا قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السَّلام: " لولا آية نزلت في كتاب الله لأخبرت بما يكون إلى يوم ا لقيامة"(٦٧).

وإمّا على إصدار الأوامر إلى الملائكة في ليلة القدر حسبما سنذكره في الفرضية الخامسة .

الفرضيّة الثالثة:

وفحواها: نزولهم لخصوصيات لم يكشف عنها أئمة أهل البيت عليهم السَّلام . ويؤكّد هذه النظرية ما ورد عن مولانا أبي جعفر عليه السلام في خبر طويل قال: "...إنّ رسول الله لما أسري به لم يهبط حتى أعلمه الله جلّ ذكره علم ما قد كان وما سيكون، وكان كثير من علمه ذلك جملاً يأتي تفسيرها في ليلة القدر، وكذلك كان علي بن أبي طالب عليه السلام قد علم جمل العلم ويأتي تفسيره في ليالي القدر، كما كان مع رسول الله، قال السَّائل : **أوما كان في الجمل تفسير؟** قال: بلى ولكنه إنما يأتي بالأمر من الله تعالى في ليالي القدر إلى النبي وإلى الأوصياء : افعل كذا وكذا، لأمر قد كانوا علموه، أُمروا كيف يعملون فيه، قلت : فسّر لي هذا، قال : لم يمت رسول الله إلاّ حافظاً لجملة من العلم وتفسيره، قلت : فالذي لكان يأتيه في ليلة القدر علم ما هو؟ قال : الأمر واليسر فيما كان قد علم، قال السائل : فما يحدث لهم في ليالي القدر

علم سوى ما علموا؟ قال : هذا مما أمروا بكتمانه ولا يعلم تفسير ما سألت عنه إلاّ الله عزّ وجلّ (٦٨).

لم تلق هذه الإفتراضيّة ما لاقته نظيرتاها من الإ شكالات المتقدمة بل يمكننا القول بأنّ الخبر الذي اعتمدته هذه الإفتراضية لا يعارضه خبر آخر وذلك لموافقة بعض مضامينه للإفتراضيّة الرابعة والخامسة، مضافاً إلى دلالة الخبر على العلوم اللدنيّة لآل محمّد عليهم السَّلام وأنّ ما يفيضه المولى عليهم ليلة القدر لا يمكن لأحد الإطّلاع عليه سواهم عليهم السَّلام لأنّ الإحاطة بكيفيات ما ينزل في ليلة القدر وتفضيلها وكنه حقيقتها إنما تحصل بعد الإحاطة بغرائب أحوالهم وشؤونهم، وهذا مما تعجز عنه عقول عامّة الخلق، لضعف قابليّاتهم التي لو أحاطوا بشيء من ذلك لطاروا بأئمّة آل البي ت عليهم السَّلام إلى درجة العلوّ والإرتفاع إلى مستوى الألوهية، ولذا كانوا عليهم السَّلام يتقون من شيعتهم ويخفون أحوالهم وأسرارهم منهم خوفاً من ذلك، ولعلّه يشير إلى هذا قولهم عليهم السَّلام : "إنّ علمنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملكٌ مقرَّب أو نبيٌّ مرسَل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان "، وفي بعض الأخبار: "لا يحتمله ملك مقرَّب"، وإليه يوميء أيضاً قولهم عليهم السَّلام: "لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله".

وحاصل الخبر: إنّ النبي والأئمّة عليهم السَّلام علموا المحتوم وغير المحتوم جميعاً ولكنهم لا يعملون في غير المحتوم إلاّ بعد صدور الأمر لهم في ليلة القدر لمصلحة تعود إلى المكلَّفين لا إلى نفس الإمام عليه السلام، لكونه يعلم كلّ نقوش اللّوح المحفوظ المتعلقة بما مضى وما سيكون ، ولعلّ الأمر بالكتمان من

أجل أنّه لو أخبر بغير المحتوم فقد يؤدّي إلى تكذيبه، لذا تقتضي الح كمة أن يسكت عمّا ليس محتوماً، ولعلّ المراد من الكتمان هو إعطاء الأوامر، إلاّ أنّ الحكمة اقتضت إخفاءه وعدم إطلاع غير الأوصياء عليه لعدم اقتدار عقول الناقصين على تحمّله ولذلك لم يجبه الإمام عليه السلام بمثال مخصوص مع الحاجة في السؤال عنه حرصاً من الإمام عليه السلام على السّائل ان ينكر أو تبلغ به الحال إلى المغالاة،وهذا الإحتمال أرجح لموافقته للافتراض الرابع والخامس فيشكّل قرينة واضحة عليهما كما لا يخفى،وحتى لو قلنا بالاحتمال الأوّل فلا يستلزم القول به نسبة الجهل إلى الإمام عليه السلام لأنّ انتظاره صدور الأمر بغير المحتوم لا يلغي خصوصية العِلْم لديه، لوجود انفكاك بين العلم بخصوصيّات الشّيء وبين الاذن لهم في العمل، نظير ذلك أن الوزير إذا نظر إلى البلد العظيم ورأى ما فيه من المنازل المعمورة والمتصدّعة والمهدومة والأراضي الخالية القابلة للبناء والعمارة والزرع وغير ذلك من الخصوصيّات الّتي لا تحصى فإنه لا يقدر على إمضاء شيء من ذلك بمقتضى علمه إلاّ بعد أمر الأمير وإذنه له في العمل، أيضاً لا يستلزم الإذن له في ليلة القدر ان يكون صادراً من الملائكة إلى المعصوم عليه السلام بمعنى أنه لا ملازمة بين نزولهم في ليلة القدر وبين إعطائهم الأوامر إلى المعصوم عليه السلام بل الأمر أعم من ذلك.

الفرضيّة الرابعة: نزول الملائكة للزّيارة والبشارة .

ويشهد لهذه الفرضيّة الخبر الرابع الوارد عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام وقد تقدّم سابقاً.

تفيد هذه النظريّة بأنّ نزول الملائكة في ليلة القدر إنّما هو من أجل حصولها على بركات النبيّ والعترة الطّاهرة والتسليم عليهم حتى مطلع الفجر.

وليس المراد من السَّلام أن تسلّم الملائكة على المعصوم باللّفظ المخصوص " السَّلام عليكم " وإنْ كان هذا هو أحد مصاديق لفظ السَّلام؛ لكنّ روح السَّلام يكمن في التماس البركة والفيوضات ممن ينزلون عليه، والتسليم والتماس البركة ليس هما الغاية من الهبوط بمقدار ما يستلزم. أي الهبوط. الإرتباطَ الكلّي بأوامر المعصوم عليه السلام وتنفيذَ إرادته التي هي في طول إرادة المولى عزّ وجلّ.

بل لا يبعد القول بأنّ معنى قوله تعالى: ﴿**بإذن ربّهم من كلّ أمر سلام**﴾ هو أنّ هبوطهم من كل أمر أي بسبب كل أمر من الخير والبركة، لأنّ الله تعالى يقدّر في تلك الليلة كل ما فيه خير وبركة، وكونها سلاماً حتى مطلع الفجر دلالة واضحة لما قلنا.

يتضح من خلال ما قدّمنا أنّ هذه النظرية تتوافق أيضاً مع الإفتراضيّة الخامسة وهي نزول الملائكة لأخذ الأمر من المعصوم عليه السلام، كما يمكن أن تصرف النظريّة الثانية عمّا فهمه أصحابها إلى ما أسلفناه سابقاً، وأمّا النظريّة الثالثة فلا تعارض تينك النظريّتين المتقدّمتين عليها تعارضاً بيّناً بل يمكن تأويلهما بما يتناسب مع الثّالثة طبقاً للقواعد والأسس العقيديّة الصّحيحة التي نعتقدها بإمام الزّمان عليه السلام حيث لا شكّ أنّه أعلم خلق الله تعالى فكيف يخفى عليه ما علمه الملائكة في الفترة الزمنية السابقة على ليلة القدر وهو خلف، فتأمّل.

الفرضيّة الخامسة: نزول الملائكة في ليلة القدر لأخذ الأمر من ولي الأمر.

وقبل بيان الأدلّة على هذه الفرضيّة الحقّة .والتي لم يسبقنا إليها أحد بل هي من بركات وجود سيدي قائم الزمان عليه السلام . لا بدّ من الإشارة إلى أنه لم يرد في الأخبار الصّحيحة أنّ الملائكة تلقي على المعصوم عليه السلام المعارف والعلوم بل كلّ ما هناك أنّ الملائكة تنزل بإذن ربّها من كلّ أمر، وهو أعمّ من النزول لإلقاء المعارف وإعطاء الأوامر إلى صاحب اللّيلة المباركة .

كما لا بدّ لنا أن نفصل بين نزولهم وإلقاء المعارف على المعصوم عليه السلام إذ ليس ثمة ملازمة بين النّزول في ليلة القدر . على فرض نزولهم بالعلوم على صاحبها . وبين جهله عليه السلام بتلك المعارف والعلوم، فكما ثبت بالأدلّة القطعيّة تنزيه النبي عن الجهل بالمعارف وتشخيص الموضوعات قبل نزول جبرائيل بها عليه صلّى الله عليه وآله وسلَّم، يثبت أيضاً بالمناط نفسه معرفة الأئمّة بتلك المعارف قبل نزول الملائكة بها عليهم في ليلة القدر وغيرها من الليالي، نعم هناك ملازمة بين نزولهم والتبرك منه م ونيل الفيض بواسطتهم . مضافاً إلى أنّ حصر المعارف لهم عن طريق ليلة القدر لم يثبت بدليل أو خبر، كلّ ما هنالك أنّ ﴿**فيها يفرق كلّ أمر حكيم**﴾ (الدّخان/١٤) .

والتفريق شيء والجهل بما يفرقه الله سبحانه شيئٌ آخر، فالآية المتقدّمة تشير إلى تجدّد الفرق والإرسال في تلك اللّيلة بإنزال الملائكة والرّوح فيها من السَّماء إلى الأرض دائماً، ولا بدّ من وجود من يرسَل إليه الأمر دائماً.

وبالجّملة: فإنّ تصوّر نزول الملائكة في ليلة القدر على رسول الله والأئمّة عليهم السَّلام لا يخلو من أمور: **إمّا** لإلتماس البركة من جنابهم الأقدس، **وإمّا**

انّ الأوامر الشَّرعية لهم عليهم السَّلام، **وإمّا** ليصدّر النّبي والأئمّة الأوامرَ للملائكة.

فالأوّل مندرج تحت التصوّر الثالث، فيبقى في البين تصوّران:

أحدهما: أن تعطي الملائكة الأوامر إلى النبي والعترة عليهم السَّلام .

وثانيهما: أن يُعطي النبي والعترةُ الأوامرَ إلى الملائكة .

فالأوّل غير سديدٍ لكون الأوامر الشَّرعية منحصرة في ليلة القدر وذلك حسبما جاء في الآية قوله تعالى : ﴿**إنْ هو إلاّ وحيٌ يوحى** ﴾ (النّجم/٤) وأكّدته الأخبار الصّادرة عنهم عليهم السَّلام كما سيأتي .

فإذا لم يصح الأوّل يتعيّن التصوّر الثاني بلا إشكال حرصاً من وقوع العبث في أفعال الملائكة المأمورة بالنّزول .

مضافاً إلى أنّ الميل إلى التصوّر الأوّل يستلزم عدم وجود آمرٍ للملائكة سوى الله مباشرةً، وقد قامت الآيات والأخبار على توسّط اللّوح المحفوظ بينها وبين الله،بل وتوسّط النفس النبـويّة والوليّة بينها وبين الله، من الآيات قوله تعالى:

﴿**وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك قال إنّي أعلم ما لا تعلمون، وعلّم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم أنبئهم**

بأسمائهم فلمّا أنبأهم بأسمائهم قال ألَم أقُل لكم إني أعلم غيب السّماوت والأرض...﴾ (البقرة/ ٣٠ . ٣٣) .

فالآية الشَّريفة تبيّن أهميّة التس ديد الإلهي الّذي يحظى به الخليفة . سواء أكان نبيّاً أم إماماً . كقوّة لازمةٍ لمهام الخلافة أو السَّفارة الرّبانيّة، فإنّ هذا المعنى يمكن أن نستفيده من خلال سياق الآيات المتقدّمة حيث إنّ الملائكة المقرَّبين الّذين يقومون بأدوارهم في نظام الوجود وفق النّسق ا لتدبيري القائم على قاعدة الأسباب والوسائط ﴿**فالمدبّرات أمراً**﴾ كانوا يتصوّرون أنّ قصّة الإستخلاف تنحصر في أنّ الله يريد موجوداً يسبّح ويقدّس الحقّ المتعال وهم كانوا يفعلون ذلك، فلمَ يخلق اللهُ موجوداً آخر؟ وجاء الجّواب الإلهي : ﴿**إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ ثمّ اختار الحقُّ آدمَ لهذا الموقع، وأردف إيجاده وخلقه بالتعليم ﴿**وعلّم آدم الأسماء كلّها** ﴾ وهكذا جعل خصوصيّة الخليفة في العلم، فلم يقل الله للملائكة : إنّ آدم الّذي خلقه يسبّح ويقدّس أفضل منكم، بل قال: إنه يعلم ما لا تعلمون . والعلم إمام للعمل، فلا بدّ للإمام من العلم ﴿**وعلّم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة** ﴾ وبخاصيّة العلم امتاز الإنسان عن باقي الموجودات، إنّه يعلم أشياء لا تعلمها حتى الملائكة مع أنهم من المقرّبين الدّاخلين في التدبير الربوبي ﴿**المدبّرات أمراً**﴾.

وهكذا تكون من أبرز خصائص المستخلَف أنّه مزوّد بعلم لا يحظى به حتى الملائكة المقرَّبون . وهذا هو التسديد الّذي وُهبَ للإنسان كخليفة، لكي ينهض بدون الخلافة الإلهيّة ويضطلع بمسؤولياتها، وهذه الخلافة لا تختصّ بالأرض وحدها بل تشمل كلّ نظام الوجود الإمكاني .

ومنها قوله تعالى :﴿**هنالك الولاية لله الحقّ هو خير ثواباً وخير عقباً** ﴾ (الكهف/٤٤) لما كانت الولاية بقسميها التكويني والتّشريعي المطلقين لله تعالى دون الملائكة فقد أعطاها لرسوله ووليّه عزّ وجلّ ولم يشرك معهما أحداً من الملائكة المقرَّبين ممّا يدلّ على أنّ للنّبي والولي الولاية على الملائكة بشكل عام لكونهم من عوالم التكوين التي لا يسع للنّبي والوليّ إلاّ أن تكون لهما الهيمنة والسّيطرة عليهم بمقتضى ما لهما من الله تعالى حيث قال : ﴿**إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون**﴾ (المائدة/٥٥) .

هذا مضافاً إلى أنّ الأ وامر الصّادرة إلى النّبي والوليّ عبر الملائكة . لو قلنا بصحّة هذه الفرضيّة . هي من الأمور التكوينيّة أو الشّرعيّة لا بدّ أن تمرّ عبرهما أوّلاً وإلاّ لا يصحّ أنّ لهما الولاية وفي الوقت ذاته يتلقّيان الأوامر من الأدون منهما بدرجات بل إنّ الله خلقهم لخدمة هؤلاء الأعاظم عليهم السَّلام .

ومنها قوله تعالى: ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاّ في كتاب من قبل أن نبرأها**﴾ (الحديد/٢٢) .

ومعنى الآية أنّه ما من شيء يحدث في الأرض أو في السَّماء وفي أنفسكم إلاّ وهو مدوّن في الكتاب أي اللّوح المحفوظ حيث يو جد فيه ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، وإنّما اقتصر على ذكر ما يصيب في الأرض وفي أنفسهم من المصائب لكون الكلام فيها .

فلئن كان الكتاب هو نفس اللّوح المحفوظ الّذي قد حوى ما كان وما سيكون، وكذا إن كان ما امتلك بعض علم هذا الكتاب وهو آصف بن

برخيا وزير سليمان فسخّر الله له بعض عوالم التكوين، فإنّ مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قد امتدَّت بصيرته حتى على كل ما في اللّوح المحفوظ فكان مدعاة فخر للنّبي محمّد بحيث جعله الشّاهد بعد الله تعالى على تفاصيل الأمور في أمّته بقوله تعالى : ﴿**ويقول الّذين كفروا لست مرسَلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾ (الرَّعد/٤٣) .

وكون الإمام عليه السلام شاهداً على الرّسالة لا يلغي خصوصيّة شهادة النبي عليها لقوله تعالى : ﴿**أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهدٌ منه ومن قبله كتاب موسى إماماً**﴾ (هود/١٧) .

فالشّاهد من رسول الله والشّاهد له هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام حسبما جاء في أخبار متواترة، وكذا ما ورد بشأنه صلّى الله عليه وآله في قوله تعالى : ﴿**يا أيّها النّبي إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً**﴾ (الأحزاب/٤٥)، ﴿**إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً ع ليكم**﴾(المزمل/١٥)، ﴿**فكيف إذا جئنا من كل أمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً**﴾ (النساء/٤١)، فهذه الآيات تشير بوضوح إلى شاهديّة الرّسول على الأنبياء والأمم السّابقة واللاّحقة لما تمتاز به الرّوح المحمّديّة من هيمنة روحيّة وسبق على عالم الأرواح، وذلك لوجود موا صفاتٍ لا يمكن أنْ توجد عند أحدٍ غير عترته الطّاهرة عليها السّلام، ومن هذه المواصفات : العلم التفصيلي في الجهة الّتي يُراد لها أنْ تشهد على الأمّة، وإلاّ من دون العلم لا تتمكّن من الشّهادة عليها، ففاقد الشّيء لا يعطيه، مضافاً إلى أنّ هذه الجّهة لا يخلو أنْ يكون

علمها بهذه الرّسالة عبر أحد تصوّرين : إمّا أن يكون بمستوى الرّسالة نفسها أو أعلى من مستواها، كي تتمكّن من الشّهادة، حيث لا يُعقَل أن نأتي بشاهد لم يحط بكلّ تفاصيل الرّسالة، كما لا يعقل أن يكون الشّاهد أقلّ علماً من المشهود عليه، بل لا بدّ للشّاهد عل ى التكوين أن يكون أعلم الموجودين، فدعوى أنّ المعصوم عليه السلام ينتظر أخذ العلم من الملائكة لم يقم عليها دليل علمي واضح، بل إنّ هذه الآيات بضميمة الأدلّة الأخرى تحطّم ذاك الفهم السّائد عن علم المعصوم الإكتسابي الحاصل عبر الملائكة، لأنّ الرّسالة إنْ كانت تعبّر عن الع لم الإلهي في بعض صوره، فالشّاهد على تبليغه يُفترَض أن يكون عِلْمه في مصافّه، وحتى يكون كذلك فالواجب أن يكون تلقّيه لهذا العلم من معدنه، أي أنْ يكون علمه إلهيّاً ومن قبَل الله عزّ شأنه ممّا يعني أنّ تعلُّمَه لن يكون من خلال الطّرق التقليديّة للتّعليم، وهذا ممّا يجعل الشّاهد استثنائيّاً في علمه أيضاً، ولن يكون هذا الشّخص بهذا المستوى إلاّ من خلال كونه شخصاً قد اصطفاه الله على ذلك حتى على الملائكة المقرَّبين ومنها قوله تعالى :﴿**وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين** ﴾ (الأنبياء/١٠٧)، لا ريب أنّ رسول الله رحمة للخلق أجم عين سواء أكانوا من الإنس أم الجنّ أم الملائكة، وذلك للجمع المحلّى باللام وهو يفيد الإستغراق العمومي للرّحمة الإلهيّة، وتخصيص الرّحمة بخلق دون آخر يعتبر خرقاً لطبيعة الإستغراق الشّمولي من دون برهان .

وكونه صلّى الله عليه وآله وسلَّم رحمة للعالمين يستلزم أنْ يكون الفيض الإلهي مترشّحاً من يديه الكريميتين، وطبيعة الرّحمة ليست منحصرة في بيان

التكاليف الشّرعيّة بل تشمل كل ما له علاقة بالتكوين والإيجاد، فهو . فديته بنفسي . مصدر النّور لطبائع الملائكة، ولا عجب أنْ تُخلق من شعاع نوره حسبما أفادت بعض الأخبار الصّحيحة . لما كان صلّى الله عليه وآله وسلَّم مصدر النور كانت الطبائع المتكونة من شعاعه مؤتمِرة بأمره، تصدر عن إرادته وإختياره، فدعوى أنه يأتمر بأمرها ويصدر عن إشارتها خُلف كونه سيّدها ومعلِّماً ورحمة لها ولسواها .

ومنها قوله تعالى :﴿**إنما يريد الله ليُذْهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾ (الأحزاب/٣٣) .

إنّ مفهوم إذهاب الرّجس ونظيره مفهوم الطّهارة الواردان في عصمة أهل البيت عليهم السَّلام يعني نفي كلّ ما يؤدّي إلى الحطّ من رتبة أهل العصمة، والقول بالعصمة يستلزم القول بالكمال المطلق الّذي يُفرَض أنْ يتحلَّى به صاحبها، كما لا بدّ من أن تكون العصمة عن الجّهل بجميع مصاديقه وظروفه وأزمنته ملازمة لشخصيّة الخليفة النبيّ أو الوليّ عليهما السَّلام، فكونه صلّى الله عليه وآله وسلَّم معصوماً يستلزم تقديمه بالعلم المطلق على عامّة الخلق ومنهم الملائكة المقرَّبون ، وتوزيع العصمة على زمن دون آخر أو أنْ يكون صاحبها متحلّياً بها من بين الإنس والجنّ دون الملائكة يعتبر فصماً لعراها وتفريقاً لمصاديقها بلا دليل وخلاف طبيعة المِلَكَة التي لا يمكن أن تُجزَّأ أو تُبَعَّض .

وأمّا الأخبار الّتي دلّت على توسّط رسول الله والعِترة بين الله وملائكته كثيرة منها ما ورد من أنهم ولاة أمر الله وخَزَنة علم الله في السَّماء والأرض[٦٩].

عود على بدء:

بعد تلك المقدّمة نعود الآن إلى بيان الأدلّة على ما ادّعيناه من أنّ النّبي والعترة يعطون الأوامر في ليلة القدر، ولئن كان نزولهم للإعطاء فمن باب أنّ كثرة الأعوان دليل على عظمة السّلطان، وللتدليل على أنّ النّبي والعِترة باقون على اتصال دائم بالحضرة الربوبيّة حتى لا يُتهَموا فيما يُصدرون من تشريعات وأحكام، فاستلامهم تلكم التشريعات لا لنقص في ذواتهم الطّاهرة بل لدفع التصوّر الخاطئ عنهم فاقتضت الحكمة نزول الملائكة المدبّرة أمراً .

ونستدلّ على المدّعى بأمرين:

الأوّل: العمومات والإطلاقات الواردة في الآيات والأخبار .

الثاني: بعض الأخبار الخاصّة والقرائن الحافّة بها .

أمّا الأمر الأوّل: لا شكّ أنّ ليلة القدر هي إحدى القنوات العلميّة التي يتمّ فيها تفصيل المجملات بإعطاء الأوامر إلى الوليّ الأكبر والحجّة الأعظم خليفة الله في أرضه الإمام المهديّ عليه السلام في زماننا، وبقيّة العترة قبل زمانه عليه السلام، ومرادنا من التفصيل هو تأكيد الأمر من الله تعالى على مَنْ تنزل عليه الملائكة سواء قلنا بأنّ النّزول لإعطاء الأوامر أو لأخذها، وهذا التفصيل لا يخلو كونه إلهاماً، وإنْ كان الإلهام في جميع الأزمنة حاصلاً لكنّ ظهوره في ليلة القدر آكد وأهمّ لأنّ الله عزّ وجلّ لما سدّ باب الوحي الخاص بانقطاع طريق النبوّة التشريعيّة . أو لأنّ موضوع النبوّة التشريعيّة هو بيان الأحكام الشّرعيّة، وموضوع ليلة القدر هو بيان التفاصيل التكوينيّة . فَتحَ باب الإلهام أو ما يُسمّى بالنبوّة التسديديّة لطفاً بعباده وعناية بأحوالهم، وهذا الباب لا ينسدّ

إلاّ بارتفاع دابّة الأرض وهي آخر حجّة قبل قيام السَّاعة بأربعين يوماً حسبما جاء في النّصوص المتواترة . وبقاء الحجّة مستمرّ إلى قيام السّاعة لا بدّ له من فيض، وهذا الفيض إمّا علماً لدنياً وإمّا إكتسابيّاً عبر تلقين الملائكة، والثاني باطلٌ لمخالفته للأدلة القطعيّة الدّالة على أعلميّة المعصوم من الملائكة،وحضوريّة علمه وانكشاف المعلومات لديه فعلاً في مقابل انكشافها الشّأني عليه بالقوّة والإرادة والّتي عُبّر عنها بالقول : "لو شاء لعلم"، فيتعيّن حينئذ الأوّل وهو أنّ علمه يكون لدنيّاً من دون واسطة ملك، وما قلنا يندرج تحت العمومات القرآنيّة وقد تقدّم شطرٌ منها وهي الآيات الآتية : الشّهادة والولاية والتطهير، بالإضافة إلى آياتٍ أُخَرى منها:

١ . قوله تعالى: ﴿**إنْ هو إلاّ وحيٌ يوحى، علّمه شديد القوى** ﴾ (النّجم/ ٤.٥).

تشير الآية المباركة إلى أمرين مهمّين:

أحدهما: الوحي التشريعي، وإنْ كان الوحي أعمّ من التشريعي .

وثانيهما: العلم المطلق حيث لم يقيّد بعلم خاصّ أو بزمن محدود، بل حيثيّة العلم عند رسول الله مطلقة لكون الله هو المعلّم له مباشرةً دون واسطة أحد، ودعوى أن تعليم الملائكة للرّسول في طول تعليم الله له صلّى الله عليه وآله وسلَّم، مدفوعة:

أوّلاً: إنّ وحي الله تعالى لرسوله في الآية صريح في التعليم المباشري وهو المتيقّن من أقسام الوحي، وغيره مشكوك، ولا يعدل عن المتيقّن إلى المشكوك إلاّ بدليل قطعي وهو مفقود من البَين .

ثانياً: أنّ التعليم غير المباشري يستلزم أفضليّة الملائكة على صاحب اللّيلة ﷺ، وخلاف تعلّمهم الأسماء من أبينا آدم ﷺ، ونسبة الجهل إليهم بقوله تعالى: ﴿**وعلّم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إنْ كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم انبئهم بأسمائهم فلمّا أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**﴾ (البقرة/٣١ . ٣٢) .

وبالجّملة: الآية الشّريفة تفيد تعليم الله لنبيّه بالعلم اللّدني من دون قيد التوسّط، لأنّ حيثيّة التعليم المضافة إلى الله عزّ شأنه مرسلة لا تقييد فيها، فيبقى اللّفظ منعقداً في الظّهور والإطلاق حتى يثبت العكس.

وبعبارة أخرى: عند الإطلاق يُحمل اللّفظ على معناه الحقيقي دون المجازي للتبادر العرفي والقرائن المنفصلة الدّالة على ذلك .

٢ . قوله تعالى :﴿**آتيناه رحمةً من عندنا وعلّمناه من لدنا علماً** ﴾ (الكهف/٦٥) .

في الآية الشّريفة دلالة واضحة على إفاضة العلم اللّدني على عبده الخضر ﷺ هذا العلم الّذي لا صنع للأسباب فيه حتى يحصل من طريق الإكتساب، والملائكة سبب من الأسباب، والوحي ليس منحصراً بن .زول الملائكة بل له قنوات أخرى وإلى ذلك أشار المولى بقوله تعالى :﴿**وما كان**

لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحياً أو من ور اء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ (الشّورى/٥١) حيث إنّ الوحي على ثلاثة أنحاء:

الأوّل: الإشارة الخفيّة ويسمّى الإلهام والقذف في الرّوع، وهو إلقاء في الباطن يحسّ به الموحى إليه كأنّما كتب في ضميره صفحة لامعة أو رؤيا في منام .

والمقصود من وراء ح جاب: أي يكلّمه تكليماً يسمع صوته ولا يرى شخصه كما حصل لموسى عليه السلام بخلق الصّوت في الهواء .

الثاني: الإحتجاب، والمراد به الإحتجاب المعنوي لا المادّي؛ إذ ليس الله مادياً حتى يُحجب عنه بستارٍ مادّي .

الثالث: إرسال المَلَك.

فالآية الشّريفة تفصّل أنواع الوحي من حيث كونه إلهاماً وتكليماً وإرسالاً للملك، فحصر الوحي بنزول الملائكة بالنحو الثاني والثالث دون الأوّل خلاف التقسيم القرآني الوارد في الآية، لذا ورد عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام قال: كان رسول الله إذا أتاه الوحي من الله وبينهما جبرائيل يقول:هوذا جبرائيل، وقال لي جبرائيل، وإذا أتاه الوحي وليس بينهما جبرائيل تصيبه تلك السّبتة ويغشاه منه ما يغشاه لثقل الوحي عليه من الله عزّ وجلّ (٧٠).

وقال الشّيخ أبو جعفر الصّدوق: " إنّ النّبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم كان يكون بين أصحابه فيغمى عليه وهو يتصابّ عرقاً فإذا أفاق قال: قال الله عزّ وجلّ: كذا وكذا، وأمركم بكذا ونهاكم عن كذا، وأكثر مخالفينا يقولون : إنّ ذلك كان يكون عند نزول جبرائيل عليه السلام عليه، فسُئل الإمام الصّادق عليه السلام

عن الغشية التي كانت تأخذ النّبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم أكانت تكون عند هبوط جبرائيل؟ فقال: لا، إنّ جبرائيل (عليه السلام) إذا أتى النّبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم لم يدخل عليه حتى يستأذنه، فإذا دخل قعد بين يديه قعدة العبد، وإنما ذلك عند مخاطبة الله عزّ وجلّ إيّاه بغير ترجمان وواسطة [٧١]" .

وزبدة المخض: إنّ النّبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم وعترته الطّاهرة أكرم على الله من أن يتركهم إلى ملك ولا ينير لهم الدّلائل الواضحة على إمامتهم وولايتهم في تلك السّاعة الحرجة قال تعالى حاكياً عن تلك الشّخصيّة الكريمة عنده عزّ وجلّ:﴿**واصبر لحكم ربّك فإنّك بأعيننا وسبّح بحمد ربّك حين تقوم**﴾ (الطّور/٤٨).

فمن كان في عين الله ورعايته لا يحتاج إلى ملك يُلقي عليه بعض المعارف وقد جعله شاهداً على الأمة يرى تفاصيل أعمالها .

٣ . قوله تعالى :﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون إلى عالم الغيب والشّهادة فينبّئكم بما كنتم تعملون**﴾ (التوبة/١٠٥).

تشير الآية الشّريفة إلى ثلاث ر ؤىً: رؤية الله تعالى، ورؤية رسوله، ورؤية جماعة من المؤمنين الكاملين .

وتختلف الرّؤية الأولى عن الثانية والثالثة من حيث ماهيّة وطبيعة كل رؤية لأنّه من المعلوم أنّ الرّؤية لغةً: إدراك المرئي بالعين أو القلب، لكنّ المتبادر من الرّؤية عند الإطلاق وعدم وجود قرينة لفظيّة أو لبيّة يُفهم منها الرّؤية البصريّة، وحيث إنّ الله سبحانه وتعالى لا يُدرَك بالبصر تحمَل الرؤية حينئذ ع لى

الإنكشاف المجرّد عن المادّة، أمّا رؤية رسوله ووليّه فتحمل على الرؤية البصريّة والقلبيّة معاً، فهما يريان بعيونهما وقلوبهما أعمال العباد و تتكشّف لهما الحقائق، وإنْ كانت الغاية القصوى من رؤية النّبي والوليّ هي الرّؤية الحضوريّة ليتميز عن بقيّة النّاس من ناحية كشف العمل، بل إنّ الجميع متساوون فيه بحيث يعمّ كل مَن يكون العمل بمنظره ومرآه حتى المنافقين والكافرين، فلا بدّ أنْ تنفذ رؤيتهم إلى صميم العمل وروحه وتحيط بحقيقته ومبادئه النّفسيّة، ومن الضّروري عدم حصول مثل هذه الرّؤية لجميع المؤمنين .

فكما أنّ الله تعالى يرى حقائق أعمال العباد . لكن لا بعين ماديّة .كذلك الرّسول وهؤلاء المؤمنون يرونها بالإشراف والتطلّع عليها، وقد أشارت إلى ذلك روايات كثيرة وردت في عرض الأعمال على النّبي والإمام كلّ يوم وليلة [٧٢]

.

وبهذا يتضح وجود مسانخة بين رؤية الله تعالى ورؤية الرّسول والمؤمنين لأعمال العباد لإقتران رؤيتهما برؤية الله عزّ شأنه، فالآية تدلّ على أنّ رسول الله والأئمّة المعصومين عليهم السّلام . وهم المؤمنون حقّاً . يرون كل ما يعمله العباد رؤيةً لا تتمّ إلاّ بالإشراق الوجودي على الأعمال ومنابعها النّفسيّة .

ويوجد تناسق بين مدلولات هذه الآية المباركة وبين آية الشَّهادة (البقرة/١٤٣)، قوله تعالى :﴿**وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس** ..﴾ في ماهيّة التطلّع والشّهود، فكما أنّ من الطبيعي أن لا تتحقّق الشّهادة في الآية إلاّ بالحضور والإشرا ف على المشهود عليه ثمّ أداء الواقع بدقّة، كذا لا تتحقّق رؤية الأعمال في الآية المبحوث فيها إلاّ بالحضور

والإشراف على العمل المرئي بل النيّة الباطنيّة لكونها من مبادئ العمل، لأنّ الشّهادة والرّؤية ليستا على مجرّد شكل العمل وصورته الظّاهرة المتقضية، وإنما تكون أيضاً . على السريرة والباطن في كون العمل طاعةً أو عصياناً، فلا بدّ إذن من أن يكون مثل هذا الرّائي أو الشّاهد أو الشّهيد واقفاً على الضّمائر ومطّلعاً على السّرائر في النّشأة الدّنيا لكي تتحقّق مقوّمات الشّهادة يوم القيامة وفي النّشأة الأخرى .

ويظهر هذا المعنى من قوله تعالى حاكياً عن عيسى بن مريم عليهما السَّلام وجوابه لله سبحانه في ذلك الموقف العظيم يوم الحساب ﴿**وكنت شهيداً عليهم ما دمت فيهم فلمّا توفّيتني كنت أنت الرّقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد**﴾ (المائدة /١١٧) ذلك أنّ اقتران شهادة المسيح على أمّته ورقابته عليهم بشهادة الله ورقابته عليهم يُظهر مدى التشابه بينهما رغم أنّ شهادة المسيح شعاع من تلك الشهادة، وهذا لا يتمّ إلاّ بالإشراف والإطّلاع على القلوب.

وآية الشهادة وآية رؤية الأعمال نصّان قطعيّان في علم الرسول والأئمّة عليهم السّلام بأعمال العباد التفصيليّة لكنّه وقعت إشكالية في معارضة مدلول أخبار العرض لتينك الآيتين، حيث إنّ الآيتين تدلاّن ظاهراً على إشرافهم المستمرّ على الأعمال بل على أسسها ومبادئها النّفسيّة التي تصبغ العمل بالطّاعة والعصيان، في حين نجد أنّ الأخبار التي توهِم عدم إشرافهم على الأعمال حين صدورها من الفاعلين حيث عبّرَت بالعرض عليهم، علامَ العرض إذا كانوا مشرفين على الأعمال وعلى مبادئها النفسيّة؟، لا سيّما وأنّ

أخبار العرض تتعارض مع تينك الآيتين ممّا يقتضي . وللوهلة الأولى . طرحها حسب قواعد الترجيح الفِقهيّة والرّجاليّة وموازين الإستنباط **!** .

لكنّ الإنصاف أنّ هذا الإختلاف أو التعارض يرتفع بعد التأمّل في مراتب العلم والشّهود، وذلك أنّ للعلم مراتب متفاوتة، والطّرح المذكور إنّما يتمّ فيما لو كان تعارضاً بيّناً لا يمكن من خلاله الجمع بين الأخبار والآيات وإلاّ فالقاعدة تقتضي عرض الأخبار على الكتاب فما وافقه يؤخذ به وإلاّ يُضرب بمخالفه عرض الحائط، وفي موردنا ليس ثمة تعارضٌ بالشّرط المذكور حتى يُدّعى طرحه للنكتة التي ذكرنا آنفاً، لا سيّما وأنّ التعبير بالعرض تعبيرٌ عن بعض مراتب العلم والشّهود، ومن هنا يمكن أن نصحّح العرض على الله تعالى يوم الخميس حسبما ورد في صحيحة يونس من أنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّماء [٧٣].

كما أنّ إشرافهم على الأعمال ومبادئها النّفسيّة هو بعض مقتضيا ت علمهم الحضوري وكونهم شهداء على الخلق ويشهد لذلك عدّة حيثيات:

الحيثية الأولى: علمهم عليهم السَّلام بالغيب بسبل تختلف عن سبل غيرهم من النّاس وهو ظاهر لمن جاس أخبار ديارهم المقدَّسة، مضافاً إلى أنّ الآيات الّتي دلّت على صلاحيّة اطّلاع الأنبياء والمرسَلين على عوالم الغيب كقوله تعالى : ﴿**وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم** ﴾ (آل عمران/٤٩) ﴿**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك** ﴾ (آل عمران/٤٤) ﴿**وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكنّ الله يجتبي من رسله من يشاء**﴾ (آل عمران/ ١٧٩) فإنها تدلّ بطريق أولى على إطّلاع آل ا لبيت

عليه بل أزيد منه لقوله: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البييت ويطهّركم تطهيراً**﴾ (الأحزاب/٣٣) ﴿**إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين**﴾ (آل عمران /٣٣)، وحيث إنّ آل إبراهيم هم رسول الله محمّد والأئمّة الأطهار، وحيث إنّ النّبي محمّداً أفضل من إبراهيم الخليل بإجماع الأمّة فإنّ آل محمّد هم نفس النّبي ﴿**وأنفسنا وأنفسكم**﴾ (آل عمران /٦١) وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : " فاطمة بضعة منّي وروحي التي بين جنبيّ "، و"أنا من عليّ وعليّ منّي والحسن منّي"، و"الحسين منّي"، لذا فإنهم أفضل من إب راهيم الخليل عليه السلام وعامّة الأنبياء والمرسلين .

الحيثية الثّانية : أنهم واسطة الفيض الإلهي والحبل الممدود بين الأرض والسَّماء وهو ما يعبّر عنه بالولاية التكوينيّة وهي من توابع علمهم الحضوري الّذي هو حضور المعلوم بوجوده الخارجي عند العالم، وهذا لا ينطبق في المقام إلاّ على علم العلّة بالمعلول، لذا فهم عليهم السَّلام العلّة الغائيّة لخلق الكائنات حسبما أفاد حديث الكساء ونظائره من الأخبار المقدَّسة، منها ما رواه في الكافي عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام قال: إنّ الله خلقنا فأحسن خلقنا وصوّرنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه في عباده ولسانه النّاطق في خلقه، ويده المبسوطة على عباده بالرّأفة والرّحمة، ووجهه الّذي يؤتى منه، وبابه الّذي يدل عليه، وخزانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثمار وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السَّماء وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عُبد الله، ولو لا نحن ما عُبدَ الله [٧٤]".

الحيثية الثّالثة : العصمة من الضّلال والجّهل، فإنّ إطلاق الوسط وعدم تقييده في قوله تعالى : ﴿**وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء على النّاس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾ (البقرة/١٤٣) يدلّ على أنهم في قلب الوسط الحقيقي، لذا فهم معصومون عن الإنحراف والإفراط والتّفريط . مضافاً إلى أنّ الله تعالى قد اصطفاهم من بين النّاس ﴿**إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم** ...﴾ والإصطفاء هو بعينه الإجتباء ﴿**واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم**﴾ (الأنعام/٨٧) ﴿**هو اجتباكم**﴾ (الحجّ/٧٨) .

وليس المراد من الإجتباء الإنتقاء الظّاهري فيشمل كلَّ أفراد الأمّة حسبما تصوّر جمهور العامّة ووافقهم بعص دعاة الوحدة ممن ينتسبون إلى التشيّع بهتاناً وزوراً، بل المقصود هم فئة خاصّة من خواص عباد الله تعالى حيث لا سلطة لإبليس على أفكارهم ومشاعرهم، إذ من الواضح أنّ الإجتباء يعني الإصطفاء من كل ما يدنس الفطرة ويشوبها بالأكدار، وهؤلاء هم المخلَصون [بالفتح] الّذين أخلصوا نفوسهم لله تعالى لذا حكى عزّ شأنه عنهم بقوله:﴿**فوعزّتك لأغوينّهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلَصين** ﴾ (الحجر/٤٠) .

وقال عزّ وجلّ في حقّ يوسف عليه السلام: ﴿**كذلك لنصرف عنه السّوء والفحشاء إنّه من عبادنا المخلَصين**﴾ (يوسف/٢٤) .

فإذا ثبت صرف السّوء عن عبده يوسف عليه السلام فما ظنّك بمن كان الله عزّ وجلّ يتولّى أمره في كلّ لحظة من عمره : ﴿**وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾ (النّساء/١١٣) .

الحيثية الرّابعة: إنّ شهادتهم على الخلق تستلزم ديمومة حضورهم وإشرافهم على الأمم في كلّ قرن وإلاّ فإنّ فرض الشّهادة دون ما ذكرنا يعتبر خدشاً في مقاماتهم التي رتّبهم الله تعالى فيها .

روى الكليني عن سماعة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ:﴿**فكيف إذا جئنا من كل أمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً**﴾قال: نزلت في أمّة محمّد خاصّة، في كل قرن منهم إمام منّا شاهد عليهم، ومحمّد شاهد علينا [٧٥].

والقول بأنهم شهداء يقتضي الإعتقاد بحضوريّة علومهم وأنه لا يتخلّف المعلوم عندهم لحظةً ما، فتصوُّر أنهم يتلقّون العلوم في ليلة القدر من دون سبق المعرفة قبلها هو خُلف الإعتقاد بعلمهم الحضوري،مضافاً لمخالفته للأدلّة والأخبار .

٤ . قوله تعالى: ﴿**ويقول الّذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾ (الرّعد/٤٣) .

تثبتُ الآيةُ الشّريفةُ . وهي خاتمة سورة الرّعد المكّية . العلمَ الحضوري والإحاطةَ التفصيليّة الّتي يتحلّى بها مَنْ عنده علم الكتاب الشّاهد بعد الله تعالى على رسالة سيّدنا محمّد، حيث عُطِفَت الشّهادة الثانية على شهادة الله تعالى التفصيليّة قطعاً مما يقتضي تلازم شهادة مَن عنده علم الكتاب بشهادة

الله العلي القدير، وهذه الآية المباركة كغيرها من الآيات التي جاءت في سياق دفع شبهات الجّاحدين والمنافقين والمعاندين وتعاميهم عن الآيات الواضحة والحجج السّاطعة على الحق والرّسالة، وطلبهم من النّبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم الحجّة تلو الحجّة تبريراً لعنادهم وحجودهم، لذا قصّ علينا القرآن الكريم عن ذلك في مواضع متعدّدة منها قوله تعالى : ﴿**ويقول الّذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربّه** ﴾ (الرّعد/٢٧) ولما نزلت الآيات لم يؤمنوا بل طلبوا منه تعجيزاً ومراءاً أن يفيض عليهم ما لا يمكن باعتقادهم أنْ يحقّقه فقالوا له : ﴿...**لن نؤمن لك حتى تفجُر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنّة من نخيل وعنب فتفجّر الأنهار خلالها تفجيراً أو تسقط السّماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السّماء ولن نؤمن لرقيّك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربّي هل كنت إلاّ بشراً رسولاً**﴾ (الإسراء/٩٠ . ٩٣) .

ومن الواضح أنّ إعراضهم لم يكن لنقص في حجج النّبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم وآياته ولكنّ الظّالمين بآيات الله يجحدون، فما تغني الآيات والنّذُر عن قوم لا يؤمنون . وتتعدّد الأجوبة على هؤلاء فتارةً يقول لهم : ﴿**إنّ الله يضلّ من يشاء ويهدي إليه من أناب** ﴾ (الرّعد/٢٧) متعجّباً من موقفهم المعاند المكابر بعد كلّ هذه الآيات السّاطعة التي أوتيها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلَّم على الرّغم من أنه تحدّاهم بمعجزة القرآن وما يصدر منه من معجزات وكرامات تأخذ بأعناقهم إلى الإذعان النّفسي وإنْ ج حدت بها ألسنتهم﴿**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً**﴾ (النّمل/١٤) .

وتارةً أخرى يقول في جواب اقتراحهم للآيات إذا رأى منهم عدم الإذعان ولو احتمالاً ﴿**كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إنّه كان بعباده خبيراً بصيراً** ﴾ (الإسراء/٩٦) .

وثالثةً يتحدّاهم ليبكّتهم ويبهتهم بحيث لا يترك لهم مجالاً للسّخرية والهمز واللّمز فيأتي النّصير الإلهي فيكتسح قوّتهم ويقتلع شوكتهم فيسدّد سهامه المرّة على أفكارهم وقلوبهم بما آتاه الله من المعجزات والكرامات نظير محمّد ونفسه التي بين جنبيه فيقول لهم عنه : ﴿**قل كفى بالله شهيداً بين ي وبينكم ومن عنده علم الكتاب** ﴾، حيث أراد المولى عزّ ذكره أنْ يمدّ نبيّه الأكرم بالعزم القويّ والتثبيت تلو التثبيت، ليشدّ من أزره ويزيد من إصراره على الحقّ دون أيّ إلتفات لتقولات الجّاحدين فيخاطبه الله تعالى ذكره بالقول مسلّياً فؤاده بأخيه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام رسول الله وحجّته تماماً كرسول الله محمّد وحجّته: ﴿**قد نعلم إنه ليحزنك الّذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكنّ الظّالمين بآيات الله يجحدون، ولقد كذبت رسلٌ من قبلك فصبروا على ما كُذّبوا وأوذوا حتى آتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمات الله** ﴾ (الأنعام/٣٣.٣٤) .

لقد أمدّ اللهُ نبيَّه بالنّصر، وهذا لا يكون إلاّ بوسائل ومعدّات، أهمّها أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث كرَّم الله تعالى نبيّه بالإمام علي عليه السلام إذ هو النّصر الّذي ذكره في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح** ..﴾ وهل حقَّقَ الإسلامُ نصراً إلاّ ببطولاتِ أمير ا لم ؤمنين عليّ عليه السلام؟ ولولا فكر الإمام عليّ المرتضى عليه السلام وسيفه البتار لما انتشر الإسلام في تلك المنطقة

الصحراويّة الجّافة والقاسية وأهلها الغلاظ الشّداد لا يعرفون أي معنى للرّحمة والشّفقة .

إنّ الإسلام يدين بالولاء الكامل لمولى الثقلين حيدر الكرّار عليّ عليه السلام، إذ لولاه لم يصمد. هذا الإسلام . أمام تيّارات الكفر والشّرك والنّفاق . من هنا جعل الله الإمام عليّاً عليه السلام عديلاً بشهادته وعلمه لشهادة الله تعالى وعلمه، وكفى به كرامة وفضلاً .

ومن الواضح أنّ سرّ هذه الكرامة والجّلالة هو توفّره على علم الكتاب، فما أجَلّ هذا العلم وأرفع قدره! .

وقد أشار القرآن العزيز إلى حقيقة من له "علم من الكتاب" بحيث يستطيع أن يتصرّف بأمر التكوين ونظامه بقوله:﴿**وقال الّذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك**﴾ (النّمل/٤٠) .

فإذا ثبت لآصف بن برخيا وزير النّبي سليمان أن يأتي بعرش بلقيس من سبأ في أقلّ من ارتداد الطّرف . وهو عمل عجيب خارق للعادة .، فكيف يا تُرى شأن من عنده علم الكتاب كلّه؟ ! ﴿**قل إنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسعٌ عليم، يختصّ برحمته مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾ (آل عمران /٧٤.٧٣)، واقتران شهادة من عنده علم الكتاب بشهادة الله العظيم يستلزم عصمة من عنده علم الكتاب، إذ من المستحيل أن يقرن الله تعالى شهادَته بمن لا يكون بمستوى تحمّل الشّهادة الواقعيّة لا الظّاهريّة كما يتوهّم السذّج من العلماء قياساً على ما جاء في قوله تعالى : ﴿**وشهد شاهد من بني إسرائيل**﴾ (الأحقاف/١٠) أو ما جاء في قوله تعالى

﴿**أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل**﴾ (الشّعراء/١٩٧) حيث فسّروا "الشّاهد" في آيات الشّهادة المبحوث فيها هنا بـ " أهل الكتاب " أمثال عبد الله بن سلام وابن صوريا، لكنّه قياس باطل إذ لا يمكن أن يكون الشّاهد العظيم هو عبد ا لله بن سلام وأمثاله، سواء كانت آية الشهادة نازلة في مكّة أو المدينة.

من هنا يتضّح الخلط الّذي قد يُلاحظ لدى جلّ مفسّري العامّة بين من عنده علم الكتاب وأهل الكتاب، توهّماً منهم بأنهما مفهومان متحدان، ولذا فهم يطبّقونه على إبن سلام وأمثاله، وتلك مغالطة نشأ ت من التشابه اللّفظي بينهما، ولعلّ هؤلاء كانوا سيفسّرون آية : ﴿**وقال الّذي عنده علم من الكتاب**﴾ أيضاً بذلك لولا وقوع هذه الآية في قصّة النّبي سليمان .

وهذا الخلط والإشتباه والضّلال ناشيء في الواقع من ترك التمسّك بالثقلين، وقد أمروا بأن يتمسّكوا بهما لقوله صلّى الله عليه وآله في الحديث المتواتر بين الفريقين : " إني مخلّف فيكم الثقلين، ما إنْ تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي " (٧٦) وفي تعبير آخر : " لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض..." فقد حدّد حديث الثقلين المصداق الوحيد الّذي تنطبق عليه آية ﴿**ومن عنده علم الكتاب**﴾.

فأهل البيت عليهم السّلام هم الّذين عندهم علم الكتاب وعلى رأسهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن ثمّ لهم أهليّة التصرّف الكامل بنظام التكوين .

ويشهد لما قلنا الأخبار الكثيرة في مصادر الفريقين في أنّ آية ﴿**ومن عنده علم الكتاب**﴾ مختصّة بأمير المؤمنين عليّ ، فمن طرق القوم ما رواه إبن المغازلي الشّافعي مسنداً عن عبد الله إبن عطاء قال : كنت عند أبي جعفر جالساً إذ مرّ عليه إبن عبد الله بن سلام، قلت: جعلني الله فداك، هذا إبن الّذي عنده علم الكتاب؟ قال: لا، ولكن صاحبكم عليّ بن أبي طالب الّذي نزلت فيه آيات من كتاب الله عزّ وجلّ : ﴿**وعنده علم من الكتاب**﴾ ﴿**أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه** ﴾ ﴿**إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا**﴾ (٧٧).

ومن طرقنا روايات متضافرة:

(منها): ما رواه ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب في الصّحيح عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب** ﴾ قال: إيّانا عنى، وعليّ أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النّبي(٧٨) . وما سبق في حديث الثقلين من ربط كتاب الله بالعترة، والعترة بالكتاب، ليس معناه حصر الكتاب بالقرآن في آية ﴿**ومن عنده عل م الكتاب**﴾ وإن كان القرآن جزءاً من الكتاب الكبير الّذي هو اللّوح المحفوظ لقوله تعالى: ﴿**إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسّه إلاّ المطهّرون** ﴾ (الواقعة/٧٧ . ٧٩)، وهذا الكتاب المكنون هو نفسه اللّوح المحفوظ لقوله تعالى: ﴿**بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ** ﴾ (البروج/٢١) فالمراد من الكتاب هو الأعمّ من القرآن، والعالِم بهذا الكتاب لا بدّ أن يكون ذا

مقامات يقينيّة واضحة حيث يمكن من خلالها الوقوف على عوالم الملكوت ﴿**فسبحان الّذي بيده ملكوت كلّ شيء وإليه ترجعون** ﴾ (يس/٨٣) والملكوت هو باطن التكوين، وصاحب الملكوت هو الله تعالى حي ث أوجد نظام التكوين ويتصرّف فيه كيفما شاءت حكمته، وهذا الملكوت لا يتحقّق إلاّ من خلال العلم، إذ من دون العلم لا يمكن أن يكون ثمة إرادة تكوينيّة ومنشأ للتصرف في التكوين، وليس كل علم يكون سبباً مؤثراً في نظام التكوين بل المؤثر هو العلم الرّبوبي، وهذا يمكن إع طاؤه لبعض العباد المخلصين فتكون إرادتهم كاشفة عن إرادة الآذن والمرخّص لهم في إيجاد التكوين .

وعلّة الإذن والترخيص لهم تكمن في أنهم وصلوا إلى مقاماتِ عين اليقين﴿**كلاّ لو تعلمون علم اليقين لترونّ الجحيم ثمّ لترونها عين اليقين**﴾ (التكاثر/٧.٥)، ﴿**وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**﴾ (السجدة/٢٤)، والأمر بالهداية الوارد في الآية ليس هو الأمر التشريعي لأنّ الأمر التشريعي لا يختصّ بالإمامة، فبمقدور أي مؤمن أن يأمر بالأمر التشريعي، فلا بدّ أن يكون هذا الأمر هنا هو الأمر التكويني، ومعنى ذلك أنّ الّذي يقف على الملكوت لا يمكنه ذلك إلاّ من خلال مصاحبة الأمر التكويني أو يلبس لباس التكوين .

والعلم بالكتاب ملازم للتصرّف في عوالم التكوين، فكما أنّ الّذي عنده علم من الكتاب كان علمه منشأً لهذا التصرّف، فكذا مَن عنده علم الكتاب فإنّ له ذلك بطريق أ ولى، وإلاّ لو لم يكن ثمة أثر لهذا العلم من الكتاب في

هذا التصرّف التكويني فلا معنى لأنْ تُذكَرَ هذه الحقيقة في وسط قوله: ﴿**قال الّذي عنده علم من الكتاب** ﴾ و﴿**قبل أنْ يرتدَّ إليك طرفك** ﴾ إذ كان بمقدور الآية أن تقول: "قال فلان أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك" من دون ذكر قيد﴿**قال الّذي عنده علم من الكتاب**﴾.

وبالجّملة: فإنّ العالم بالكتاب وببعض الكتاب التكوينيين لهما السّيطرة والهيمنة على الأشياء التي لهما ولاية عليها بإذن الله تعالى شأنه؛ لأنّ الفعل الصّادر منهما أمر خارق للعادة لا يمكن للسّبل العاديّة أن تتكفّل بتحقيقه، بل لا بدّ له من أمرٍ إلهيٍّ يُخرِجُهُ عن حالته الطبيعيّة إلى الواقع المراد تحقّقه خارجاً، لأنّ الإعجاز التكويني داخل في الوجود الإمكاني، وكل شيء مملوك لله تعالى، إذن لا بدّ أن يكون بإذن الله عزّ ذكره، وكما لا بدّ لصاحب الإرادة التكوينيّة من علم تفصيلي بالشّيء التكويني لكي يتحقّق خارجاً، كذا لا بدّ للشّاهد، سواء أكان نبيّاً مرسلاً أم وليّاً حجّة، لأنّ معنى الشّهود .كما قلنا . هو أن يكون له حضور دائم على النّظام التكويني المشهود عليه، من هنا جاءت النّصوص لتضيء هذه الحقيقة، فقد روى الكليني عدّة أخبار تشير إلى ماهيّة الإسم الأعظم الّذي من خلاله يمكن السّيطرة على عالم التكوين، ففي خبر عن المولى الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرّير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الإسم الأعظم إثنان وسبعون حرفاً [٧٩].

وتجدر الإشارة إلى أنّ العلم في الآية والخبر ليس هو العلم الحصولي، بل هو مستوىً من العلم أعلى من العلم الحصولي، علم يستطيع صاحبه أن يتصرّف في نظام التكوين، إذ ليس من شأن الحصولي أن تكون له هذه الميزة الإعجازيّة بل ذلك من شأن الحضوري ذي المستوى الملكوتي الملازم لمرحلةِ عينِ اليقين .

٥. قوله تعالى: ﴿**ورسولاً إلى بني إسرائيل أنّي قد جئتكم بآية من ربّكم أنّي أخلق لكم من الطّين كهيئة الطّير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبّئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم إنّ في ذلك لآية لكم إنْ كنتم مؤمنين**﴾ (آل عمران/٤٩) .

تشير الآية المباركة إلى رسوليّة عيسى على نبيّنا وآله وعليه السَّلام وقدرته على الخلق والشّفاء وإح ياء الموتى وهو ما يسمّى بالولاية التكوينيّة، مضافاً إلى قدرته عى استكشاف ما و راء الغيب، حيث كان بإمكانه إخبارهم بما يخبّئون في منازلهم وغيرها وما يأكلون، وكل ذلك موضوعات كثيرة خارجة عن وظائفه التبليغيّة لكنّه أراد أن يثبت لهم أنّ القدرة الإلهيّة لا حدّ له ا وأنّ من ارتبط بها مخلصاً بالقرب منها صار كلمته التكوينيّة لا يريد سوى ما أراده الله تعالى، وقوله قول الله؛ لأنّ من أخلص لله عزّ وجلّ أخلص الله سبحانه وتعالى له، وذلك قوله تعالى ﴿**ولمّا بلغ أشدّه آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين**﴾ (يوسف/٢٢) وقوله تعالى: ﴿**ولمّا بلغ أشدّه واستوى**

آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين ﴾ (القصص/١٤) وحديث قرب النّوافل: "ما يزال العبد يتقرّب إليّ بالنّوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت عينه التي يرى بها ولسانه الّذي ينطق به وأذنه التي يسمع بها ..." .

فمن بلغ أشدّه في الإخ لاص والتوجه أفاض عليه الرّب من نعمه التي لا تُحصى، وجوده الّذي لا ينفد، إذ مَن تقرَّب إلى الله ذراعاً تقرّب إليه شبراً، وفي حديث مولانا الإمام الصّادق عليه السلام: "مَن أخلص لله أربعين صباحاً تفجّرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ".

ومعنى كونه تعالى عين العبد ول سانه وأذنه أنّه عزّ وجلّ أفاض على تلكم الأشياء من رحمته فصارت مباركة بمدد الله سبحانه فكان صاحبها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** ﴾(ق/٢٢) ﴿**وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى** ﴾ (الأنفال:١٧) ﴿**إنْ تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم** ﴾ (الأنفال:١١) ﴿**وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام**﴾ ﴿**قل نزّله روح القدس من ربّك بالحقّ ليثبت الّذين آمنوا** ﴾ (النحل/١٠٢) ﴿**يثبت الله الّذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدّنيا وفي الآخرة** ﴾(إبراهيم/٢٧) ﴿**قل من بيده ملكوت كلّ شيء وهو يجير ولا يجار عليه** ﴾(المؤمنون:٨٨) ﴿**ونزع يده فإذا هي بيضاء للنّاظرين** ﴾ (الأعراف/١٠٨) .

وزبدة المخض: إنّ عيسى رسول الله لما أخلص لله تعالى شأنه، صار فِعْلُه فِعْلَ الله وقوله قول الله وإرادته إرادةَ الله :

﴿**وما أمرنا إلاّ واحدة كلمحٍ بالبصر**﴾ (القمر/٥٠) .

﴿**قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً**﴾ (مريم/٣٠) .

﴿**إنّ في ذلك لآية لكل عبد منيب**﴾ (سبأ/٩) .

﴿**إنْ هو إلاّ عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل**﴾ (الزخرف/٥٩) .

﴿**تبصرة وذكرى لكلّ عبد منيب**﴾ (ق/٨) .

ولو أنّ النّاس أخلصوا الإنابة إلى الله عزّ شأنه لما تأخّر عنهم الله لحظة واحدة ولكنّهم أخلدوا إلى الأرض، فمسخ أرواحهم قردة وخنازير، وكانوا مصداقاً لقوله تعالى : ﴿**واتل عليهم نبأ الّذين آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشّيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنّه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عل يه يلهث أو تتركه يلهث، ذلك مثل القوم الّذين كذّبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلّهم يتفكّرون**﴾ (الأعراف/١٧٥.١٧٦) ﴿**ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السّماء والأرض**﴾ (الأعراف/٩٦)، ومن منطلق الرّحمة دعاهم عيسى عليه السلام إلى الطّاعة ﴿**ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوّة ثمّ يقول للنّاس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربّانيّين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون**﴾ (آل عمران/٧٩) لكنّ بني إسرائيل استكبروا وانحرفوا عن الصّراط، أمّا المؤمنون بالله وبدعوة عيسى فقد صاروا أنصار الله ﴿**وإذ أوحيت إلى الحواريّين أنْ آمنوا بي**

وبرسولي قالوا آمنّا ...﴾ (المائدة/١١١) ﴿**فلمّا أحسّ عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنّا بالله واشهد بأنا مسلمون** ﴾ (آل عمران/٥٢) .

وعليه؛ فإذا ثبت لعيسى عليه السلام من الكرامة والمنزلة بحيث صار فعله فعل الله وكلمته كلمة الله وولايته على الأشياء ولاية الله تعالى، فيثبت ذلك بطريق أوْلى لرسول الله محمّد وآله الميامين لكونهم أفضل من عيسى عليه السلام، فلهم من الولاية التكوينيّة التي كانت لعيسى عليه السلام بل وأعظم بحسب المطلقات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة الشّريفة، فالشّك في وصولهم إلى تلك المنازل والكرامات يستلزم نسف ما نزل على رسول الله محمّد من الآيات الدّالة على علوّ فضله وآل بيته الكرام ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾ (الأحزاب/٣٣) .

٦. قوله تعالى : ﴿**قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً ...**﴾ (مريم/٣٠) .

تشير الآية الشّريفة إلى مسألتين مهمّتين:

الأولى: إيتاء الكتاب لعيسى عليه السلام .

الثانية: كونه نبيّاً قبل بلوغه .

ومسألة إيتائه الكتاب ملازم لكونه عبداً لله تعالى، وصفة العبوديّة من خواص شخصيّة الأنبياء والمرسلين والأولياء المقرّبين، ولا يمكن الوصول إلى مقام الرّسالة أو الإمامة دون بلوغ مقام العبوديّة،بل لا بدّ من استمراريّة صفة

العبوديّة في ذوات الأنبياء والأولياء لكونهم من اللّوازم التي لا تنفك عن مقام القرب مع الله تعالى، لأنّ العبوديّة لله عزّ شأنه تعني فقر المعلول إلى العلّة بقاءاً واستمراراً كما كان محتاجاً وفقيراً إلى العلّة حدوثاً ووجوداً لأنّ كلّ ما دون الله تعالى هو ممكن، لكون الإمكان لازماً لماهيّة الممكن ويستحيل رفعه عنه،وإلاّ لزم انقلاب الممكن من الإمكان والحدوث إلى الوجوب أو الإمتناع، وكلاهما باطل بالضّرورة .

من هنا فإنّ روح الله عيسى عليه السلام لم يتعالَ أن يكون عبداً لله لأنّ التعالي عن العبوديّة يستلزم انفكاك صفة لازمة لشخصيّته الفذّة العابدة المتواضعة وهذا يعتبر خروجاً بعينه عن المملوكيّة والإنعتاق من أسر العبوديّة للمولى عزّ وجلّ وهو الكفر بعينه، يتنزّه عنه أبسط المؤ منين فكيف برجلٍ عظيمٍ كعيسى عليه السلام حيث تمحّض بالعبوديّة لله تعالى ومتذلّلاً إليه بخشوعه وتواضعه وفقره الذّاتي:

﴿**يا أيّها النّاس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد** ﴾ (فاطر/١٥)
.

﴿**لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله..**﴾ (النّساء/١٧٢) .

﴿**ضرب الله مثلاً عبجاً مملوكاً لا يقدر على شيء**﴾ (النّحل/٧٥) .

لقد حافظ عيسى عليه السلام على مستوى مملوكيّته وعبوديّته للمولى عزّ وجلّ وسيبقى إلى يوم القيامة، وكونه عبداً حقيقيّاً لله عزّ شأنه يستلزم أن يكون عارفاً بالله ومحيطاً بخصوصيّات مالكه وسيّده الّذي أفاض عليه نعمة الوجود، فصار قابلاً لكي يكون نبيّاً ورسولاً مطّلعاً على الكتاب التكويني، وليس

الإنجيل كما تصوّر بعض السذّج، ودعوى مساواته لرسول الله محمّد وعترته الطّاهرة في علمه بما في الكتاب فلا ميزة لهم عليه، مدفوعة، وذلك لكون معرفته بما في الكتاب التكويني " اللّوح المحفوظ " مخصّصاً بما كان خاصّاً بأهل زمانه، وهو تماماً كتفضيل بني إسرائيل . حسبما ورد في قوله تعالى ﴿**وأنّي فضّلتكم على العالمين**﴾ . على عوالم زمانهم من حيث كثرة خروج الأنبياء منهم .

وايتاؤه للكتاب لما كان في المهْدِ صبيّاً (بل مذ وُجدَ في عالم الأنوار) يستلزم إحاطته بالكتاب من دون واسطة ملك بينه وبين ذاك الكتاب، ممّا يعني الإعتقاد بعلمه اللّدني، والقول بأنّ نزول جبرائيل عليه وعلى بقيّة الأنبياء والمرسلين بالعلوم والمعارف ممّا يستوجب القول بأنّ علوم الأنبياء كسبيّة بواسطة الملائكة أو النّقر في الأسماع حسبما جاء في بعض الأخبار مدفوع بوجوه:

الوجه الأوّل: عدم حصر الوحي بهبوط جبرائيل أو نقر الملائكة في الأسماع بل الوحي أعمّ من هذا طبقاً للتقسيم السّابق الوارد في قوله تعالى :﴿**وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليٌّ حكيم**﴾ (الشّورى/٥١) .

فنزول الملَك بإلقاء الوحي التشريعي والنّقر في الأسماع وسائل غيبيّة للتعريف بالنّبي والإمام في قومهما أنّهما مرسلان من قبَل الله تعالى دفعاً لتصوّر أنّهما يشرعان من عند أنفسهما، أو دفعاً لمحذور الغلو أو الإستقلال عن الإرادة الإلهيّة .

الوجه الثاني: لقد ثبت بالآيات والاحاديث وجود العلم اللّدني الحاصل من دون واسطة ملك نظير ما حصل لوليّ الله الخضر عليه السلام بقوله تعالى: ﴿**وعلّمناه من لدنا علماً**﴾ (الكهف/٦٥)؛ فالإتيان بنون العظمة إشارة إلى معارفه من الله مباشرةً، مضافاً إلى أنّ الله تعالى علّم آدم الأسماء بقوله عزّ شأنه: ﴿**وعلّم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة**﴾ (البقرة/٣١)؛ فالمعلّم لآدم مباشرةً هو الله وليس الملائكة بحسب الظاهر إذ كيف تعلّمه الملائكة ثمّ يأمر الله بأن يعرض ما تعلّمه منهم عليهم؟! .

فالصّحيح أنّ الله تعالى ألهمه مباشرةً العلوم والمعارف وأهمّها أسماء وأوصاف الحجج الطّاهرين من ذرّيته، ثمّ تحدّى بهم الملائكة كلّهم بدون استثناء، وذلك لعدم وجود قرينة تخصّص قسماً من الملائكة بالتعليم دون القسم الآخر، بالإضافة إلى أنّ الأمر بالسّجود لآدم إنما تمّ على الملائكة أجمعين دون استثناء لفضل مولانا وأبينا آدم عليهم.

الوجه الثالث: حصر الوحي بما ذكره الإشكال خلاف الإمتنان والفضل العظيم وحلول البركة في عيسى وصدورها منه بقوله تعالى: ﴿**وكان فضل الله عليك عظيماً**﴾ (النساء/١١٣) وقوله: ﴿**وجعلني مباركاً أينما كنت**﴾ (مريم/٣١)، فالفضل العظيم وإنْ كان مخصوصاً بالنبيّ صلّى الله عليه وآله، لكنْ لا يمنع إدراج عيسى عليه السلام في مصاديق الآية من حيث قربه الروحي من رسول الله وآله الأطهار عليهم السَّلام، وفضله عزّ وجلّ على نبيّه محمّد صلّى الله عليه وآله ليس في فترة زمنيّة محدودة بل كان الفضل مذ خلقه في العالم الاوّل قبل خلق الملائكة، والفضل إنما يكون بإعطاء المعارف وإلاّ فلا وجه

لأسبقيّته على الملائكة، وكونه معلّماً لهم كيفيّة السّير إلى الله تعالى والسّلوك إلى رضوانه، والتعليم لنبيّه كان سابقاً على وجود الملائكة فثبت بذلك وجود العلم اللّدني . كما أنّ كون النبيّ عيسى عليه السلام مبارَكاً ليس معناه أنّ الملائكة تباركه وتقدّسه بل هو بنفسه مبارَك ومقدّس أينما حلّ وفي أيّ زمنٍ كان، والملائكة تلتمس البركة منه على نبينا وآله وعليه أفضل التحية والإكرام ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون وصدق قوله تعالى :﴿**يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربّي وجعلني من المكرمين**﴾ (يس/٢٧) .

يتضح من خلال هذا العرض الموجز للآيات أهميّة العِلْم اللّدني للنبيّ والعترة عليهم السَّلام، وهو أحد أقسام العلم الرّبوبي وثبوته لهم بالعمومات والإطلاقات وإلاّ فإنّ حصر العلم الإلهي بنزول الملائكة على السّفراء والحجج يستلزم تقييد القدرة الأزليّة المطلقة التي لا يعجزها شيء، لا سيّما وأنّ متعلَّقها هو العوالم الإمكانيّة التي لا يمكن أن تتخلّف عن المراد الإلهي، مع التّأكيد على أنّ الله جلت قدرته قد أفاض على العباد بعض العلوم الحضوريّة دون واسطةِ مَلَكٍ كعلمنا بأنفسنا وأنّنا موجودون، وعلمنا بأنّ الشّمس مشرقة وما شابه ذلك، فقدرته على تخصيص العباد ببعض المعارف الحضوريّة يستلزم قدرته على تخصيص بعضهم . كالأولياء والأنبياء . بكلّ المعارف [إلاّ ما أخرجه الدّليل] يتمّ بطريق أولى إتماماً للحجّة وإسباغاً للنّعمة .

وبهذا يتمّ الإس تدلال بالعمومات من الكتاب على صحّة إعطاء النّبي والإمام الأوامر إلى الملائكة في ليلة القدر دون العكس .

الأمر الثاني: الإستدلال على المدّعى بالأخبار الخاصّة والقرائن الحافّة بها .

قلنا: إنّ القول الفصل في المسألة المبحوث فيها أنّ الأئمّة عليهم السّلام يعطون الأوامر إلى الملائكة المدبّرة للأمر بإذن الله سبحانه وتعالى لما ثبت من أنّ لديهم العلم الحضوري، ومعناه انكشاف المعلومات عند المعصوم فعلاً في مقابل انكشافها الشّأني عليه بالقوّة والإرادة والتي يعبّر عنها بالعلم الإشائي أو الإرادي .

والإعتقاد بأنّ النّبي والعترة لا يعلمون إلاّ من خلال نزول الملك في ليلة القدر يستتبع نسبة الجّهل إليهم قبل معرفتهم بالتفاصيل في ليلة القدر، وقد قامت الأدلّة القطعيّة من الكتاب والسنّة والعقل على بطلان ذلك، مضافاً إلى مصادمة هذا الإعتقاد المذكور لعمومات الأدلّة الأربعة : الكتاب والسنّة والإجماع والعقل، الدّالة على فعليّة علومهم وعصمتهم عن كل زللٍ وخطأ وجهلٍ حتى في فترة زمنيّة قصيرة .

فمن محكمات الكتاب : عمومات وجوب التأسّي ومتابعة النّبي والأئمّة في عموم أقوالهم وأفعالهم، وعمومات وجوب التسليم والإنقياد لهم أيضاً في كل تصرّفاتهم وأقوالهم، وهل يمكن التسليم إلى جهلهم قبل نزول ليلة القدر عليهم؟**!** كلاّ، وربّ الخلائق، ومن هذه العمومات قوله تعالى : ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾ (الأحزاب/٢١)، ﴿**إنْ كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله** ﴾ (آل عمران /٣١) وقوله تعالى :﴿**الّذين يتّبعون الرّسول النّبي الأمّي...**﴾(الأعراف/١٥٧)﴿**واتّبعوه لعلّكم تهتدون** ﴾(الأعراف/١٥٨)

وقوله: ﴿**ما آتاكم الرّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ (الحشر/٧) ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم**﴾ (النّساء/٥٩) ﴿**أطيعوا الله ورسوله ولا تولّوا عنه وأنتم تسمعون** ﴾ (الأنفال/٢٠) ﴿**وإنّ ربّكم الرّحمان فاتّبعوني وأطيعوا أمري** ﴾ (طه/٩٠) ﴿**اتّقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمرالمسرفين**﴾ (الشّعراء/١٥٠) ﴿**استجيبوا لله وللرّسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾ (الأنفال/٢٤) ﴿**إنّه لقول رسول كريم ذي قوّة عند ذي العرش مكين مطاع ثمّ أمين** ﴾ (التكوير/١٩-٢٠) ﴿**إن هو إلاّ وحيٌ يوحى** ﴾ (النّجم/٤) .

وبما أنّ العترة الطّاهرة هي نفس النّبي بنص آية المباهلة وعِدْل الكتاب الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بنصّ حديث الثقلين ممّا يعني العصمة لهم تماماً كما هي للنّبي وللكتاب، لأنّ ثبوت العصمة لهم ملازم لكونهم قدوة حسنة يجب التأسّي بهم والتسليم لأمرهم، وما ثبت للنّبي من وجوب التأسّي والقدوة أيضاً ثابت لهم بلا فصل، إذ لو احتمِل فعلهم الجّهل أو أنّ علمهم ليس حضوريّاً لما جاز التأسّي والمتابعة والتسليم لهم عموماً في جميع الأفعال بل ولا مطلقاً في شيء من الأحوال لسراية ذلك الإحتمال المانع لكلّ الأعمال .

مضافاً إلى أنّ الإعتقاد بعدم فعليّة علومهم يساوق القول بعدم عصمتهم المطلقة التي لم تَقتصر على وقت معيّن أو زمن دون آخر، وذلك لأنّ شأنيّة علومهم ملازم لجهلهم وهو خلف كونهم مطهَّرين دون خصوصيّة لزمن على آخر، فقوله تعالى : ﴿**ويطهّركم تطهيراً** ﴾ يشمل جميع حالاتهم وأزمانهم،

فالتطهير عامٌ، ومَن حَصَرَهُ في وقتٍ أو زمنٍ دون آخر عليه أنْ يأتي بقرينة قطعيّة تثبت مدّعاه وهي مفقودة في البَيْن، فيبقى العموم سارٍ في جميع مراتبه وأزمانه وأوقاته وفي كل متعلّقاته .

هذا م ع التأكيد على أنّ هذه العمومات تتوافق مع الأخبار الدّالة على فعليّة علومهم، كما تتوافق مع عمومات الآيات الدّالة على عدم سلطة إبليس على المخلَصين كقوله تعالى:

﴿**إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان**﴾ (الإسراء/٦٥).

﴿**قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلَصين**﴾(ص/٨٣).

﴿**كذلك لنصرف عنه السّوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلَصين**﴾ (يوسف/٢٤) .

وأمّا من محكمات السنّة الدالّة على فعليّة علومهم وعدم جهلهم، بالإضافة إلى ما تقدّم من العمومات القرآنيّة الدّالة على وجوب التأسّي والتسليم والتفويض يكفي ما ورد من أنّ الإ مام عا لم لا يجهل، وعا لم بكلّ ما كان وما يكون وبمنطق الطير والبهائم والمسوخ كلّها، وبالآجال والمنايا، وأنهم يتكلّمون جميع الألسن واللّغات، ويخبرون عن جميع المغيّبات، وأنه تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ويرون من خلفهم كما يرون من أمامهم وأنهم أوّل ما خلق الله، ومن نورهم اشتقّ خلق السّماوات والأرضين والبحار والجنان وحور العين . وأنّهم يرون ما بين المشرق والمغرب لا يخفى عليهم شيئ من عا لم الملك وينصب لهم عامود من نور من الأرض إلى السّماء، وأنّ السّماوات والأرض عند الإمام كيده من راحته يعرف ظاهرها من باطنها، ورطب ها من يابسها،

وأنّ الإمام بشر ملكيٌّ وجسدٌ سماويٌّ، وأمرٌ إلهيٌّ، وروحٌ قدسيٌّ، ومقامٌ عليٌّ، ونورٌ جليٌّ، وسرٌّ خفيٌّ، ملكيُّ الذّات، إلهيُّ الصّفات، عالمٌ بالمغيّبات، مبرَّأٌ من العيوب، مطّلعٌ على الغيوب، ظاهرُه إمامة وباطنُه غيبٌ لا يُدْرَك .

وكذا العمومات المعتبرة في البصائر [٨٠] والإحتجاج[٨١] عن مولانا الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليهما السَّلام في ردّ الغلاة والمفوضة : " لا تجاوزوا بنا العبوديّة ثمّ قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا ". وكذا ورد في الخصال [٨٢] والبصائر[٨٣] والبحار[٨٤]: أيضاً عن مولانا الإما م عليّ عليه السلام قال: إيّاكم والغلوّ فينا، قولوا إنّا عبيد الله مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم " .

فالقول بفعليّة علومهم وعدم سهوهم ليس من الغلوّ، وإنّما الغلوّ إثبات العبوديّة والربوبيّة لهم.

وممّا يدلّ على فعليّة علومهم أيضاً ما ورد بالمستفيض على حضورهم موت كل مؤمن وكافر بحيث يراهم الميت ويوصون ملك الموت ما يستحقّه من الرّفق والعنف، فإنّ حضورهم موت كل مَن في مشارق الأرض ومغاربها في آنٍ واحدٍ على وجه المشاهدة والرؤية مما لا يجامع الجّهل في شيء بل يستلزم كونه من خوارق العادات ما هو أعظم من إحاطة علمهم الف علي بجميع الكائنات إحاطة الشّمس والقمر بها .

وأمّا الإجماع على عصمتهم فلا يرتاب فيها أحد على الإطلاق، سوى ما نسب إلى الصّدوق وأستاذه إبن الوليد في مسألة السّهو التي ألصقاها برسول الله، وعدّهما الإعتقاد بالعصمة المطلقة للنبيّ وآله هي بنظر الصَّدوق أول درجة في الغلو، وأمّا مسألة فعليّة علومهم فلم تكن من المسائل المعهودة

والرّائجة في أزمنة المتقدّمين (بل المشهور يقول بفعليّة علم الإمام الّتِكِيْلاَ) سوى ما كان منتشراً بينهم من النّصوص الدّالة على ذلك وفي مقابلها ما يخالفها، دون أن يُظهروا ترجيحاً معتدّاً به، بل نجدهم على العكس من ذلك لا يخرجون عن المتعارف من خلال الجمع بين الأخبار النّافية والمثبتة لعلمهم بما يتناسب ومدركاتهم العقليّة، أو بحسب ما أدّى إليه ظنّهم واجتهادهم بفهم دلالة تلك الأخبار والعمل بها، والأظهر أنهم لم يتصرّفوا بالأخبار حرصاً منهم على أداء الأمانة ونشر الأخبار وعدم التصرّف بها طبقاً لما يرتأون من حفظ الأحاديث بحسب ما أمر أئمّة أهل البيت عليهم السَّلام، ولكنّنا نستغرب من فطاحل تلك الفترة الزّمنيّة التي برز فيها ثلّة من محقّقي الطائفة الشّيعيّة بالفقه والأصول كيف قلّ فيها التحقيق الفقهي والكلامي وا لفلسفي سوى ما رشح من العلاّمة الحلّي والخواجا نصير الدّين الطّوسي، وهذان قد خلت كتبهما من مسألتنا هذه لعذر خفي علينا، وسواء ذكرها المتقدّمون أم لا؛ فإن ذلك لا يؤثر في أصل المسألة لكونها من مقدّمات أصول العقيدة بل هي من أهم مقدّمات الفِقه والعصمة لما يترتب عليها من أهميّة على الصّعيد النّفسي والقيادي لدور المعصوم في إدارة المجتمعات وتسيير دفّة شؤونها لما في المسألة من تنزيه لكيان المعصوم عن الخطأ أو الجّهل فيما هو من مختصّاته الّتي جعلها الله سبحانه له كخليفة يحمل الأسماء الإلهيّة والصّفات التي تعكس عن الذّات الأحديّة المطلقة .

وعدم وجود إجماع على المسألة لا يقدح في أهمّيتها لكونها من أصول الإعتقادات التي لا يهمّ في تحقّقها وجود إجماعات لما اتضح في أصول الفقه

من عدم اشتراط الإجماع في أصول الإعتقادات لإبتنائها على الدّليليّة والحجّيّة لا على التعبّد والتوقّف الملازمَين للإجماع في أكثر حالاته .

وأمّا من العقل الموافق للنّصوص المثبتة لفعليّة علمهم عليهم السَّلام، فيكفي ما اقتضته قاعدة اللّطف الدّالة على وجوب اتصاف الحكيم بها من حيث وجوب اتصاف الأكمل من الذّوات . وهو الإمام . بالأكمل من الصّفات، وهو فعليّة العلم وعموم كمّيته، ومن أنّ علّة خلقه تعالى الخلق إنما هو معرفته سبحانه وتعالى لقوله : ﴿**وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون** ﴾ (الذّاريات/٥٦) والعبادة هي المعرفة . وللحديث القدسي المعروف : " كنت كنزاً مخفياً فخلقت الخلق لكي أُعرف " والمفروض أنّ معرفته موقوفة بعبادته ونصوصيّته على خلق الخلفاء مَظْهراً لجميع صفاته الجلاليّة، ومرآةً لتجلّي معارفه الخفيّة، وظلاًّ ظليلاً لأوصافه الكماليّة، بحيث يكون النّقص في المظهر والمرآة والظّل نقصاً في المظهر والمرئي وذي الظّل، وهو نقص لغرض الحكيم وحكمته ومستحيل عقلاً .

مضافاً إلى أنّ عموم علم الإمام عليه السلام بأفعال الأنام واطّلاعه فعلاً بها أقرب إلى طاعتهم وأبعد عن معصيتهم قطعاً، فيجب حينئذ فعله على الحكيم المتعال .

وبقاعدة اللطف تثبت عصمة الإمام من جميع المناقص الخُلُقيّة والخَلقيّة والنسبيّة، بل إنّ قاعدة المقتضي وعدم المانع تستلزم عموم علمهم الفعلي، وذلك لأنّ عموم علمهم الفِعْلي من الفيوضات الدّاخلة تحت المقتضي وهو عموم قدرة المبدأ الفيّاض، وعدم المانع من تلقي فيض الإمامة .

وبعبارة أخرى: إنه تعالى قادر على تعميم علم الإمام، والحاجة للعالم داعية إليه، ولا مفسدة فيه، فيجب عل ى الحكيم، بل إنّ وصف النّبي بالعصمة المطلقة أكمل وأحسن من وصفه بضدّها فيجب المصير إليه لما فيه من دفع الضّرر المظنون بل المعلوم .

إلى هنا اتضّح معنا إمكانيّة حصول الأئمّة عليهم السَّلام على العلم الفعلي من عند علاّم الغيوب حسبما قدّمنا بالأدلّة الأربعة، فدعوى أنّ علمهم إرادي باطلة من أساسها لمناهضتها للأدلّة القطعيّة لا سيّما قاعدة اللطف .

عرض الأخبار الدالّة على فعليّة عِلْم الإمام عليه السلام:

ولا بأس هنا باستعراض بعض الأخبار الدّالة على أنّ علمهم ليس منحصراً في ليلة القدر بل يتأكّد لهم فيها كما يتأكّد في كلّ صباح ومساء، وهي كثيرة منها:

أ . ما رواه الكليني في الكافي باب الجَفر والجّامعة، كما سوف يأتيك في البحوث اللاحقة .

ب . ومنها ما رواه المجلسي في البحار(٨٥) ،وهي كالآتي:

(**١**) . ير، [بصائر الدرجات] الحسين بن عليّ، عن عبيس بن هشام، عن أبي غسان الذهلي، عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: الله أحكم، وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب، عنه خبر السماء صباحا، ومساء (٨٦).

(**٢**) . ير، [بصائر الدرجات] عبد الله بن محمد عمن رواه، عن محمد بن خالد، عن صفوان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله أجل، وأعظم من أن يحتج بعبد من عباده ثم يخفي، عنه شيئا من أخبار السماء، والأرض(٨٧).

(**٣**) . عبد الله بن محمد، عن اللؤلؤي، عن إبن سنان، عن سعد بن الأصبغ الأزرق قال: دخلت مع حصين، ورجل آخر على أبي عبد الله عليه السلام قال: فاستخلى أبو عبد الله عليه السلام برجل فناجاه ما شاء الله قال: فسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول للرجل: أفترى الله يمن بعبد في بلاده، ويحتج على عباده ثم يخفي، عنه شيئا من أمره(٨٨).

(**٤**) . ير، [بصائر الدرجات] إبن معروف، عن حماد، عن حريز، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل عليّ عليه السلام، عن علم النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: علم النبي علم جميع النبيين، وعلم ما كان، وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة ثم قال :، والذي نفسي بيده إني لأعلم علم النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وعلم ما كان، وعلم ما هو كائن فيما بيني، وبين قيام الساعة(٨٩).

ملاحظة:

قوله عليه السلام:وعلم ما هو كائن؛ إشارة، واضحة إلى جميع الجزئيات، والموضوعات،، وهذا موافق لقول عيسى عليه السلام: ﴿**وأنبّئكم بما تأكلون وما تدّخرون**﴾ (آل عمران/٤٩) .

(**٥**) . ير، [بصائر الدرجات] أحمد بن محمد، عن إبن أبي نجران، عن يونس بن يعقوب، عن الحارث بن المغيرة، عن عبد الأعلى، وعبيدة بن بشير قال:

قال أبو عبد الله عليه السلام ابتداء منه:، والله إني لأعلم ما في السماوات، وما في الأرض، وما في الجنة، وما في النار، وما كان، وما يكون إلى أن تقوم الساعة، ثم قال: أعلمه من كتاب الله أنظر إليه هكذا، ثم بسط كفيه، ثم قال: إن الله يقول: ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب فيه تبيان كل شيء**﴾ (٩٠).

ملاحظة:

الموجود في المصحف الحالي : ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء** ﴾ (النحل/٨٩).

(٦) . ي، [بصائر الدرجات] أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن يونس، عن الحارث بن المغيرة، وعدة من أصحابنا فيهم عبد الأعلى، وعبيدة بن عبد الله بن بشر الخثعمي، وعبد الله بن بش ير سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول: إني لأعلم ما في السماوات، وأعلم ما في الأرضين، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان، وما يكون ثم مكث هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه ، فقال عليه السلام: علمت من كتاب الله أن الله يقول : "فيه تبيان كل شيء".

(٧) . ير، [بصائر الدرجات] أحمد بن إسحاق، عن عبد الله بن حماد، عن سيف التمار قال: كنا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر.

فقال عليه السلام: علينا عين، فالتفتنا يمنة، ويسرة فلم نرَ أحدا .

فقلنا: ليس علينا عين .

قال:، ورب الكعبة، ورب البيت ثلاث مرات لو كنت بين موسى، والخ ضر لأخبرتهما أني أعلم منهما، ولأنبأتهما ما ليس في أيديهما لأن موسى،

والخضر أعطيا عِلْمَ ما كان، ولم يعطيا عِ لْم ما هو كائن ؛، وإن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم أعطي عِلْم ما كان، وما هو كائن إلى يوم القيامة فورثناه من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وراثة(٩١) .

(٨) . ير، [بصائر الدرجات] عمران بن موسى، عن موسى بن جعفر، عن علي بن معبد، عن جعفر بن عبد الله بن حماد، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن أبي عمرو، عن معاوية بن، وهب قال : استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام فأذن لي فسمعته يقول : في كلام له يا من خصنا بالوصية، وأعطانا علم ما مضى، و **علم ما بقي، و** جعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، وجعلنا، ورثة الأنبياء عليهم السَّلام(٩٢).

ملاحظة: قوله عليه السلام: عِلْم ما بقي؛ إشارة إلى عِلْمِهِ بتفاصيل الجزئيات دون تخصيصٍ .

(٩) . ير، [بصائر الدرجات] بالإسناد المتقدم، عن معاوية، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: **اللهم يا من أعطانا علم ما مضى، وما بقي** ، وجعلنا، ورثة الأنبياء، وختم بنا الأمم السالفة، وخصنا بالوصية(٩٣).

(١٠) . ج، [الإحتجاج]، عن أبان بن تغلب قال : كنت، عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن فسلم عليه فر د أبو عبد الله عليه السلام فقال له: مرحبا يا سعد .

فقال له الرجل: بهذا الاسم سمتني أمي،، وما أقل من يعرفني به .

فقال أبو عبد الله عليه السلام: صدقت يا سعد المولى .

فقال الرجل: جعلت فداك، بهذا كنت ألقب .

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): لا خير في اللقب إن الله تبارك، وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَلا تَنابَزُوا بِالأَ لْقابِ بِئسَ الاِ سْمُ الْفسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ﴾ ما صناعتك يا سعد؟.

فقال: جعلت فداك إنا أهل بيت ننظر في النجوم لا يقال : إن باليمن أحدا أعلم بالنجوم منا .

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): كم ضوء المشتري على ضوء القمر درجة؟.

فقال اليماني: لا أدري .

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): صدقت،كم ضوء المشتري على ضوء عطارد درجة؟.

فقال اليماني: لا أدري فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): صدقت، فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الإبل، فقال اليماني:لا أدري .

فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): صدقت، فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت البقر؟.

فقال اليماني: لا أدري .

فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): صدقت فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الكلاب؟.

فقال اليماني: لا أدري .

فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): صدقت، في قولك لا أدري ،فما زحل عندكم في النجم؟ .

فقال اليماني: نجم نحس .

فقال أبو عبد الله عليه السلام: لا تقل هذا فإنه نجم أمير المؤمنين صلوات الله عليه فهو نجم الأوصياء عليهم السَّلام، وهو ﴿**النجم الثاقب**﴾ الذي قال الله في كتابه .

فقال اليماني: فما معنى الثاقب؟.

فقال عليه السلام: إن مطلعه في السماء السابعة فإنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا فمن ثم سماه الله النجم الثاقب ، ثم قال: يا أخا العرب، عندكم عالم؟.

قال اليماني: نعم، جعلت فداك، إن باليمن قوما ليسوا كأحد من الناس في علمهم .

فقال أبو عبد الله عليه السلام:، وما يبلغ من علم عالمهم؟.

قال اليماني: إن عالمهم ليزجر الطير، ويقفو الأثر في ساعة واحدة مسيرة شهر للراكب المحث .

فقال أبو عبد الله عليه السلام: فإن عالم المدينة أعلم من عالم اليمن .

قال اليماني:، وما يبلغ من علم عالم المدينة؟.

قال عليه السلام: إن علم عالم المدينة ينتهي إلى أن يقفو الأثر، ولا يزجر الطير، ويعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس تقطع اثني عشر برجاً ، واثني عشر براً، واثني عشر بحراً، واثني عشر عالماً .

فقال له اليماني: ما ظننت أن أحدا يعلم هذا، وما يدري ما كنهه ، قال: ثم قام اليماني [٩٤].

(١١) . ير، [بصائر الدرجات] محمد بن عيسى، عن أبي عبد الله المؤمن، عن علي بن حسان، عن أبي داود السبيعي، عن بريدة الأسلمي، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: يا عليّ إن الله أشهدك معي سبع مواطن حتى ذكر الموطن الثاني أتاني جبرائيل فأسرى بي إلى السماء فقال : أين أخوك فقلت : ودعته خلفي قال : فقال: فادع الله يأتيك به قال : فدعوت فإذا أنت معي فكشط لي عن السماوات السبع، والأرضين السبع حتى رأيت سكانها، وعمارها، وموضع كل ملك منها فلم أر من ذلك شيئا إلا وقد رأيته كما رأيته[٩٥].

ج . ومنها ما رواه المجلسي نقلاً عن الصفّار أيضاً، وهو كالآتي:

(١) . ير: محمّد بن الحسين، عن محمّد بن عبد الله بن هلال بن عقبة قال: كنت أنا والمعلّى بن خنيس عند أبي عبد الله، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما جلس مجلسك أحد إلاّ عرفته[٩٦].

(٢) . ير: الحسن بن علي، عن أحمد بن هلال، عن علي بن الحكم، عن ضريس الكناسي قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام مع جماعة من أصحابنا إذ دخل عليه رجل أعرفه فذكر رجلاً من أصحابنا ولمزه عند أبي عبد الله عليه السلام فلم يجبه بشيء فظنّ الرجل أنّ أبا عبد الله عليه السلام لم يسمع فأعاده أيضاً فلم يلتفت إليه، فظنّ الرّجل أنه لم يسمع فأعاد الثالثة.

فردّ أبو عبد الله عليه السلام يده إلى لحية الرّجل فقبض عليها فهزّها ثلاثاً حتى ظننت أنّ لحيته قد صارت في يده وقال له: إن كنت لا أعرف الرجل إلاّ بما

أبلغ عنهم فبئس النسب نسبي ثمّ أرسل لحيته من يده ونفخ ما بقي من الشّعر في كفّه(٩٧).

ملاحظة:

هذان الحديثان يدلاّن على أنّ الإمام عليه السلام يعرف الرّجل من دون أنْ يبلّغ عنه أحد .

د . ومنها ما رواه المجلسي في باب أنّ الله تعالى يرفع للإمام عموداً ينظر به إلى أعمال العباد، وهي كالآتي:

(١) . ير: معاوية بن حكيم، عن أبي داود المسترق، عن محمّد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الإمام يسمع الصوت في بطن أمّه، فإذا بلغ أربعة أشهر كتب على عضده الأيمن : ﴿**وتمّت كلمة ربّك صدقاً و عدلاً لا مبدّل لكلماته**﴾ فإذا وضعته سطع له نورٌ ما بين السماء والأرض، فإذا درج رفع له عمود من نور يرى به ما بين المشرق والمغرب(٩٨).

(٢) . **ير**: عبد الله بن عامر، عن محمّد البرقي، عن الحسن بن عثمان، عن محمّد بن فضيل، عن الثماليّ قال : قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ الإمام منّا ليسمع الكلام في بطن أمّه حتى إذا سقط على الأرض أتاه ملك فيكتب على عضده الأيمن : ﴿**وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السّميع العليم**﴾ حتى إذا شبّ رفع الله له عموداً من نور يرى فيه الدّنيا وما فيها لا يستر عنه منها شيء(٩٩).

(٣) . ي: أحمد بن محمّد، عن علي بن حديد، عن جميل بن درّاج قال :
روى غير واحد من أصحابنا قال : لا تتكلّموا في الإمام فإنّ الإمام يسمع الكلام وهو جنين في بطن أمّه، فإذا وضعته كتب الملك بين عينيه : ﴿**وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته**﴾ فإذا قام بالأمر رفع له في كلّ بلد منار ينظر به إلى أعمال العباد [١٠٠].

(٤) . ير: عمران بن موسى، عن أيوب بن نوح، عن عبد السّلام بن سالم، عن الحسين، عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام قال: إنّ الإمام يسمع في بطن أمّه فإذا ولد خطّ على منكبيه خط، ثمّ قال : هكذا بيده فذلك قول الله تعالى : ﴿**وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته**﴾ وجعل له في قرية عمود من نور يرى به ما يعمل أهلها فيها[١٠١].

(٥) . ير: محمّد بن الحسين، عن النّضر بن شعيب، عن خالد بن ماد ومحمّد بن الفضيل، عن محمّد بن مروان، عن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول عليه السلام: إنّ الإمام ليسمع الكلام في بطن أمّه حتى إذا سقط على الأرض أتاه ملك فيكتب على عضده الأيمن : ﴿**وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم**﴾ فإذا شبّ رفع الله في كلّ قرية عموداً من نور مقامه في قرية ويعلم ما يعمل في القرية الأخرى[١٠٢].

(**٦**) . ير: أحمد بن محمّد، عن الأهوازيّ، عن محمّد بن فضيل، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الإمام يسمع الكلام في بطن أمّه فإذا سقط إلى الأرض نصب له عمود في بلاده وهو يرى ما في غيرها(١٠٣).

(**٧**) . ير: أحمد بن محمّد، عن إبن محبوب، عن الربيع بن محمّد المسلّي، عن محمّد بن مروان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الإمام يسمع في بطن أمّه فإذا وِلِد خطّ بين كتفيه :﴿**وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته**﴾ فإذا صار الأمر إليه جعل الله له عموداً من نور يبصر به ما يعمل به أهل كلّ بلدة(١٠٤).

(**٨**) . ير:محمّد بن عيسى، عن الوشّاء، عن محمّد بن الفضيل، عن محمّد بن مروان، عن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ الإمام إذا شبّ رفع الله له في كلّ قرية عموداً من نور يعلم ما يعمل في القرية الأخرى(١٠٥).

(**٩**) . ير: عبد الله بن محمّد بن عيسى، عن أ حمد بن سليم أو عمّن رواه، عن أحمد بن سليم، عن أبي محمّد الهمداني، عن أبي إسحاق الجريري قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسمعته وهو يقول : إنّ لله عموداً من نور، حجبه الله عن الخلائق، طرفه عند الله وطرفه الآخر في أذن الإمام فإذا أراد الله شيئاً أوحاه في أذن الإمام عليه السلام(١٠٦).

ملاحظة: يُراد من الوحي هنا الوحي التكويني، بمعنى إصدار الأوامر من الله تعالى لخليفته الإمام، وقد يُراد منه الوحي التشريعي الّذي نزل على جدّه رسول الله محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولكنّ الله يؤكّده له في اللحظة

المعيّنة، ويدلّ على ما قلن ا الحديث العاشر الآتي، حيث جعل بينه وبين الرّسول رسولاً مَلَكَاً، ولم يجعل بينه وبين الإمام مَلَكَاً، وليس وراء عبادان قرية، فتدبّر .

(**١٠**) . ير: الحسن بن عليّ، عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت جالساً عنده فقال لي ابتداءً منه : يا صالح بن سهل إنّ الله جعل بينه وبين الرسول رسولاً ولم يجعل بينه وبين الإمام رسولاً، قال : قلت: وكيف ذاك؟ قال: جعل بينه وبين الإمام عموداً من نور ينظر الله به إلى الإمام وينظر الإمام به إليه فإذا أراد علم شيء نظر في ذلك النور فعرفه[١٠٧].

(**١١**) . ير: أحمد بن إسحاق، عن الحسن بن العبّاس بن جريش، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام :إنا أنزلناه نور كهيئة العين على رأس النبيّ والأوصياء لا يريد أحد منّا عِلْم أمر من أمر أو من أمر السّماء إلى الحجب الّتي بين الله وبين العرش إلاّ رفع طرفه إلى ذلك النور فرأى تفسير الّذي أراد فيه مكتوباً[١٠٨].

ملاحظة:المراد من رفع طرفه إلى ذلك النور هو بيان الأحكام الشرعيّة الصّادرة من الله مباشرةً .

(**١٢**) . ير: محمّد بن أحمد، عن محمّد بن موسى، عن محمّد بن أسد الخزّاز، عن محمّد بن إسماعيل، عن عبد الله الخراساني مولى جعفر بن محمّد، عن بنان الجوزيّ، عن إسحاق القمّي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك ما قدر الإمام؟ قال : يسمع في بطن أمّه، فإذا وصل إلى الأرض كان

على منكبه الأيمن مكتوباً : ﴿**وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السّميع العليم**﴾.

ثمّ يبعث أيضاً له عموداً من نور من تحت بطنان العرش إلى الأرض يرى فيه أعمال الخلائق كلّها ثمّ يتشعّب له عمود آخر من عند الله إلى أذن الإمام كلّما احتاج إلى مزيد أفرغ فيه إفراغاً(١٠٩).

إشارة هامّة:

يشير الحديث إلى استلهام الأحكام من الله مباشرةً كغيره من الأحاديث المتقدّمة، وذلك لكثرة المواضيع المتشع بة والتي لا تحصى من الكثرة فيلزم الإخبار من الله عزّ شأنه ليحكم بها الإمام عليه السلام .

(١٣) . ير: أبو محمّد، عن عمران بن موسى، عن موسى بن جعفر البغدادي، عن عليّ بن اسباط، عن محمّد بن الفضيل،عن أبي بكر الحضرميّ قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا بكر ما يخفى عليَّ شيء من بلادكم(١١٠).

(١٤) . ير: أحمد بن محمّد، عن الأهوازيّ، عن عليّ بن أحمد بن محمّد، عن أبيه قال :كنت أنا وصفوان عند أبي الحسن عليه السلام وذكروا الإمام وفضله قال عليه السلام: إنما منزلة الإمام في الأرض بمنزلة **القمر في السماء** وفي موضعه هو مطّلع على جميع الأشياء كلّها(١١١).

(١٥) . ير: الهيثم النهديّ، عن إسماعيل بن مهران قال :كنت أنا وأحمد بن أبي نصر عند الرضا عليه السلام فجرى ذكر الإمام فقال الإمام الرّضا عليه السلام: إنما هو مثل القمر يدور في كلّ مكان أو تراه من كلّ مكان(١١٢).

(١٦) . عن أحمد بن محمّد، عن علي بن الحكم، عن إبن عميرة، عن إسحاق بن عمّار قال : قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الإمام يسمع الصوت في بطن أمّه، فإذا سقط إلى الأرض كتب على عضده الأيمن : ﴿**وتمّت كلمة ربّك**...﴾ فإذا ترعرع نصب له عمود من نور من السّماء إلى الأرض يرى به أعمال العباد.

وزاد يونس بن ظبيان فيه : فإذا خرج إلى الأرض أوتي الحكمة وزيّن بالحلم والوقار وأُلبس الهيبة وجعل له مصباح يعرف به الضمير ويرى به أعمال العباد.

وزاد الفضل، عن أبي جعفر عليه السلام: فإذا وقع إلى الأرض سطع له نور من السّماء إلى الأرض يرى به ما بين المشرق والمغرب[١١٣].

وهذه الطّائفة من الأخبار واضحة لا غبار عليها في إطلالة الإمام على أعمال العباد لا يُستر عنه منها شيء، ويشهد لهذا ما ورد في صحيحة محمّد بن فضيل المتقدِّمة، وقد ورد في الخبرين الثالث والرابع . وهما خبر جميل بن درّاج ويونس بن ظبيان . من هذه الطائفة لفظان مهمّان هما : "رفع له في كلّ بلد منار ينظر إلى أعمال العباد" و"جعل له في قرية عمود من نور يرى به ما يعمل أهلها فيها " وهذان القيدان يشيران إلى الإطّلاع التفصيلي للمعصوم لعامّة العباد، وصدق ما روي عنهم أنهم قالوا : "أمرنا صعب مستصعب، كما يشهد لعِلْمه التفصيلي ما روي في الخبر الرابع عشر في صحيحة الأهوازي وموثقة إسماعيل بن مهران من أنّ الإمام مثل القمر مطّلع على جميع

الأشياء دون استثناء، وهو في موضعه، وفي ذلك آية لِمَنْ ألقى السّمع وهو شهيد .

هـ . ومنها ما رواه العلاّمة المجلسي في البحار (١١٤):باب أنهم لا يحجب عنهم شيء وأنّهم يعلمون ما يصيبهم من البلايا ويصبر ون عليها وأنّهم يعلمون ما في الضّمائر وعلم المنايا والبلايا،وهي كالآتي:

(١) . ير: عليّ بن إسماعيل عن محمّد بن عمر عن إسماعيل الأزرق قال:سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:إنّ الله أحكم وأكرم وأجلّ وأعلم من أن يكون احتجّ على عباده بحجّة ثمّ يغيّب عنه شيئاً من أمرهم.

(٢) . ير: أحمد بن محمّد عن عليّ بن الحكم عن خالد الكيّال عن عبد العزيز الصائغ قال : قال أبو عبد الله عليه السلام: أترى أنّ الله استرعى راعياً واستخلف خليفة عليهم يَحْجُبُ عنه شيئاً من أمورهم.

(٣) . ير: محمّد بن عيسى بن عبيد عن النضر عن أبان بن تغلب قال : دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام وعنده رجل من أهل الكوفة يعاتبه في مال له أمره أن يدفعه إليه فجاءه فقال :ذهبت بمال، فقال : والله ما فعلت، فغضب فاستوى جالساً ثمّ قال: تقول: والله ما فعلت؟ وأعادها مراراً، ثمّ قال :أنت يا أبان وأنت يا زياد أما والله لو كنتما أمناء الله وخليفته في أرضه وحجّته على خلقه، ما خفي عليكما ما صنع بالمال فقال الرجل عند ذلك : جعلت فداك قد فعلت وأخذت المال.

(٤) . ير: محمّد بن عيسى عن النضر عن أبي داود عن إسماعيل بن فروة عن محمّد بن عيسى عن سعد بن أبي الأصبغ قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام

جالساً فدخل عليه الحسن بن السريّ الكرخيّ قال : سأله أبو عبد الله (عليه السلام) وجاراه في شيء فقال : ليس هو كذلك، ثلاثاً، ثمّ قال أبو عبد الله (عليه السلام): أترى من جعله الله خليفته على خلقه يخفى عليه شيء من أمورهم.

(٥) . ير: عبد الله بن محمّد عن الخشّاب عن عبد الله بن جندب عن عليّ بن إسماعيل الأزرق قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): إنّ الله أحكم وأكرم وأجلّ وأعظم وأعدل من أن يحتجّ بحجّة ثمّ يغيّب عنه شيئاً من أمورهم.

(٦) . ير، [بصائر الدرجات] إبراهيم بن هاشم عن علي بن معبد عن هشام بن الحكم قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) بمنى عن خمسمائة حرف من الكلام فأقبلت أقول : كذا وكذا يقولون ، فيقول لي : قل كذا وكذا ، فقلت: جعلت فداك هذا الحلال والحرام والقرآن أعلم أنك صاحبه وأعلم الناس به وهذا هو الكلام فقال لي : وتشك يا هشام من شك أن الله يحتج على خلقه بحجة لا يكون عنده كل ما يحتاجون إليه فقد افترى على الله.

إشارة هامّة:

قوله (عليه السلام): ما يكون عنده كل ما يحتاجون إليه، يشمل كل الأزمنة سواءٌ أكان قبل نزول الملائكة في ليلة القدر أم بعدها، فتأمّل .

(٧) . ي، [بصائر الدرجات] علي بن إسماعيل عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام): مَن زعم أن الله يحتج بعبد في بلاده ثم يستر عنه جميع ما يحتاج إليه فقد افترى على الله.

(٨) . ير، [بصائر الدرجات] الحسن بن علي بن النعمان عن أبيه عن الشامي عن أبي داود السبيعي عن أبي سعيد الخدري عن رميلة قال : وعكت

وعكاً شديدا في زمان أمير المؤمنين عليه السلام فوجدت من نفسي خفة في يوم الجمعة وقلت: لا أعرف شيئاً أفضل من أن أفيض على نفسي من الماء وأصلي خلف أمير المؤمنين عليه السلام ففعلت ثم جئت إلى المسجد فلما صعد أمير المؤمنين عليه السلام المنبر عاد عليَّ ذلك الوعك، فلما انصرف أمير المؤمنين عليه السلام ودخل القصر دخلت معه فقال: يا رميلة رأيتك وأنت متشبك بعضك في بعض فقلت: نعم وقصصت عليه القصة التي كنت فيها والذي حملني على الرغبة في الصلاة خلفه فقال: يا رميلة ليس من مؤمن يمرض إلا مرضنا بمرضه ولا يحزن إلا حزنا بحزنه ولا يدعو إلا أمّنّا لدعائه ولا يسكت إلا دعونا له فقلت له: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك هذا لمن معك في القصر أرأيت من كان في أطراف الأرض ؟ قال: يا رميلة ليس يغيب عنا مؤمن في شرق الأرض ولا في غيرها.

● **إشكال ودفع:**

قد يُقال: إنّ علمه هذا قد حصل عليه من خلال إعلام وإخبار الملائكة له .

قلنا: الأصل عدمه، بل هو مطلَق حتى يرد دليل يقيّد، وعلى فرض وجود دليل يقيّد، فإخباره للإمام ليس ملازِماً لجهل الإمام بالمخبَر عنه، بل يُحمل على تأكيد المعلوم لدى الإمام عليه السلام .

(**٩**) . ما، [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن محمد بن محمد بن طاهر عن إبن عقدة عن أحمد بن الحسين بن سعيد عن أبيه عن ظريف بن ناصح عن محمد بن عبد الله الأصم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعت أبي يقول

لجماعة من أصحابه: والله لو أن على أفواههم أوكية لأخبرت كل رجل منهم ما لا يستوحش إلى شيء ولكن فيكم الإذاعة والله بالغ أمره .

(**١٠**) . ما، [الأمالي للشيخ الطوسي] الغضائري عن هارون بن موسى التلعكبري عن إبن عقدة عن عبد الله بن إبراهيم بن قتيبة عن علي بن الحكم عن سليمان بن جعفر عن خالد الكيال عن عبد العزيز الصائغ قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أترى أن الله استرعى راعياً واستخلف خليفة ثم يحجب عنه شيئا من أمورهم؟ .

(**١١**) . ير، [بصائر الدرجات] أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن ربيع بن محمد عن سعد بن طريف عن إبن نباتة قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا وقف الرجل بين يديه قال: يا فلان استعد وأعد لنفسك ما تريد فإنك تمرض في يوم كذا وكذا في ساعة كذا وكذا وسبب مرضك كذا وكذا وتموت في شهر كذا وكذا في يوم كذا وكذا، في ساعة كذا وكذا .

إشارة هامّة:

هذا الحديث يدلّ على سعة علم الإمام، ولو كان علمه منحصراً في ليلة القدر لما قدر على إخبار المريض بأنه يموت بعد سنين؛ لأنّ إعلام الملائكة إنما يكون للمقدّرات في تلك السنة، وليس إعلامهم لسنين عديدة، فتأمل .

(**١٢**) . ير، [بصائر الدرجات] إبن يزيد عن إبن أبي عمير عن هشام بن سالم رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: سلوني قبل أن تفقدوني ، ألا تسألون من عنده علم المنايا والبلايا والقضايا وفصل الخطاب؟.

(**١٣**) . ير، [بصائر الدرجات] أحمد بن محمد عن إبن سلام عن مفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله ؈: يقول أعطيت خصالا ما سبقني إليها أحد من قبلي: علمت المنايا، والبلايا، وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، **ولم يعزب عني ما غاب عني** ، أبشر بإذن الله تعالى وأؤدي عنه كل ذلك، **منٌّ من الله مكنني فيه بعلمه** .

(**١٤**) . ير، [بصائر الدرجات] أحمد بن إبراهيم وأحمد بن زكريا عن أحمد بن نعيم عن يزداد بن إبراهيم عمن حدثه من أصحابه عن أبي عبد الله ؈ قال: سمعته يقول عندي علم المنايا، والبلايا، والوصايا، والأنساب والأسباب، وفصل الخطاب، ومولد الإسلام، ومولد الكفر، وأنا صاحب الكرات، ودولة الدول، فاسألوني عما يكون إلى يوم القيامة.

بيان:

أنا صاحب الكرّات، ودولة الدّول؛ أي الحملات، والغلبة فيها، أو صاحب الغلبة على أهل الغلبة فيها، أو صاحب عِلْم كل كرّة ودولة، أو المعنى : ارجع إلى الدنيا مرّاتٍ شتى، وكانت غلبة الأنبياء على أعاديهم، ونجاتهم من المهالك بسبب التوسّل بنوري، أو يكون دولة الدّول أيضاً إشارة إلى الدّو لات الكائنة في الكرّات والرّجعات له ؈ .

(**١٥**) . ير، [بصائر الدرجات] الحسين بن علي عن العباس بن عامر عن ضريس عن عبد الواحد بن المختار عن أبي جعفر ؈ قال: لو كان لألسنتكم أوكية، لحدَّثتُ كلَّ امرئٍ بما له وعليه.

بيان:

قوله ﷺ: "كلّ امرئٍ بما له وعليه " مطلق،يشمل كلّ التفاصيل والجزئيات دون تخصيصٍ بشيء دون شيء،وهو دليلُ العِلْم التفصيلي للأئمّة عليهم السَّلام، فتدبّر .

(١٦) . يج، [الخرائج والجرائح] سعد عن إبن أبي الخطاب وأحمد وعبد الله ابني محمد بن عيسى عن إبن محبوب عن إبن رئاب عن ضريس الكناسي قال: سمعت أبا جعفر ﷺ يقول وعنده أناس من أصحابه وهم حوله : إني لأعجب من قوم يتولونا ، ويجعلونا أئمة، ويصفون أن طاعتنا مفترضة عليه م كطاعة الله ، ثم يكسرون حجتهم ، ويخصمون أنفسهم ، لضعف قلوبهم فينقصونا حقنا، ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حقّ معرفتنا والتسليم لأمرنا، أترون الله افترض طاعة أوليائه على عباده ثم يخفى [ن: يخفى عنهم] عليهم أخبار السماوات والأرض، ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم، فقال له حمران: يا ابن رسول الله أرأيت ما كان من قيام أمير المؤمنين والحسن والحسين وخروجهم وقيامهم بدين الله، وما أصيبوا به من قبل الطواغيت والظفر بهم، حتى قتلوا وغلبوا، فقال أبو جعفر ﷺ: يا حمران إن الله تبارك وتعالى قد كان قدر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الاختيار، ثم أجراه عليهم فبتقدم علم إليهم من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم قام عليّ والحسن والحسين وبعلم صمت من صمت منا ، ولو أنهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من ذلك ، سألوا الله أن يدفع عنهم وألحوا عليه في إزالة ملك الطواغيت، وذهاب ملكهم، لزال أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدد، وما كان الذي أصابهم لذنبٍ اقترفوه، ولا لعقوبة معصية خالفوا فيها ،

ولكن لمنازل وكرامة من الله ، أراد أن يبلغهم إياها فلا تذهبن بك المذاهب فيهم .

تعقيب هامّ:

أليس قوله عليه السلام معترِضاً على السائل : " ثمّ يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض، ويقطع عنه موادّ العِلْم فيما يرد عليهم ..."؛ دليلاً على عِلْمه التفصيلي والحضوري؟ !، أوليس عدم عِلْمه بالجزئيات قبل ليالي القدر، أو بعدها بسنين متمادية يستلزم قطع موادّ العِلْم عنهم؟! .

إنْ قيل: إنّ عِلْمهم في ليالي القدر بالجزئيات بواسطة الملائكة في كلّ عام؛ إنما هو مختصٌّ في عامٍ تلو الآخر، بمعنى؛ أنّ الملائكة تخبرهم عن التفاصيل التي ستجري في العام الّذي نزلت الملائكة عليهم فيه إلى العام الآخر .

قلنا: إنّ إخبار الملائكة لهم في كلّ عام على فرض صحّة ذلك؛ لا يستلزم جهل الأئمّة عليهم السَّلام بتلك التفاصيل، وإلاّ ما معنى ما ورد في الأخبار المتقدِّمة من أنهم كالقمر مطّلِعون على جميع الأشياء، وأنّ بين هم وبين الله تعالى عمود من نور يرون به أعمال العباد منذ أنْ يولد الإمام عليه السلام، وهذا غير مختصٍّ في ليالي القدر، بل يعمّ غيرها من الأيام والليالي .

و . ومنها ما رواه أيضاً في بحاره (١١٥): باب أنهم يعلمون جميع الألسن واللّغات، ويتكلمون بها، وهي التالي:

(١) . الهمداني، عن عليّ، عن أبيه، عن الهرويّ قال : كان الإمام الرِّضا عليه السلام يكلِّم الناس بلغاتهم، وكان والله أفصح الناس وأعلمهم

بكلّ لسانٍ ولغة، فقلت له يوماً : يابن رسول الله إني لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها؟ فقال : يا أبا الصّلت أنا حجّة الله على خلقه، وما كان ليتخذ حجّة على قومٍ وهو لا يعرف لغاتهم، أوما بلغك قول أمير المؤمنين ﷺ: أوتينا فصل الخطاب؟ فهل فصل الخطاب إلاّ معرفة اللغات.

(٢) . محمّد بن عيسى، عن إبن فضال، عن عليّ بن أبي حمزة قال : كنت عند أبي الحسن ﷺ إذ دخل عليه ثلاثون مملوكاً من الحبش وقد اشتروهم له، فكلّم غلاماً منهم وكان من الحبش جميل فكلّمه بكلامه ساعة حتى أتى على جميع ما يريد وأعطاه درهماً، فقال: أعطِ أصحابك هؤلاء كلّ غلام منهم كلّ هلال ثلاثين درهماً ثمّ خرجوا .

فقلت: جعلت فداك لقد رأيتك تكلّم هذا الغلام بالحبشيّة فماذا أمرته؟، قال ﷺ: أمرته أن يستوصي بأصحابه خيراً ويعطيهم في كلّ هلال ثلاثين درهماً، وذلك أني لما نظرت إليه علمت أنه غلام عاقل من أبناء ملكهم، فأوصيته بجميع ما أحتاج إليه فقبل وصيتي ومع هذا غلام صدق .

ثمّ قال ﷺ: لعلّك عجبت من كلامي إياه بالحبشيّة، **لا تعجب فما خفي عليك م ن أمر الإمام أعجب وأكثر، وما هذا من الإمام في عِلْمِهِ إلاّ كطير أخذ بمنقاره من البحر قطرة من ماء،** أفترى الّذي أخذ بمنقاره نقض من البحر شيئاً؟

قال عليه السلام: فإنّ الإمام عليه السلام بمنزلة البحر لا ينفد ما عنده وعجائبه أكثر من ذلك، والطّير حين أخذ من البحر قطرة لم ينقص من البحر شيئاً، كذلك العالم لا ينقصه علمه شيئاً ولا تنفد عجائبه .

(٣) . اليقطينيّ وإبراهيم بن مهزيار، عن عليّ بن مهزيار قال : أرسلت إلى الإمام أبي الحسن الثالث عليه السلام غلامي وكان صقلابيّاً فرجع الغلام إليَّ متعجباً فقلتُ له: ما لك يا بنيّ؟ قال: وكيف لا أتعجّب ما زال يكلّمني بالصقلابيّة كأنه واحدٌ منا فظننتُ أنه إنما أراد بهذا اللسان كيلا يسمع بعض الغلمان ما دار بينهم .

(٤) . أحمد بن محمّد، عن عبد الرّحمان بن حمّاد وعبد الله بن عمران، عن محمّد بن بشير، عن رجل، عن عمّار الساباطي قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا عمّار أبو مسلم فظلّله وكسا كسيحه بساطورا . قال: فقلتُ له: ما رأيت نبطيّاً أفصح منك بالنبطيّة فقال: يا عمّار وبكلّ لسان .

(٥) . إبن عيسى، عن الأهوازي والبرقيّ، عن النضر بن يحيى الحلبيّ، عن أخي مليح، عن أبي يزيد فرقد قال : كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام وقد بعث غلاماً له أعجميّاً في حاجة فرجع إليه فجعل يغيّر الرّسالة فلا يحيرها حتى ظننتُ أنه سيغضب عليه ،، فقال عليه السلام: تكلّم بأيّ لسانٍ شئت فإني أفهم عنك .

(٦) . محمّد بن جزك، عن ياسر الخادم قال: كان غلمان أبي الحسن عليه السلام في البيت سقالبة وروم فكان أبو الحسن عليه السلام قريباً منهم فسمعهم بالليل

يتراطنون(*) بالسقلبيّة والرّوميّة ويقولون: إنا كنا نفتصد في بلادنا في كلّ سنة ثمّ لم نقتصد ههنا فلمّا كان من الغد وجّه أبو الحسن (عليه السلام) إلى بعض الأطبّاء فقال له: أفصد فلاناً عرق كذا وكذا، وافصد فلاناً عرق كذا وكذا.

ثمّ قال: يا ياسر لا تفتصد أنت قا ل: فافتصدت فورمت يدي واخضرّت، فقال: يا ياسر ما لك؟ فأخبرته فقال: ألم أنهك عن ذلك، هلمّ يدك فمسح يده عليها وتفل فيها ثمّ أوصاني أن لا أتعشّى، فكنت بعد ذلك بكم شاء الله أتغافل وأتعشى فيضرب عليَّ.

(٧). إبن يزيد، عن إبن أبي عمير، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال الحسن بن عليّ (عليه السلام): إنّ لله مدينتين: إحداهما بالمشرق، والأخرى بالمغرب، عليها سور من حديد، وعلى كلّ مدينة ألف ألف باب مصراعين من ذهب وفيها سبعون ألف ألف لغة يتكلّم كلّ لغة بخلاف لغة صاحبتها وأنا أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما وما عليهما حجّة غيري وغير أخي الحسين.

بيان:

قال صاحب البحار ـ رحمه الله ـ تعقيباً على هذه الأخبار: أما كونهم عالِمين باللغات فالأخبار فيه قريبة من حدّ التواتر بانضمام الأخبار العامّة لا يبقى فيه مجال شكٍّ، وأما عِلْمهم بالصناعات فعمومات الأخبار المستفيضة دالّة عليه، حيث ورد فيها أنّ الحجّة لا يكون جاهلاً في شيء يقول: لا أدري، مع ما ورد أنّ عندهم عِلْم ما كان وما يكون، وأنّ علوم الأنبياء

(*) رطن الأعجميّ رطانةً:تكلّم بلغته،وتراطنا:تخاطبا بالأعجميّة. "راجع المعجم الوسيط ص٣٥٢/مادة رطن")

وصلت إليهم، مع أنّ أكثر الصناعات منسوبة إلى الأنبياء، وقد فُصِّل تعليم الأسماء لآدم بما يشمل جميع الصناعات .

وبالجملة؛ لا ينبغي للمتتبع الشك في ذلك أيضاً، وأمّا حكم العقل بلزوم الأمرين ففيه توقُّف وإنْ كان القول به غير مستبعَدٍ.

أقول: بل عِلْمهم بالصناعات واللغات واجبٌ بحكم العقل، لكون ذلك من الموضوعات التي يترتب عليها حكم شرعي، ووجوبه عليه من أوضح الواضحات في الأخبار .

(٨) . وعن أبي علي الطبرسي قال : قال أبو عبد الله بن عيّاش : حدّثني عليّ بن حبشي بن قوني قال : حدّثنا جعفر بن محمّد بن مالك قال : حدّثنا أبو هاشم الجعفري قال: دخلتُ على أبي الحسن عليه السلام فكلّمني بالهنديّة، فلم أحسن أنْ أردّ عليه، وكان بين يديه ركوة ملأ حصىً، فتناول حصاةً واحدة ووضعها في فيه ومصّها مليّاً، ثمّ رمى بها إليَّ، فوضعتها في فمي، فوالله ما برحت من عنده حتى تكلّمت بثلاثة وسبعين لساناً أولها الهنديّة[١١٦].

تنبيه:

فإذا قدروا على معرفة كل اللّغات، فبطريق أولى أن يُقدرهم المولى تعالى على معرفة كلّ الأشياء من دون انتظار ليلة القدر حتى تخبرهم الملائكة بذلك.

ز. ومنها ما روي من أنهم أفضل من كل الأنبياء والمرسلين[١١٧] .

وقد روى صاحب البحار الجمّ الغفير من الروايات نذكر بعضاً منها : **(١)** . عليّ بن محمّد بن سعيد، عن حمدان بن سليمان، عن عبيد الله بن محمّد

اليمانيّ، عن مسلم بن الحجاج، عن يونس، عن الحسين بن علوان، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله خلق أولي العزم من الرّسل وفضّلهم بالعِلْم وأورثنا عِلْمهم وفضلنا عليهم في عِلْمهم، وعلِمَ رسُولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم ما لم يعلموا، وعلِمْنَا عِلْمَ الرّسول وعِلمهم .

(٢) . اليقطينيّ، عن محمّد بن عمر، عن عبد الله بن الوليد السّمّان قال : قال لي الإمام أبو جعفر عليه السلام: يا عبد الله ما تقول الشيعة في عليّ وموسى وعيسى عليهم السَّلام؟ قال : قلت: جعلت فداك ومن أيّ حالات تسألني؟ قال عليه السلام: أسألك عن العِلْم، فأمّا الفضل فهم سواء، قال : قلت: جعلت فداك فما عسى أقول فيهم؟ فقال عليه السلام: هو والله أعلم منهما .

ثمّ قال عليه السلام: يا عبد الله أليس يقولون : إنّ لعليّ عليه السلام ما للرّسول من العِلْم؟ قال: قلت: بلى، قال عليه السلام: فخاصِمْهُم فيه، قال عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى قال لموسى عليه السلام: ﴿**وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء**﴾ فأعلَمَنا أنه لم يبيّن له الأمر كلّه، وقال الله تبارك وتعالى لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم : ﴿**وجئنا بك على هؤلاء شهيداً، ونزّلنا عليكَ الكتاب تبياناً لكلّ شيء**﴾ .

(٣) . محمّد بن الحسين، عن أحمد بن بشير، عن كثير، عن أبي عمران قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لقد سأل موسى العالِم مسألة لم يكن جوابها ولقد سأل العالِم موسى مسألةً لم يكن عنده جوابها ولو كنت بينهما لأخبرتُ كلّ واحد منهما بجواب مسألته ولسألتهما عن مسألة لا يكون عندهما جوابها.

(٤) . محمّد بن الحسين، عن عثمان بن عيسى، عن إبن مسكان، عن سدير، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: لما لقي موسى العالِم كلّمه وساءله

نظر إلى خطّاف يصفر يرتفع في السّماء ويتسفّل في البحر فقال العالِم لموسى: أتدري ما يقول هذا الخطاف؟ قال : وما يقول؟ قال : يقول: وربّ السماء وربّ الأرض ما علمكما في علم ربكما إلاّ مثل ما أخذت بمنقاري من هذا البحر، قال : فقال أبو جعفر عليه السلام: أما لو كنت عندهما لسألتهما عن مسألةٍ لا يكون عندهما فيها عِلْم .

(٥) . إبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حمّاد، عن سيف التمار قال : كنا عند أبي عبد الله عليه السلام ونحن جماعة في الحجر فقال : وربّ هذه البنيّة وربّ هذه الكعبة . ثلاث مرّات . لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما .

(٦) . أحمد بن الحسين، عن الحسين بن راشد، عن عليّ بن مهزيار، عن الأهوازي قال: وحدثوني جميعاً عن بعض أصحابنا عن عبد الله بن حمّاد، عن سيف التمار قال : كنا مع أبي عبد الله عليه السلام في الحجر فقال : علينا عين، فالتفتنا يمنة ويسرة وقلنا : ليس علينا عين، فقال : وربّ الكعبة . ثلاث مرّات . أن لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما .

(٧) . روى سعد، عن محمّد بن يحيى، عن عميد بن معمّر، عن عبد الله بن الوليد السّمّان قال : قال الإمام الباقر عليه السلام: يا عبد الله ما تقول في عليّ وموسى وعيسى؟ قلت : ما عسى أن أقول، قال : هو والله أعلم منهما، ثمّ قال: ألستم تقولون : إنّ لعليّ ما لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم من العِلْم؟ قلنا: نعم، والناس ينكرون .

قال الطَيْكِلا: فخاصمهم فيه بقوله تعالى لموسى : ﴿**وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء** ﴾ فعلمنا أنه لم يكتب له الشيء كلّه، وقال لعيسى الطَيْكِلا: ﴿**ولأبيّن لكم بعض الّذي تختلفون فيه** ﴾ فعلمنا أنه لم يبيّن له الأمر كلّه، وقال لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿**وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ونزّلنا عليكَ الكتاب تبياناً لكلّ شيء**﴾ .

وسُئِل عن قوله : ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده عِلْم الكتاب**﴾، قال الطَيْكِلا والله إيّانا عنى، وعليٌّ أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد رسول الله ،وقال : إنّ العِلْم الّذي نزل مع آدم على حاله، وليس يمضي منا عالِم إلاّ خلّف مَن يعلَم عِلْمَه والعِلْم يُتوارث.

فإذاً كانوا أعلم المرسلين والأنبياء ومنهم الخضر الّذي كان يملك العلم اللّدني ولم يكن بينه وبين الله ملك يلقي عليه المعارف والعلوم.

ح . ومنها ما روي من أفضليّتهم وأعلميّتهم على الملائكة قاطبة وكذا أفضليّتهم على الأنبياء[١١٨]:

(**١**) . فس، [تفسير القمي] أبي عن الأصبهاني عن المنقري عن حفص عن أبي عبد الله الطَيْكِلا قال: كان مما ناجى الله موسى الطَيْكِلا إني لا أقبل الصلاة إلا ممن تواضع لعظمتي، وألزم قلبه خوفي، وقطع نهاره بذكري، ولم يبت مصراً على خطيئته، وعرف حق أوليائي، وأحبائي ، فقال: موسى يا رب تعني بأوليائك، وأحبائك إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب ، فقال: هم كذلك إلاّ أني أردت بذلك من من أجله خلقت آدم، وحواء، ومن من أجله خلقت الجنة،

والنار فقال: ومن هو يا رب؟ فقال: محمّد أحمد شققت اسمه من اسمي لأني أنا المحمود، وهو محمّ د فقال موسى : يا رب اجعلني من أمته، فقال له: يا موسى أنت من أمته إذا عرفت من نزلته، ومنزلة أهل بيته،إنَّ مَثَلَهُ ومَثَلَ أهل بيته فيمن خلقت كمثل الفردوس في الجنان لا ينتشر ورقها، ولا يتغير طعمها فمن عرفهم، وعرف حقهم ، جعلت له عند الجهل علماً ، وعند الظلمة نوراً أجيبه قبل أن يدعوني، وأعطيه قبل أن يسألني الخبر.

(**٢**) . فس، [تفسير القمي] قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ**﴾ الآية، كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية، ولرسوله بالنبوة، ولأمير المؤمنين، والأئمة بالإمامة فقال : ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**﴾، ومحمّد نبيكم، وعلي إمامكم، والأئمة الهادون أئمتكم فقالُوا : بَلى فقال الله : ﴿**أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ**﴾ أي لئلا تقولوا يوم القيامة ﴿**إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ**﴾ فأول ما أخذ الله عز وجل الميثاق على الأنبياء بالربوبية، وهو قوله، ﴿**وإِذْ أَخَذْنا مِنَ ا لنَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ**﴾ فذكر جملة الأنبياء ثم أبرز أفضلهم بالأسامي فقال: ومِنْكَ يا محمد فقدّ م رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم لأنه أفضلهم، ومِنْ نُوحٍ، وإِبْراهِيمَ، ومُوسى، وعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء، ورسول الله أفضلهم ثم أ خذ بعد ذلك ميثاق رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم على الأنبياء له بالإيمان، وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين فقال: ﴿**وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ، وحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ**﴾ يعني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم

﴿**لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، ولَتَنْصُرُنَّهُ** ﴾ يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه تخبروا أممكم بخبره، وخبر وليه من الأئمة .

(**٣**) . ل، [الخصال] محمد بن علي بن الشاه عن أبي حامد عن أحمد بن خالد الخالدي عن محمد بن أحمد بن صالح التمي مي عن أبيه عن محمد بن حاتم القطان عن حماد بن عمرو عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال في وصية له : يا عليّ إن الله عزّ وجل أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين ثم اطلع الثانية فاختارك عل ى رجال العالمين بعدي ثم اطلع الثالثة فاختار الأئمة من ولدك على رجال العالمين بعدك ثم اطلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين

(**٤**) . ما، [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن ابن قولويه عن أبيه عن سعد عن ابن عيسى عن ابن معروف عن محمد بن سنان عن طلحة بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم : ما قبض الله نبياً حتى أمره أن يوصي إلى عشيرته من عصبته، وأمرني أن أوصي فقلت : إلى من يا رب ؟ فقال: أوص يا محمّ د إلى ابن عمك عليّ بن أبي طالب فإني قد أثبته في الكتب السالفة، وكتبت فيها أنه وصيك، وعلى ذلك أخذت ميثاق الخلائق، ومواثيق أنبيائي، ورسلي أخذت مواثيقهم لي بالربوبية، ولك يا محمد بالنبوة، ولعلي بن أبي طالب بالولا ية .

(٥) . ما، [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن المظفر بن محمد عن محمد بن أحمد بن أبي الثلج عن محمد بن موسى الها شمي عن محمد بن عبد الله البداري عن أبيه عن ابن محبوب عن أبي زكريا الموصلي عن جابر عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عليه السلام أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم قال لعليّ عليه السلام: أنتَ الذي احتج الله بك في ابتدائه الخلق حيث أقامهم أشباحا فقال لهم: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى**﴾ قال: ومحمد رسولي قالوا: بلى، قال: وعليّ أمير المؤمنين فأبى الخلق جميعا إلا استكباراً ، وعتواً عن ولايتك إلا نفر قليل، وهم أقل الأقلين، وهم أصحاب اليمين.

(٦) . ما، [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن الجعابي عن جعفر بن محمد بن سليمان عن داود بن رش يد عن محمد بن إسحاق الثعلبي قال سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول نحن خيرة الله من خلقه، وشيعتنا خيرة الله من أمة نبيه.

(٧) . ن، [عيون أخبار الرضا عليه السلام] بإسناد التميمي عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم : الحسن، والحسين خير أهل الأرض بعدي، وبعد أبيهما، وأمهما أفضل نساء أهل الأرض .

(٨) . ير، [بصائر الدرجات] أحمد بن محمد عن الحسن بن موسى عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿**وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، وأَشْهَدَهُ مْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**﴾ قال: أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة

كالذر فعرَّفهم نفسه، ولو لا ذلك لم يعرف أحد ربه، وقال: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى**﴾، وأن محمداً رسول الله، وعلياً أمير المؤمنين.

(**٩**) . ير، [بصائر الدرجات] ابن يزيد عن ابن محبوب عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن عليه السلام قال ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء،ولن يبعث الله نبياً إلا بنبوة محمد،ووصية عليّ صلوات الله عليهما.

(**١٠**) . ير، [بصائر الدرجات] الحسن بن علي بن النعمان عن يحيى بن أبي زكريا عن أبيه، ومحمد بن سماعة عن فيض بن أبي شيبة عن محمد بن مسلم قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله تبارك، وتعالى أخذ ميثاق النبيين على ولاية علي، وأخذ عهد النبيين بولاية عليّ .

(**١١**) . ير، [بصائر الدرجات] أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن ابن عميرة عن الحضرمي عن حذيفة بن أسيد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم : ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى عرضت عليه ولايتي، وولاية أهل بيتي، ومثلوا له فأقروا بطاعتهم، وولايتهم .

(**١٢**) . ير، [بصائر الدرجات] ابن يزيد عن يحيى بن المبارك عن ابن جبلة عن حميد بن شعيب عن جابر قال : قال أبو جعفر عليه السلام: ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبيا قط إلا بها.

(**١٣**) . شف، [كشف اليقين] من كتاب الإمامة، عن الحسن بن الحسين الأنصاري عن يحيى بن العلاء عن معروف بن خربوذ المكي عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو يعلم الناس متى سمي عليّ أمير المؤمنين لم ينكروا حقه ، فقيل له متى سمي فقرأ : ﴿**وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ،**

وأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى ﴾ الآية، قال: محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وعليّ أمير المؤمنين (عليه السلام).

(**١٤**) . فر، [تفسير فرات بن إبراهيم] علي بن عتاب معنعنا عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لو أن الجهال من هذه الأمة يعرفون متى سمي أمير المؤمنين لم ينكروا، وأن الله تعالى حين أخذ ميثاق ذرية آدم (عليه السلام)، وذلك فيما أنزل الله على محمد صلّى الله عليه وآله وسلَّم في كتابه فنزل به جبرائيل كما ق رأناه يا جابر ألم تسمع الله يقول في كتابه : ﴿**وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، وأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى**﴾، وأنّ محمداً رسول الله، وأن علياً أمير المؤمنين فو الله لسماه الله تعالى أمير المؤمنين في الأظلة حيث أخذ من ذرية آدم الميثاق .

(**١٥**) . ختص، [الإختصاص] ابن سنان عن المفضل بن عمر قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): إنّ الله تبارك، وتعالى توحد بملكه فعرف عباده نفسه ثم فوض إليهم أمره، وأباح لهم جنته فمن أراد الله أن يطهر قلبه من الجن، والإنس عرفه ولايتنا، ومن أراد أن يطمس على قلبه أمسك عنه معرفتنا.

ثم قال: يا مفضل، **والله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده، وينفخ فيه من روحه إلا بولاية عليّ (عليه السلام)، وما كلم الله موسى تكليما إلا بولاية علي (عليه السلام)، ولا أقام الله عيسى ابن مريم آية للعالمين إلا بالخضوع لعلي (عليه السلام)** ثم قال: أجمل الأمر ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبودية لنا .

(١٦) . مشارق الأنوار، بإسناده عن الحسن بن محبوب عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم قال لعليّ عليه السلام: يا عليّ أنت الذي احتج الله بك على الخلائق حين أق امهم أشباحا في ابتدائهم، وقال لهم: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى**﴾ فقال: ومحمد نبيكم؟ قالوا: بلى قال: وعلي إمامكم؟ قال: فأبى الخلائق جميعا عن ولايتك، والإقرار بفضلك، وعتوا عنها استكباراً إلا قليلا منهم، وهم أصحاب اليمين، وهم أقلّ القليل، وإنّ في السماء الرّابعة ملك يقول في تسبيحه : سبحان من دلّ هذا الخلق القليل من هذا العالم الكثير على هذا الفضل الجليل .

(١٧) . ومما رواه في كتاب المعراج عن الصّدوق عن أحمد بن محمّد الصقر عن محمّد بن العباس بن بسام عن عبد الله بن محمد المهلبي عن أحمد بن صبيح عن الحسن بن جعفر عن أبيه عن منصور عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده عليه السلام قال لما عرج بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم إلى السماء قال العزيز عز وجل: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ**﴾ قال قلت، ﴿**والْمُؤْمِنُونَ**﴾، قال: صدقت يا محمّد من خلفت لأمتك، وهو أعلم، قلت: خيرها لأهلها قال: صدقت يا محمّد إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها ثم شققت لك اسما من أسمائي فلا أذكر في موضع إلا ذكرت معي، وأنا المحمود وأنت محمّد ثم اطلعت إليها اطلاعة أخرى فاخترت منها عليّاً فجعلته وصيك فأنت سيد الأنبياء، وعليّ سيد الأوصياء إني خلقتك، وخلقت عليّاً، وفاطمة، والحسن،والحسين من شبح نور ثم عرضت ولايتهم على الملائكة، وسائر خلقي، وهم أرواح فمن قبلها كان عندي من المقربين، ومن جحدها

كان عندي من الكافرين يا محمد ، وعزتي وجلالي، لو أن عبداً عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي ثم أتاني ج احداً لولايتهم لم أدخله جنتي، ولا أظللته تحت عرشي .

فإذا كان آدم أعلم من الملائكة فكيف بمن كان أفضل من آدم بل إنّ الله تاب على آدم ببركة أسماء العترة الطّاهرة [119]؟،وإذا كان جبرائيل وهو أفضل ملك عند الله يجلس أمام النّبي جلسة العبد وكان لا يدخل عليه حتى يستأذنه كيف يمكن أن يقال بأنّ النّبي كان ينتظر تلقّي المعارف منه .

ط . **باب أنّ دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والإستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين:**

(١) . جع، [جامع الأخبار] لي، [الأمالي للصدوق] ماجيلويه عن عمه عن أحمد بن هلال عن الفضل بن دكين عن معمر بن راشد قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: أتى يهودي النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم فقام بين يديه يحد النظر إليه فقال: يا يهودي ما حاجتك؟ قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي الذي كلمه الله، وأنزل عليه التوراة، والعصا، وفلق له البحر، وأظله بالغم ام؟ فقال له النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم : إنه يكره للعبد أن يزكي نفسه، ولكني أقول إن آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللهم إني أسألك بحق محمد، وآل محمد لما غفرت لي فغفرها الله له، وإن نوحاً لما ركب في السفينة، وخاف الغرق قال : اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني من الغرق فنجاه الله عنه، وإن إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني منها

فجعلها الله عليه برداً، وسلاماً، وإن موسى لما ألقى عصاه، وأوجس فِي نَفْسِهِ خِيفَةً قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما آمنتني فقال : الله جلّ جلاله: لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأعلى، يا يهودي إن موسى لو أدركني ثم لم يؤمن بي، وبنبوتي ما نفعه إيمانه شيئا،ولا نفعته النبوة يا يهودي، ومن ذريتي المهدي إذا خرج نزل عيسى ابن مريم عليه السلام لنصرته فقدمه، وصلى خلفه .

(٢) . مع، [معاني الأخبار] العجلي عن ابن زكريا القطان عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن أبيه عن محمد بن سنان عن المفضل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم فعرضها على السماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم فقال الله تبارك وتعالى للسماوات والأرض والجبال : هؤلاء أحبائي، وأوليائي، وحججي على خلقي، وأئمة بريتي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منهم، ولهم، ولمن تولاهم خلقت جنتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري، ومن ادعى منزلتهم مني، ومحلهم من عظمتي عذبته عَذاباً ،لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ، وجعلته مع المشركين في أسفل درك ناري، ومن أقر بولايتهم، ولم يدع منزلتهم مني، ومكانهم من عظمتي جعلته معهم في روضات جناتي، وكان لهم فيها ما يشاءون عندي، وأبحتهم كرامتي، وأحللتهم جواري، وشفعتهم في المذنبين من عبادي، وإمائي فولايتهم أمانة عند خلقي فأيكم يحملها بأثقالها، ويدعيها لنفسه دون خيرتي فأبت السماوات والأرض والجبال أَنْ يَحْمِلْنَها وأَشْفَقْنَ من ادعاء منزلتها، وتمني محلّها من عظمة ربها فلما أسكن

الله عز وج ل آدم، وزوجته الجنة قال لهما : ﴿**كُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما، ولا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ** ﴾يعني شجرة الحنطة ﴿فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فنظرا إلى منزلة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم فوجداها أشرف منازل أهل الجنة فقالا : يا ربنا لمن هذه المنزلة؟فقال الله جل جلاله : إرفعا رؤوسكما [رأسيكما] إلى ساق عرشي فرفعا رؤوسهما فوجدا اسم محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم مكتوبة على ساق العرش بنور من نور الجبار جل جلاله فقالا : يا ربنا ما أكرم أهل هذه المنزلة عليك، وما أحبهم إليك، وما أشرفهم لديك فقال الله جل جلاله لولاهم ما خلقتكما ،هؤلاء خزنة علمي، وأمنائي على سري إياكما أن تنظرا إليهم بعين الحسد، وتتمنيا منزلتهم عندي، ومحلهم من كرامتي فتدخلا بذلك في نهيي، وعصياني ﴿**فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ قالا: ربنا ومَن الظالمون؟ قال: المدعون لمنزلتهم بغير حق قالا ربنا فأرنا منازل ظالميهم في نارك حتى نراها كما رأينا منزلتهم في جنتك فأمر الله تبارك وتعالى النار فأبرزت جميع ما فيها من ألوان النكال، والعذاب، وقال الله عز وجل مكان الظالمين لهم المدعين لمنزلتهم في أسفل درك من هاكُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها، وكُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بدّلوا سواها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ.

يا آدم، ويا حواء لا تنظرا إلى أنواري، وحججي بعين الحسد فأهبطكما عن جواري، وأحل بكما هواني فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطانُ لِيُبْدِ يَ لَهُما ما وُورِيَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما، وقالَ ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ، وقاسَمَهُما إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُما

بِغُرُورٍ، وحملهما على تمني منزلتهم فنظرا إليهم بعين الحسد فخذلا حتى أكلا من شجرة الحنطة فعاد مكان ما أكلا شعيرا فأصل الحنطة كلها مما لم يأكلاه، وأصل الشعير كله مما عاد مكان ما أكلاه فلما أكلا من الشجرة طار الحلي، والحلل عن أجسادهما، وبقيا عريانين، وطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ، وناداهُما رَبُّهُما أ لَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ، وأَقُلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ فقالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا، وإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا، وتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ قال: إهبطا من جواري فلا يجاورني في جنتي من يعصيني فهبطا موكولين إلى أنفسهما في طلب المعاش فلما أراد الله عز وجل أن يتوب عليهما جاءهما جبرائيل فقال لهما : إنكما ظلمتما أنفسكما بتمني منزلة من فضل عليكما فجزاؤكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله عز وجل إلى أرضه فاسألا ربكما بحق الأسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتى يتوب عليكما فقالا : اللهم إنا نسألك بحق الأكرمين عليك محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة إلا تبت علينا، ورحمتنا فتاب الله عليهما إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ فلم يزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هـذه الأمانة،ويخبرون بها أوصياءهم، والمخلصين من أممهم فيأبون حملها، ويشفقون من ادعائها، وحملها الإنسان الذي قد عُرِفْ فأصل كل ظلم منه إلى يوم القيامة، وذلك قول الله عز وجل: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ، والْأَرْضِ، والْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَ نْ يَحْمِلْنَها، وأَشْفَقْنَ مِنْها، وحَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا**﴾ .

بيان: الإنسان الذي عرف هو أبو بكر . مضافاً إلى أنّ ما جاء في هذا الخبر في أنّ آدم وحوّاء نظرا إلى آل محمّد بعين الحسد،غريبٌ ومخالفٌ لعصمة الأنبياء عليهم السلام،و عليه فهذه الفقرة ملفّقة على الحديث،فلا بدّ من طرحها لعدم إنسجامها مع أدلّة العصمة أو نؤلها بما لا ينافي العصمة، كما فعل صاحب البحار، فتدبّر.

(٣) . مع، [معاني الأخبار] الدقاق عن العلوي عن جعفر بن محمد بن مالك عن محمد بن الحسين بن زيد عن محمد بن زياد عن المفضل عن مولانا الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿وإِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ ﴾ ما هذه الكلمات ؟ قال :هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فَتابَ عَلَيْهِ، وهو أنه قال : يا رب أسألك بحق محمد وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين إلا تبت عليَّ فتاب الله عليه ﴿**إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾. فقلت له: يا ابن رسول الله فما يعني عز وجل بقوله: ﴿**فَأَتَمَّهُنَّ**﴾ قال: يعني أتمهن إلى القائم عليه السلام اثني عشر إماماً، تسعة من ولد الحسين عليه السلام، قال المفضل: فقلت له: يا ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿**وجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ**﴾ قال: يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فكيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون ولد الحسن، وهما جميعا ولدا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وسبطاه، وسيدا شباب أهل الجنة؟ فقال عليه السلام: إن موسى وهارون كانا نبيين مرسلين أخوين فجعل الله النبوة في صلب هارون من دون صلب موسى، ولم يكن لأحد أن

يقول لم فعل الله ذلك فإن الإمامة خلافة الله عز وجل ليس لأحد أن يقول لم جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن؟ لأن الله هو الحكيم في أفعاله لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وهُمْ يُسْئَلُونَ .

(٤) . م، [تفسير الإمام عليه السلام] قال الحسين بن عليّ عليه السلام إن الله تعالى لما خلق آدم، وسوّ اه، وعلمه أسماء كل شي ء، ﴿**وعَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ** ﴾ جعل محمداً، وعلياً، وفاطمة، والحسن، والحسين أشباحاً خمسة في ظهر آدم، وكانت أنوارهم تضي ء في الآفاق من السماوات، والحجب، والجنان، والكرسي، والعرش فأمر الله الملائكة بالسج ود لآدم تعظيما لهـ، إنه قد فضّله بأن جعله وعاء لتلك الأشباح التي قد عمّ أنوارها الآفاق.

فسجدوا إلا إبليس أبى أن يتواضع لجلال عظمة الله، وأن يتواضع لأنوارنا أهل البيت، وقد تواضعت لها الملائكة كلها فاستكبر، وترفع فكان ب إبائه ذلك، وتكبره من الكافرين.

قال عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما: حدثني أبي عن أبيه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: قال: ي عباد الله إن آدم لما رأى النور ساطعاً من صلبه إذ كان الله نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره رأى النّ ور، ولم يتبين الأشباح فقال: يا رب ما هذه الأنوار ، قال الله عز وجل : أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت و عاء لتلك الأشباح فقال آدم : يا رب لو بينتها لي فقال الله تعالى : أنظر يا آدم إلى ذروة العرش فنظر آدم عليه السلام، ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش فانطبع فيه صور أشباحنا كما ينطبع وجه الإنسان

في المرآة الصافية فرأى أشباحنا فقال ما هذه الأشباح يا رب ؟ فقال: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقي، وبرياتي ، هذا محمّ دٌ وأنا الحميد المحمود في أفعالي ،شققت له اسماً من اسمي، وهذا عليّ وأنا العلي العظيم شققت له اسمًا من اسمي،وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرضين ،فاطم أعدائي عن رحمتي يوم فصل قضائي، وفاطم أوليائي عما يعتريهم و يشينهم فشققت لها اسماً من اسمي، وهذا الحسن وهذا الحسين، وأنا المحسن المجمل شققت لهما اسماً من اسمي . هؤلاء خيار خليقتي،وكرام بريتي بهم آخذ،وبهم أعطي،وبهم أعاقب،وبهم أثيب ،فتوسل إلي بهم يا آدم، وإذا دهتك داهية فاجعلهم إلي شفعاءك فإني آليت على نفسي قسماً حقا لا أخيب بهم آملا، ولا أردّ بهم سائلاً، فلذلك حين زلت منه الخطيئة دعا الله عز وجل بهم فتاب عليه، وغفر له.

ي . في فضل النبي وأهل بيته على الملائكة وشهادتهم بولايتهم(١٢١):

(١) . ك، [إكمال الدين] ن، [عيون أخبار الرضا عليه السلام] ، [علل الشرائع] الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي عن فرات بن إبراهيم عن محمد بن أحمد الهمداني عن العباس بن عبد الله البخاري عن محمد بن القاسم بن إبراهيم عن الهروي عن الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً أفضل مني، ولا أكرم عليه مني قال عليّ عليه السلام: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أو جبرائيل؟ فقال عليه السلام: يا عليّ إن الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين، والمرسلين، والفضل بعدي لك يا

عليّ، وللأئمة من بعدك، وإن الملائكة لخدامنا، وخدام مح بينا يا عليّ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ، ومَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ويَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بولايتنا يا عليّ لو لا نحن ما خلق آدم، ولا حواء، ولا الجنة، ولا النار، ولا السماء، ولا الأرض فكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا، وتسبيحه، وتهليله، وتقديسه؟ لأن أول ما خلق الله عزّ وجلّ خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده، وتحميده ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا فسبحنا لتعلم الملائكة أنّا خلق مخلوقون، وأنه منزّه عن صفاتنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، ونزهته عن صفاتنا فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله، وأنّا عبيدٌ، ولسنا بآلهة يجب أن نعُبد معه أو دونه فقالوا : لا إله إلا الله فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به، فلما شاهدوا ما جعله لنا من العزّ والقوة قلنا: لا حول ولا قوة إلا بالله لتعلم الملائكة أن لا حول لنا ولا قوة إلا بالله .فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا، وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحقّ لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكة : الحمد لله فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله، وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده ثم إن الله تبارك، وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عزّ وجلّ عبودية، ولآدم إكراماً، وطاعةً لكوننا في صلبه فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون. وإنّه لما عرج بي إلى السماء أذن جبرائيل مثنى مثنى، وأقام مثنى مثنى ثم قال لي : تقدم يا محمد فقلت له : يا

جبرائيل أتقدم عليك ؟ فقال: نعم لأن الله تبارك، وتعالى فضّل أنبياءه على ملائكته أجمعين، وفضلك خاصّ ة فتقدمت فصلّيت بهم، ولا فخر فلما انتهيت إلى حجب النّور قال لي جبرائيل: تقدم يا محمد، وتخلّف عني فقلت: يا جبرائيل في مثل هذا الموضع تفارقني فقال يا محمّ د إن انتهاء حدّ ي الذي وضعني الله عز وجل فيه إلى هذا المكان فإن تجاوزته احترقت أجنحتي بتعدّ ي حدود ربي جلّ جلاله. فزخ بي في النّور زخّةً حتى انتهيت إلى حيث ما شاء الله من علو ملكه فنوديت يا محمد فقلت : لبيك ربي، وسعديك تباركت، وتعاليت، فنوديت: يا محمد أنت عبدي، وأنا ربك فإياي فاعبد، وعليَّ فتوكل فإنك نوري في عبادي، ورسولي إلى خلقي، وحجّ تي في بريتي لك، ولمن اتبعك خلقت جنتي، ولمن خالفك خلقت ناري، ولأوصيائك أوجبت كرامتي، ولشيعتهم أوجبت ثوابي .فقلت: يا رب، ومن أوصيائي؟ فنوديت: يا محمّد أوصياؤك المكتوبون على ساق عرشي فنظرت وأنا بين يدي ربي جل جلاله إلى ساق العرش فرأيت اثني عشر نوراً في كل نور سطر أخضر عليه اسم وصي من أوصيائي أولهم عليّ بن أبي طالب، وآخرهم مهدي أمتي . فقلت: يا رب هؤلاء أوصيائي من بعدي ؟ فنوديت: يا محمد هؤلاء أوليائي، وأوصيائي، وأصفيائي، وحججي بعدك على بريتي، وهم أوصياؤك، وخلفاؤك، وخير خلقي بعدك، وعزّتي وجلالي لأظهرن بهم ديني، ولأعلّين بهم كلمتي، ولأطهّرنّ الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأمكننّ ه مشارق الأرض، ومغاربها،ولأسخّرنّ له الرياح، ولأذللنَّ له السحاب الصعاب، ولأرقينّ ه في الأسباب، ولأنصرنّه بجندي، ولأمدّ نّه بملائكتي حتى تعلو دعوتي، و يجتمع

الخلق على توحيدي ثم لأديمنّ ملكه، ولأداولنّ الأيّام بين أوليائي إلى يوم القيامة.

(٢) . ع، [علل الشرائع] ابن البرقي عن أبيه عن جده عن ابن أبي عمير عن عمرو بن جميع عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: كان جبرائيل إذا أتى النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم قعد بين يديه قعدة العبد، وكان لا يدخل حتى يستأذنه.

(٣) . ع، [علل الشرائع] ابن عبدوس عن ابن قتيبة عن ابن شاذان عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّ أسري برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وحضرت الصلاة أذن جبرائيل، وأقام الصلاة فقال: يا محمّد تقدم، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: تقدم يا جبرائيل فقال له: إنا لا نتقدم على الآدميين منذ أمرنا بالسجود لآدم.

(٤) . ج، [الإحتجاج] م، [تفسير الإمام عليه السلام] عن أبي محمد العسكري عليه السلام أنه قال: سأل المنافقون النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم فقالوا: يا رسول الله أخبرنا عن علي عليه السلام هو أفضل أم ملائكة الله المقرّبون ؟فقال رسول الله: وهل شرفت الملائكة إلا بحبها لمحمّد، وعليّ، وقبولها لولايتهما، إنّه لا أحد من محبّي عليّ عليه السلام نظف قلبه من قذر الغش، والدغل، والغل، ونجاسة الذنوب إلا كان أطهر، وأفضل من الملائكة . وهل أمر الله الملائكة بالسجود لآدم إلا لما كانوا قد وضعوه في نفوسهم أنه لا يصير في الدنيا خلق بعدهم إذا رفعوا عنها إلاّ وهم . يعنون أنفسهم . أفضل منهم في الدين فضلاً،

وأعلم بالله، وبدينه علماً . فأراد الله أن يعرفهم أنهم قد أخط أوا في ظنونهم، واعتقاداتهم فخلق آدم، وعلّمه الأسماء كلها ثم عرضها عليهم فعجزوا عن معرفتها فأمر آدم أن ينبّئهم بها، وعرفهم فضله في العلم عليهم ثم أخرج من صلب آدم ذرية منهم الأنبياء، والرسل، والخيار من عباد الله أفضلهم محمد ثم آل محمد، ومن الخيار الفاضلين منهم [بعض] أصحاب محمّد، وخيار أمّ ة محمّد، وعرف الملائكة بذلك أنهم أفضل من الملائكة ... إلى آخر ما نقلنا سابقاً في باب غزوة تبوك في قصة العقبة.

(٥) . فس، [تفسير القمي] أبي عن الأصفهاني عن المنقري عن حماد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سُئل هل الملائكة أكثر أم بنو آدم ؟ فقال: والذي نفسي بيده لملائكة الله في السماوات أكثر من عدد التراب في الأرض، وما في السماء موضع قدم إلا وفيها ملك يسبحه، ويقدسه، ولا في الأرض شجر، ولا مدر **إلاّ وفيها ملك موكل بها يأتي الله كل يوم بعملها** ، والله أعلم بها، وما منهم أحد إلاّ ويتقرب كل يوم إلى الله بولايتنا أهل البيت،ويستغفر لمحبينا،ويلعن أعداءنا،ويسأل الله أن يرسل عليهم العذاب إرسالاً.

بيان: قوله عليه السلام : "وما في السّماء موضع قدم إلاّ وفيها ملَكٌ ... موكّلٌ بها يأتي الله كلّ يوم بعملها ..."،إشارةٌ واضحة على أنّ الملائكة موكّلة بالنّظام التكويني وبجزئيّاته وتفاصيله،فإذا كانت هي الّتي تصدّر الأوامر إلى الإمام في ليلة القدر وه و أشرف منها وأفضل ،فمن يا تُرى يصدّر إليها الأمر على

كثرتها؟ **إن قيل:** إنّ الله يصدّر إليها الأوامر مباشرةً ،وهي بدورها تصدّر الأوامر للإمام.

قلنا:إذا جاز أن يصدّر الله هذه البلايين البلايين من الأوامر إلى الملائكة، جاز بطريقٍ أولى أن يصدّر هذه البلايين من ا لأوامر إلى وليّه الأعظم وخليفته المكرّم الإمام عليه السلام، مضافاً إلى أنّ تصدير الأوامر إليها من قبل الله مباشرةً يُلغي دور الخليفة وعلاقته المباشرة مع الله تعالى، وتصبح الملائكة أفضل منه من حيث احتياجه إليها في تعليم الأسماء، وقد قامت الآيات الشريفة على إحتياجها إلى آدم الخليفة الّذي هو أدون بالفضيلة والمرتبة من محمّد وآله الأطهار.

(٦) . ك، [إكمال الدين] الهمداني عن علي عن أبيه عن علي بن معبد عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم :أنا سيدِ م ن خلق الله، وأنا خير من جبرائيل، وإسرافيل، وحملة العرش، وجميع الملائكة المقربين، وأنبياء الله المرسلين، وأنا صاحب الشفاعة، والحوض الشريف، وأنا وعليّ أبوا هذه الأمة من عرفنا فقد عرف الله، ومن أنكرنا فقد أنكر الله عزّ وجلّ، ومن عليّ سبطا أمتي، وسيدا شباب أهل الجنة :الحسن والحسين، ومن ولد الحسين أئمة تسعة، طاعتهم طاعتي، ومعصيتهم معصيتي تاسعهم قائمهم، ومهديهم.

ك . ومنها ما روي(١٢٢) من أنّ الإمام عليه السلام لا يُسأل عن شيء مما بين صدفيها إلاّ أجاب فيه، وأنّ الله فتح لهم عليهم السَّلام عن باطن ينابيع

علمه، وأنه سبحانه شرّف الإمام بأعظم من العصمة، وأنه تعالى يُغشي الإمام النور؛ نذكر من هذه الأخبار ما يأتي:

(**١**) . ن، [عيون أخبار الرضا عليه السلام] تميم القرشي عن أبيه عن أحمد بن علي الأنصاري عن الحسن بن الجهم قال : حضرت مجلس المأمون يوماً ، وعنده عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، وقد اجتمع الفقها ء، وأهل الكلام من الفرق المختلفة فسأله بعضهم فقال له : يا ابن رسول الله بأي شي ء تصحّ الإمامة لمدعيها قال: بالنّص، والدلائل .

قال له: فدلالة الإمام فيما هي؟ قال: في العلم واستجابة الدعوة، قال: فما وجه إخباركم بما يكون؟ قال: ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم قال: فما وجه إخباركم بما في قلوب الناس؟

قال عليه السلام: أما بلغك قول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلَّم اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله؟ قال : بلى قال: فما من مؤمن إلا وله فراسة ينظر بنور الله على قدر إيمانه، ومبلغ استبصاره، وعلمه، وقد جمع الله للأئمة منا ما فرّقه في جميع المؤمنين، وقال عزّ وجل في كتابه ﴿**إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾ .

فأول المتوّسمين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم ثمّ أمير المؤمنين عليه السلام من بعده ثم الحسن والحسين، والأئمة من ولد الحسين إلى يوم القيامة، قال: فنظر إليه المأمون فقال له: يا أبا الحسن زدنا مما جعل الله لكم أهل البيت .

فقال الرضا عليه السلام: إن الله عز وجل قد أيدنا بروح منه مقدّسة مطهرة ليست بملكٍ لم تكن مع أحد ممن مضى إلا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله

وسلَّم، وهي مع الأئمة منا تسدّ دهم، وتوفقهم، وهو عمود من نور بيننا، وبين الله عزّ وجل ..."

(٢) . عن أحمد بن إدريس عن ابن عيسى عن محمّد بن سنان عن ابي الجارود عن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال:قلت له : جُعِلت فداك إذا مضى عالمكم أهل البيت فبأيّ شيءٍ يُعرف الّذي يجيئ بعده؟ قال : بالهدي والإطراق وإقرار آل محمّد له بالفضل ، ولا يُسأل عن شيءٍ ممّا بين صدفيها إلاّ أجاب فيه.

(٣) . ير، [بصائر الدرجات] عمران بن موسى عن محمّ د بن الحسين عن عبيس بن هشام عن الحسين بن يونس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أراد الله أن يخلق إماماً أخذ الله بيده شربة من تحت عرشه فدفعه إلى ملك من ملائكته فأوصلها إلى الإمام فكان الإمام من بعده منها فإذا مض ى عليه أربعون يوما سمع الصوت، وهو في بطن أمه فإذا ولد أوتي الحكمة، وكتب على عضده الأيمن : ﴿**وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً، وعَدْلًا لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ، وهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ فإذا كان الأمر يصل إليه أعانه الله بثلاثمائة وثلاثة عشر ملكا بعدد أهل بدر، وكانوا معه، ومعهم سبعون رجلاً، واثنا عشر نقيباً فأما السبعون فيبعثهم إلى الآفاق يدعون الناس إلى ما دعوا إليه أولا، ويجعل الله له في كل موضع مصباحاً يبصر به أعمالهم .

(٤) . ل، [الخصال] العجلي عن ابن زكريا القطان عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن أبي معاوية عن سليمان بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: عشر خصال من صفات الإمام العصمة، والنصوص، وأن يكون أعلم الناس،

وأتقاهم لله، وأعلمهم بكتاب الله، وأن يكون صاحب الوصية الظاهرة، ويكون له المعجز، والدليل، وتنام عينه، ولا ينام قلبه، ولا يكون له فيءٌ، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه .

(**٥**) . ير، [بصائر الدرجات] محمّد بن الحسين عن أبي داود المسترق عن عيسى الفراء عن مالك الجهني قال: كنت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام فوضعت يدي على خدي، وقلت: لقد عصمك الله، وشرّفك، فقال: يا مالك ! الأمر أعظم مما تذهب إليه .

بيان : قال العلاّمة المجلسي في توضيح الخبر : أي ليس محض العصمة والتّشريف كما زعمت ،بل هي الخلافة الكبرى وفرض الطّاعة على كافّة الورى.

(**٦**) . ير، [بصائر الدرجات] محمد بن عيسى، ويعقوب بن يزيد، وغيرهما عن ابن محبوب عن إسحاق بن غالب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مضى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وخلف في أمته كتاب الله، ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وحبل الله المتين، وعروته الوثقى التي ﴿**لا انْفِصامَ لَها**﴾، وعهده المؤكّد صاحبان مؤتلفان يشهد كل واحد لصاحبه بتصديق ينطق الإمام عن الله عزّ وجل في الكتاب بما أوجب الله فيه على العباد من طاعة الله، وطاعة الإمام، وولايته، وأوجب حقه الذي أراه الله عزّ وجل من استكمال دينه، وإظهار أمره، والاحتجاج بحجته، والاستضاءة بنوره في معادن أهل صفوته، ومصطفى أهل خيرته فأوضح الله بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل مناهجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه فمن عرف من أمة محمد صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وأوجب حقّ إمامه وجد طعم

حلاوة إيمانه، وعلم فضل طلاوة إسلامه لأن الله نصب الإمام ع لماً لخلقه، وجعله حجةً على أهل عالمه ألبسه الله تاج الوقار، **وغشّاه من نور الجبار يمد بسبب إلى السّماء لا ينقطع عنه مواده** ، ولا ينال ما عند الله تبارك و تعالى إلا بجهة أسباب سبيله، ولا يقبل الله أعمال العباد إلا بمعرفته فهو عا لم بما يرد عليه من ملتبسات الوح ي، ومعمّيات السنن، ومشتبهات الفتن، ولم يكن الله لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حتى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ، وتكون الحجة من الله على العباد بالغة .

(٧) . ير، [بصائر الدرجات] سلمة بن الخطاب عن سليمان بن سماعة الحذّاء، وعبد الله بن محمد جميعاً عن عبد الله بن القاسم عن أبي الجارود قال : قال أبو جعفر عليه السلام: الإمام مرّ ينظر من خلفه كما ينظر من قدامه .

(٨) . ير، [بصائر الدرجات] أحمد بن موسى عن الحسن بن علي الخشاب عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير قال : قال أبو جعفر عليه السلام يوماً ونحن عنده جماعة من الشّيعة: قوموا تفرقوا عني مثنى وثلاث ، فإني أراكم من خلفي كما أراكم من بين يدي فليسرّ عبد في نفسه ما شاء فإن الله يعرّفنيه .

(٩) . عن أحمد بن محمّد عن عمر بن العزيز عن الخيبري عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **﴿وتَمَّتْ كَلِمَةُ ربِّكَ صِدْقَاً وعدْ لاً لا مُبَدّلَ لِكلِمَاتِهْ وَهُوَ السَّمِيْعُ العَلِيم ﴾** ثمّ قال: هذا حرفٌ في الأئمّة خاصّة ثمّ قال: يا يونس إنّ الإمام يخلقه الله بيده لا يليه أحدٌ غيره وهو جعله يسمع ويرى في بطن أمّه حتى إذا صار إلى الأرض خُطّ بين كتفيه: **﴿وتَمّتْ كَلِمَةُ ربكَّ صِدْقَاً وعدْلاً لا مُبَدّلَ لِكلِمَاتِهْ وَهُوَ السَّمِيْعُ العَلِيم ﴾** .

بيان: الخلق باليد كناية عن غاية اللّطف والاهتمام بشأنه فإنّ من يهتم بأمرٍ يليه بنفسه أو المراد أنّه يخلقه بقدرته من غير ملكٍ في تسبيب أسبابه.

(١٠) . ني، [الغيبة للنعماني] الكليني عن محمد بن يحيى عن ابن عيسى عن إسحاق بن غالب عن أبي عبد الله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة عليهم السلام، وصفاتهم فقال: إن الله تبارك، وتعالى أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبيه صلّى الله عليه وآله وسلَّم عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل منهاجه، وفتح لهم عن باطن ينابيع علمه .

فمن عرف من أمة محمد صلّى الله عليه وآله وسلَّم واجب حقّ إمامه وجد طعم حلاوة إيمانه، وعلم فضل طلاوة إسلامه إن الله نصب الإمام علماً لخلقه، وجعله حجّ ة على أهل طاعته ألبسه الله تاج الوقار، وغشّ اه من نور الجبار يمدّ بسبب من السماء لا ينقطع عنه مواده، ولا ينال ما عند الله إلا بجهة أسبابه، ولا يقبل الله الأعمال للعباد إلا بمعرفته .

فهو عا لم بما يرد عليه من مشكلات الوحي، ومعميات السّنن، ومشتبهات الدين لم يزل الله يختارهم لخلقه من ولد الحسين صلوات الله عليه من عقب كل إمام فيصطفيهم لذلك، ويجتبيهم، ويرضى بهم لخلقه، ويرتضيهم لنفسه كلما مضى منهم إمام نصّ ب عزّ وجل لخلقه من عقبه إماماً علماً بيّناً، وهادياً منيراً، وإماماً قيماً، وحجةً عالماً أئمةً من الله ﴿**يَهْدُونَ بِالْحَقِّ، وبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ حجج الله، ودعاته، ورعاته على خلقه يدين بهداهم العباد، وتستهل بنورهم البلاد، وتنمي ببركتهم التلاد، وجعلهم الله حياة الأنام،

ومصابيح الظلام، ودعائم الإسلام جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها.

فالإمام هو المنتجب المرتضى، والهادي المجتبى، والقائم المرتجى اصطفاه الله لذلك، واصطنعه على عينه في الذّ ر حين ذرأه، وفي البريّ حين برأه ظلا قبل خلقه نسمة عن يمين عرشه محبوّاً بالحكمة في علم الغيب عنده اختاره بعلمه، وانتجبه بتطهيره بقية من آدم، وخيرة من ذرية نوح، ومصطفى من آل إبراهيم، وسلالة من إسماعيل، وصفوة من عترة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم .

لم يزل مرعياً بعين الله ويكلاه بسرّه مدفوعاً عنه وقوب الغواسق، ونفوث كل فاسق مصروفاً عنه قواذف السوء مبرأ من العاهات محجوبا عن الآفات مصونا من الفواحش كلها معروفاً بالحلم،والبر في بقاعه منسوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه مسنداً إليه أمر والده صامتا عن المنطق في حياته.

فإذا انقضت مدة والده انتهت به مقادير الله إلى مشيته، وجاءت الإرادة من عند الله فيه إلى محبته، وبلغ منتهى مدة والده فمضى، وصار أمر الله إليه من بعده، وقلّده الله دينه، وجعله الحجّ ة على عباده، وقيّمه في بلاده، وأيّده بروحه، وأعطاه علمه، واستودعه سره، وا نتدبه لعظيم أمره، وآتاه فضل بيان علمه، ونصبه علماً لخلقه، وجعله حجّ ةً على أهل عالمه، وضياء لأهل دينه، والقيم على عباده .

رضي الله به إماماً لهم استحفظه علمه، واستخبأه حكمته، واسترعاه لدينه، وحباه مناهج سُ بله، وفرائضه، وحدوده فقام بالعدل عند تحيّر أهل الج هل،

وتحبير أهل الجدل بالنّور السّاطع، والشّفاء النّافع بالحق الأبلج، والبيان من كل مخرج على طريق المنهج الذي مضى عليه الصّادقون من آبائه .

فليس يجهل حق هذا العالم إلا شقي، ولا يجحده إلا غوي، ولا يصدّ عنه إلا جريء على الله جلّ وعلا.

(**١١**) . ني، [الغيبةللنعماني] علي بن أحمد عن عبد الله بن موسى عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى عن أبي سعيد المكاري عن الحارث بن المغيرة قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بأي شيء يعرف الإمام؟

قال: بالسكينة والوقار.

قلت: بأي شيء؟

قال: وتعرفه بالحلال والحرام، وبحاجة النّاس إليه، ولا يحتاج إلى أحد، ويكون عنده سلاح رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم .

قلت: يكون إلا وصياً ابن وصي؟

قال: لا يكون إلا وصياً، وابن وصي .

(**١٢**) . كش، [رجال الكشي] قال أبو الحسن علي بن محمد بن قتيبة : ومما وقع عبد الله بن حمدويه البيهقي، وكتبته من رقعته أن أهل النيسابور قد اختلفوا في دينهم، وخالف بعضهم بعضا، ويكفّر بعضهم بعضاً ، وبها قوم يقولون: إن النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم عرف جميع لغات أهل الأرض، ولغات الطّيور، وجميع ما خلق الله، وكذلك لا بد أن يكون في كل زمان من يعرف ذلك، ويعلم ما يضمر الإنسان، ويعلم ما يعمل أهل كل بلاد في

بلادهم و منازلهم، وإذا لقي طفلين فيعلم أيهما مؤمن، وأيهما يكون منافقاً ، وأنّه يعرف أسماء جميع من يتولاه في الدنيا، وأسماء آبائهم، وإذا رأى أحدهم عرفه باسمه من قبل أن يكلّمه .

ويزعمون جعلت فداك أن الوحي لا ينقطع، والنبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم لم يكن عنده كمال العلم، ولا كان عند أحد من بعده، وإذا حدث الشيء في أي زمان كان، ولم يكن علم ذلك عند صاحب الزّ مان أوحى الله إليه وإليهم .

فقال: كذبوا لعنهم الله، وافتروا إثما عظيماً .

وبها شيخ يقال له : فضل بن شاذان يخالفهم في هذه الأشياء، وينكر عليهم أكثرها، وقوله : شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الله عزّ وجل في السَّماء السابعة فوق العرش كما وصف نفسه عزّ وجل أنه جسم فوصفه بخلاف المخلوقين في جميع المعاني ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْ ءٌ، وهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ .

وإنّ من قوله إن النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم قد أتى بكمال الدين، وقد بلغ عن الله عزّ وجل ما أمره به، وجاهد في سبيله، وعبده حتى أتاه اليقين، وإنه عليه السلام أقام رجلا يقوم مقامه من بعده فعلمه من العلم الّ ذي أوحى الله فعرف ذلك الرجل الذي عنده من العل م الحلال والحرام، وتأويل الكتاب، وفصل الخطاب، وكذلك في كل زمان لا بد من أن يكون واحد يعرف هذا، وهو ميراث من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم يتوارثونه، وليس يعلم أحد منهم شيئاً من أمر الدين إلّا بالعلم الذي ورثوه عن النبي

صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وه و ينكر الوحي بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم فقال قد صدق في بعض، وكذب في بعض .

وفي آخر الورقة: قد فهمنا رحمك الله كل ما ذكرت، ويأبى الله عزّ وجل أن يرشد أحدكم، وأن يرضى عنكم، وأنتم مخالفون معطلون الدين لا تعرفون إماماً، ولا تتولون ولياً كلما لاكفاكم الله عزّ وجل برحمته، وأذن لنا في دعائكم إلى الحق، وكتبنا إليكم بذلك، وأرسلنا إليكم رسولا لم تصدّ قوه فاتقوا الله عباد الله، ولا تلجوا في الضّلالة من بعد المعرفة، واعلموا أن الحجّ ة قد لزمت أعناقكم، واقبلوا نعمته عليكم تدم لكم بذلك السعادة في الدّ ارين عن الله عزّ وجل إن شاء الله .

وهذا الفضل بن شاذان ما لنا، وله يفسد علينا موالينا، ويزين لهم الأباطيل، وكلما كتبنا إليهم كتابا اعترض علينا في ذلك، وأنا أتقدم إليه أن يكف عنّ، وإلا، والله سألت الله أن يرميه بمرض لا يندمل جرحه في الدنيا، ولا في الآخرة أبلغ موالينا هداهم الله سلامي، وأقرئهم هذه الرقعة إن شاء الله تعالى .

(**١٣**) . كا، [الكافي] علي بن محمّد عن بعض أصحابنا عن ابن أبي عمير عن حريز عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: للإمام عشر علامات يولد مطهراً مختوناً، وإذا وقع على الأرض وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادتين، ولا يجنب، وتنام عينه، ولا ينام قلبه، ولا يتثاءب، ولا يتمطى، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه، ونجوه كرائحة المسك، والأرض موكلة بستره، وابتلاعه، وإذا لبس درع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم كانت عليه

وفقاً، وإذا لبسه غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبراً، وهو محدَّثٌ إلى أن تنقضي أيامه .

(١٣) . البرسي في مشارق الأنوار عن طارق بن شهاب عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال يا طارق الإمام كلمة الله، وحجة الله، ووجه الله، ونور الله، وحجاب الله، وآية الله يختاره الله، ويجعل فيه ما يشاء، ويوجب له بذلك الطاعة، والولاية على جميع خلقه فهو وليّه في سماواته، وأرضه أخذ له بذلك العهد على جميع عباده فمن تقدّم عليه كفر بالله من فوق عرشه فهو يفعل ما يشاء، وإذا شاء الله شاء .

ويكتب على عضده، ﴿**وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وعَدْلًا**﴾ فهو الصّدق والعدل، وينصب له عمود من نور من الأرض إلى السماء يرى فيه أعمال العباد، ويلبس الهيبة، وعلم الضمير، ويطلع على الغيب، ويرى ما بين المشرق، والمغرب فلا يخفى عليه شيء من عالم الملك، والملكوت، ويعطى منطق الطير عند ولايته .

فهذا الذي يختاره الله لوحيه، ويرتضيه لغيبه، ويؤيده بكلمته، ويلقنه حكمته، ويجعل قلبه مكان مشيته، وينادي له بالسلطنة، ويذعن له بالإمرة، ويحكم له بالطّاعة، وذلك لأن الإمامة ميراث الأنبياء، ومنزلة الأصفياء، وخلافة الله، وخلافة رسل الله فهي عصمة، وولاية، وسلطنةٌ ، وهداية، وإنه تمام الدين، ورجح الموازين .

الإمام دليل للقاصدين، ومنارٌ للمهتدين، وسبيلُ السالكين، وشمس مشرقة في قلوب العارفين وولايته سبب للنجاة، وطاعته مفترضة في الحياة، وعدّة بعد

الممات، وعز المؤمنين، وشفاعة المذنبين، ونجاة المحبّ ين، وفوز التابعين لأنها رأس الإسلام، وكمال الإيمان، ومعرفة الحدود والأ حكام، وتبيين الحلال من الحرام فهي مرتبة لا ينالها إلا من اختاره الله، وقدّمه، وولاّه، وحلّه .

فالولاية هي حفظ الثغور، وتدبير الأمور، وتعديد الأيام، والشهور الإمام الماء العذب على الظمأ، والدال على الهدى الإمام المطهر من الذنوب المطّلع على الغيوب ،الإمام هو الشمس الطالعة على العباد بالأنوار فلا تناله الأيدي، والأبصار، وإليه الإشارة بقوله تعالى :﴿**وللَّهِ الْعِزَّةُ ولِرَسُولِهِ ولِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ والمؤمنون عليّ وعترته فالعزة للنبي وللعترة، والنبي والعترة لا يفترقان في العزَّة إلى آخر الدهر فهم رأس دائرة الإيمان، وقطب الوجود، وسماء الجود، وشرف الموجود، وضوء شمس الشّرَف، ونور قمره، وأصل العز، والمجد، ومبدؤه، ومعناه، ومبناه فالإمام هو السراج الوهاج، والسّ بيل، والمنهاج، والماء الثجّاج، والبحر العجاج، والبدر المشرق، والغدير المغدق، والمنهج الواضح المسالك، والدليل إذا عمّ ت المهالك، والسحاب الهاطل، والغيث الهامل، والبدر الكامل، والدليل الفاضل، والسّ ماء الظليلة، والنعمة الجليلة، والبحر الذي لا ينزف، والشّرف الذي لا يوصف، والعين الغزيرة، والرّ وضة المطيرة، والزهر الأريج، والبدر البهيج، والنيّر اللائح، والطيب الفائح، والعمل الصالح، والمتجر الرابح، والمنهج الواضح، والطيّ ب الرفيق، والأب الشفيق .

مفزع العباد في الدواهي، والحاكم، والآمر، والناهي مهيمن الله على الخلائق، وأمينه على الحقائق حجة الله على عباده، ومحجته في أرضه، وبلاده

مطهّر من الذنوب مبرأ من العيوب مطّ لع على الغيوب ظاهره أمر لا يملك، وباطنه غيب لا يدرك واحد دهره، وخليفة الله في نهيه وأمره .

لا يوجد له مثيل، ولا يقوم له بديل فمن ذا ينال معرفتنا أو يعرف درجتنا أو يشهد كرامتنا أو يدرك منزلتنا حارت الألباب، والعقول، وتاهت الأفهام فيما أقول تصاغرت العظماء، وتق اصرت العلماء، وكلّ ت الشعراء،وخرست البلغاء، ولكَ نَتْ الخطباء، وعجزت الفصحاء، وتواضعت الأرض، والسماء عن وصف شأن الأولياء .

وهل يعرف أو يوصف أو يعلم أو يفهم أو يدرك أو يملك مَنْ هو شعاع جلال الكبرياء، وشرف الأرض والسّماء؟ جلّ مقام آل محمد صلّى الله عليه وآله وسلَّم عن وصف الواصفين، ونعت النّ اعتين، وأن يقاس بهم أحد من العالمين كيف، وهم الكلمة العلياء، والتسمية البيضاء، والوحدانية الكبرى التي أعرض عنها ﴿**مَنْ أَدْبَرَ وتَوَلَّى**﴾، وحجاب الله الأعظم الأعلى.

فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول من هذا؟ وم ن ذا عرف أو وصف من وصفت؟ ظنّوا أن ذلك في غير آل محمد كذبوا، وزلت أقدامهم اتخذوا العجل ربا، والشياطين حزبا كل ذلك بغضةً لبيت الصفوة، ودار العصمة، وحسدا لمعدن الرسالة، والحكمة، وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فتبّ اً لهم وسحقاً كيف اختاروا إماماً جاهلاً عابداً للأصنام جبانا يوم الزحام؟

والإمام يجب أن يكون عالماً لا يجهل، وشجاعاً لا ينكل لا يعلو عليه حسب، ولا يدانيه نسب فهو في الذّروة من قريش، والشّرف من هاشم، والبقية

من إبراهيم، والنّهج من النبع الكريم، والنّ فس من الرّ سول، والرّضى من الله، والقول عن الله .

فهو شرف الأشراف، والفرع من عبد مناف عا لمٌ بالسياسة قائم بالرئاسة مفترض الطاعة إلى يوم الساعة أودع الله قلبه سرّه، وأطلق به لسانه فهو معصوم موفق ليس بجبان، ولا جاهل فتركوه يا طارق ﴿**واتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ**﴾؟.

والإمام يا طارق بشر ملكيّ ، وجسدٌ سماوي، وأمرٌ إلهي، وروحٌ قدسي، ومقام علي، ونور جلي، وسر خفي فهو ملك يُّ الذات إلهي الصفات زائد الحسنات عا لمٌ بالمغيبات خصاًّ من رب العالمين، ونصاً من الصادق الأمين .

وهذا كله لآل محمد لا يش اركهم فيه مشارك لأن.هم معدن التنزيل، ومعنى التأويل، وخاصة الرّ بّ الجليل، ومهبط الأمين جبرائيل صفوة الله، وسره، وكلمته شجرة النبوة، ومعدن الصفوة عين المقالة، ومنتهى الدلالة، ومحكم الرسالة، ونور الجلالة جنب الله ووديعته، وموضع كلمة الله، ومفتاح حكمته، ومصابيح رحمة الله، وينابيع نعمته ،السبيل إلى الله، والسلسبيل، والقسطاس المستقيم، والمنهاج القويم، والذّ كر الحكيم، والوجه الكريم، والنّور القديم أهل التشريف، والتقويم، والتقديم، والتعظيم، والتفضيل خلفاء النبي الكريم، وأبناء الرءوف الرحيم، وأمناء العليُّ العظيم ﴿**ذرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ، واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ .

السنّام الأعظم، والطريق الأقوم من عرفهم، وأخذ عنهم فهو منهم، وإليه الإشارة بقوله فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي خلقهم الله من نور عظمته، وولّا هم أمر

مملكته فهم سر الله المخزون، وأولياؤه المقر بون، وأمره بين الكاف والنون إلى الله يدعون، وعنه يقولون ﴿**وبِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾.

عِلْمُ الأنبياء في علمهم، وسرّ الأوصياء في سرهم، وعزّ الأولياء في عزهم كالقطرة في البحر، والذرة في القفر، والسماوات والأرض عند الإمام كيده من راحته يعرف ظاهرها من باطنها، ويعلم برّها من فاجرها، ورطبها، ويابسها لأن الله علّم نبيّه علم ما كان، وما يكون، وورث ذلك السرّ المصون الأوصياء المنتجبون، ومن أنكر ذلك فهو شقيٌّ ملعون يلعنه الله، ويلعنه اللاّعنون .

وكيف يفرض الله على عباده طاعة من يحجب عنه ملكوت السماوات والأرض؟ وإنَّ الكلمة من آل محمد تنصرف إلى سبعين وجهاً ، وكل ما في الذّكر الحكيم، والكتاب الكريم، والكلام القديم من آية تذكر فيها العين، والوجه، واليد، والجنب فالمراد منها الوليُّ لأنه جنب الله، ووجه الله يعني حق الله، وعلم الله، وعين الله، ويد الله فهم الجنب العلي، و الوجه الرضي، والمنهل الروي، والصرّاط السوي، والوسيلة إلى الله، والوصلة إلى عفوه، ورضاه .

وسرّ الواحد والأحد ، فلا يقاس بهم من الخلق أحد فهم خاصة الله، وخالصته، وسرّ الدّيّان، وكلمته، وباب الإيمان، وكعبته، وحجة الله، ومحجته، وأعلام الهدى، ورايته، وفضل الله، ورحمته، وعين اليقين، وحقيقته، وصراط الله وعصمته، ومبدأ الوجود وغايته، وقدرة الربّ ومشيته، وأمّ الكتاب وخاتمته، وفصل الخطاب ودلالته ، وخزنة الوحي وحفظته، وآية الذكر وتراجمته، ومعدن التنزيل ونهايته ، فهم الكواكب العلوية، والأنوار العلوية المشرقة من شمس

العصمة الفاطمية في سماء العظمة المحمدية، والأغصان النبوية النابتة في دوحة الأحمدية، والأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشرية، والذُّ رية الزكية، والعترة الهاشمية الهادية المهديّ ﴿أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ .

فهم الأئمة الطّ اهرون، والعترة المعصوم ون، والذُّ رية الأكرمون، والخلفاء الراشدون، والكبراء الصدّ يقون، والأوصياء المنتجبون، والأسباط المرضيُّ ون، والهداة المهديون، والغُ رُّ الميامين من آل طه، وياسين، وحجج الله على الأولين، والآخرين .

إسمهم مكتوب على الأحجار، وعلى أوراق الأشجار، وعلى أجنحة الأطيار، وعلى أبواب الجنة والنَّ ار، وعلى العرش والأفلاك، وعلى أجنحة الأملاك، وعلى حجب الجلال، وسرادقات العزِّ والجمال، وباسمهم تسبِّح الأطيار، وتستغفر لشيعتهم الحيتان في لجج البحار، وإن الله لم يخلق أحداً إلا، وأخذ عليه الإقرار بالوحدانية، والولاية للذرية الزكي ة، والبراءة من أعدائهم، وإنَّ العرش لم يستقر حتى كتب عليه بالنُّ ور لا إله إلا الله محمّ داً رسول الله علي ولي الله .

ل . إنّ بيوت الأئمّة معراج الملائكة في كل ساعة ويوم وليس في ليلة القدر فقط(١٢٣)، نذكر منها:

(**١**) . عن محمّد بن جمهور، عن موسى بن بكر، عن زرارة، عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عمّا يفرق في ليلة القدر هل هو ما يقدّر الله فيها؟ قال عليه السلام: لا توصف قدرة الله إلاّ أنه قال : ﴿**فيها يفرّق كلّ أمرٍ**

حكيم﴾ فكيف يكون حكيماً إلاّ ما فرق، ولا توصف قدرة الله سبحانه لأنه يحدث ما يشاء . وأمّا قوله: ﴿**ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر**﴾ يعني فاطمة عليها السَّلام، وقوله : ﴿**تنزل الملائكة والرّوح فيها** ﴾ والملائكة في هذا الموضع المؤمنون الّذين يملكون علم آل محمّد عليهم السَّلام : والرّوح روح القدس وهو في فاطمة عليها السَّلام ﴿**من كلّ أمر سلام**﴾ يقول من كلّ أمر مسلّمة ﴿**حتى مطلع الفجر**﴾ يعني حتى يقوم القائم عليه السلام .

(٢) . قال: وفي هذا المعنى ما رواه الشيخ أبو جعفر الطوسي قدّس الله روحه عن رجاله عن عبد الله بن عجلان السكّوني قال : قال: سمعتُ ابا جعفر عليه السلام يقول: بيتُ عليّ وفاطمة من حِجرة رسول الله صلوات الله عليه وسقف بيتهم عرش ربّ العالمين، وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي والملائكة تنزل عليهم الوحي صباحاً ومساءً، وفي كلّ ساعة وطرفة عين، والملائكة لا ينقطع فوجهم، فوجٌ ينزل وفوجٌ يصعد، وإنّ الله تبارك وتعالى كشط لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتى أبصر العرش، وزاد الله في قوة ناظره، وإنّ الله زاد في قوّة ناظرة محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سقفاً غير العرش، فبيوتهم مسقّفة بعرش الرحمان، ومعارج معراج الملائكة والرّوح فوجٌ بعد فوج لا انقطاع لهم وما من بيت من بيوت الأئمّة منّا إلاّ وفيه معراج الملائكة لقول الله: ﴿**تنزّل الملائكة والرّوح فيها بإذن ربّهم بكلّ أمرٍ سلام** ﴾ قال: قلت: من كلّ أمر؟ قال: ﴿**بكلّ أمر**﴾ قلت: هذا التنزيل؟ قال عليه السلام: نعم .

بيان هام:

قوله ﷺ: [بكلّ أمرٍ ..] الباء للسببيّة أي بسبب كلّ أمر، بمعنى أنّ الملائكة تهبط على الإمام ﷺ بسبب كلّ أمر يصدّره الإمام لها، وهذه قرينة واضحة على أنّ الإمام يملي الأوامر على الملائكة دون العكس، من هنا جاء تأكيد قوله ﷺ: إنّ الآية هكذا تقرَأ: ﴿**بكلّ أمر**﴾؛ ولا يبعد ذلك .

(**٣**) . ير، إبن هاشم، عن إبن المغيرة، عن عبد المؤمن الأنصاري، عن حميد بن معاز من أهل البصرة، عن الضحاك بن مزاحم الخراساني قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم : إنا أهل البيت؛ أهل بيت الرّحمة، وشجرة النّبوّة، وموضع الرّسالة، ومختلف الملائكة، ومعدن العِلْم.

(**٤**) . ك: إبن الوليد، عن الصفار، عن إبن عيسى، عن الأ هوازيّ، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر، عن سليم بن قيس، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال : إنّ الله عزّ وجلّ طهّرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجّته في أرضه، وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا.

(**٥**) . شف: أحمد بن محمّد الط بري، عن جعفر بن محمّد الكوفي، عن الحسن بن عبد الواحد الخزاز، عن يحيى بن الحسن بن فرات، عن عامر بن كثير، عن الحسن بن سعيد، عن زياد بن المنذر، قال : سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ ﷺ وهو يقول: نحن شجرة أصلها رسول الله، وفرعها أمير المؤمنين عليّ، وأغصانها فاطمة بنت محمّد، وثمرتها الحسن والحسين عليهما السَّلام، فإنّها شجرة النبوّة وبيت الرّحمة ومفتاح الحكمة ومعدن العِلْم وموضع الرّسالة

ومختلف الملائكة وموضع سرّ الله ووديعته والأمانة التي عُرِضَت على السماوات والأرض، وحرم الله الأكبر وبيت الله العتيق وحرمه .

عندنا عِلْم المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب ومولد الإسلام وأنساب العرب، كانوا نوراً مشرِقاً حول عرش ربّهم فأمرهم فسبّحوا فسبّح أهل السماوات بتسبيحهم، ثمّ أهبطوا إلى الأرض فأمرهم فسبّحوا فسبّح أهل الأرض لتسبيحهم، فإنهم لَهُمُ الصّافون وإنهم لهم المسبّحون، فمن أوفى بذمّتهم فقد أوفى بذمّة الله، ومَن عرف حقهم فقد عرف حقّ الله.

هم ولاة أمر الله وخزّان وحي الله وورثة كتاب الله وهم المصطفون بسرّ الله والأمناء على وحي الله، هؤلاء أهل بيت النبوّة ومعدن الرّسالة والمستأنسون بخفق أجنحة الملائكة، مَن كان يغزوهم جبرائيل من الملك الجليل بخبر التنزيل وبرهان التأويل .

هؤلاء أهل بيت أكرمهم الله لسرّه وشرّفهم بكرامته وأعزّهم بالهدى وثبّتهم بالوحي وجعلهم أئمّة هدى ونوراً في الظّلم للنجاة، واختصّهم لدينه وفضّلهم لعلمه وآتاهم ما لم يؤتَ أحداً من العالمين، وجعلهم عماداً لد ينه ومستودَعاً لمكنون سرّه وأمناء على وحيه ونجباء من خلقه وشهداء على بريّته .

إختارهم الله وحباهم وخصّهم واصطفاهم وفضّلهم وارتضاهم وانتجبهم وانتقاهم وجعلهم للبلاد والعباد عُمَّاراً، وادلاّء للأمّة على الصّراط، فهم أئمّةُ الهدى والدّعاة إلى التقوى وكلمة الله العليا وحجّته العظمى، وهم النجاة والزلفى، هم الخيرة الكرام، الأصفياء الحكّام، هم النجوم الأعلام، هم الصّراط

المستقيم، هم السّبيل الأقوم، الرّاغب عنهم مارق والمقصّر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق .

نور الله في قلوب المؤمنين والبحار السائغة للشاربين، أمنٌ لمن التجأ إليهم وأمان لمن تمسّك بهم، إلى الله يدعون وله يسلِّمون وبأمره يعملون وبكتابه يحكمون، منهم بعث الله رسوله، وعليهم هبطت ملائكته، وفيهم نزلت سكينته وإليهم بعث الرّوح الأمين، منّاً من الله عليهم، وفضّلهم به وخصّهم، وأصول مباركة مستقرٌّ قرار الرّحمة ، خزّان العِلْم وورثة الحلم وأولو التقوى والنّهي والنّور والضّياء، وورثة الأنبياء وبقيّة الأوصياء .

منهم الطيّب ذكره، المبارَك اسمه محمّد المصطفى المرتضى ورسوله الأمّيّ، ومنهم الملك الأزهر والأسد المرسَل : حمزة، ومنهم المصطفى به يوم الزيارة العبّاس بن عبد المطّلب عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وصنو أبيه، وذو الجناحين والهجرتين والقبلتين والبيعتين من الشجرة المبارَكة صحيح الأديم واضح البرهان، ومنهم حبيب محمّد وأخوه المبلغ عنه من بعده البرهان والتأويل ومحكم التّفسير أمير المؤمنين ووليّ المؤمنين ووصيّ رسول ربّ العالمين: عليّ بن أبي طالب، عليه من الله الصلوات الزكيّة والبركات السنيّة .

هؤلاء الّذين افترض الله مودّتهم وولايتهم على كلّ مسلم ومسلمة، فقال في محكم كتابه لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم : ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إنّ الله غفور شكور**﴾ فقال أبو جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام: إقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت.

م . ومنها ما روي من أنّ أمرهم صعبٌ مستصعب،وإنّ علمهم سر مستسر؛نذكر منها:

(١) . الصّفّار بإسناده إلى أبي بصير قال : قال أبو جعفر ﴿عليه السلام﴾: حديثنا صعبٌ مستصعب لا يؤمن به إلاّ ملك مقرّب أو نبيّ مرسَل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما عرفت قلوبكم فخذوه، وما أنكرت فردّوه إلينا(١٢٥).

(٢) . الصفار بإسناده إلى الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ قال: سمعته يقول: إنّ حديثنا صعبٌ مستصعب خشنٌ مخشوش فـابنذوا إلى الناس نبذاً فمن عرف فزيدوه ومَن أنكر فامسكوا لا يحتمله إلاّ ثلاث : ملك مقرَّب أو نبيّ مرسَل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان (١٢٦).

(٣) . الصّفّار بإسناده إلى أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر ﴿عليه السلام﴾ قال: إنّ حديثنا صعبٌ مستصعب لا يؤمن به إلاّ نبيّ مرسَل أو مَلَك مقرَّب أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما عرفت قلوبكم فخذوه وما أنكرت قلوبكم فردّوه إلينا (١٢٧).

(٤) . الصفار بإسناده إلى المفض~ل قال: سمعتُ ابا عبد الله ﴿عليه السلام﴾ يقول: حديثنا صعبٌ مستصعب لا يحتمله إلاّ مَلَك مقرَّب أو نبيّ مرسَل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان(١٢٨) .

(٥) . الصفار بإسناده إلى أبي الصامت قال : سمعتُ أبا عبد الله ﴿عليه السلام﴾ يقول: إنّ من حديثنا ما لا يحتمله ملكٌ مقرَّب ولا نبيّ مرسَل ولا عبدٌ مؤمن، قلتُ: فمَن يحتمله؟، قال: نحن نحتمله (١٢٩).

(٦) . الصّفّار بإسناده إلى جابر عن أبي عبد الله قال: إنّ أمرنا سرٌّ في سرّ وسرٌّ مستسر وسرٌّ لا يفيد إلاّ سرّ وسرٌّ على سرّ وسرّ مقنَّع بسرّ[١٣٠].

(٧) . الصفار بإسناده إلى أبان بن عثمان قال : قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ أمرنا هذا مستورٌ مقنَّع بالميثاق، مَن هتكه أذلّه الله [١٣١].

(٨) . الصفار بإسناده إلى مرازم قال: قال ابو عبد الله عليه السلام: إنّ أمرنا هو الحقّ وحقّ الحق، وهو الظّاهر وباطن الباطن وهو السّرّ وسرّ السّرّ، وسرّ المستسرّ، وسرٌّ مقنَّع بالسّر [١٣٢].

(٩) . الصّفّار بإسناده إلى أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قرأتُ عليه آية الخُمس فقال : ما كان لله فه و لرسوله، وما كان لرسوله فهو لنا، قال: لقد يسّر الله على المؤمنين أنّه رزقهم خمسة دراهم وجعلوا لربّهم واحداً وأكلوا أربعة حلالاً ثمّ قال : هذا من حديثنا صعبٌ مستصعب لا يعمل به ولا يصبر عليه إلا ممتحن قلبه للإيمان[١٣٣].

ن . ما روي من أنّ الدنيا تمثّل للإمام في مثل فلقة الجوز[١٣٤]، منها:

(١) . منتخب البصائر والخرايج بإسنادهما إلى جابر قال : قال ابو جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم : إنّ حديث آل محمّد عظيم صعب مستصعب لا يؤمن به إلاّ ملك مقرَّب أو نبيّ مرسَل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّك فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزّت له قلوبكم فأنكرتموه فردّوه إلى الله وإلى الرّسول وإلى العالِم من آل محمّد صلّى الله عليه وعليهم،

وإنما الهالك أنْ يحدّث أحدكم بالحديث أو بشيء لا يحتمله فيق ول: والله ما كان هذا، والله ما كان هذا، والإنكار لفضائلهم هو الكفر.

(**٢**) . الإختصاص والبصائر بإسنادهما إلى الأسود بن سعيد قال : قال لي ابو جعفر عليه السلام: يا أسود بن سعيد إنّ بيننا وبين كلّ أرض تر أمثل ترى البناء، فإذا أمرنا بأمر جذبنا ذلك التر، فأقبلت الأرض بقلي بها وأسواقها ودورها حتى تنفذ فيها ما نؤمر به من أمر الله تعالى .

(**٣**) . الإختصاص والبصائر بإسنادهما إلى إدريس عن الصادق عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ منا أهل البيت لمن الدنيا عنده بمثل هذه وعقد بيده عشرة .

(**٤**) . ختص [الإختصاص]، ير [البصائر]: عليّ بن إسماعيل عن موسى بن طلحة عن حمزة بن عبد المطلب عن عبد الله الجعفي قال : دخلتُ على الرّضا عليه السلام ومعي صحيفة أو قرطاس فيه عن جعفر عليه السلام: إنّ الدنيا مُثلَت لصاحب هذا الأمر في مثل فلقة الجوزة، فقال : يا حمزة ذا والله حقّ فانقلوه إلى أديم .

(**٥**) . ختص، ير: عن محمّد بن الحسين ع ن موسى بن سعدان، عن عبد الله بن القاسم، عن سماعة بن مهران، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الدنيا تمَثَّل للإمام في مثل فلقة الجوز، فما يعرض لشيء منها [ن ختص: فلا يعزب عنه منها شيء] وإنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء، فلا يعزب عه منها شيء .

(**٦**) . عبد الله بن محمّد، عمّن رواه، عن محمّد بن خالد، عن حمزة بن عبد الله الجعفري، عن أبي الحسن عليه السلام قال: كتبتُ في ظهر قرطاس : إنّ الدنيا

ممَثلة للإمام كفلقة الجوزة فدفعته إلى أبي الحسن عليه السلام وقلت: جعلت فداك إنّ أصحابنا رووا حديثاً ما أنكرته، غير أني أحببتُ أنْ أسمعه منك، قال : فنظر فيه ثمّ طواه حتى ظننتُ أنه شقّ عليه، ثمّ قال: هو حقٌّ فحوّله في أديم .

(٧) . وفي نوادر الحكمة عن إسحاق القمّي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام لحمران بن أعين : يا حمران إنّ الدنيا عند الإمام والسماوات والأرضين إلاّ هكذا . وأشار بيده إلى راحته . يعرف ظاهرها وباطنها وداخلها وخارجها ورطبها ويابسها .

(٨) . وفي المحتضر من نوادر الحكمة يرفعه إلى أبي بصير قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه المفضّل بن عمر، فقال : مسألة يابن رسول الله، قال :سل يا مفضّل، قال : ما منتهى عِلْم العالِم؟ قال عليه السلام: قد سألت جسيماً وقد سألت عظيماً، ما السماء الدنيا في السّماء الثانية إلاّ كحلقة درع ملقاة في أرض فلاة، وكذلك كلّ سماء عند سماءٍ أخرى، وكذا السّماء السابعة عند الظلمة ولا الظلمة عند النور ولا ذلك كلّه في الهواء ولا الأرضين بعضها في بعض، ولا مثل ذلك كلّه في عِلْم العالِم يعني الإمام مثل مدٍّ من خردل دققته دقّاً ثم ضرَبته بالماء حتى إذا اختلط ورغا أخذت منه لعقة بأصبعك، ولا عِلْم العالِم في علم الله تعالى إلاّ مثل مدّ من خردل دققته دقّاً ثمّ ضرَبْته بالماء حتى إذا اختلط ورغا انتهزت منه برأس إبرة نهزةً ثمّ قال عليه السلام: يكفيك من هذا البيان بأقلّه وأنتَ من بأخبار الأمور تصيب.

تنبيه:

إذا كان عِلْم الأئمّة صعبٌ مستصعَب لعدم درك كنهه، وإذا كانت الدنيا كفلقة جوز يقلّبها بكفّه كيفما شاء بقدرة الملك العلاّم فكيف يمكن سلب العِلْم الحضوري عنه،وهي عنده بهذه الصّ فة؟ وإذا كان الإمام كالقمر مطّلِعاً ومشرِفاً على عامّة الاشياء؛ فكيف يمكن دعوى أنّ عِلْمه حصولي؟!

إنّ ولاية الأئمّة التكوينية عامّة، لم يرد في آية أو خبر تقييدها أو تخصيصها بشيء دون شيء، والعِلْم الحضوريّ أثرٌ من آثار ولايتهم التكوينية، لكونهم أوعية لإرادة الله تعالى إذا شاء شاؤوا، وإذا أراد أرادوا، لِمَا رواه الصفّار في البصائر عن مولانا أبي الحسن الثالث عليه السلام أنه قال: إنّ الله جعل قلوب الأئمّة مورداً لإرادته، فإذا شاء الله شيئاً شاؤه، وهو قول الله : ﴿**وما تشاؤن إلاّ أنْ يشاء الله**﴾ .

وأيضاً لما رواه إبن قولو يه في كامل الزيارت بسندٍ معنعن صحيح في خبرٍ طويل عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال للسائل لما سأله: هل يرى الإمام ما بين المشرق والغرب؟ قال عليه السلام: يابن بكر، فكيف يكون حجّة على ما بين قطرَيها وهو لا يراهم ولا يحكم فيهم؟ وكيف تكون حجّة على قومٍ غُيَّب لا يقدر عليهم ولا يقدرون عليه؟ وكيف يكون مؤدياً عن الله وشاهداً على الخلق وهو لا يراهم؟ وكيف يكون حجّة عليهم وهو محجوب عنهم وقد حيل بينهم وبينه أنْ يقوم بأمر ربّه فيهم؟ والله يقول : ﴿**وما أرسلناك إلاّ كافة للناس**﴾ يعني به: مَن على الأرض، والحجّة من بعد النبيّ يقوم مقامه، وهو الدليل على ما تشاجرت فيه الأمّة، والآخذ بحقوق الناس والقيام بأمر الله والمنصف لبعضهم من بعض، فإذا لم يكن معهم مَن ينفذ قوله وهو يقول :

﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وأنفسهم** ﴾ فإيّ آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق؟ وقال: ﴿**ما نريهم من آية إلاّ هي أكبر من أختها**﴾ فأيّ آية أكبر منّا؟ والله إنّ بني هاشم وقريشاً لتعرف ما أعطانا الله ولكنّ الحسد أهلكهم كما أهلك إبليس،وإنهم ليأتون إذا اضطروا وخافوا على أنفسهم فيسألونا فنوضح لهم فيقولون: نشهد أنكم أهل العِلْم ثمّ يخرجون فيقولون: ما رأينا أضلّ ممن اتبع هؤلاء ويقبل مقالتهم .

. وما روي عن الأسود بن سعيد قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال مبتدئاً من غير أنْ أسأله: نحن حجّة الله ونحن باب الله ونحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ونحن ولاة أمر الله في عباده.

بل الإمام وكر لإرادة الله حسبما أشار إلى ذلك المفضّل عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: لو أذِن لنا أنْ نعْلِم الناس حالنا عند الله ومن .زلتنا منه لَمَا احتملتم فقال له: في العِلْم؟ فقال عليه السلام: العِلْم أيسر من ذلك، إنّ الإمام وِكْرٌ لإرادة الله [الوِكْر هو: عشّ الطائر] عزّ وجلّ لا يشاء إلاّ مَن يشاء الله .(١٣٥)

عودٌ على بدء:

إنّ الدعوى المتمثلة بالنظريّة الرائجة بأنّ علوم النبي والعترة مستقاة من الملائكة في ليلة القدر دونها خرط القتاد، وهي مدفوعة على أقلّ تقدير . مضافاً لِما تقدَّم من الأدلّة القطعيّة . من أنهم عليهم السَّلام أفضل من جبرائيل الذي ينزل بالوحي التشريعي على الأنبياء والمرسلين، والأفضليّة إنما تكون بسبق المعارف والعلوم على قلب المتحلّي بها، وإذا افترضنا نزول

الفيض الإلهي إلى الأئمّة عليهم السَّلام بواسطة الملائكة لرابطة السّببية والمسببية، فمن ذا يكون الواسطة حينئذٍ بين الله تعالى والملائكة لإنزال الفيض عليهم؟!، إن قلنا إنه لا واسطة بينهم وبين الله تعالى في نزول الفيض باعتبار قربهم من المبدأ الفياض، نكون قد خالفنا النصوص القرآنية والأخبار النبويّة التي دلّت على أنهم أدنى مرتبة وأقل شأناً من النبي والعترة عدا عن الأنبياء والأولياء عليهم السَّلام، فلا بدّ حينئذٍ أن نذعن للحقيقة القرآنية الدالة على وجود سبب من خلاله تمّ نزول الفيض إليهم، وهذا السبب هو آدم الشخص الذي يمثل الآدميّة النوعية، حيث خضعت له الملائكة كلهم لأنّ الله هو المعلِّم ﴿**وعلَّم آدم الأسماء كلها** ﴾ وتعليمه للأسماء بواسطة سبب وهو العقل الأول سيّد الرّسل محمّد وآله الطاهرين حيث لا سبب بينهم وبين تعليم الله لهم، وآدم عليه السلام هو السبب في تعليم الملائكة ﴿**يا آدم أنبئهم بأسمائهم**﴾ أي أنبئ الملائكة، وقد يسأل المرء : لماذا جعل الواسطة الآدميّة لتعليم الملائكة، أليس الله بقادر على أن ينبئ الملائكة مباشرةً؟ بديهي: هو قادر على ذلك، وإنّما أراد أن يبيّن أنّ النظريّة ليست هي نظرية وسائط وأسباب .كما يتصور بعض مَن كتب في الإمامة . وإنما هي نظريّة ارتقاء نحو عالَم القرب الملكوتي من الذّات الأحديّة، فمَن كان جوهره أصفى كان جواره من الله أقرب، وفيضه منه أعظم وأقوى .

ونحن لا ننكر وجود الوسائل والأسباب من خلال ما تصوّرناه بشأن، النبي والعترة ونزول الفيض عليهم بلا سبب في عوالم الأنوار، إذ السبب بينه وبينهم هو الأمر الصادر منه تعالى، ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن**

فيكون﴾ (يس/٨٢)، ولا ريب في إمكان الباري أن يباشر إعطاء الأوامر من دون واسطة لعموم قدرته على كل شيء حين لزومه بلا وساطة أحد، فتدبّر .

وبمعنى آخر:

إنّ ذات الله هي السبب لإيجاد العلم في ذواتهم من دون واسطة أخرى تقتضي ذلك، فمن كان من ربه كقاب قوسين أو أدنى كيف يحتاج في تحصيل العلم إلى وا سطة؟ ومن كان يوافي العرش كل ليلة جمعة . حسبما جاء في بعض الأخبار . ولا يرجعون إلا بعلم مستفاد وإنهم يحدّثون عن الله مباشرةً وبغير وحي متعارف، كيف يمكن أن يحتاج إلى الملك مع إنه يعلم أشياء لا تعلمها حتى الملائكة المقرَّبين؟، ويشهد لهذا ما ورد بين آدم وتعليم ه الأسماء وبين الملائكة الذين جهلوا تلك الاسماء .

فالإمام عليه السلام هو واسطة الفيض بين الله والوجودات الإمكانيّة ﴿**وعلَّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة...**﴾ بل هو النقطة التي تميز العلوم والمعارف، وعليه يكون الإمام هو العلم الّذي لا بدّ أن يقترن به الخلي فة، لكونه . أي العلم . من أهم الخصائص التي امتاز بها الإنسان عن باقي الموجودات، إنه يعلم أشياء لا تعلمها حتى الملائكة، مع أنهم من المقرَّبين الداخلين في التدبير الربوبي ﴿**المدبّرات أمراً**﴾ .

وهكذا تكون من أبرز خصائص الخليفة الإلهي إنّه مزوَّد بعلم لا يح ظى به حتى الملائكة المقرَّبون، وهو عين التسديد الّذي وهبه الله سبحانه وتعالى للإنسان كخليفة، وطبيعي أنّ من كانت هذه خصائصه لا يمكن أن يبخل

المولى عزّ وجلّ عليه بأنْ يجعل الملائكة خدماً له لمرتبته السَّامية عنده عزّ شأنه.

كما من الطبيعي أيضاً أنْ يكون هناك تلازم بين السّجود لآدم عليه السلام وبين أعلميّته على الملائكة حتى المقرَّبون منهم، وما ثبُتَ لآدم يثبت لمن كانوا أفضل من آدم وهم آل البيت عليهم السَّلام باتفاق الأمّة .

إذن لا بدّ من القول : بأنّ نزول الملائكة على المعصوم عليه السلام في ليلة القدر لا ليعرِّفُوه أو يعلِّمُوه أوامر الله تعالى وأحكامه، فإنّ هذا التصوّر مخالف للأدلّة القطعيّة الدالة على أعلميّته وأفضليّته على عامّة خلق الله عزّ وجلّ ، بل إنّ نزولهم إنما لتلقّي الأمر من معلِّمِهم وسيّدهم ولكسب الفيض من الله تعالى عبر الحجج الكرام، من هنا ورد من أنهم مختلف الملائكة أي محلّ تردّدهم في كل الأوقات والأزمان ولا خصوصيّة لليلة القدر في الإختلاف عليهم سوى جنبَة تلقّي الأمر بالعمل،لذا جاء[١٣٦] من أنّ نزولهم إنما " لأمر قد كانوا علموه أُمِروا كيف يعملون فيه " وفيه دلالة قطعيّة واضحة على أنّ الأوامر تأتيهم من أجل العمل لا التعليم، وليس في الحديث دلالة على نزولهم لإعطاء الأوامر حسبما قدّمنا سابقاً، وعليه؛ فلا يجوز إلصاق الجهل بالأئمّة من خلال ما صوَّرته تلك النظريّة الزّائفة والتي لا أساس لها من الصحّة تماماً كبعض المشهورات التي لا واقع خلفها . مضافاً إلى أنه لا داعي للقول باختلاف الملائكة لإعطاء الأوامر بالرغم من كثرتها وتشعّبها، فيأتي كل ملك بأمر ليلقيه على صاحب الليلة المباركة، إذ بمقدور الله تعالى شأنه أنْ يُعْلم

صاحبها بتلك الأوامر من دون وساطة نزول الملائكة التي تعدّ بألوف البلايين بل كما تصفهم الأخبار بأنّ الأرض تضيق بهم من كثرتهم .

وسبب تضيقها لا بدّ أن يكون لتلقي الأمر وحصول البركة بالسَّلام على صاحبها لكونهم . أي الملائكة . مخلوقين من أشعّة أنوار وجود الأئمّة عليهم السَّلام، فوجود الكلّ فرع وجود الأصل، ولا شكّ في أنّ الفرع يتخذ وظائفه من الاصل، ومرجعه في جميع شؤونه إليه، حيث إنّ قوام وجوده به فلا محالة يرتبط في حالاته بأصله .

فالأئمّة عليهم السَّلام مبدأ انبعاث الملائكة بأقسامها المدبّرات للأمور السّماويّة والأرضيّة بأنحائها .

توضيح ذلك:

إنه لا ريب في اختلاف جهات قوابل الملائكة واستمداداتهم من أئمّة آل البيت عليهم السَّلام في بدء خلقهم من أنوارهم عليهم السَّلام، وأيضاً الملائكة مختلفون في تلقّيهم الكمالات بأنحاء الإستمدادات المتنوّعة من المعارف وساير العلوم، ومن أنحاء التحمّلات لتلك العلوم والقوى للتأدية إلى من شاء الله وإلى ما شاء الله من أنواع الخلق .

إذ من المعلوم أنّ الملائكة في تلقّي تلك الأمور مختلفون في الجهات والأفعال والمفعولات اختلافاً كبيراً عدد ذرّات الموجودات، فكل ملك يتحمّل . بحسب قابليّته وما يناسبه، وما هو جنسه أو نوعه أو شخصه .كل ذلك الإختلاف .

والتباين والتمايز إنما هو منحصر في ج هتهم عليهم السَّلام وهم معلِّمو الملائكة في ذلك، ولذلك يكون اختلاف الملائكة بهذه الجّهة والعلّة إليهم عليهم السَّلام .

وتدلّ أحاديث كثيرة على أنّ الملائكة منبعثون من أنوارهم في عالم الأرواح والأنوار:

منها ما رواه العلاّمة المجلسي في البحار من كتاب رياض الجنان عن أنس بن مالك قال: بينا رسول الله صلّى صلاة الفجر ثمّ استوى في محرابه كالبدر في تمامه، فقلنا: يا رسول الله رأيت تفسّر لنا هذه الآية قوله تعالى : ﴿**أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشّهداء والصالحين**﴾ .

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: أمّا النبيون فأنا، وأمّا الصدّيقون فعليّ بن أبي طالب، وأما الشهداء فعمّي حمزة، وأمّا الصالحون فابنتي فاطمة وولداها الحسن والحسين، فنهض العباس من زاوية المسجد بين يديه صلّى الله عليه وآله وسلَّم وقال : يا رسول الله ألست أنا وأنت وعليّ وفاط مة والحسن والحسين من ينبوع واحد؟ قال صلّى الله عليه وآله وسلَّم : وما وراء ذلك يا عمّاه؟ قال: لأنك لم تذكرني حين ذكرتهم ولم تشرفني حين شرفتهم . فقال صلّى الله عليه وآله: "أمّا قولك أنا وأنت وعليّ وفاطمة والحسن والحسين من ينبوع واحد فصدقت، ولكن خلقنا الله نح ن حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحيّة، ولا عرش ولا جنة ولا نار، كنا نسبّحه حين لا تسبيح ونقدّسه حين لا تقديس، فلما أراد الله بدء الصّنعة فتق نوري، فخلق منه العرش، فنور العرش من ربّي، ونوري من نور الله، وأنا أفضل من العرش . ثم فتق نور إبن

أبي طالب، فخلق منه الم لائكة، فنور الملائكة من نور إبن أبي طالب، ونور إبن أبي طالب أفضل من نور الملائكة . وفتق نور إبنتي فاطمة، فخلق منها السّماوات والأرض، فنور السماوات والأرض من نور إبنتي فاطمة، ونور إبنتي فاطمة أفضل من السَّماوات والأرض .ثم فتق نور الحسن فخلق منه الشمس والقمر، فنور الشمس والقمر من نور الحسن، ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر .

ثم فتق نور الحسين فخلق منه الجنة والحور العين، فنور الجنة والحور العين من نور الحسين، والحسين من نور الله، والحسين أفضل من الجنة والحور العين ثم إنّ الله خلق الظُّلْمة بالقدرة، فأرسلها في سحائب البصر، فقالت الملائكة: سبوح قدّوس، ربنا مذ عرفنا هذه الاشباح ما رأينا سوءاً، بحرمتهم إلاّ كشفت ما نزل بنا، فهنالك خلق الله تعالى قناديل الرحمة، وعلَّقها على سرادق العرش، فقالت: إلهنا لمن هذه الفضيلة وهذه الأنوار؟ فقال: هذا نور أَمَتي فاطمة الزهراء، فلذلك سميتُ أَمَتي الزهراء، لأنّ السّماوات والأرضين بنورها ظهرت، وهي إبنة نبيّ وزوجة وصيّ وحجّتي على خلقي أُشهِدُكُم يا ملائكتي أنّي فد جعلت ثواب تسبيحكم وتقديسكم لهذه المرأة وشيعتها إلى يوم القيامة .

فعند ذلك نهض العباس إلى علي بن أبي طالب وقبَّلَ ما بين عينيه وقال : يا عليّ لقد جعلك الله حجة بالغة على العباد إلى يوم القيامة . إنتهى .

فعُلِمَ من قوله صلّى الله عليه وآله : ".. ثم فتق نور إبن أبي طالب فخلق منه الملائكة ..."، أنّ مبدأ انبعاث الملائكة، الذين هم حمَلَة العرش وقوام ا لعرش بهم، بما لهم من الاصناف الكائنة في السَّماوات والأرضين، والمربية لأمور قد

وُكِّلوا بها، فجميع الملائكة بأقسامها منبعثة ومخلوقة من نور الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهذا يقتضي القول بأنّ شؤونهم بأجمعها منشعبة من نور الإمام عليه السلام فلهم ارتباط تكويني مع نوره عليه السلام نحو ارتباط الفرع بالأصل .

● **إشكال ودفع**:

حاصل الإشكال: إنه بعد ما كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم والعترة الطاهرة عليهم السَّلام أفضل من الملائكة أجمعين، وإنّهم معلِّموهم كما تقدّم، فعندئذٍ ما معنى تحديثهم أو إرسال الوحي إلى جدّهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، فهل هو إلاّ من باب تعليم المتعلِّم لمعلّمه وهو كما ترى؟ .

● **لكن يدفعه بما حاصله**:

إنه ثبُتَ بالآيات والأخبار حصول الولاية المطلقة بقسميها التكويني والتشريعي لهم عليهم السَّلام حيث أقدَرَهم عزّ وجلّ على إعمال القدرة بحيث يتصرّفون بالموجودات بحسب ما ترتأيه إرادتهم التي هي في طول إرادة المولى .

وتصرّفهم من لوازم قربهم من المبدأ الفيّاض لكون الولاية تُشعر بالتدبير والقدرة والفعل وما لم يجتمع فيه ذلك لم يُطلق عليه إسم الوالي، من هنا اشتُقَّ إسم "الولي" من الولاية وهي السّلطة والقدرة، والولي هو القريب لذا يُقال: "تباعد بعد ولي" أي بعد قرب .

مضافاً إلى وجود أحاديث كثيرة تدلّ على أنهم حقائق الأسماء الحسنى لله تعالى وأنّ نورهم أوّل ما خلق الله، وأنّ جميع الموجودات مخلوقون من شعاع أنوارهم من السماء والأرض والجنة وما يُرى وما لا يُرى، وأنّ عند هم جميع

الأسماء الدالة على الإسم الأعظم، وأنّ حقائقهم النورية وذواتهم القدسيّة هي التجلّي الأعظم لله سبحانه وتعالى الذي ألقاه على قلوبهم الطاهرة بقول جدّهم رسول الله محمّد: "اللهم إني أسألك بالتجلّي الأعظم" .

فحقيقة الولاية العلوية هو ذلك التجلي الكلي الذي شمل جميع مراتب أسماء الله الحسنى بحيث لا يشذّ عنه شاذ، فالنبي يسأل ربه بحقيقة التجلي العلوي لمحبوبيته عنده سبحانه، فصار قلبه الشريف محيطاً بعوالم الإمكان بقدرة الله الملك العلاّم، ولعلّه إليه يشير قوله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: " إنّ أسماء جميع الخلق من أهل الجنة والنار يكون في كفّي " كما في الحديث المروي عنه في بصائر الدرجات بإسناده عن محمّد بن عبد الله قال : سمعت الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام يقول: خطب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم الناس ثم رفع يده اليمنى قابضاً على كفّه، قال : أتدرون ما في كفّي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال : فيها أسماء أهل الجنة، وأسماء أبآئهم وقبائلهم إلى يوم القيامة، ثم رفع يده اليسرى فقال : أيها الناس أتدرون ما في يدي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال : فيها أسماء أهل النار واسماء آبآئهم وقبائلهم إلى يوم القيامة، ثمّ قال: حكم وعدل وحكم الله وعدل، فريق في الجنة وفريق في السعير .

ومن المعلوم أنه ما كان في كفّيه المباركتين شيء من الأديم، فإنما كنّى بذلك العمل على أنّ وجوده المقدّس له من الإحاطة والسّعة ما وسع جميع الخلق، سعيدهم وشقيّهم، وهو عالِمٌ بجميع أحوالهم وهو مسيطر عليهم وعارف بخصوصيّاتهم إلى يوم القيامة .

وما ثبت لرسول الله من التجلّي بحقائق الأسماء وهو بكماله وتمامه ثابت ومنتقل إلى أمير المؤمنين والأئمّة الأطهار عليهم السَّلام حسبما جاء في الأخبار الصّحيحة، فحينئذٍ يُستفاد مما تقدّم : إنّ جميع الملائكة حتى جبرائيل وميكائيل وغيرهما من الملائكة المقرَّبين إنما هم من شؤونهم عليهم السَّلام فهم محيطون بهم ولا عكس، وذلك لأنّ الأصل محيط بالفرع كما لا يخفى.

فالملائكة بأجمعهم بما لها من الأفعال المختلفة إنما هي عوامل القدرة الكائنة والقائمة بحقيقتهم، فالملائكة الفعّالة والمدبّرة وسائرها من شؤون حقائقهم وآثارها .

وعليه؛ فإنّ معنى نزول الوحي على النبي أو نزول الملائكة وتحديثهم لهم عليهم السَّلام هو ظهورها مع ما لها من الوحي والإلهام على حقائقهم وعقولهم ونفوسهم وظواهرهم، وفي كل مقام من هذه المهابط الاربعة ينزل فيه ممّا هو أعلى منه إلى ما هو أدنى، أي يظهر شأنٌ من حقيقتهم العالية إلى شأن من حقيقتهم النازلة .

توضيحه: إنّ الشّأن العالي لهم هو حقائقهم الأوليّة ثم المرتبة النازلة وهي عقولهم، ثم النازلة منها وهي نفوسهم، ثم المرتبة النازلة هي ظواهرهم المرتبَة في عالم الوجود الظاهري الدنيوي .

وبعبارة أخرى: يتجلّى منه تعالى نوره في حقائقهم، وتتجلّى حقائقهم في عقولهم، وتتجلّى عقولهم في نفوسهم، وتتجلّى نفوسهم في ظواهرهم في الحالات والأفعال والأقوال الصادرة منهم صلوات الله عليهم، فيعبّر حينئذٍ عن تلك التجليات وعن الحامل لها بجبرائيل وبالملك ونحوهما كما لا يخفى.

فظهر أنّ جبرائيل ينزل بالوحي منه تعالى إليهم، أي يتجلّى بعض شأنهم العالي لبعض شأنهم النازل، فالملك أو جبرائيل خادمهم في هذا الأمر، وهذه التجليات بأمر الله تعالى: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾.

والحاصل أنّ كل تلك الإيحاءات والتجليات والإلهامات بإذنه تعالى على حسب ما تقتضيه حكمته البالغة وعلمه النافذ، فهم عليهم السَّلام كلهم أفضل من جميع الملائكة مطلقاً، والملائكة في الوحي وغيره مأمورون بأمر الله من خلال أمرهم عليهم السَّلام، وهم الخدمة لهم صلوات الله عليهم أجمعين .

ويوضّح لك هذا بأنّ خواطرك التي ترد عليك بالتذكر والفهم والمعرفة حتى تستفيد منها العلوم والفهم والتذكر، إنما يرد عليك من قلبك .

بيانه: إنّ حقيقتك هي روحك وقلبك، فهما مخزن لمعارفك وأنحاء علومك، ففيه مثلاً من علم المعارف والفقه والفلسفة والهيئة ونحو ذلك، كما لو كنت في جماعة وسألك واحد عن الفلسفة، فترجع بقوّة المفكّرة إلى الذّهن المجتمع فيه تلك الأمور، فتأخذ منه المطالب الفلسفيّة مثلاً، وهكذا بالنسبة إلى ساير العلوم .

فأنت بالحقيقة لك القلب المجتمع فيه تلك العلوم ثم في تطورات الحالات الوجودية تحتاج إلى ما في قلبك، فتستمدّ من بعض قواك لدرك ما في خزينة قلبك فتفيده لغيرك .

هذا وقد حقق في محلّه بأنّ الإنسان الكامل هو العالَم الكلي، الذي انطوى فيه العالم الأكبر كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

أتزعم أنك جرمٌ صغير   وفيك انطوى العالَم الأكبر

فإذا أمكن في فرد أن يكون كذلك، فما ظنّك بالنبي والائمةّ عليهم السَّلام، فإنّ حقيقتهم عليهم السَّلام هي اللوح المحفوظ المجتمع فيه حقائق الامور ؟!! .

ويبقى إشكال آخر طالما سجّله علماء العامّة على الشّيعة الإماميّة مفاده:

كيف يوفِّق الشّيعة بين نزول الملائكة على أئمّة أهل البيت سواء في ليلة القدر أو غيرها وبين ما ورد من أنّ جبرائيل قال للنبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم عند استشهاده: "هذا آخر نزولي إلى الدنيا"؟ .

والجواب:

إنّ نزول جبرائيل على النبي هو من أعظم مظاهر الحق المتضمّن لمعنى النبوة التشريعيّة المخصوصة برسول الله دون الأئمّة الأطهار لا لعجز عندهم أو ضعفٍ في قابليّاتهم بل هو تشريف لجدّهم وتفخيم لأمرهم لكونه صلّى الله عليه وآله وسلَّم داعياً إليهم ودالاًّ عليهم، فنزول جبرائيل حينئذٍ بالوحي على رسول الله إنّما يكون تأسيساً لقواعد الشّريعة المطهَّرة ولا نبوّة تشريعيّة بعده صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وإلى هذا النحو من النزول يشير جبرائيل عليه السلام بقوله: "هذا آخر نزولي إلى الدّنيا "، أي هذا آخر نزولي بعنوان الإيحاء منه

تعالى إلى النبي من حيث ظهور جهة النبوة له صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وأمّا من غير هذه الجهة فلا ريب في أنّ جبرائيل عليه السلام حيث إنه ملك العلم فله شؤون من الأمر، وله نزول كثير في عالم الخلق خصوصاً على الإمام، هذا وقد ورد في الحديث أنه قال صلّى الله عليه وآله وسلَّم : "إنّ جبرائيل ينزل بعد النبي عشر مرات، في كل مرتبة يرفع أمراً من الخلق كالرحم والأمانة "، فيُعلم منه أنّ لجبرائيل أنحاء من النزول، فالمنفي بقوله: هذا آخر نزولي إلى الدنيا، هو النزول بالوحي التأسيسي المتضمِّن لظهور معنى النبوة كما لا يخفى .

فعلم أنّ قوله هذا لا ينافي نزوله ونزول سائر الملائكة عليهم بل ثبت بأنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان يسمع كلام الوحي من جبرائيل حين ينزل على رسول الله ويرى شخص الملك،ولما ثبت من أنّه يرى الأشياء على حقائقها وأنّه ناظر إلى شجرة طوبى وسدرة المنتهى، ولما ورد من قوله صلّى الله عليه وآله وسلَّم:" يا علي إنّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلاّ إنّك لست بنبي " .

وتأويل بعضهم(١٣٧) " الرؤية على الواسطة بمعنى أنّك ترى بواسطتي ما أرى بالواسطة " خلاف الإطلاق الوارد في قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: " إنّك ترى ما أرى " فتقييدها بالواسطة جمع تبرعي خلاف مقدّمات الحكمة، إذ لو أراد صلّى الله عليه وآله وسلَّم التقييد لكان فعل، ولك نه لم يفعل، فتحمل حينئذٍ الرؤية على المباشرة لدلالة العرف عليها حيث يتبادر عندهم من كلمة الرؤية هو المباشر بالمشاهدة،والرؤية بالواسطة قيدٌ زائد منتفٍ بالاصل .

وما ورد في بعض الاخبار: " من أنّ الرّسول يرى الملك دون الإمام " لا بدّ من تاويله لمعارضته للأخ بار الصحيحة الدالة على أنّ الائمّة مختَلف الملائكة وأنّ جبرائيل نزل على الصدّيقة الطاهرة وسمعت منه كلاماً فدوّنته في مصحفٍ وأنّ الملائكة كانت تأتيهم ويقعدون على فرشهم ومتكآتهم ويرونهم.فيحمل حينئذٍ على الخبر على الرؤية لأخذ الوحي التأسيسي، فيكون معنى قوله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: " وترى ما أرى " أي انت يا عليّ ترى جبرائيل وكيفية نزوله عليَّ لا عليك، فيرى الإمام علي حبرائيل وأنّه كيف جاء بالوحي له صلّى الله عليه وآله وسلَّم مع إنّه ليس نازلاً على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فيكون اختصاص نزول الوحي التشريعي به صلّى الله عليه وآله دون العترة الطاهرة عليهم السَّلام .

وبهذا البيان يظهر معنى ما ورد في الزيارة الجامعة من أنهم مهبط الوحي، لأنّ الإمام علياً عليه السلام كان يرى هبوط جبرائيل بالوحي على النبي على ما هو عليه،إذ كيف لا يراه وقد كان السَّامري يراه حينما كان ينز ل جبرائيل على موسى عليه السلام فأخذ قبضة من أثر الرسول بحسب ما جاء في الأخبار وما في قوله تعالى: ﴿**قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرّسول فنبذتها وكذلك سوّلت لي نفسي**﴾ (طه/٩٥.٩٦)، فإذا صحّ للسامري رؤية جبرائيل صحّ حينئذٍ رؤيته بطريق أولى لمن هم افضل من موسى فضلاً عن أحد رعيّته الذي انحرف ـ اي السامري ـ عن موسى لما غاب عن قومه في الطور، وأمّا سائر الائمّة عليهم السَّلام فإنّهم أيضاً يرون جبرائيل لكونهم مثل رسول الله ونفسه صلّى الله عليه وآله وسلَّم كما

دلّ عليه قوله تعالى : ﴿**وأنفسنا وأنفسكم**﴾ ويشير على مماثلتهم الحقيقيّة مع النبي قوله تعالى : ﴿**ما ننسخ من آية أو ننسها نأتِ بخيرٍ منها أو مثلها** ﴾. فالآية المنسوخة هم الأنبياء السابقون على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وهو خير منها لكونه أعلم منهم وأفضل، والمراد من " مثلها " هو أئمّة آل البيت عليهم السَّلام حيث هم نفسه كما قدّمنا سابقاً .

توضّح ممّا سبق خطأ التصوّر السّائد عند جمهور المفسّرين من أنّ الملائكة تهبط لإعطاء الاوامر للولي عليه السلام، أو إعلامه بالمغيبات، فإنّ نسبة ذلك إلى من جعله الله قِبْلَةً للملائكة يستلزم إنزاله عن المرتبة التي رتّبه الله فيها، كما يستلزم محاذير قدّمنا شطراً منها، مضافاً إلى أنّ إضافة الملائكة إلى الروح في قوله : ﴿**تنزل الملائكة والروح فيها** ﴾ لا يعود له اي أثر أو فائدة ما دامت وظيفة الروح . حسبما جاء في الأخبار . هي تسديد الائمّة عليهم السَّلام في غير ليالي القدر، فعلام ينزل إذن في ليلة القدر؟ وهل الغاية من نزوله في ليلة القدر هي إعطاء الأمر في حين يعطي الأوامر دائماً للإمام في غير ليلة القدر؟! .

فإذا كان المقصود من نزوله مع الملائكة لإعطاء الامر فإنّ ذلك يتمّ عبر وسيط واحد وليس ببلايين الوسائط من الملائكة، كلّ واحدٍ يحمل أمراً من الله ليصدّره للإمام عليه السلام .

لذا من المهمّ جدّاً أن نبحث عن حقيقة تلك الروح التي تنزل في ليلة القدر، وهل هي ملك كسائر الملائكة إلاّ إنّه يتميّز عنهم بخصائص كبرى، أو أنها شيء آخر لا بدّ من الكشف عنه؟.

ماهيّة روح القدس:

من خلال تصفّحنا للقرآن الكريم نجد أنّ الآيات التي تناولت ذكر الروح هي على أربع طوائف:

الطائفة الأولى:

وقد ورد فيها ذكر الروح من دون إضافة شيء آخر إليه نظير قوله تعالى : ﴿**ولا تيأسوا من روح الله إنّه لاييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون**﴾ (يوسف/٨٧) .

وقوله تعالى: ﴿**إنّما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه**﴾ (النساء/١٧١) .

﴿**فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي**﴾ (الحجر/٢٩) .

﴿**والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين**﴾ (الأنبياء / ٩١) .

﴿**ثمّ سوّاه ونفخ فيه من روحه**﴾ (السّجدة/٩) .

الطّائفة الثانية:

وقد ورد فيها ذكر الرّوح مضافاً إلى القدس، منها:

﴿**وآتينا عيسى بن مريم البيّنات وايّدناه بروح القدس**﴾ (البقرة/٨٧) .

﴿**وأيّدناه بروح القدس**﴾ (البقرة/٢٥٣) .

﴿**وإذ ايّدتك بروح القدس**﴾ (المائدة/١١٠) .

﴿**قل نزّله روح القدس من ربّك بالحقّ ليثْبت الذين آمنوا**﴾(النحل/١٠٢)

الطّائفة الثالثة:

وقد ورد فيها ذكر الروح مضافاً إلى جبرائيل بقوله تعالى : ﴿**نزل به الرّوح الامين على قلبك لتكون من المنذِرين**﴾ (الشّعراء/١٩٣) .

الطّائفة الرابعة:

وفيها ذكر الروح مضافاً إلى أمر الله تعالى، منها قوله تعالى :﴿**ينزل الملائكة بالرّوح من أمره على من يشاء من عباده**﴾ (النّحل/٢) .
﴿**قل الروح من أمر ربّي وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً** ﴾ (الإسراء/٨٥)، ﴿**يلقي الروح من أمره على مَن يشاء من عباده لينذر يوم التّلاق** ﴾ (غافر/١٥)،﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾ (الشّورى /٥٢).

ولا يخفى على اللّبيب بأنّ الرّوح هو شيء صادر أو منبثق من الذّات الإلهيّة سواء أكان أمراً روحيّاً محضاً أم شيئاً ملكوتيّاً مجرّداً، فهو على كلا المعنيين يُعتبر من مخلوقات الله جلّ شأنه لكنّ ماهيّته وحقي قته مجهولة لدى عامّة النّاس، وإنْ كان يصحّ انطباق اللفظ على كِلاَ المعنيين إلاّ إذا جاءت قرينة لفظيّة وصرفت اللّفظ إلى أحد المعنيين .

كما لا يصحّ أيضاً حصر الرّوح الوارد ذكره في الطّوائف المتقدّمة بالملك لا سيّما الآيات الواردة في الطّائفة الأولى حيث دلّ ت صريحاً على أنّ الله سبحانه وتعالى نفخ في آدم من روحه ﴿**ونفخت فيه من روحي** ﴾ ثمّ أمر الملائكة بالسّجود له ﴿**فقعوا له ساجدين**﴾ إذ الإتيان بضمير الفاعل في قوله ﴿**ونفخت**﴾ يدلّ بالدّلالة التّطابقيّة بانّ النافخ هو الله تعالى تسبيباً أو

بواسطة إسرافيل، وإنْ كان نفخ الله تعالى يختلف عن نفخ الملك إسرافيل، وقد جاء في الأخبار " إنّ الله خلق روحاً ونفخ في آدم منها [١٣٨]".

ولا شكّ ايضاً أنّ الأنبياء والأولياء عليهم السلام قد أيّدهم المولى عزّ وجلّ بالرّوح الأمين وبالأمر الإلهي، ولكنّ إفرادَ الرّوح في سورة القدر بعد ذكر الملائكة إنّما كان لوجود مزية وخصيصة مهمّة لدى الرّوح دون الملائكة، إذ عطف الرّوح على الملائكة دليل المغايرة في الذّات والصّفة وإلاّ لعُدَّ العطف . في هذا الموقع بالخصوص . عبثاً يتنزّه عنه كلام الحكيم عزّ وجلّ.

والروح وإنْ كانت تُطلق على القوّة الرّوحيّة أو القد سيّة تمنح صاحبها علماً يكون جزءاً من كيانه، وشأناً من شؤونه لكن لا يمنع حملها على الملاك .
سواء أكان هذا الملاك هو جبرائيل أم غيره من خلق الله تعالى . تمييزاً له عن بقيّة الملائكة، كما يمكن حملها على الإفاضة القدسيّة تهبط بقوّة على المعصوم في ليلة القدر .وما ورد من أنّ الرّوح الوارد في سورة القدر وسورة النّبأ في الآية ٣٨ ﴿**يوم يقوم الرّوح والملائكة صفّاً** ﴾ هو موجود مادّي أعظم من جبرائيل وميكائيل عليهما السّلام حسبما جاء في بعض الأخبار [١٣٩]، يمكن أيضاً حمله على الموجود الغيبي الملكوتي بقرينة ما جاء في صحيحة أبي بصير قال: سألت الإمام الصّادق عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿**ويسألونك عن الرّوح قل الرّوح من أمر ربّي** ﴾ قال: خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله وهو مع الائمّة وهو من الملكوت[١٤٠]. وإنْ كان الأظهر صحّة حمل " الملك " على المخلوق الغيبي الملكوتي جمعاً بين الأخبار المتعارضة بحسب الظّاهر، وعليه فإنّ الملك هو عبارة عن الامر الملكوتي وليس ملكاً من

الملائكة المشهورين وإلاّ لما مُيِّزَ به النبيُّ والعِتْرَةُ الطّاهرة عليهم السَّلام، إذ التمايز إنّما يكون في الموجود الغيبي لا المادّي حيث يشترك النبيُّ وبقيّة الا نبياء به .

وأمّا الرّوح القدس الّذي تكرّر ذكره في آيات عدّة حيث يُستفاد منها أنّ لروح القدس عدّة معانٍ، ففي إحدى آيات القرآن الكريم ﴿**قل نزّله روح القدس من ربّك بالحقّ** ﴾ (النّحل/١٠٢) يحمل بحسب الظّاهر على جبرائيل الّذين كان ينزل بالقرآن على النّبي من قِبَل الله تعالى، وبحسب الباطن القرآني أنّ الّذي نزّل القرآن إنّما هو حقيقة النور المحمّدي من حيث قوّة يقينه بربّه وتمسّكه بعروته .

ولا يعني هذا الحمل إلغاء الخصوصيّة الأخرى التي تحملها الآيات المتعلّقة بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فالتعبير بـ ﴿**إذ أيدتك بروح القدس**﴾ أو ﴿**وأيدناه بروح القدس**﴾ يدلّ على أنّه " الرّوح " التي كانت ترافق المسيح عليه السلام وتؤيّده وتسدّده وهذه الرّوح هي التي كانت مع الرّسل والأنبياء والمعصومين عليهم السَّلام دائماً ، وكانوا يحصلون على الإمداد الغيبي من خلالها في مختلف الحالات، بل قد يتحلّى به ا المؤمن التقي في بعض الأحيان، من هنا قال الإمام الباقر عليه السلام لكميت بن زيد الأسدي :" والله يا كميت لو كان عندنا مال لأعطيناك منه ولكن لك ما قال رسول الله لحسّان بن ثابت: لن(*) يزال معك روح القدس ما ذبيت عنّا [١٤١]".وورد في رواية

(*) لعلها تصحيف: لا .

أخرى أنّ مولانا الإمام علي بن موسى الرّضا عليهما السَّلام بكى كثيراً عندما أنشده الشّاعر دعبل الخزاعي بعض أبيات قصيدته المعروفة ب " مدارس آيات " ثمّ قال له: " نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين[١٤٢]".

وعليه يتّضح معنا أنّ " روح القدس " جوهرٌ ملكوتي يعين الإنسان اثناء آدائه للأعمال المعنويّة الإلهيّة، وبطبيعة الحال فإنّها متفاوتة بتفاوت مراتب الاشخاص، فهي لدى الأنبياء والأئمّة المعصومين فعّالة وتعمل بشكل استثنائي وأكثر وضوحاً، ولدى الآخرين تكون وفقاً لقابليّاتهم وإنْ كنّا نفتقد للعلم بماهيّتها وتفاصيلها.

وبالجملة فإنّ لكلمة " الرّوح " تقسيمات متقابلة بين الإطلاق والتقييد حسبما أوردناه آنفاً في الآيات الدّالة على ذكر الرّوح، وهي على أنحاء ثلاثة:

(١) . الرّوح الإنساني .

(٢) . الرّوح الملكي المادّي .

(٣) . الرّوح الملكوتي .

(٤) . الرّوح القدسيّة .

فالنحو الأوّل يشهد له قوله تعالى: ﴿**ونفخت فيه من روحي**﴾ ﴿**ونفخ فيه من روحه**﴾.

والنّحو الثّاني كقوله تعالى : ﴿**فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سويّاً** ﴾ والنحو الثّالث كقوله تعالى : ﴿**وأيدناه بروح منه** ﴾، وقوله تعالى : ﴿**أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه** ﴾،والنحو الرّابع كقوله تعالى:﴿**وأيّدناه بروح القدس**﴾.

والرّوح المذكورة في النّحو الثّالث أشرف وأعلى مرتبة واقوى أثراً من الرّوح الإنسانيّة العامّة .

وأمّا النحو الثّاني فهو وإنْ كان مختلفاً عن الأنحاء الثّلاثة الأخرى اختلافاً صنفيّاً أو فرديّاً إلاّ أنّ الإختلاف الحاصل ببين الثّالث والرّ ابع إنّما هو على أساس المراتب التّشكيكيّة والمتفاوتة لحقيقة الرّوح عند الانبياء والأولياء فيما بينهم من جهة، وعند المؤمنين المؤيَّدين بالرّوح من جهة أخرى، من حيث تجلّياتها ومظاهرها، فهي حقيقة واحدة والفارق في الشدّة والضّعف، فالّذي يتمتّع به نبيّنا وعترته الطّاهرة هو أكمل مراتب الرّوح القدسيّة، وقد دلّ القرآن الكريم على هذه الحقيقة بقوله تعالى :﴿**تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض** ﴾ (البقرة/٢٥٣)، وقوله : ﴿**ولقد فضّلنا بعض النّبيين على بعض**﴾ (الإسراء/٥٥) .

كما وقد أشارت النّصوص إلى تناقص روح الإيمان عند صدور الم عصية من المؤمن، وهي توضّح لنا كيف أنّ الحقيقة الواحدة تقوى وتضعف، ومثلها الملكات عند النّاس، فليست مَلَكَة التّقوى أو العدالة أو الإجتهاد أو الجود أو الشّجاعة وهكذا بقيّة الملكات النّفسانيّة بمرتبةٍ واحدةٍ عند الجميع، بل هي متفاوتة عندهم شدّةً وضعفاً،مع كون الحقيقة التي يتحلّى بها الجميع واحدة .

والسّر في تناقض روح الإيمان حال صدور المعصية، يرجع في الواقع إلى عدم انسجام المعصية مع الرّوح الإيمانيّة التي كان يتحلّى بها المؤمن، وتبدّل الصّورة العلميّة لديه من الطاعة والعبوديّة إلى النّزول عند نزوات نفسه ورغباتها.

ويشهد لهذه الحقيقة قوله تعالى : ﴿**أوَمَن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في النّاس كمن مثله في الظّلمات ليس بخارجٍ منها**﴾(الأنعام/١٢٢) حيث إنّ الله تعالى يخصّ المؤمن بالإيمان ففي مقابل الكفر وآثاره، والإيمان هو النور الّذي يسري في أفع ال العبد، فيرى به الخير، ويبعده عن الشّر، ويميّز به النّفع من الضّر .

" والدّليل على أنّ هذا النّور لغاية الإبصار قوله تعالى :﴿**الّذين إذا مسّهم طائف من الشّيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون**﴾ (الأعراف/٢٠٠) .

وهذا النّور الّذي هو نور الإبصار والإدراك من خو اص الحياة، كما أنّ نور الإدراك الحسّي والخيالي في الإنسان وسائر أنواع الحيوان، لا يتحقّق إلاّ بعد تحقّق الحياة .

وهذه الحياة التي أثبتها الله تعالى للمؤمن حياة خاصّة، زائدة على الحياة العامّة التي يشترك فيها المؤمن والكافر، فللمؤمن حياتان، وللكافر حياة واحدة، ومن هنا يمكن للمتدبّر أن يذعن بوجود روحٍ آخر للمؤمن وراء الرّوح الّذي يشترك فيه المؤمن والكافر، فإنّ خاصّة الحياة إنّما يترشّح من الرّوح، واختلاف الخواص يؤدّي إلى اختلاف المبادي .

وهذا هو الّذي يظهر من مثل قوله تعالى : ﴿**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه** ﴾ (المجادلة/٢٢) .

وهو الّذي تدلّ عليه موثّقة ابن بكير قال:

قلت لأبي جعفر عليه السلام في قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم: إذا زنى الرّجل فارقه روح الإيمان؟، قال : هو قوله ﴿**وأيّدهم بروح منه**﴾. ذاك الّذي يفارقه [١٤٣].

ليست هذه الرّوح من الملائكة، فإنّ الله أينما ذكر الرّوح عدّه غير الملائكة كقوله ﴿**ينزّل الملائكة بالرّوح من أمره**﴾ وقوله: ﴿**يوم يقوم الرّوح والملائكة صفّاً**﴾ وقوله: ﴿**تنزل الملائكة والرّوح فيها ...**﴾ إلى غير ذلك، فهذه الرّوح غير الملائكة الدّاعية إلى الخير، كما أنها غير الرّوح المشترك بين المؤمن والكافر، نعم يمكن أن يُقال : إنّ هذه الرّوح ليست مغايرة للرّوح الإنساني بالعدد، بل إنّما هي مغايرة لها بحسب المرتبة دون العدد [١٤٤]".

وعليه فإنّ روح القدس هي عبارة عن قوّة نفسانيّة يتحلّى بها المعصوم عليه السلام، وهي حالة أرقى من حالة الإيمان، لذا كان الفرق واضحاً بينهما من حيث وجود قرينة "القدس" الملتحمة بـ " الرّوح "، للتّدليل على الخصوصيّة التي يتميّز بها المعصوم عن غيره من أهل التّقى ا لمؤيَّدين بالرّوح" ﴿**وأيّدهم بروح منه**﴾ .

فأهل اليقين يمتلكون روحاً يلهمهم الخيرات، إلاّ إنّه أضعف درجة من روح القدس الّذي يصاحب أصحاب الولاية الإلهيّة، فهو قوّة قدسيّة فيهم، كواحدٍ من قواهم، تمنحهم العلم والفهم، وتعصمهم من الضّلال في العلم والعمل والسّلوك .

وهذا ما نجد شواهده في الاخبار المتضافرة، حيث ورد التعبير في بعضها " وإنّه لفينا " أو " جعل في الأنبياء خمسة أرواح " أو " إنّه خلقٌ من خلق الله له بصر وقوّة وتأييد " فكلّها تشير إلى حقيقة واحدة وهي روح القدس.

من هذه النّصوص ما ورد:

(**١**) . في خبر ابي حمزة الثّمالي قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العلم، اهو علم يتعلّمه العالم من أفواه الرّجال، أم في الكتاب عندكم تقرؤونه فتعلمون منه؟

قال: الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ :

﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الإيمان**﴾ .

ثمّ قال: أيّ شيء يقول أصحابكم في هذه الآية؟ أيُقرُّون أنّه كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟

فقلت: لا أدري . جعلتُ فداك . ما يقولون .

فقال [لي]: بلى قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، حتى بعث الله تعالى الرّوح التي ذكر في الكتاب، فلمّا أوحاها إليه علم به ا العِلم والفهم، وهي الرّوح التي يعطيها الله تعالى من يشاء، فإذا أعطاها عبداً علّمه الفهم[١٤٥] .

وتشير دلالة الحديث على أنّه لولا الفضل الإلهي لما أمكنك يا رسول الله من أن تعرف ما هو الإيمان والكتاب، إذ بفضله اقدرك عل ى ذلك وإلاّ لما كنت قادراً على معرفة الكتاب والإيمان .

ويُقصَد بالكتاب : التّفاصيل الشّرعيّة أو كناية عن الفهم والعلم، **وبالإيمان:** تلك القوّة القدسيّة التي حباها الله تعالى لمن القى السَّمع وهو شهيد .

(**٢**) . صحيحة إبراهيم بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام):

أخبرني عن العلم الّذي تعلمونه، أهو شيء تعلمونه من أفواه الرّجال بعضكم من بعض، أو شيء مكتوب عندكم من رسول الله؟

فقال: الأمر أعظم من ذلك، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ في كتابه :

﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان**﴾ ؟

قال: قلت: بلى .

قال: فلمّا أعطاه الله تلك الروح علم بها، وكذلك هي إذا انتهت إلى عبد علم بها العلم والفهم، يعرّض بنفسه (عليه السلام) [١٤٦].

(٣) . صحيحة أبي بصير قال:

سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله تبارك وتعالى : ﴿**يسألونك عن الرّوح قل الرّوح من أمر ربّي**﴾؟

قال: خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل، كان مع رسول الله وهو مع الأئمّة وهو من الملكوت[١٤٧].

ونظيرها صحيحة الكناني عن أبي بصير أيضاً، وكذا حسنة أبي أيّوب الخزّاز[١٤٨] .

وجميعها يشير إلى حقيقة واحدة مهمّة، وهي أنّ الرّوح من عالم الملكوت وهذه الرّوح ليست من صنف الملائكة بل هي قوّة قدسيّة إلهيّة ينزّلها الله عزّ وجلّ على من يشاء من عباده المصطفين الأخيار، وبتعبير آخر:

الرّوح نور إلهي صرف مجرّد عن العلائق الماديّة ومتعلّق بالنّفوس البشريّة إذا صفت وتخلّصت عن الكدورات كلّها، واتّصفت بالقوّة القدسيّة المذكورة تعلّقاً تاماً يوجب إشراقها وتسديدها، وانطباع العلوم الكلّية والجزئيّة فيها، وبهذا يتمّ تفسير إنزال الرّوح في ليلة القدر، وليس المراد من الرّوح كونه ملكاً مميّزاً عن بقيّة الملائكة بزيادة المعارف لديه حسبما صوّره جمهور المفسّرين، إذا لم يثبت أنّ أحداً من الملائكة أعظم من جبرائيل وميكائيل عليهما السَّلام في العلوم حتى يمكن نسبة زيادة المعرفة إلى غيرهما من الملائكة، مضافاً إلى عدم وجود آية أو خبر يدلاّن على علم الملائكة بجميع الأشياء بل أنهم أقروا بعجزهم وجهلهم أمام آدم عليه السلام ﴿**لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا**﴾ .

. وعليه فالملائكة غير الرّوح، من هنا جاء الخطاب القرآني مفصِّلاً هذه الحقيقة بالقول: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان**﴾ فقد أوحى سبحانه إلى رسوله قوّة الإيمان قبل نزول جبرائيل عليه فقبل البعثة.

وبتعبير آخر: إنّك يا رسولي محمّد كنت تعلم قبل إنزال الرّوح ما الكتاب وأيّ شيء هو ولا التّصديق بالشّرائع وأحكامها ودعوى الخلق إليها، وإنْ كنت تعلم أصول الإيمان بطريق عقلي، والمقصود:

إنّ علمك بذلك من فيض الله وجوده بإنزال الرّوح إليك، (شرح الكافي : ٧٥/٦)، وكذا قوله تعالى : ﴿**أتى لأمر الله فلا تس تعجلوه سبحانه وتعالى عمّا يشركون ينزل الملائكة بالرّوح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنّه لا إله إلاّ أنا فاتّقون** ﴾ (النحل/٢.١) فالملائكة تنزل بقوّة الرّوح الإلهي على من يشاء من عباده، لأنّ ذلك لا يوهَبُ لكلّ أحد، بل يعطي لمن له أهليّة هذا التّس ديد، وهذه هي القوّة الخاصّة الموهوبة من عند علاّم الغيوب، لذا جاء في الخبر:

إنّ رجلاً أتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يسأله عن الرّوح، أليس هو جبرائيل؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: جبرائيل من الملائكة، والرّوح غير جبرائيل، فكرّر ذلك على الرّجل، فقال له : لقد قلت عظيماً من القول، ما أحد يزعم أنّ الرّوح غير جبرائيل، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنّك ضالّ تروي عن أهل الضّلال، يقول الله تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم ﴿**أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عمّا يشركون ينزّل الملائكة بالرّوح**﴾ والرّوح غير الملائكة صلوات الله عليهم[١٤٩] .

والرّوح المذكور في هذا الخبر هو نفسه الرّوح الوارد في قوله تعالى :
﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان**﴾.

وبه يتّضح معنى الآية بشكل أوضح من حيث المراد من القبليّة ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان**﴾ الحيثيّة

الذّاتيّة لا القبليّة الزّمانيّة، إذ لم يكن النّبي جاهلاً بالله تعالى في زمنٍ ما، كيف وكان نبيّاً وآدم بين الطّين والماء كما ورد في الحديث، ولكنْ لما كان علمه وإيمانه مأخوذاً من الباري تعالى ولم يك ن هو بنفسه واجب الوجود بالذّات حتى يكون عالماً عارفاً بذاته، كان عدمه الذّاتي قبل وجوده الغيري، وكان علمه وإيمانه وكماله أيضاً حادثاً معلولاً مأخوذاً من الله تعالى . بحيث لو لم يكن وحي وتعليم من الله عزّ وجلّ لم يكن يعرف ما الكتاب ولا الإيمان، إذ لولا فضل الله تعالى لما كان اهتدى الرّسول إلى الكتاب والإيمان، قال بعض الشّعراء: " يا ربّ لولا أنت ما اهتدينا " وليس معناه إنّ الله تعالى لم يكن في زمان أو إنّه عزّ وجلّ أجبره على الإيمان، بل غرضه توقف الإهتداء على وجوده تعالى إذ هو المهيّئ لاسباب الهداية، وفي قصّة النّبي يوسف عليه السلام ﴿**وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربّه**﴾ وليس معناه أنّه لم يكن برهان من ربّه في زمان ما حتى همّ بالزّنا ثمّ حصل له البرهان فكفّ ،بل كان معه دائماً فلم يهمّ بالمعصية، ومثله: لو لم يكن شمس لم يكن نهار، وهكذا هنا لو لم يُوحَ إلى النّبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم روحٌ من أمر ربّه لم يكن له إيمان وعلم، ومثله كثير في اللّغة والعرف.

(**٤**) . ما ورد بالمستفيض من خبر العمود من نور، منها:

ما جاء عن مولانا أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال:

إنّ الله عزّ وجلّ أيّدنا بروحٍ منه مقدَّسة مطهَّرة ليست بملَك، لم تكن مع أحد ممن مضى إلاّ مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وهي مع الأئمّة منّا تسدّدهم وتوفّقهم،وهو عمود من نور بيننا وبين الله عزّ وجلّ[١٥٠].

ومنها ما ورد في خبر إسحاق الحريري قال:

كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسمعته وهو يقول إنّ لله عاموداً من نور حجبه الله عن جميع الخلائق،طرفه عند الله وطرفه الآخر في أذن الإمام، فإذا أراد الله شيئاً أوحاه في أذن الإمام(١٥١).

ملاحظة: المراد من الإرادة إعطاء الأوامر التفصيليّة للإمام عليه السلام **ممّا** يستلزم تعلّق الفيض الأقدس بمن تعلَّقت إرادته به،عنيت بذلك الإمام الحجّة المنتظر عليه السلام .

ومنها ما رواه الحسن بن العبّاس بن جريش عن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام "إنّ أنزلناه" نور كهيئة العين على رأس النّبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم والأوصياء عليهم السَّلام لا يريد أحدٌ منّا علم أمرٍ من أمر السَّماء إلى الحجب التي بين الله وبين العرش إلاّ رفع طرفه إلى ذلك النّور فرأى تفسير الّذي أراد فيه مكتوباً (١٥٢).

ومنها ما رواه إسحاق القمّي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك ما قدر الإمام؟

قال: يسمع في بطن أمّه، فإذا وصل إلى الأرض كان على منكبه الأيمن مكتوباً: ﴿**وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدِّل لكلماته وهو السَّميع العليم**﴾ ثمّ يبعث أيضاً له عاموداً من نور تحت بطنان العرش إلى الأرض يرى فيه أعمال الخلايق كلّها ثمّ يتشعّب له عاموداً آخر من عند الله إلى أذن الإمام كلّما احتاج إلى مزيد أفرغ فيه إفراغاً(١٥٣) .

هذا الحديث وأمثاله يشير إلى الحـقيقة القرآنيّة الواضحة وهي أنّ هذه الرّوح عامود من نور، قال تعالى : ﴿**ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا**﴾ (الشورى:٥٢).

وليس المراد من النّور أو عامود من نور ما نفهمه نحن من الأمر المادّي ذي الأبعاد الثّلاثة، لكنّه جوهر قدسيّ يتجلّى على النّفس ال ولويّة لتكون مظهراً يعكس عن الإرادة الإلهيّة .

فالنّور هو الرّوح أو النّفس القدسيّة اللاّهوتيّة حسبما أفاد الخبر الوارد عن عارف آل البيت كميل بن زياد النخعي رضي الله تعالى عنه قال:

سألت مولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، قلت: يا أمير المؤمنين روحي فداك أريد أن تعرّفني نفسي .

قال: يا كميل أيّ النّفس تريد أنّ أعرّفك؟ .

قال: قلت يا مولاي وهل هي إلاّ نفس واحدة؟.

قال: يا كميل إنّما هي أربعة : النّامية النباتيّة، والحسيّة الحيوانيّة، والنّاطقة القدسيّة، والكليّة " الملكيّة خ ل " الإلهيّة، ولكلّ واحدة من هذه خمس قوى وخاصّيتان: فالنّامية النباتيّة لها خمس قوى : ماسكة وجاذبة وهاضمة ودافعة ومربّية، ولها خاصيّتان : الزّيادة والنّقصان، وانبعاثها من الكبد وهي اشبه الأشياء بأنفس الحيوانات، والحسيّة الحيوانية لها خمس قوى : سمع وبصر وشمّ وذوق ولمس ولها خاصيّتان: الرّضا والغضب، وانبعاثها من القلب وهي أشبه الأشياء بأنفس الأناس، والناطقة القدسيّة لها خمس قوى : فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة، وليس لها انبعاث وهي أشبه الأشياء بالنّفوس الملكية " الكلية

ظ " ولها خاصيّتان: النزاهة والحكمة، والكلية " الملكية خ ل " الإلهيّ لها خمس قوى: بقاء في فناء ونعيم في شقاء وعزّ في ذلّ وفقر في غنى وصبر في بلاء ولها خاصيّتان : الرّضا والتّسليم، وهذه التي مبدؤها من الله تعالى وإليه تعود قال تعالى: ﴿**ونفخنا فيه من روحنا**﴾ وقال: ﴿**يا أيّتها النّفس المطمئنّة ارجعي إلى ربّك راضية مرضيّة** ﴾ والعقل وسط الكلّ .

وهذه النفس مصداق قوله عزّ وجلّ : ﴿ **ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا** ﴾ (الشورى:٥٢) فالنفس القدسيّة هي النور الّذي أهداه الله سبحانه لعبيده المؤمنين، من هنا جاء في صحيحة جابر قال:

قال الإمام أبو عبد الله (عليه السلام):

يا جابر إنّ الله خلق الناس ثلاثة أصناف، وهو قول الله تعالى : ﴿**وكنتم أزواجاً ثلاثة، فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة، والسّابقون السّابقون، أولئك المقرَّبون** ﴾ فالسّابقون هم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، وخاصّة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح:

أيّدهم بروح القدس، فبه بُعثوا أنبياءً ، وأيّدهم بروح الإيمان، فبه خافوا الله ،وأيّدهم بروح القوّة، فبه قووا على طاعة الله ، وأيّدهم بروح الشّهوة، فبه اشتهوا طاعة الله وكرهوا معصيته وجعل فيهم روح المدرج، الّذي يذهب به الناس ويجيئون .

وجعل في المؤمنين، أصحاب الميمنة روح الإيمان، فبه خافوا الله .

وجعل فيهم روح القوّة، فبه قووا على الطّاعة من الله، وجعل فيهم روح الشّهوة فبه اشتهوا طاعة الله، وجعل فيهم روح المدرج الّذي يذهب النّاس به ويجيئون [١٥٤].

ومما يؤيّد ما ذكرنا من أنّ النّور هو الرّوح ال قدسيّة يُسدَّد به المؤمن دون الكافر، ما جاء في خبر الحسن بن جهم عن مولانا أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

" في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح البدن وروح القدس، وروح القوّة، وروح الشّهوة وروح الإيمان، وفي المؤمنين أربعة أرواح: أفقدها [إنّما فقدوا ظ] روح القدس،روح البدن وروح القوّة وروح الشّهوة وروح الإيمان.

وفي الكفار ثلاثة ارواح: روح البدن، وروح القوّة، وروح الشّهوة .

ثمّ قال: روح الإيمان يلازم الجسد ما لم يعمل بكبيرة، فإذا عمل بكبيرة فارقه روح الإيمان، وروح القدس من سكن فيه، فإنّه لا يعمل بكبيرة أبد اً [١٥٥] ".

(٥) . ما ورد في موثّقة محمّد بن مروان عن مولانا أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

سمعته يقول إنّ الله إذا أراد ان يخلق الإمام أنزل قطرة من ماء المزن فيقع على كل شجرة فيأكل منه ثمّ يواقع، فيخلق الله الإمام فيسمع الصّوت في بطن أمّه فإذا وقع على الأرض رُفِعَ له منار من نور يرى أعمال العباد فإذا ترعرع كُتب على عضده الايمن ﴿**وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السّميع العليم**﴾[١٥٦].

وكذا ورد مثله في صحيحة محمّد بن مروان قال:

قال أبو جعفر (عليه السلام): إذا دخل أحدكم على الإمام فلينظر ما يتكلّم به فإنّ الإمام يسمع الكلام في بطن أمّه، فإذا هي وضعته سطع لها نور ساطع إلى السَّماء وسقط وفي عضده الأيمن مكتوب ﴿**وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدِّل لكلماته وهو السّميع العليم** ﴾ فإذا هو تكلَّم رفع الله له عاموداً ويشرف به على الأرض يعلم به أعمالهم (١٥٧).

والأخبار بذلك متواترة فراجع البصائر،وهكذا أخبار (١٥٨) عرض الأعمال على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم والأئمّة عليهم السَّلام كلّ صباح ومساء، وهي أخبار متواترة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها، تدلّ على مدى ما يتحلّى به النّبي والائمّة عليهم الصّلاة والسَّلام من سع ة علم وقوّة إدراك للجزئيّات، ويؤكّد هذا المعنى ما ورد في صحيحة أبي بصير قال:

دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقلت له: جعلت فداك إنّي اسألك عن مسألة، ههنا أحدٌ يسمع كلامي؟ قال: فرفع ابو عبد الله (عليه السلام) ستراً بينه وبين بيت آخر فأطلع فيه ثمّ قال : يا أبا محمّد سل عمّا بدا لك، قال : قلت: جُعلت فداك إنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم علّم عليّاً باباً يُفتح له منه ألف باب؟

قال: فقال: يا أبا محمّد علمّ رسول الله عليّاً ألف باب يفتح من كل باب ألف باب، قال : قلت: هذا والله العلم، قال : فنكت ساعة في الأر ض، ثمّ قال: إنّه لعلمٌ وما هو بذاك .

قال: ثمّ قال: يا أ با محمّد ! إنّ عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟ قال : قلت: جُعلت فداك وما الجامعة؟، قال : صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع

رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم وإملائه من فلق فيه وخطّ عليّ بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش، وضرب بيده إليّ فقال: أتأذن لي يا أبا محمّد؟، قال: قلت: جُعِلْتُ فداك إنّما أنا لك فاصنع ما شئت، قال : فغمزني بيده وقال : حتى أرش هذا . كأنّه مغضب . قال: قلت: هذا والله العلم، قال: إنّه العلم وما هو بذاك.

ثمّ سكت ساعة ثمّ قال : وإنّ عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر؟ قال : قلت: وما الجفر؟، قال : وعاء من آدم فيه علم النّبيين والوصيّين، وعلم العلماء الّذين مضوا من بني إسرائيل، قال: قلت: إنّ هذا هو العلم، قال: إنّه لعلمٌ وليس بذاك .

ثمّ سكت ساعة ثمّ قال: وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السَّلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟ قال: قلت: وما هو مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرفٌ واحدٌ، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: إنّه لعلمٌ وما هو بذاك .

ثمّ سكت ساعة ثمّ قال : **إنّ عندنا علم ما كان وما هو كائن إلى أنْ تقوم السَّاعة،** قال : قلت: جُعِلْتُ فداك **هذا والله هو العلم** ، قال : إنّه العلم وليس بذاك، قال: قلت: جُعِلْتُ فِدَاك فأيُّ شيء العلم؟

قال: **ما يحدث باللّيل والنّهار، الأمر من بعد الأمر، والشّيء بعد الشّيء،** إلى يوم القيامة(١٥٩) .

يمكن تسجيل النّقاط التالية:

١. إنّ الرّواية صحيحة السَّنَد .

۲ . أنها بيّنت ووضَّحَت مراتب العلم التي كان يتحلّى بها أئمّة آل البيت عليهم السَّلام، وإنّ أعظمها وأشرفها علم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة بل وأعظم منه ما يحدث باللّيل والنهار .

۳. إنّ علومهم عليهم السَّلام ليست منحصرة بالسّماع من جدّهم رسول الله محمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم ولا من الجامعة والجفر والمصحف بل هي ما يشرق على قلوبهم من الأمر بعد الأمر والشّيء بعد الشّيء، إنه العلم بما يصدر في عالم الإيجاد والتكوين، فما من شيء يتجدّد أو يفنى إلاّ عندهم العلم به .

وهذا العلم الحقيقي هو من صلب وظائفهم ومهامهم المقدَّسة وهو ما يُطلق عليه بالعلم الحضوري كما سوف يأتي تفصيله بحول الله وقوّته .

وعلمهم بالجزئيّات أوجب اضطراباً في نفوس المشكّكين وضعفاء الإيمان، ليس في وقتنا الحاضر فحسب؛ بل له جذور ترجع إلى عهود الأئمّة عليهم السَّلام، فها قد ورد في موثقة المفضل بن عمر قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه سترة؟

فقال عليه السلام: يا مفضل إنّ الله تبارك وتعالى جعل للنبي صلّى الله عل يه وآله وسلَّم خمسة أرواح: روح الحياة، فبه دبّ ودرج، وروح القوّة فبه نهض وجاهد، وروح الشّهوة فبه أكل وشرب وأتى النّساء من الحلال، وروح الإيمان فبه أمر وعدل، وروح القدس فبه حمل النبوّة، فإذا قبض النّبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم إنتقل روح القُدُس فصار في الإ مام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا

يلهو ولا يسهو، والأربعة الأرواح [لعلّها تصحيف : الأرواح الأربعة] تنام وتلهو وتغفل وتسهو، وروح القُدُس ثابت يرى به ما في شرق الأرض وغربها وبرّها وبحرها، قلت : جُعِلْتُ فداك يتناول الإمام ما ببغداد بيده؟ قال : نعم وما دون العرش(١٦٠) .

ملاحظة هامّة:

أشار الحديث إلى أمرين مهمَّيْن:

الأوّل: إلى ماهيّة روح القُدُس وأنّه لايغفل ولا يلهو ولا ينام ولا يسهو ولا يصيبه شيء من لوازم المادّة، ممّا يستلزم الإعتقاد بكونه قوّة لاهوتيّة تستعلي على المادّة وتؤثر فيها بحيث يرى ما في شرق الأرض وغربها وبرِّها وبحرها، ولولا تلك القوّة لا يمكنه أن يرى ما وراء الجدار لكنّها القدرة الإلهيّة التي لا نفاد لها ﴿**وما رميتَ إذ رميت ولكنّ الله رمى** ﴾ (الأنفال/١٧) من هنا جاء في زيارة مولانا الإمام الحجّة بن الحسن القائم المؤمَّل والعدل المنتظر عليه السلام:

"السّلام عليك يا ناظر شجرة طوبى وسدرة المنتهى، السَّلام عليك يا نور الله الّذي لا يطفى، السَّلام عليك يا حجّة الله التي لا تخفى، السَّلام عليك يا حجّة الله على مَنْ في الأرض والسّماء ..." (١٦١).

ولولا نفوذ البصيرة والبصر لما أمكن أن ينظر إلى شجرة طوبى في الج نّة ولا إلى سدرة المنتهى أعلى مكان فيها، كما لا يمكن أن يكون حجّةً وهو لا يرى ما يجري في عالم التكوين، إذ إنّ الحجّية تستلزم أن يرى كلّ شيء وبالتفاصيل وإلاّ لم يكُن نورَ الله الّذي لا يُطفا، ومعنى كونه نوراً يستتبع أنْ لا يدخل الجّهل إلى ساحته لمعاكسة الجهل للنّور فإذا حلّ أحدهما ذهب الآخر .

الثاني: أشار إلى عظمة وعمق قدرته الإلهيّة وولايته التكوينيّة بحيث يكون قادراً على تناول ما ببَغداد وما دون العرش بيده، ولا عجب بذلك بعد أن تحدَّثَ القرآن الكريم عن آصف بن برخيا وزير النّبي سليمان عليهما السَّلام بقوله تعالى :﴿**قال الّذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أنْ يرتدّ إليك طرفك فلما رآه مستقرّاً عنده قال هذا من فضل ربّي**﴾(النّمل/٤٠).

فإذا كان هذا هو حال مَنْ عنده علم من الكتاب بحيث يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين بأقلّ من طرفة عين، فكيف يكون حال مَن عنده علم الكتاب كلّه بقوله تعالى : ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَ ن عنده علم الكتاب**﴾ (الرَّعد/٤٣) .

فقد تواترت الأخبار بأنه مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السَّلام وليس إبن صوريا أو سلمان أو إبن سلام كما يتوهَّم مَنْ لا تحصيل لديه من علماءِ السّوءِ الّذين ركبوا مراكب العامّة فحرّفوا الكلام عن مواضعه، وتبعهم على ذلك سَوَقة من مثقفي الجامعات وحملة الأوسمة من الصحافة والإعلام، وكوادر الأحزاب والمنظمات .

فقد جاء في صحيحة إبن أُذينة عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال:

الّذي عنده علم الكتاب ه و أمير المؤمنين عليه السلام، وسئل عن الّذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الّذي عنده علم الكتاب؟

فقال عليه السلام: ما كان علم الّذي عنده علم من الكتاب عند الّذي عنده علم الكتاب إلاّ بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر [١٦٢].

وفي صحيحة بريد بن معاوية قال:

قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾ قال: إيّانا عنى وعليّ أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النّبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم(١٦٣) .

وفي موثَّقَة الحلبي قال: كنت مع أبي جعفر عليه السلام في المسجد يحدّث، إذ مرّ بعض ولد عبد الله بن سلام، فقلت : جُعِلْتُ فداك هذا إبن الّذي يقول النّاس الّذي عنده علم الكتاب، فقال : لا إنما ذاك عليّ بن أبي طالب عليه السلام أُنْزِلَت فيه خمس آيات إحداها : ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾ (١٦٤).

وفي صحيحة عبد الله بن بكير عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت عنده فذكروا سليمان وما أُعطى من العلم وما أُوتى من الملك، فقال لي : وما أعطى سليمان بن داود إنما عنده حرف واحد من الإسم الأعظم وصاحبكم الّذي قال الله : ﴿ **قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾ فقال: والله عند عليّ . عليه السلام . علم الكتاب، فقلت: صدقت والله جُعِلْتُ فداك(١٦٥) .

وروى الشّعبي فقال : ما أحد أعلم بكتاب الله بعد النّبي من عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومن الصّالحين من أولاده (١٦٦).

وزبدة المخض:

إنّ روح القُدُس تعبيرٌ عن قوّة نفسانيّة يتحلّى بها النّبي وآل بيته الميامين عليهم السَّلام وهو سبب علمهم بكلّ شيء ومنه ملكوت السّماوات والأرض، وهذه الرّوح من الملكوت، وليس المراد من الرّوح كونه حقيقةً غيبيّةً

من صنف الملائكة ترافق الإنسان النّبي أو الوصيّ تعلّمهما وترشدهما كما تصوّره البعض نتيجة ظاهر بعض الأخبار من كونه خلقاً من خلق الله تعالى أعظم من جبرائيل و ميكائيل عليهما السَّلام، بل هو ما أشرنا إليه آنفاً، ولا محذور من أن يكون الشّيء الواحد مخلوقاً من خلق الله تعالى، مستقلاًّ في نفسه، وله مظهر وتجلٍّ في الإنسان إذ يمثل قوّة من قواه، تنبعث منها آثار معيّنة، مثال ذلك : العقل حيث هو مخلوق لله تعالى، مستقلّ كبقيّ ة المخلوقات، ففي صحيحة محمّد بن مسلم عن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال: لما خلق الله العقل استنطقه ثمّ قال له : أقبِل فأقبَل، ثمّ قال له أدبِر فأدبَر، ثمّ قال: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليَّ منك ولا أكملتك إلاّ فيمن أحبّ، أمَا إني إياك آمر وإياك أنهى وإياك أعاقب وإياك أثيب (١٦٧).

وفي الوقت ذاته نجد العقل واحداً من أهمّ قوى الإنسان، وبه يمتاز عن غيره، وهو القوّة الفاعلة في التمييز بين الحقّ والباطل، والخير من الشر، وبه بلغ الإنسان ما بلغ من الرّقي والتقدُّم.

وما العقل الّذي يتمتع به الإنسان إلاّ مظهر وتجلٍّ لتلك الحقيقة المستقلّة، المسمّاة في الرواية المتقدّمة بـ "العقل" الّذي خلقه الله تعالى شأنه واستنطقه،وهكذا بالنسبة إلى "روح القُدُس" فإلى جانبٍ أنه خلقٌ من خلق الله تعالى، أعظم من جبرائيل وميكائيل حسبما نطقت به النصوص المتقدّمة، لكنّ مظهره وتجليه في شخصيّة الإنسان النّبي أو الوصيّ لذا هو قوّة قدسيّة فيه، كواحد من قواه، تمنحه العلم والفهم، وتعصمه من الضّلال في العلم والعمل والسّلوك، دون أنْ تسلبه الإختيار .

وهذا ما نجد شواهده في النصوص حيث ورد التعبير في بعضها "وإنه لفينا" أو "جعل في الأنبياء خمسة أرواح" فهي تشير إلى حقيقة "روح القُدُس" وأنه خَلْقٌ من خلق الله تعالى، كحقيقة العقل وحقيقة العلم ونحوهما، مخلوقان مستقلاّن، وفي الوقت ذاته يمثلان قوّةً من قوى النّفس .

وهذه النّصوص لا تعني من "روح القُدُس" وجود شخص غيبي مصاحب للإنسان النّبي أو الإمام أو المؤمن، يعلّم هذا ويرشد ذاك ويمنع الآخر ! كلاّ، بل هو تعبير آخر عن القوى النفسانيّة التي يتحلّى بها هؤلاء، تورثهم علماً يكون فيما بعد جزءاً من كيانهم وإنْ كانت هذه القوّة في حقيقتها مخلوقاً مستقلاًّ كسائر المخلوقات .

ونلحظ ذلك أيضاً من خلال تقسيم الأر واح . في هذه النصوص وغيرها . إلى روح الحياة، وروح القوّة، وروح الشّهوة، ومن الواضح أنّ جميع هذه الأرواح ليست أموراً مستقلّة عن الإنسان، بل ليست إلاّ تلك القوى والغرائز التي يمتلكها كلُّ فردٍ منّا، ويمتاز الصّفوة من النّاس بقوى إضافيّة مستقاة ممّا أوتوه من عِلْمٍ ومعرفة فائقين . فكما أنّ المؤمن يستمدّ من إيمانه العميق بالله تعالى قوّة يخوض بها غمار المصاعب ويتغلّب عليها، كذلك النّبي يستمدُّ من الغيب الّذي يتصل به هو مباشرةً ما يضفي عليه من القابليّات المفقودة عند جميع أبناء جنسه، ويجعل منه قوّة فاعلة في المجتمع الإنساني، ومنشأ ذلك هو "روح القُدُس" الّذي يمنحه علماً خاصّاً تمتاز به الصّفوة المختارة من النّاس.

ولو لم يكن إلاّ كلام مولانا الإمام الرّضا (عليه السلام) لكفى حجّةً على المدّعى حيث قال: إنّ الله عزّ وجلّ أيدنا بروح منه مقدَّسة مطهَّرة، ليست بمَلَك، لم

تكن مع أحد ممّن مضى إلاّ مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم وهي مع الأئمّة منّا، تسدّدهم وتوفّقهم، وهو عمود من نور بيننا وبين الله عزّ وجلّ .

ويؤكّد هذا ما ورد في خبر أبي بصير عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال . وهو يعدِّد فضائل الإمام عند ولادته .: فإذا وقع من بطن أمّه وقع واضعاً يده على الأرض رافعاً رأسه إلى السَّماء، فإذا وضع يده إلى الأرض فإنه يقبض كل علم أنزله الله من السَّماء إلى الأرض، وأمّا رفعه رأسه إلى السَّماء فإنّ منادياً ينادي من بطنان العرش من قِبَل ربّ العزّة من الأفق الأعلى باسمه واسم أبيه يقول: يا فلان أثبت ثبتك الله فلعظيم ما خلقتك، أنت صفوتي من خلقي وموضع سرّي وعيبة علمي، لك ولمن تولاّك أوجبت رحمتي وأسكنته جنّتي وأحللت جواري ثمّ وعزّتي لأصْلِينّ مَن عاداك أشدّ عذابي وإنْ أوسعت عليهم من سعة رزقي، فإذا انقضى صوت المنادي أجابه الوصيّ: أشهد أنه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم ... فإذا قالها أعطاه الله علم الأول وعلم الآخر واستوجب **زيادة** [زيارة] الرّوح في ليلة القدر، قلت : جُعِلْتُ فداك ليس الرّوح جبرائيل؟ فقال : جبرائيل من الملائكة والرّوح خلق أعظم من الملائكة أليس الله يقول :﴿**تنزّل الملائكة والرّوح**﴾(١٦٨).

ولا يخفى أنّ قوله عليه السلام " فإذا قالها أعطاه الله علم الأوّل وعلم الآخر واستوجب زيادة الرّوح ..." إشارة إلى أمرين:

الأمر الأول: إنّ عِلْم الوصيّ عليه السلام بالجزئيّات دَفعِيٌّ وليس تدريجيّاً مرتبطاً بإخبار الملائكة إياه كلّ سنة، فعلى القول بالتدرّج يكون علمه شأنياً أو

حصولياً، وقد قامت الأدلّة على عدم ثبوته لهم عليهم السَّلام . وأمّا على القول بأنه حضوري وهو الحقّ الصريح لثبوته للخضر وعيسى عليهما السَّلام بقوله تعالى : ﴿**وعلّمناه من لدنا علماً** ﴾ ﴿**وأنبّئكم بما تأ كلون وما تدّخرون في بيوتكم**﴾ ورسول الله وعترته الطاهرة لا شكّ أنهم أولى بإفاضة العلوم اللدنيّة عليهم من الخضر وعيسى عليهما السَّلام وجميع الأنبياء والمرسَلين والأوصياء والصدِّيقين بمقتضى آيات الكتاب العزيز والأخبار المطهّرة المعتضدة بالإجماع، لا سيّما ما ورد بعشرات الأحاديث المتعرّضة لبيان ما لا يطيقه إلاّ ملك مقرَّب أو نبيّ مرسَل أو عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، ممّا يتعلَّق بذكر مناقبهم وأوصافهم ومميّزاتهم، بدءاً بـ " لا يُقاس بآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلَّم من هذه الأمّة أحدٌ [١٦٩] وبتعبير آخر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم : " نحن أهل بيت لا يُقاس بنا أحد "، وختاماً بالمستفيض : " لا تتجاوزوا بنا العبوديّة، ثمّ قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا، وإياكم والغلوّ كغلوّ النّصارى فإني بريء من الغالين[١٧٠]".

وليس كلّ فضيلة دالّة على علوّ مقامهم تعدُّ غلوّاً حسبما تصوّر بعض المشكّكين، وإنما الغلو . وكما أفاد الحديث الشّريف . هو أن يُنسَب إليهم الإتحاد الجسماني مع ذات الباري عزّ وجلّ مثلما يعتقده النّصارى في عيسى بن مريم عليهما السَّلام .

والحديث يشير إلى أنّ علمهم إفاضيٌّ عند هبوطهم إلى الأرض وهو خلاف ما عليه الأخبار المتضافرة بل المتواترة بأنهم اشتقوا من نور الله تعالى وأنّهم الصّادر الأوّل والعقل الكامل فلا غرو حينئذٍ أن يكونوا عالمين بما كان

وسيكون ولا يعزب عنهم مثقال ذرّة إلاّ اسمٌ واحد من أسمائه العظمى تعالى شأنه المختصّ علمه به تبارك وتعا لى، ولا ينافيه بعض الأخبار . ومنهاالخبر المتقدِّم . لكون علمهم على غير الوجه المذكور، لأنّ الحكمة قد تقتضي بيان المطلَب على غير وجهه من جهة قصور المخَاطَب ونقصه أو من جهة أخرى كخوفٍ ونحوه مع عدم كذبهم من جهة التورية.

ومَن كان مشتقّاً من نور الله تعالى كيف يمكن أن تخفى عليه خافية في الأرض والسَّماء بل وعوا لم الملكوت والجبروت واللاّهوت ؟!! .

إنّ الله تعالى عندما اختصّهم ومنحهم وأعطاهم قضاءً للمرتبة القصوى الّتي امتازوا بها من أكمل وأتمّ مراتب الإستعداد والقابليّة الّتي يُتصَوَّر درك أتمّ مظهر من مظا هر الوجود في عا لم الإمكان لها، فإنّ نفي تلك المرتبة من فضائلهم، إمّا أنْ يرجع إلى عدم إمكان وعدم ثبوت الإستعداد في أتـمّ الحقائق وأفضل المراتب لنيل م رتبة: "قولوا فينا ما شئتم ونزّهونا عن الرّبوبيّة "، وإمّا يرجع إلى نفي صفة الجود الإلهي على أتمّ مخلوق ولا يُعقل تصوّره لرجوعه إلى ثبوت صفة النّقص والظّلم للمولى الكريم وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً وهو القائل: ﴿**كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربّك وما كان عطاء ربّك محظوراً** ﴾ (الإسراء/٢٠) وحيث إنه ﴿**لا يُخلف الميعاد** ﴾ (آل عمران/٩) و﴿**إنّ الله لا يظلم مثقال ذرّة** ﴾ (النساء/٤٠) و﴿**رحمتي وسعت كل شيء** ﴾ (الأعراف/١٥٦) وكان من أبرز مصاديق الرحمة إعطاء كل موجود حظّه، فإنه من المستحيل عقلاً والممتنع إمكاناً، أن لا يحصل

لمرتبة الوجود الأتمّ في عالم الإمكان الإرتقاء إلى منزلة الكمال، والوصول إلى قاب قوسين أو أدنى .

فإنّ الإستعداد والقابليّة موجودان، والفيض والعطاء بلا حدود ﴿**ولدنيا مزيد**﴾ (ق/٣٥) والمانع مفقود ﴿**ويطهّركم تطهيراً**﴾ (الأحزاب/٣٣) فلم يبقَ إلاّ العجز في القادر تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ﴿**تبارك الّذي بيده الملك وهو على كلّ شيء قدير**﴾ (الملك/١) وهو المالك القادر الكريم الوهّاب الغنيّ الحكيم .

الأمر الثاني: إنّ زيادة الروح التي أشار إليها الحديث المتقدِّم لا تتم إلاّ على وفق النظريّة التي اخترناها وهي كون الروح قوّة قدسيّة قابلة للزيادة في ليلة القدر بحيث تصل إلى أوج كمالها اللاّئق بحال الوصيّ في ليلة القدر على وجه الخصوص، لأهميّةٍ في الظّرف والمظروف .

هذا بناءً على صحّة إثبات كلمة " زيادة " المضافة إلى الرّوح، إذ لا يُعْقَل أن يكون الرّوح الملك أكثر من واحد لعدم وجود خبر يدلّ على ذلك، وأمّا بناءاً على أن المضاف هو "زيارة الرّوح" فالأمر واضح من الناحية الثبوتيّة سواء أكان الروح من جنس الملائكة أم لا فإنه يستوجب نزوله على الوصيّ للأمر الموكل به، لكن لم يقم الدّليل القطعي من الناحية الإثباتيّة على صحّة الأمر المفترض حسبما قدَّمنا .

والنتيجة:

لمّ ثبت من مجموع القرائن أنّ خليفة الله آدم هو المرجع للخلق وإنْ كانوا من الملائكة، فكيف بمن يكون مرجِعاً لآدم عليه السلام؟! .

فهل يُتصوَّر من الملائكة . بعد أن أقرّوا جميعاً وخضعوا بسجودهم لآدم الَسَّلِيهِ . أن يكون لهم حظٌّ في تصرّفٍ أو فعلٍ إلاّ من خلال مَنْ له خضعوا وسجدوا فإنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وقد أمرهم تعالى بأنْ يسجدوا لآدم الَسَّلِيهِ، فكان منهم أن خضعوا له .

وإذا كانت طبيعتهم الخضوع والتسليم لمن أُمروا بالسّجود له فهل يمكن لهم النزول إلى الأرض حيث يستقر فيها سيّدهم المسجود له ولا يكون منهم التنافس إلى الأخذ منه ومبايعته وتجديد العهد والميثاق لحضرته؟!! .

وهل يمكن أنْ ينزلوا إلى الأرض وفيها مَنْ عرفت، ولا يكون منهم الإسراع بل التنافس في خدمته وتحقيق إرادته؟!! .

بل لا يكون من الملائكة إلاّ المسارعةُ في التشرُّف بالنّزول في بيت خليفة الله أوّلاً، وعنه يذهبون ومن عنده يأخذون قضاءً لما يفرضه واقع كينونتهم خاضعين له حقيقةً، ولا أظنّ فقيهاً تطرق ذهنَه صورةٌ غير التي رسمناها وحددنا تفاصيلها رعايةً لمقامهم الأقدس ومصداقاً لـ : "قولوا فينا ما شئتم "، و"أمرنا صعبٌ مستصعب" .

وبالجملة: فإنّ وجود سيّد الملائكة في الأرض وما كان للملائكة شغلٌ سوى التشرُّف بالنزول إليه وطلب مرضاته والإستئذان منه وإلاّ لم يكن خليفة لله تعالى ومختلفاً لهم وقبلةً لتقربهم وواسطة لتلقّي العلوم، كيف لا ! وهو المفروض كونه خليفة لله تعالى على عامّة الخلق وهم منه ! بل لعلّ أكابرهم كانوا يعتبرون أمر الله تعالى لهم بالنزول إلى الأرض حال وجود خليفته فيها وسيّدهم هو الفوز والغنيمة حيث سيكون لهم التشرُّف بلقاء سيّدنا

وسيّدهم، من هنا ورد في متضافر الأخبار أنهم سلام الله عليهم " مُخْتَلَفُ الملائكة "، وفي حديث عن مولانا الإمام محمّد بن علي الباقر عليهما السَّلام قال: " وما من بيت من بيوت الأئمّة منّا إلاّ وفيه م عراج الملائكة لقول الله عزّ وجلّ ﴿**تنزّل الملائكة والرّوح فيها بإذن ربّهم من كلّ أمرٍ سلام** ﴾ [١٧١].

وروى الكليني في صحيحة أبي حمزة الثمالي عن مولانا أبي الحسن عليه السلام قال:

سمعته يقول: ما من ملك يُهبطه الله في أمر ما يهبطه إلاّ بدأ بالإمام فعرض ذلك عليه، وإنّ مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالى إلى صاحب هذا الأمر [١٧٢].

وفي حسنة الحسين بن أبي العلاء عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: يا حسين . وضرب بيده إلى مساور في البيت . مساور طالما اتكت عليها الملائكة وربّما التقطنا من زغبها[١٧٣] .

وفي صحيحة عليّ بن ا لحكم قال: حدّثني مالك بن عطيّة الأحمسي، عن أبي حمزة الثمالي قال:

دخلت على عليّ بن الحسين عليه السلام فاحتبست في الدّار ساعة، ثمّ دخلت البيت وهو يلتقظ شيئاً وأدخل يده وراء السّتر فناوله من كان في البيت، فقلت: جُعلت فداك هذا الّذي أراك تلتقطه أيّ شيء هو؟ فقال : فضلة من زغب الملائكة نجمعه إذا خلونا، نجعله سيحاً لأولادنا، فقلت : جُعلت فداك وإنهم ليأتونكم؟ فقال: يا أبا حمزة أنهم ليزاحمونا على تكأتنا[١٧٤].

وفي خبر مسمع قال : كنت لا أزيد على أكلة بالليل والنهار، فربّما استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام وأجد المائدة قد رفعت لع لّي لا أراها بين يديه، فإذا دخلت دعا بها فأُصيب معه من الطعام ولا أتأذّى بذلك، وإذا عقبت بالطعام عند غيره لم أقدر على أن أقر ولم أنم من النّفخة، فشكوت ذلك إليه وأخبرته بأني إذا أكلت عنده لم أتأذ به، فقال : يا أبا سيّار إنّك تأكل طعام قومٍ صالحين، تصافحهم ا لملائكة على فرُشِهِم، قال : قلت: ويظهرون لكم؟ قال : فمسح يده على بعض صبيانه، فقال : هم ألطف بصبياننا منّا بهم(١٧٥) .

ولما كانت الملائكة كما وصفت هذه الأخبار، كان من الطبيعي أن تنزل في ليلة القدر لتقتبس من سيّدها علماً ومعرفةً، بل لا بدّ أن يكون مقصدهم الأعلى هو وجه الله ونوره وخليفته وحجّته على خلقه، إذ لا يمكنهم . وهم العاجزون عن المعرفة من دون توسّط آدم الخليفة .التصرّف والقدرة على شيء من دون إذن سيّدهم ومعلّمهم الّذي إليه سجدوا وخضعوا، إذ على افتراض أنّ نزولهم لتعليم النّبي أو الوصيّ يعتبر هذا خلاف طبيعة وكينونة الخليفة والخلافة الإلهيّة والتي تعني أنّ عليهم الرّجوع في الأمور الموكَّلين بها إلى الخليفة الّذي يحدّد لهم وظائفهم الّتي ينبغي أن يكونوا عليها .ولو صدرت منهم الأوامر إلى الخليفة المعلِّم لاستلزم القول بأعلميّتهم عليه، فيصحّ أن يكونوا حينئذٍ الخلفاء عليه وأعلم منه فيستحقّون منصب الخلافة دونه، ولما قامت الآيات والأخبار على أعلميّته منهم وسيادته عليهم دلّ ذلك على أنهم يتلقّون الأوامر منه، فالإعتقاد بكونه خليفة الله يستلزم الإعتقاد بكونه

مستوعباً لكلّ المعارف والعلوم، وبالتالي يكون لديه علم الغي ب دون واسطة أحد من خلق الله سبحانه وتعالى، إذ بعد إمكان أنْ يكون هناك مَنْ يعلّمه الله تعالى كل ما يمكن أنْ تعلمه الملائكة . على فرض أنهم يهبطون لتعليم النّبي والوصيّ عليهما السَّلام . فإنّ اللّطف الإلهي الممزوج بالجود والكرم من جهة، والرحمة الرّبانيّة من جهة ثانية، يلزم عنها بعد وجود القابل وانتفاء المانع وجود مَنْ يكون مظهراً لإسم الله العالِم .

وبعبارة أخرى: إنّ المقتضي موجود والمانع مفقود، فإنّ المقتضي لكونه تعالى جواداً كريماً هو ذاته المقدَّسة، فلا بخل فيها، لكونه قبيحاً بذاته، فكيف من الحقّ الكريم سبحانه، وحيث إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم وعترته الطاهرة عليهم السَّلام يمكن لهم أن يعلموا كلّ شيء، لعدم القصور فيهم وقد نزّهوا عنه لقوله:﴿**ويطهركم تطهيراً**﴾، فعدم تعليم الله لهم مباشرةً دون واسطة لا يكون مرجعه إلاّ إلى البخل : تعالى الله سبحانه عنه أو العجز : جلّ الخالق العظيم أنْ يدخل ساحته﴿**وما قدروا الله حقّ قدره**﴾ .

وإذا تمّ المقتضي لزم التحقُّق فعلاً حيث لا مانع في ذات الله المقدَّسة لكونه الوهّاب الكريم ذو المنّ القديم .

كيف يبخل عمّن ارتضاهم لرعاية خلقه وتدبير شؤونهم وقد أورثهم الكتاب الّذي ما فرّط فيه من شيء، وجعله تبياناً لكلّ شيء، والمراد من الكتاب هو اللّوح المحفوظ وقد قال تعالى : ﴿**وما من غائبة في السّماء والأرض إلاّ في كتاب مبين** ﴾ (النّمل/٧٥)، ﴿**إنّه لقرآن كريم في كتابٍ مكنون** ﴾ (الواقعة/٧٨)، ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاّ في**

كتاب﴾ (الحديد/٢٢)،﴿**بل هو قرآن مجيد في لوحٍ محفوظ** ﴾ (البروج/٢٢)، فكلّ شيء في الكتاب، والكتاب شيء من الأشياء هو في الإمام المبين ﴿**وكل شيء أحصيناه في إمامٍ مبين**﴾ (يس/١٢) .

وقال تعالى: ﴿**عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول**﴾ (الجنّ/٢٦،٢٧) .

ولئنْ جاز للرُّسُل أن يطّلعوا على الغيب فلكونهم مرضيّين، وإنما ارتضاهم أنبياءاً كرامةً لرسول الله محمّد وعترته الميامين الأطهار عليهم السَّلام، ولما في قلوبهم من حبٍّ لهؤلاء المكرَّمين . ولئنْ كان اللهُ علَّمَ أبا البشرية آدمَ الأسماءَ كلّها، فإنه تعالى ماذا كان سيعلّم سيّد آدم، ومن خُلِقَ لأجله آدم . عنيتُ به محمّداً وآل محمّد .؟!! .

وهل يتصوّر عاقل أن يحتاج إلى غيره من كان وجوده علّة في إيجاده، ففي القدسي: " لولاك لما خلقت الأفلاك "، " لولا محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين ما خلقت شمساً مضيئة ولا قمراً منيراً ولا فلكاً يدور ..." ومتى صار المعلول في تعلّمه أفضل من سيّد المعرفة ومدينة العلم وبابها ورحمة الله على العالمين ﴿**وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين**﴾ (الأنبياء/١٠٧)، أليس جبرائيل وجميع الملائكة المقرَّبين هم من العالمين، ومحمّد الصّادق الأمين رحمة الله إليهم يرفدهم بعلمه ويعلّمهم حكمته ومعرفته ؟!! .

فالنّبي وعترته التي هي نفسه ﴿**وأنفسنا وأنفسكم**﴾ هم العالمون بما علّمهم الله تعالى، وسواهم تابعون لهم وباخعون لفضلهم وخاضعون لشرف قدسهم، فلمّا كانوا بهذا المستوى كيف يتصوّر أن ينقادوا في علوم هم ومعارفهم إلى مَنْ

كانوا بأمسّ الحاجة إلى توسّطه في التعليم، عنيت به سيّدنا آدم الخليفة، فكيف بمن يكونون خلفاء الله عليه وعلى عامّة الخلق أجمعين؟!! .

إنّ ما نعتقده بخلفاء الله تعالى أنهم أعلم من الملائكة بلا ريب بل هم خدم لأهل بيت محمّد كما أشرنا آنف اً، وإنّ نزولهم إلى الأرض ليأخذوا التعاليم والأوامر من ساداتهم ومعلّميهم مذ أوجدهم الله عزّ وجلّ في ملكوته، كيف وقد قال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: " أنا قسيم الله بين الجنّة والنّار، وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم، ولقد أقرّت لي جميع الملائكة والرّوح والرُّسُل بمثل ما أقرّوا به لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم ولقد حملت على مثل حمولته وهي حمولة الرّبّ وإنّ رسول الله يدعى فيكسى، وأُدعى فأُكسى، ويُستنطَق وأُستنطق فأنطق على حدّ منطقه، ولقد أُعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحدٌ قبلي، علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عنّي ما غاب عنّي، أُبشّر بإذن الله وأُؤدّي عنه، كلّ ذلك من الله مكّنني فيه بعلمه(١٧٦)".

وقول مولانا الإمام الصّادق عليه السلام: " إنّ الله لا يجعل حجّة في أرضه يُسْأَل عن شيء فيقول لا أدري (١٧٧)" .

وما ورد في المتواتر من " أنّ عندهم إثنين وسبعين حرفاً من إسم الله الأعظم واستأثر الله لنفسه حرفاً واحداً(١٧٨) ".

إلى غير ذلك من عشرات بل مئات الأحاديث الدّالة على علوّ مقامهم العلميّ، فالتغاضي عن كل ذلك . لأجل تعارض أخبار آحاد لا توجب عِلْمَاً ولا عملاً، مضافاً لكونها من المتشابهات، يستلزم نسف الأسس العقيديّة

الصّحيحة التي يؤمن بها الفكر الإمامي حول شخصيّة المعصوم الخليفة، هذا الفكر الّذي تمحور بآيات الكتاب العزيز والأخبار الصّحيحة.



هوامش الفصل الثالث:

(١) أصول الكافي:١/١١ح٣، والمحاسن للبرقي:١٩٥ح١٥ .

(٢) المحجّة البيضاء:١/١٧٩، وخطاب الرّسول للإمام من باب: "إياكَ أعني واسمعي يا جارة ".

(٣) المحجّة البيضاء:١/١٧٩ .

(٤) الأسفار:٤/٣٦١ الفصل الثالث عشر: في أنواع الإدراكات .

(٥) الأسفار:٤/٣٦٧ .

(٦) الأسفار:٤/٣٧٢ .

(٧) الأسفار:٤/٣٧٧ .

(٨) الأسفار:٤/٣٧٩ .

(٩) الإسفار:٤/٣٨٥ .

(١٠) الفوائد البهيّة:١/٣٦.٣٩ .

(١١) الغرر والدّرر:١/٢٢٠ .

(١٢) الغرر والدّرر:١/٢٢١ .

(١٣) الغرر والدّرر:١/٢٢١ .

(١٤) أصول الكافي:١/١٤٤ح١٠ .

(١٥) أصول الكافي:١/١٤٤ح٥ .

(١٦) أصول الكافي:١/١٩٣ح٦ .

(١٧) التوحيد:٢٢٠ح١٢، وأصول الكافي:١/٨٧ح١ .

(١٨) أصول الكافي:١/١١٤ح٢، والتوحيد:٢٢٠ح١٣ .

(١٩) أصول الكافي:١/١٤٣ح٣ .

(٢٠) بصائر الدّرجات:٤٩ح٤ .

(٢١) أصول الكافي:١/١٠ح١ .

(٢٢) تفسير مجمع البيان:٩/٧٢ .

(٢٣) بحار الأنوار:١٥/٣ح٣ .

(٢٤) صحيح الترمذي:٢/٣٠٨، وأُسُد الغابة:٢/١٢ .

(٢٥) كنز العمّال:٦/٢١٧ .

(٢٦) مفاتيح الجنان/٧٣٩ .

(٢٧) بحار الأنوار:١٥/٨ح٨ .

(٢٨) كامل الزيارات: باب الزيارات المطلَقة للإمام الحسين عليه السلام .

(٢٩) الميز ان في تفسير القرآن:١٥٤/١١ .
(٣٠) الميزان في تفسير القرآن:١٦٢/١١ .
(٣١) تفسير الميزان:٧٩/٥ .
(٣٢) تفسير الميزان:١٦٣/١١ .
(٣٣) تفسير الميزان:١١٧/١١ .
(٣٤) تصحيح إعتقادات الشيخ الصَّدُوق:١٢٨ فصل في العصمة .
(٣٥) أمالي المرتضى:٣٤٧/٢ .
(٣٦) للمزيد راجع: الفوائد البهيّة/ بحث العصمة .
(٣٧) تفسير الميزان:١٥٤/١١ .
(٣٨) تفسير الميزان:٣١٥/١٩ .
(٣٩) الفوائد البهيّة:١/ بحث العصمة .
(٤٠) تفسير الميزان:٥٧/٢٠ .
(٤١) تفسير الميزان:١٣٧/٢ .
(٤٢) تفسير الميزان:٢٦٠/٧ .
(٤٣) مفاهيم القرآن:٤٢٨/٤ .
(٤٤) تفسير الميزان:٧١/٥ .
(٤٥) تفسير الميزان:٧١/٥ .
(٤٦) تفسير الرازي:١٥٠/٢١ .
(٤٧) تفسير الرازي:٣٤٢/١٣ .
(٤٨) أصول الكافي:٢٤٨/١ح٣ .
(٤٩) أصول الكافي:٢٥٠/١ح٧ .
(٥٠) أصول الكافي:٢١٩/١ح٦ .
(٥١) أصول الكافي:٢١٩/١ح٣ .
(٥٢) أصول الكافي:٢١٩/١ح٤ .
(٥٣) أصول الكافي:٢١٩/١/١ح٢ .
(٥٤) تفسير البرهان:١٥٨/٢ح٢٥ .
(٥٥) الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإماميّة .
(٥٦) أصول الكافي:٢٤٢/١ح١ باب: شأن سورة القدر .
(٥٧) أصول الكافي:٢٤٧/١ح٢ .
(٥٨) أصول الكافي:٢٤٨/١ح٣ .

(٥٩) أصول الكافي:١/٢٤٨ح٤ .

(٦٠) أصول الكافي:١/٢٤٨ح٦ .

(٦١) أصول الكافي:١/٢٤٩ح٦ .

(٦٢) أصول الكافي:١/٢٥١ح٧ .

(٦٣) أصول الكافي:١/٢٥١ح٨ .

(٦٤) أصول الكافي:١/٢٥٢ح٩ .

(٦٥) أصول الكافي:١/٢٤٨ح٣ .

(٦٦) بحار الأنوار:٢٥/٩٤ .

(٦٧) بحار الأنوار:٢٥/٩٥ .

(٦٨) أصول الكافي:١/٢٥١ح٨ .

(٦٩) بحار الأنوار:٢٦/١٠٩ الباب السادس: أنهم لا يحجب عنهم عِلْمَ السّماء والأرض .

(٧٠) بحار الأنوار:١٨/٢٧١ح٣٦ نقلاً عن المحاسن:٣٣٨ح١٢١ .

(٧١) بحار الأنوار:١٨/٢٦٠ح١٢ .

(٧٢) أصول الكافي:١/٢١٩ح٤ .

(٧٣) بحار الأنوار: ٢٣/٣٤٦ .

(٧٤) أصول الكافي:١/١٤٤ح٥ .

(٧٥) أصول الكافي:١/١٩٠ح١ .

(٧٦) مناقب المغازلي:١٣٤ .

(٧٧) العمدة لإبن بطريق:١٢٣ الفصل الخامس عشر .

(٧٨) أصول الكافي:١/٢٢٩ح٦ .

(٧٩) أصول الكافي:١/٢٣٠ .

(٨٠) بصائر الدرجات:٥/٢٦١ح٢٢ الباب العاشر .

(٨١) الإحتجاج:٢/٢٣٣ .

(٨٢) الخصال:٦١٤ح١٠ الباب الأربعمائة .

(٨٣) بصائر الدرجات:١٠/٥٢٧ح٨ .

(٨٤) بحار الأنوار:٢٥/٢٨٣ح٣٠ .

(٨٥) بحار الأنوار:٢٦/١٠٩ باب أنهم لا يحجَب عنهم عِلْم السماء والأرض .

(٨٦) بحار الأنوار:٢٦/١١٠ح٣ .

(٨٧) بحار الأنوار:٢٦/١١٠ح٤ .

(٨٨) بحار الأنوار:٢٦/١١٠ح٥ .

(٨٩) بحار الأنوار:١١٠/٢٦ح٦ .

(٩٠) بحار الأنوار:١١٠/٢٦ح٧ .

(٩١) بحار الأنوار:١١٠/٢٦ح٩ .

(٩٢) بحار الأنوار:٢٦ح١٠ .

(٩٣) بحار الأنوار:٢٦ح١١ .

(٩٤) بحار الأنوار:٢٦ح١٢ .

(٩٥) بحار الأنوار:٢٦ح١٦ .

(٩٦) بحار الأنوار:١٢٩/٢٦ح٣٣ .

(٩٧) بحار الأنوار:١٢٩/٢٦ح٣٤ .

(٩٨) بحار الأنوار:١٣٢/٢٦ح١ .

(٩٩) بحار الأنوار:١٣٣/٢٤ح٢ .

(١٠٠) بحار الأنوار:١٣/٢٦ح٣ .

(١٠١) بحار الأنوار:١٣٣/٢٦ح٤ .

(١٠٢) بحار الأنوار:١٣٤/٢٦ح٥ .

(١٠٣) بحار الأنوار:١٣٤/٢٦ح٦ .

(١٠٤) بحار الأنوار:١٣٤/٢٦ح٧ .

(١٠٥) بحار الأنوار:١٣٤/٢٦ح٨ .

(١٠٦) بحار الأنوار:١٣٤/٢٦ح٩ .

(١٠٧) بحار الأنوار:١٣٤/٢٦ح١٠ .

(١٠٨) بحار الأنوار:١٣٥/٢٦.

(١٠٩) بحار الأنوار:١٣٥/٢٦ح١٢ .

(١١٠) بحار الأنوار:١٣٦/٢٦ح١٣ .

(١١١) بحار الأنوار:١٣٦/٢٦ح١٤ .

(١١٢) بحار الأنوار:١٣٦/٢٦ح١٥ .

(١١٣) بحار الأنوار:١٣٦/٢٦ح١٦ .

(١١٤) بحار الأنوار:١٣٧/٢٦ باب أنهم لا يحجب عنهم شيء؛ وأنهم يعلَمون ما يصيبهم من البلايا ويصبرون عليها؛ وأنهم يعلمون ما في الضمائر وعلم المنايا والبلايا .

(١١٥) بحار الأنوار:١٩٠/٢٦ .

(١١٦) مدينة المعاجز:٤٥١/٧ح٣٢ .

(١١٧) بحار الأنوار:١٩٤/٢٦ الباب الخامس عشر .

(١١٨) بحار الأنوار:٢٦/٢٦٧و٢٣٥ الباب الثامن .
(١١٩) بحار الأنوار:٢٦/٣١٤.٣٢٢ .
(١٢٠) بحار الأنوار:٢٦/٣١٩ الباب السابع .
(١٢١) بحار الأنوار:٢٦/٣٣٥ الباب الثامن .
(١٢٢) بحار الأنوار:٢٥/١٣٩ .
(١٢٣) بحار الأنوار:٢٥/٩٧وج٢٦/٣٥٠ .
(١٢٤) بصائر الدرجات:٤٠.٤٦.
(١٢٥) بصائر الدرجات:٤١ ح٤ .
(١٢٦) بصائر الدرجات:٤١ ح٥ .
(١٢٧) بصائر الدرجات:ح٦ .
(١٢٨) بصائر الدرجات:ح٧ .
(١٢٩) بصائر الدرجات:ح١١ .
(١٣٠) بصائر الدرجات:٤٨ ح١ .
(١٣١) بصائر الدرجات:٤٨ ح٢ .
(١٣٢) بصائر الدرجات:٤٩ ح٤ .
(١٣٣) بصائر الدرجات:٤٩ ح٥ .
(١٣٤) بحار الأنوار:٢٥/٢٢٦.٣٦٨ .
(١٣٥) بحار الأنوار:٢٥/٣٨٥ح٤١ .
(١٣٦) أصول الكافي:١/٢٥٢ح٨ .
(١٣٧) الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة:١/٤٥٣ .
(١٣٨) تفسير البرهان:٢/٣٤٢ح١٠ .
(١٣٩) تفسير البرهان:٤/٤٢٢ح٢و٦ .
(١٤٠) أصول الكافي:١/٢٧٣ح٣ .
(١٤١) سفينة البحار:٢/٤٩٥ .
(١٤٢) كشف الغمّة:٣/١١٨، وإعلام الورى:٣٣١ .
(١٤٣) أصول الكافي:٢/٢٨٠ .
(١٤٤) تعليقة العلاّمة الطباطبائي على أصول الكافي:٢/٦٧٥ .
(١٤٥) أصول الكافي:١/٢٧٣ح٥ .
(١٤٦) بحار الأنوار:٢٥/٦٢ح٤٠، وبصائر الدرجات:٤٥٩ .
(١٤٧) أصول الكافي:١/٣٧٢ح٣ .

(١٤٨) أصول الكافي:١/٢٧٣ح١و٤ .

(١٤٩) أصول الكافي:١/٢٧٤ح٦ .

(١٥٠) بحار الأنوار:٢٥/٤٨ح٧ .

(١٥١) بصائر الدرجات:٤٥٩ الباب الثاني عشر/ ح١ .

(١٥٢) بصائر الدرجات:٤٦٢ح٥ الباب الثاني عشر .

(١٥٣) بصائر الدرجات:٤٦٢ الباب الثاني عضر/ ح٦ .

(١٥٤) بصائر الدرجات:٤٦٥ح١ .

(١٥٥) بصائر الدرجات:٤٦٧ح٣، وبحار الأنوار:٢٥/٥٤ح١٤ .

(١٥٦) بصائر الدرجات:٤٥١ح١/ الباب السابع .

(١٥٧) بصائر الدرجات:٤٥١ح٢/ الباب السابع .

(١٥٨) بصائر الدرجات:٤٤٤/ الباب الرابع .

(١٥٩) أصول الكافي:١/٢٣٩ح١ .

(١٦٠) بصائر الدرجات:٤٧٤ح١٣ .

(١٦١) مفاتيح الجنان:٧٠٥/ زيارة السرداب .

(١٦٢) تفسير القمّي:١/٣٩٦/ سورة الرّعد .

(١٦٣) تفسير نور الثقلين:٢/٥٢١ .

(١٦٤) تفسير البرهان:٢/٣٠٣ح١٠ .

(١٦٥) تفسير البرهان:٢/٣٠٢ح٥ .

(١٦٦) تفصير مجمع البيان:٦/٤٢ .

(١٦٧) أصول الكافي:١/١٠ح١/ كتاب العقل والجهل .

(١٦٨) بصائر الدرجات:٤٦١ح٤ .

(١٦٩) نهج البلاغة:١/٤٧/ الخطبة الثانية، وذخائر العقبى:١٧، وينابيع المودّة:٢٥٣، وكنز العمّال:٦/٢١٨، وأرجح المطالب:٣٣٠، وأبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد:١/٢١٥ .

(١٧٠) الإحتجاج:٢/٢٣٢، وبصائر الدرجات:٢٦١ح٢٢ .

(١٧١) تأويل الآيات الظاهرة:٧٩٢ .

(١٧٢) أصول الكافي:١/٣٩٤ .

(١٧٣) أصول الكافي:١/٣٩٣ح٢ .

(١٧٤) اصول الكافي:١/٣٩٤، والسيح: ضربٌ من البرود المخطَّطة .

(١٧٥) اصول الكافي:١/٣٩٣ح١ .

(١٧٦) اصول الكافي:١/١٩٦ح١ .

(١٧٧) أصول الكافي:١/٢٧٧ح١ .

(١٧٨) أصول الكافي:١/٢٣٠ح١، وبصائر الدرجات:٢٢٨/ الباب الرابع عشر .

المُحتَوَيَاتُ

المحتويات

الفصل الأوّل

الباب الأوّل

الباب الثاني

الباب الثالث

الفَصْلُ الثّاني

الفصل الثالث